

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

[مقدمة المؤلف]

[٢] الحمد لله الذى أَعْلَىٰ مراتبَ العلماء الأعلام ، وزَكَّىٰ منهم العقولَ الرَّاجحة والأحلام ، وَمَنَحَهُمْ مَا تَرْتَقِصُرُ عَنْ جَمْعِهَا ^(١) التَّحَابُرُ والأَقْلَام ؛ وَمَفَاخِرَ طَارَت كُلُّ مَطَّار . وجعل مَعَالِيَهُمْ زَاهِرَةٌ زَاهِيهِ ، وَأَضْوَاءُ فَهُومِهِمْ نَامِيَةٌ سَامِيهِ ، وَأَنْوَاءُ ^(٢) عُلُومِهِمْ هَامِيَةٌ هَامِيهِ ^(٣) ؛ بِوَإِكْفِ الْأَمْطَار ^(٤) ، وَأَطْلَعَهُمْ عَلَى دَفَائِقِ الْأَسْرَار . وَهَدَاهُمْ وَمَهَّدَىٰ بِهِمْ إِلَى تَرْتِيبِ الْمَدَارِك ، وَتَقْرِيبِ الْمَسَالِك ؛ وَجَلَّىٰ بِمَشَارِقِ الْأَنْوَار مِنْ مَعَارِفِهِمْ وَأَدَابِهِمْ ، عَمَّنْ تَمَسَّكَ بِأَذْيَالِهِمْ وَأَهْدَاهُمْ ، غِيَاهِبَ الْجَهْلِ الْحَوَالِك ^(٥) ؛ فَأَضَاءَتْ الْأَقْطَار . وَعَرَفَهُمْ الْمَقَاصِدَ الْحِسَانَ ، وَالْوَسَائِلَ الْمُعْتَبَرَةَ وَالْإِلْمَاع ^(٦) ، بِأَصُولِ الرَّوَايَةِ وَالسَّمَاع ؛ وَالْإِعْلَام ، بِمُحْدُودِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَام ؛ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى التَّنْبِيهِاتِ الْمُسْتَنْبَطَةِ السَّامِيَةِ الْأَخْطَار ؛ حَتَّى رَفَلُوا مِنْ حُلُلِ التَّحْقِيقِ السَّابِغَةِ ، فِي مَطَارِفِ ^(٧) وَبُرُود ؛ وَوَرَدُوا مِنْ مَنَاهِلِ التَّوْفِيقِ السَّائِغَةِ ، كُلَّ عَذْبٍ

(١) فى ت : « عن فهمها » .

(٢) الأنواء : النجوم ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى ظهورها ، فيقولون مثلاً : مطرنا بنوء الثريا .

(٣) هامة هامية : أى تسيل فى غزارة وانصباب .

(٤) واكف الأمطار : هاطلها .

(٥) غياهب الجهل : ظلماته . والحوالك : الشديدة السواد .

(٦) الإلماع : التنويه والإشارة .

(٧) المطارف : أردية من خز مربع ذى أعلام ؛ الواحد : مطرف كمنبر ومقعد .

برُود^(١)؛ وتَسَمَّوا من حُجَجِ الحقِّ البالغه ، الروضِ المِطار ، واجْتَنَوْا
 أَزَاهِر^(٢)، أَخَصَّتْ مُنْيَةَ الطالب ، وَبُغِيَّةَ الرائد^(٣)؛ واجْتَلَوْا^(٤) جواهر^(٥)، نُظِمَتْ
 منها الدُّرر والفرائد؛ في أجياد^(٦) الأسطار . فَإِنْ أَمَّهم ناقصٌ عَدِيمٌ ، أَلْنِي لَدَيْهِم
 الْغُنْيَةَ وَالْإِكْمَالَ ؛ أَوْ قَصْدَهُم عَلِيلٌ سَقِيمٌ ، وَجَدَ فِي يَدَيْهِم الشِّفَاءَ ، فَنَالَ غَايَةَ
 الْأَمَالِ ، وَظَفِرَ بِمُنْتَهَى الْأَوْطَارِ^(٧) . وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ
 أَفْضَلِ الْعَالَمِينَ بِإِطْلَاقٍ ، سِرَاجِ الْمُرِيدِينَ ، وَكَنْزِ الْعَارِفِينَ ، الَّذِي لَا يُخْشَى
 مَعَهُ إِمْلَاقٌ ، تُعْمَدُتْنَا الْمُظْمَى ، وَوَسِيلَتُنَا الْكُبْرَى عِنْدَ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ ؛ صَاحِبِ
 الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، الَّتِي اهْتَدَى بِهَا ذَوُو الْأَفْكَارِ ، وَالْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ ، الَّتِي
 حَصَلَ بِهَا التَّمْيِيزُ^(٨) لِمَنْ لَهُ أَسْتَذْكَارٌ ؛ الْمَوْطَأُ الْأَكْنَافُ^(٩) وَالْأَخْلَاقُ ، الْمُنتَقَى
 مِنْ أَعْظَمِ الذِّخَائِرِ ، وَأَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ^(١٠) ، الْمُخْتَارُ مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ وَالْكَوْنِ

(١) البرود : البارد .

(٢) في ط : « أزهارا » .

(٣) الرائد : الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلا ومساقط الفيت .

(٤) اجتلى : نظر .

(٥) في ت : « بواهر » .

(٦) في ت : « بأجياد » .

(٧) الأوطار : جمع وطر « بالتحريك » ، وهو الحاجة .

(٨) في ت : « التمهيد » .

(٩) الموطأ الأكناف : الكريم الدت الأخلاق .

(١٠) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شيء .

وقد ذكر المؤلف هنا — على سبيل التورية — أسماء طائفة من الكتب ، للقاضي
 عياض وغيره ، وهي : « الروض المِطار » في أخبار الأقطار « لأبي عبد الله المحمدي ؛
 و « منية الطالب » لأعر المطالب « لم يعلم مؤلفه ؛ و « بغية الرائد » لما تضمنه حديث
 أم زرع من الفوائد ؛ و « الفنية » و « الإكمال لكتاب العلم » في شرح صحيح
 مسلم ، وهذه الثلاثة للقاضي عياض ؛ و « سراج المرادين » لأبي بكر بن العربي .
 و « كنز العارفين » لم يعلم مؤلفه ؛ و « الذخائر والأعلاق » في آداب النفوس
 ومكارم الأخلاق « لأبي عبد الله الباهلي الإشبيلي ؛ و « الموطأ » للإمام مالك .
 و « المنتقى » اسم لعدة كتب .

لم تفتح له أغلاق ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين لنجومهم في
سماء الحق أفتلاق ؛ صلاةً وتسليماً دائنين ، ما أنشئت في ثنائه الأحمدى ،
وأنشدت بفنائه الحمدي ، القصائد والأبيات والأشطار . وبعد ^(١) :

[٣]

فيقولُ أحمدُ ذو القُصو رِ المَقَرِّي إذا انتسب ^(٢)
جَبَرَ المُهَيَّمَنُ صَدْعَهُ وَوَقَاهُ سَيِّئُ مَا اكْتَسَبَ
وَحَبَاهُ مَنَحَةً مُؤْمِنٍ مَحَضَ العِبَادَةَ وَأَحْتَسَبَ ^(٣)

وأسدى إليه من المواهب أسناها ، ومن العواقب حسناها :

إنه لما سَبَقَ القضاء وَجَرَّتْ الأقدار ، بارتحالي عن الوطن المَحْبوب
والقَرَار ، بعد أن شِمْتُ عَرَارُهُ ^(٤) النَّجْدِي وَلَا أَشْجَانُ وَلَا أَكْدَار ^(٥) ، في عَشِيَّةٍ
لم يكن بعدها من عَرَار ؛ وَنَزَحْتُ عن بلد ، به الوالد وما وَلَد ؛ مَحَلَّ قَطَعَ
التَّمَائِم ^(٦) ، وَفَتَحَ الكَامَم ^(٧) ، سَقَى اللهُ عَهَادَهُ ^(٨) صَوَّبَ الغَائِم :
بَلَدٌ تَحَفَّ بِهِ الرِّيَاضُ كَأَنَّهُ وَجْهٌ جَمِيلُ وَالرِّيَاضُ عِذَارُهُ ^(٩)

(١) فت : « أما بعد » .

(٢) القصور : العجز .

(٣) محض العبادة : أخلصها . واحتسب : نوى بعمله وجه الله .

(٤) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ؛ يشير إلى قول الصمة القشيري :

تتمتع من شميم عرار نجد فبا بعد العشية من عرار

(٥) في ط : « بعد أن شمت عرارة النجد من الأشجان والأكدار » ؛ ولا يستقيم
بها الكلام .

(٦) التمام : خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم .
يريد بقطع التمام : وقت أن شب وترعرع .

(٧) الكامم : أغطية الزهر . يريد وقت تفتح زهرة صباه .

(٨) يريد « بالعهاد » : جمع عهد ، وهو الزمان . وفي كتب اللغة أن العهاد جمع العهد ،
وهو المطر بعد المطر . أما العهد للزمان لجمعه عهود .

(٩) المنذر : جانب اللحية . وهذا البيت والذي بعده لسان الدين بن الخطيب .

وَكَاثِمًا وَاِدِيهِ مِعْصَمٌ غَادِيَةٌ وَمِنْ الْجُسُورِ الْحَكَمَاتِ سِوَارُهُ
وَكَانَ ذَلِكَ وَغُضْنَ النِّشَاطُ يَانِعٌ^(١) ، وَبُرْدُ الشَّبَابِ قَشِيبٌ ؛ وَشَمِلَ النَّفْسَ
مَجْتَمِعٌ دُونَ مَانِعٍ ، وَكَأْسُ^(٢) الْأَنْسِ مُنْزَجٌ بِنَسْنِيمِ الْقُرْبِ وَشَيْبِ^(٣) ؛ وَفَوْدُ^(٤)
الرَّأْسِ غَيْرُ خَاضِعٍ وَلَا خَانِعٍ ، إِذْ^(٥) لَمْ تَطْرُقْ سَاحَتُهُ وَلَمْ تَجُسْ خِلَالَهُ جِيُوشُ
الْمَشِيبِ ؛ حَلَّتْ الْحَضْرَةُ الْفَاسِيَّةُ — حَاطَهَا اللَّهُ — حَيْثُ الْمَجَالِسُ غَاصَّةٌ ، بِالْعَامَةِ
وَالْخَاصَّةِ ؛ وَالْمَسَاجِدُ آهَلَةٌ مَعْمُورَةٌ ، وَالْمَشَاهِدُ بِالزُّوَارِ مَعْمُورَةٌ ؛ وَحُلَّالُ الْمَعَارِفِ
قَضْفَاضُهُ ، وَالْعَوَارِفُ^(٦) الْجَلِيلَةُ مُفَاضُهُ ؛ حَضْرَةُ دِيْبَاجِهَا رَيْبَعِيٌّ ، وَامْتِزَاجُهَا
بِالنَّفُوسِ طَبِيعِيٌّ ، وَلَمْ لَا ، وَقَدْ نَظَّمْتَ الْمَفَاخِرَ وَنَسَقْتَهَا ، وَجَمَعْتَ الْمَآثِرَ وَوَسَقْتَهَا ،
جَادَتْهَا غُرُّ الشَّحْبِ^(٧) وَسَقَتْهَا :

بِلَادُهَا الْحَصْبَاءُ دُرٌّ وَتُرْبُهَا عَيْبِرٌ وَأَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ شَمُولٌ^(٨)
تَسْلَسَلُ مِنْهَا مَآوُهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ وَصَحَّ نَسِيمُ الرِّوْضِ وَهُوَ عَلِيلٌ
فَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا التَّسْيِيرِ ، وَقَاها اللَّهُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَغْيَارِ ، وَأَقْتَفَيْتُ فِي
ذَلِكَ سَنَنَ بَعْضِ سَلَفِي الْأَخْيَارِ ؛ إِذْ كَانَ أَشْهَرَ أَسْلَافِنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ — صَاحِبُ
التَّصَانِيفِ الشَّهِيرَةِ ، الَّتِي اقْتَادَتِ الْمَحَاسِنُ بِزِمَامٍ ؛ الْقَاضِي الْأَشْهَرُ ، الْعَلَامَةُ

(١) الْأَصْلُ فِي الْبَيْعِ : نَضِجَ الثَّمَرُ .

(٢) فِي ط : « وَكَأَن » .

(٣) تَسْنِم : مَاءٌ فِي الْجَنَّةِ . وَشَيْب : خَلِطَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ فِيهَا) . وَلَمْلَهُ رَاعِي
الْمُضَافِ إِلَيْهِ فَذَكَرَ الْفَعْلَيْنِ .

(٤) الْفَوْدُ : مَعْظَمُ شَعْرِ الرَّأْسِ مِمَّا يَلِي الْأُذُنَ . وَيُرِيدُ بِمُخْضَوْعِهِ وَخُنُوعِهِ : إِمَالَتَهُ
مِنْ كِبَرٍ وَضَعْفٍ .

(٥) فِي ط : « إِذَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) الْعَوَارِفُ : جَمْعُ عَارِفَةٍ ، وَهِيَ الْمَعْرُوفُ .

(٧) فِي ت : « السَّحَاب » .

(٨) الْعَيْبِرُ : الزَّعْفَرَانُ ، أَوْ هُوَ أَخْلَاطُ الطَّيِّبِ . وَانْشَمُولُ : الْحَجَرُ ، أَوْ مَا يَبْرُدُ مِنْهَا .

الأظهر ، سيدي أبو عبد الله محمد [بن محمد ^(١)] بن أحمد المقرئ القرشي ،
التلمساني النشأة والقبر ، أفاض الله سبحانه ^(٢) الرحمة على مثوى ذلك الحبر -
انتقل إليها أيام السلطان المرحوم أبي عنان فارس ، فولاه قضاء جماعتها ، وبني
له ^(٣) المتوكلية أعظم المدارس ، حسبا ذكره غير واحد من أهل الفهارس ،
وأشار إليه الوزير ابن الخطيب في كتاب « الإحاطة » التي أحييت من التاريخ
الرسم الدارس .

ولم تزل كُتُب الأقارب والإخوان ترد على ، وتثني عنان أعتنائها إلى ؛
وتكرر وتعدّد ، وتنتاب وتتردّد ، وتنوع وتتجدّد ؛ فأرتاح إليها ارتياح
الغصن عند هزّته ، وأحن إليها حنين كثير إلى معاهد عزّته :

[٤] يا مَنْ يُذَكِّرُنِي حَدِيثَ أَحَبَّتِي طابَ الحديثُ بِذِكْرِهِمْ وَيَطِيبُ
أَعْدِ الحديثَ عَلَيَّ مِنْ جَنَابَتِهِ إِنَّ الحديثَ عن الحَبِيبِ حَبِيبٌ ^(٤)
وكثيراً ما يحرك ذلك مِنِّي كامنَ شوق ، شَبَّ عَمْرُهُ عن الطُّوق ^(٥) ؛ وأجد
من لَوَاعِجِ الأَوَارِ ^(٦) ، ما وجده الفرزدق عند ^(٧) مُبَايَنَةِ النُّوَارِ ^(٨) :

(١) زيادة عن الإحاطة ونفع الطيب .

(٢) جمع سجل ، وهي الدلو الضخمة المملوءة بالماء .

(٣) في ت : « وبذله » وهو تحريف .

(٤) جنابته : نواحيه .

(٥) أي جاوز حد الاحتمال ؛ مأخوذ من المثل : « كبر عمرو عن الطوق » . قاله

جذيمة لعمرو بن عدي ، ابن أخته رقاش ، حين رأى عليه طوقاً من ذهب كان له

في صغره ، وقد طوقته به أمه بعد غيبة غابها عنها ، في حديث طويل ، ذكره

البيداني في أمثاله وصاحب القاموس في مادة « طوق » .

(٦) لواعج الأوار ، أي حرق نار الشوق .

(٧) في ت : « من » .

(٨) يشير إلى ندم الفرزدق لما طلق امرأته النوار في قوله :

ندمت ندامة الكسي لما غدت مني مطلقه نوار

بَلَدُ الْجَزَائِرِ مَا أَمْرٌ نَوَاهَا كَلِفَ الْفَوَادُ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَا
يَا عَاذِلِي فِي حُبِّهَا كُنْ عَاذِرِي يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاوُهَا وَهَوَاهَا

والحنين إلى الوطن مجال لكل حُرٍّ ومِضْمَار !

إِيَّاهُ أَحَادِيثُ نَعْمَانٍ وَسَاكِنِهِ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَسْمَارُ
وَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ حَنِينُ النَّابِ ^(١) إِلَى عَطْنِهِ ^(٢) ، وَالرَّءُ إِلَى مَحَلِّ نَشَأَتِهِ وَوُطْنِهِ .
وَقَدْ رَوَيْنَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَنِينِ سَيِّدِ الْوُجُودِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ
إِلَى مَكَّةَ ، مَا لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ عَنِ الْعُلُومِ بِمَعْزِلٍ . وَمِنْ الْأَبْيَاتِ السَّائِرَةِ :
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلُقُهُ الْفَتَى ^(٣) وَحَيْنِيهِ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ
وَرَبِّ ذِكْرِي أَثَارَتِ الْأَشْوَاقَ وَحَرَ كَتَمَهَا ، وَأَنْشَبَتِ النَّفُوسَ فِي حَبَائِلِ
الْبُيُوسِ وَتَرَكْتَهَا ؛ وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ بَكَى لَفَقْدِ الْمَشَاهِدِ ، وَأَهْتَمَّ لُبْعَدِ الْمَعَالِمِ
وَالْمَعَاهِدِ :

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا مَرَاتِعُ أَلْفِ وَعَهْدٍ صِحَابِي
وَيَا سَرَّحَةَ الْحَيِّ أَنْعَمِي فَلَطَالَمَا سَكَبْتُ عَلَى مَثْوَاكِ مَاءَ شَبَابِي
فَلَّهِ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ ، مَا أَبْهَجَ مُحْيَاها ! وَحَاطَ ^(٤) بَعَيْنَ كَلَاءَتِهِ تِلْكَ الْمَشَاهِدَ ،
مَا أَطْيَبَ ^(٥) رَيَاها ، حِينَ بَاكَرَهَا الْوَسْمِيُّ ^(٦) وَحَيَاها :

(١) النَّابُ : النَّاقَةُ الْمَسْنُونَةُ ؛ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ . وَقَدْ أَعَادَ الضَّمِيرُ عَلَيْهَا مَذْكَرًا ، كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْأَصْلِ ، وَهُوَ النَّابُ مِنَ الْعَظْمِ ، فَهُوَ مَذْكَرٌ فِي الْأَشْهُرِ .

(٢) الْعَطْنُ : وَطَنُ الْإِبِلِ وَمَبْرَكُهَا حَوْلَ الْمَاءِ .

(٣) كَذَا فِي طَوْدِيَّانِ أَبِي تَمَامٍ . وَفِي ت : « كَمْ مِنْ مَنَازِلٍ كَانَ يَأْلُقُهَا الْفَتَى » .

(٤) فِي ت : « وَبَعَيْنَ كَلَاءَتِهِ » .

(٥) فِي ت : « فَا أَطْيَبَ » .

(٦) الْوَسْمِيُّ : مَطَرُ الرِّبْعِ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهُ يَسْمُ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ . وَبَلِيهِ « الْوَلَى » وَهُوَ الْمَطَرُ الثَّانِي .

حَيًّا تَلِيسَانَ الْحَيَّا فَرُبُّوعَهَا صَدَفٌ يَجُودُ بِدُرِّهِ الْمَكْنُونِ^(١)
 مَا شِئْتَ مِنْ فَضْلِ عَمِيمٍ إِنْ سَقَى أَرَوَى وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَعْنُونِ
 أَوْشِئْتَ مِنْ دِينٍ إِذَا قَدَحُ الْهَدَى أَوْزَى وَدُنْيَا لَمْ تَكُنْ بِالْدُّونِ^(٢)
 وَرَدَّ النَّسِيمُ لَهَا بِنَشْرِ حَدِيقَةٍ قَدْ أَزْهَرَتْ أَفْنَانُهَا بِفُنُونِ^(٣)
 وَإِذَا حَبِيبَةٌ أَمْ يَحْيَى أَنْجَبَتْ فَلَهَا الشُّفُوفُ عَلَى عُيُونِ الْعُونِ^(٤)
 طَلَمَا ذَكَّرْتَ الْأَبْلَةَ وَشَعْبَ بَوَانَ^(٥)، وَأَنْسَتْ صُرُوفَ الزَّمَانِ الْخَوَانَ ،
 وَأَنْبَتَ أَزْهَارَ أَنْسَ ذَاتَ أَلْوَانٍ ، وَثِمَارَ نَخْلٍ مِنَ الثُّرْبِ^(٦) ، صِنُونٍ وَغَيْرِ
 صِنُونِ^(٧) ، وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ بِالْجِيرَانِ^(٨) وَالْإِخْوَانُ ؛ وَالرُّوضُ مَطْلُولُ
 النَّبَاتِ^(٩) ، مُخَضَّرُ الْعَذَبَاتِ^(١٠) ، مُخَضَّلُ الْجَنَبَاتِ^(١١) ، مَقُوفُ الْحَائِلِ^(١٢) ،

(١) الحيا : المطر . وهذه الأبيات للسان الدين بن الخطيب .

(٢) أورى : أنار وأضاء .

(٣) نشر الحديقة : ما ينتشر عنها من رائحة طيبة .

(٤) حبيبة أم يحيى : عين ماء بتلسان ماؤها عذب . (عن هامش الأصل المخطوط) .
 والشفوف : الرقة . والعون : البقر الوحشى . أى أن ماءها أصفى وأرق من
 عيون العون .

(٥) الأبلّة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة . وشعب بوان : بفارس ، وهو والأبلّة
 من متزهات الدنيا ، التى سار ذكرها .

(٦) فى ت : « من العزب » .

(٧) الصنونان : المجتمعة ، أو التى أصلها واحد .

(٨) فى ت : « بالأقارب » .

(٩) مطلول النبات : مندى بماء الطل .

(١٠) العذبات ، أى أطراف الأغصان .

(١١) مخضّل : مبتل . والجنبات : النواحي ؛ أى لأنه غير جاف ولا منصوح .

(١٢) مقوف : فيه بياض . والحائِل : جمع خيلة ، وهى الأرض ذات النبات ؛ يصف
 نبات هذه الحائل وقد ظهر عليه النور الأبيض .

مُتَضَوِّعَ الشَّمَائِلِ^(١)؛ مُنْسَابَ الْمَاءِ، مُنْجَابَ السَّمَاءِ^(٢)؛ وَالْفُصُونَ مُتَأَوِّدَةً
الْأَعْطَافَ^(٣)، دَانِيَةَ الْجَنَى وَالْقَطَافِ، وَالنَّسِيمَ يَفْبِقُ نَشْرًا، وَالْجَوَّ يَتَأَلَّقُ رَوْنَقًا
وَبَشْرًا؛ فَتَقْصُرُ عَنْهُ أَوْصَافُ ذَوِي^(٤) الْإِنْصَافِ:

وَالزَّهْرُ حَيَاتَانَا بَشْفَرٍ بِاسْمٍ وَالتَّهَرُّ قَابِلُنَا بِقَلْبٍ صَافِي
وَلَا لِي الْأَنْدَاءُ^(٥) فِي الْغَدِيرِ غَرْقِي، وَدَمَوْعُ النَّهْرِ لَا تَرْفَأُ^(٦)؛ وَالزَّهْرُ
يَسْقُطُ، وَأَكْفُ الرِّيحِ تَكْتَبُ، وَالغَمَامُ يُنْقَطُ:

كَأَنَّ أَكْفَ الرِّيحِ تَكْتَبُ أُسْطَرًّا عَلَى النَّهْرِ إِلَّا أَنَّ أَحْرَفَهَا زُرْقُ
فَتَحْنِي عَلَيْهِنَ الْفُصُونَ قُدُودَهَا لَتَقْرَأَهَا جَهْرًا مِنَ الْوَرَقِ الْوُزْقِ^(٧)
وَالْوَرَقَاءُ تَهْتِفُ لِفَقْدِ الْإِفِّ نَازِحٍ، فَتَهْيِجُ شَجْوُ الْجَادِ وَالْمَازِحِ:

رُبَّ وَرَقَاءٍ هَتَفَ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنِّي
ذَكَرَتْ الْإِفَّا وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ شَجْوًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فُبَكَائِي رَبِّمَا أَرْقَمَهَا وَبُكَاهَا رَبِّمَا أَرْقَنِي
فَإِذَا تَبَدَّوْنِي أَسْعِدَهَا وَإِذَا أَبْدَوْهَا تُسْعِدُنِي^(٨)
وَلَقَدْ تَبَكَّيَ قَمًا أَفْهَمَهَا وَلَقَدْ أَبْكِي قَمًا تَهْمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالشَّجَا أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالشَّجَا تَعْرِفُنِي

(١) التَضَوُّعُ: انْتِشَارُ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ. وَالشَّمَائِلُ: جَمْعُ شِمَالٍ وَهِيَ الرِّيحُ. أَيْ أَنَّ الرِّيحَ
تَنْبُثُ مَطَرَةً بِأَرْيَاحِ هَذَا الرُّوْضِ.

(٢) كَذَا فِي ط. وَمِنْجَابُ السَّمَاءِ، أَيْ سَمَاوُهَا صَافِيَةً. وَفِي ت: «مِنْجَابٌ».

(٣) مُتَأَوِّدَةٌ: تَهْتَزُّ وَتَعْمَلُ. وَالْأَعْطَافُ: جَمْعُ عَطْفٍ، وَهُوَ الْجَانِبُ.

(٤) فِي ت «ذِي».

(٥) كَذَا فِي ت. وَفِي ط: «الْأَنْوَاءُ». وَهِيَ النُّجُومُ، وَقَدْ يَرَادُ بِهَا الْمَطَرُ.

(٦) لَا تَرْفَأُ (بِالْهَمْزِ وَسَهْلٍ): لَا تَسْكُنُ.

(٧) الْوَرَقُ: الْحَمَامُ؛ الْوَاحِدَةُ: وَرَقَاءٌ.

(٨) أَسْعِدَهَا: أَعْيَنَهَا عَلَى الْبُكَاءِ.

فَأَكْرِمُ بِهَا مِنْ ذَاتِ طَوْقٍ ، عَبَّرَتْ عَمَّا فِي ضَمِيرِهَا مِنْ جَوَى وَشَوْقٍ ،
فَسَاقتْ لَوَاعِجَ الْأَفْكَارِ أَى سَوْقٍ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّبِّ فَرْقٌ ، عِنْدَ ذَوَى الذَّوْقِ :

وَتَرَنَّمَتْ ذَاتُ الْجَنَاحِ بِسُحْرَةٍ بِالْوَادِيَيْنِ فَهَيَّجَتْ أَشْوَاقِي
وَرَفَا تَعَلَّمتِ الْبُكَاءَ وَالْبَثَّ مِنْ يَعْقُوبَ وَالْأَلْحَانَ مِنْ إِسْحَاقِ^(١)
أَنَّى تُضَاهِيَنِ هَوَى وَصَبَابَةَ وَأَسَى وَفَرَطَ جَوَى وَفَيْضَ مَآقِي^(٢)
وَأَنَا الَّذِي أُمِلِّي الْهَوَى مِنْ خَاطِرِي وَهِيَ الَّتِي تُنْثَلِي مِنَ الْأَوْرَاقِ

فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ تَمْزِيقِ ذَلِكَ الْإِهَابِ ، وَحُصُولِ شَمْلِهِ فِي يَدِ الْإِتِهَابِ ،
وإنشاد لسان حاله عند الذهاب :

أَلَا إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ^(٣) يَكُرَّانِ مِنْ سَبْتٍ عَلَيْكَ إِلَى سَبْتٍ
فَقُلْ لِلْجَدِيدِ الْعَيْشِ لَا بُدَّ مِنْ بَلَى وَقُلْ لِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ لَا بَدَّ مِنْ شَتٍ^(٤)
وهكذا الدنيا إخلاء وإمرار ، وإقرار وإنكار^(٥) ، وإعلان وإسرار ؛
تَعْنِي كُلَّ رَبْعٍ عَامٍ^(٦) ، وَتَبْدَدُ شَمْلُ كُلِّ مَأْمُورٍ وَأَمْرٍ :
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّفَا أَنْيَسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ^(٧)
بعدما نَعِمْنَا بِرُؤْيَا مِنْ [الزَّمان ، فِي ظِلَالِ^(٨)] الْأَمَانِ ؛ وَقَطَعْنَا نُبْذَةً مِنْ

(١) يعقوب : هو يعقوب النبي والد سيدنا يوسف عليهما السلام . وإسحاق : هو

ابن إبراهيم الموصلي ؛ من شيوخ الفتيان في الدولة العباسية .

(٢) تضاهيني : تشاكلي . والمآق : مجارى الدموع من العيون .

(٣) في ت : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ » .

(٤) شت : تفرق .

(٥) في ط : « وَإِنْكَارٌ وَإِقْرَارٌ » .

(٦) تعني : تطمس وتغير ، والرَّبع : المنزل والدار .

(٧) الحجون والصفا : جبلان بمكة . وهذا البيت لعمرو بن الحارث بن مضاء .

(٨) زيادة عن ت .

الشَّبَاب ، في مواطن الأَحباب ؛ ما بين دراسة ودراية ورواية ، وممارسة أمور
تُبْعَد عن طُرُق العَوَاية ؛ وتَخْبِير طُرُوس ، وملازمة دروس ، ومثول بين يدي
أَشْيَاح مجالسهم نامية الفُرُوس ؛ وخصوصاً شيخهم الذي [فضله ^(١)] لا يفتقر إلى
دلالة ، عَنَّا مُفْتِيهَا سَعِيد بن أَحْمَد المَقْرِي ، شَكَرَ الله خِلَالَهُ ، فهو شيخ
أُولَئِكَ ^(٢) الأعلام الذين وَرِثُوا العلم عن غَيْرِ كَلَالِهِ ^(٣) ، وعَمَرُوا ربوع المجد ،
وَنَقَّيْتُوا ظِلَالَهُ ، وأرشدوا إلى سُبُل الهدى ، وأزاحوا عن الضلالة ، وعَمَرَت
أَرْضُهُمْ بكل مجد وَجَلَالِهِ ، وإن نَبَتَ ^(٤) بِي لا عن جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ ؛ فَأَهَّا عَلَى
ذَلِكَ العَصْرَ ما أَبْهَاهُ وأَجْمَلَهُ ! وَأَتَمَّهُ وَأَكْمَلَهُ ؛ عَصْرِيكَاد يُكَلِّمُنَا فِيهِ الْجَمَادُ ،
وَتَرْوِينَا الثَّمَادَ ^(٥) ؛ وَتُحَيِّتُنَا العَشِيَّاتِ والبُكْرَ ، وَلَا تَنْتَابِنَا التَّعَلَّاتِ وَلَا الْفِكْرَ ؛
فإن سَأَلْنَا فَعَنَّهُ في الحقيقة ، وإن صَرَّحْنَا أو كَنَيْنَا ، فَنَعْنِي حِمَاهُ وَعَقِيْقُهُ :

نُسَائِلُ عَنْ ثَمَامَاتٍ بِحُزْوَى وَبِأَنَّ الرَّمْلَ يَعْلَمُ مَا عَنِينَا ^(٦)
وَقَدْ كَشَفَ الْغِطَاءَ فَمَا نُبَالَى أَصَرَّحْنَا بِذِكْرِي أَمْ كَنَيْنَا
وَلَوْ أَنِّي أَنَادَيْتُ يَا سُلَيْمَى لَقَالُوا مَا أَرَدْتَ سِوَى لُبَيْنَى
أَلَا لِلَّهِ طَيْفٌ كَانَ يَسْقَى بِكَاسَاتِ الْكَرَى زُورًا وَمَيْنَا
فَأَمْسِينَا كَأَنَّ مَا افْتَرَقْنَا وَأَصْبَحْنَا كَأَنَّ مَا التَّقَيْنَا

[٦]

وَكُنَّا نَحْسِبُ أَنَّ الدَّهْرَ لَا يَدُورُ ، وَأَنَّ الْأَعْبَازَ صُدُورُ ، وَالْأَهْلَةَ بُدُورُ ؛

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « هؤلاء » .

(٣) عن غير كلاله : أى باستحقاق . وفي ت : « لا عن كلاله » .

(٤) في ت : « نبت » .

(٥) الثماد (ككتاب) : جمع ثمَد ، وهو الماء القليل .

(٦) إثمَام : نبت قصير ضعيف لا يطول . وحزوى (بالضم) : جبل من جبال الدهناء .

والبيان : الكتيب من الرمل .

حتى ضرب الدهرُ ضَرْبَانَهُ^(١) ، وبَدَّدَ الرفيق من ذلك الفريق وأبَانَهُ ؛ فلم تتأوَّدْ
قُدُودُ الأغصان ، ولم تَتَرَنَّحْ أعطافُ البان ؛ وانقطعت الأسباب ، عن مواصلة
الجيران والأحباب ؛ الذين :

جَرَى^(٢) بعضهم ذاتَ اليَمِينِ وبعضُهُم شِمَالاً وقلبي بينهم مُتَوَزِعٌ
فوالله ما أَدْرَى بِلَيْلٍ وقد مَضَتْ مُحُولُهُمُ أَيُّ الفريقين . أَتَبَعَ ؟
وهأنا الآن أحاول إطفاءَ لهيبِ بالضلوعِ وَقَدْ^(٣) ، وأعالج أدواءَ سُقْمٍ جَلٍّ
وكيف لا وَقَدْ :

رَوَّعْتُ بِالْيَمِينِ حتى ما أُرَاعُ بِهِ وبِالْمَصَائِبِ في أهلى وجِيرَانِي
لم يتركِ الدهرُ لى عِلْقاً أَضْنُ بِهِ^(٤) إِلَّا رَمَاهُ بِقَدِّ أَوْ بِهِجْرَانِ
وفي هذا التاريخِ الغريبِ ، وردتْ كُتُبٌ من تلك الناحية حركتْ شَجْوِ
الغريب ؛ والشوقُ إلى لقائهم ، والتَّوَقُّؤُ إلى ما يَرِدُ من تِلْقَائِهِمْ ، يقتادان
الْقَلْبَ بِزِمَامٍ فَيَنْقَادُ ، وَيُوقِدَانِ نَارَ الْوَجْدِ بين الضلوعِ أى إيقاد :

هى الدارُ لا أَصْحُوبُهَا عن عِلَاقَةٍ [لأمر لنا بين الجَوَانِحِ مُضْمَرٍ
فجَادَ عَلَى أَرْجَائِهَا الْغَيْثُ إِنَّهَا منازلُ جيرانِ كرامٍ وَمَقْشَرٍ]^(٥)
وكان من جُمْلَةِ فُصُولِهَا ، وفُرُوعِ أَصُولِهَا ؛ طلبُ التَّعْرِيفِ والإِلمَامِ ، ببعضِ
أحوالِ الشَّيْخِ الإمامِ ، قاضى الأئمةِ وعَلَمُ الأعلامِ ، عُثْمَةُ أربابِ الحُجَابِ والأقلامِ ،
وَمَقْخَرُ عُلَمَاءِ الإسلامِ ، ذى الفَضَائِلِ التى استَقَلَّتْ رِسْمُهَا^(٦) ، فلم تحتجِ إلى إعمالِ

(١) ضرب الدهر ضربانه : أحدث حوادثه .

(٢) فى ت : « حذا » .

(٣) وقد : اتقد واشتعل .

(٤) فى ت : « أظن » ، وهو تحريف .

(٥) ما بين القوسين ساقط فى ت .

(٦) استقلت : علت فبانت وظهرت . والرسوم : جمع رسم ، وهى الآثار التى لا ظل لها .

الأعلام^(١) ؛ والمحاسن التي بهرت أقدارًا وشُموسًا ، سيدي أبي الفضل عياض
ابن موسى ؛ الشهير الصيت في كل قطر ، صَبَّ الله على مَنَوَاه من الرَّحَمَات
شَايِبَ القطر :

فهو الإمام الذي سارت مآثره في الشرق والغرب سِيرَ الشمس والقمر
وكم له من تَأْلِيفٍ قد اشتهرت بكل قطر فَسَلَّ تُنْبِيكَ عن خَبَرٍ
فقلت : مَالِي بِهَذَا الأمرِ يَدَانِ ، وَلَوْ أُيِّدَنِي كُلُّ قَاصٍ وَدَانِ ؛ وَمَاذَا عَسَى
أَنْ أَصِفَ مِنْ جَلَالَةِ يَتَهَلَّلُ بِشَرُّهَا ، وَجَزَالَةِ يَتَضَوَّعُ نَشْرُهَا ؛ وَبِلَاغَةِ تَبْدَأُ بِلَاغَةِ
سَحْبَانِ ، وَبِرَاعَةِ تَقَاعَسٍ عَنْ رُبَّتَيْهَا^(٢) الشَّيْبُ وَالشَّبَانِ ، وَعِلْمٌ أَظْهَرَ غَوَامِضَ
الْحَقَائِقِ وَأَبَانَ ، وَحِلْمٌ أَرْسَخَ مِنْ رَضْوَى وَأَبَانَ^(٣) ؛ وَحَاسَنٌ ، مَاوَهَا غَيْرَ آسِنِ ،
وَحُلَى ، حَازَتْ مَرَاتِبَ الْعُلَى ، وَمَصْنَفَاتٌ ، مُقَرَّطَاتٌ مُشْتَفَاتٌ^(٤) ، أَعْلَاقٌ
لَا تَعْدِلُهَا الْأَثْمَانُ ، وَلَا تُشَدُّ عَلَى مِثْلِهَا الْأَيْمَانُ^(٥) .

عَلَى أَنِّي لَسْتُ مِنْ رِجَالِ هَذَا التَّجَالِ ، وَلَا مِنْ فُرْسَانِ مَيْدَانِ الْإِحْسَانِ ؛
إِذِ الْبَاعُ قَصِيرٌ ، وَالْعَقْلُ بِقَوَاعِدِ الْعِلْمِ^(٦) غَيْرُ بَصِيرٌ ؛ وَالْقَلْبُ حَلِيفُ أَشْجَانِ
وَأَوْصَابِ ، وَالْفِكْرُ أَلِيفُ غُصَصِ تَجَرَّعٍ مِنْهَا جَنَى حَنْظَلٍ أَوْ صَابِ^(٧) ؛

(١) الأعلام : العلامات يهتدى بها في الطريق ؛ الواحد : علم .

(٢) في ت : « وَثَبَتْهَا » .

(٣) رضوى : جبل بالمدينة . وأبان : جيلان ، الأبيض والأسود ، بينهما نحو فرسخ .
الأبيض لبني جريد من فزارة ، والأسود لبني والبة من بني الحارث بن ثعلبة . (انظر
معجم ما استعجم للبكري) .

(٤) مقرطات : ذات أقرط . ومشتفات ذات شنوف ، وهي الأقرط توضع في
أعلى الآذان .

(٥) الأيمان : جمع يمين ، وهي اليد اليمنى .

(٦) في ت : « العلوم » .

(٧) الصاب : شجر مر .

لا أستطيع إنشاء قول ، ولا أفكر^(١) إلا في همٍّ أو هول ؛ إلى ما دهم من الفتن ،
التي تحت مبالدهر^(٢) من ازديان ؛ وطرق من الحن ، التي يُغنى عن خبرها العيان ؛
فتنوّعت منها الأعداد ، إلى أفراد وأزواج ؛ وكثر الترداد ، من الخطوب ذات
الجموع والأفواج ؛ وتفاقم وازداد ، هول بحورها المتلاطمة الأمواج :

حملنا من الأيام ما لا نُطبقه كما حمل العظم الكسير العصابيا^(٣)
وعصر رجونا منه إبداء منحة فأبدي ولكن منحة ومصائبيا^(٤)
وما حال من قرّت^(٥) الصائب عيونه دُموعا وجوانحه جوى ، ورمته
النوائب^(٦) عن قسيّ النوى ؛ نخلع على الكواكب كراه ، وبرّح به الشوق
وبرّاه . وقطع ودج^(٧) صبره وفراه^(٨) ، واعتراه من دهره ما اعتراه ، وضاعف
ما به كذب حاسد^(٩) افتراه ؛ يأكل المحاسن ، ويجهل بمساويه أن يحاسن ؛
ويُعيد الحق باطلا ، والحالى عاطلا ؛ ويُقلب المنحة منحنه ، ويرى المصافاة
إحنه ؛ يختال مخاتلة الذيب ، ويُكدر مناهل الخلوص والتهذيب ، ويقابل الحق

(١) في ت : « ولا فكر » .

(٢) في ت : « إلى فادح من الفتن التي تحت هايا الدهر » . وهو تحريف .

(٣) الكسير : المكسور . والمصابب : جمع عصابة ، وهي مايلف حول الجيرة ونحوها .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

وعصر رجونا أن يجود بمنحة وإدراك آمال فأسدى المصابيا

(٥) كذا في ط . وقرت : زودت ، من القرى ، وهو الطعام يقدم للضيف . وفي ت :

« وقرت » . ووقرت ، أي حملت (بالتضعيف) . والمعروف في هذا المعنى : أوقر .

(٦) في ط : « ورمته سهام النوائب » .

(٧) كذا في ط . والودج (محرّكة) : عرق في العنق . وفي ت : « وجد » .

(٨) فراه : قطعه .

(٩) في ت : « خاسر » .

الواضح بالتكذيب ؛ ويشغل بما لا يعنيه ، ويُعرض عما يقربه إلى ربه
ويزلفه ويذنيه^(١) :

لى حيلة فيمن ينم وليس للكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو ل فخلت في قلبه

إلى الله المشتكى من هذا وأضرابه ، ممن لم تصف موارد شرابه :

مضت أعمارنا ومضت سنونا ولم تظفر بذي ثقة يدان

وجربنا الزمان فلم يفدنا سوى التخويف من أهل الزمان

ولا غرو أن كان لأهل الزمان به اشتباه ، والله قول بعض أهل الذكاء

والتيقظ والانتباه :

والناس مثل زمانهم قدوا^(٢) الحذاء على مثاله

ورجال دهرك مثل دهرك في قلبه وحاله

ولذا إذا فسد الزمان جرى الفساد على رجاله

أستغفر الله ، هذه نقشة مصدور ذى ألم ، أو هفوة مغمور ساعدها طغيان القلم :

نذم زمانا ما له من جناية ونشكوه لو تغنى عن المرء شكواه

ولا ذنب فينا للزمان وإنما جنينا فعوقبنا بما قد جنيناه

هو القدر الجارى على الكره والرضا فصبرا وتسليما لما قدر الله

ونفوسنا أولى باللوم ، لو سلكتنا سبيل خيار القوم ؛ واقتفينا سنن التقوى ،

وتمسكنا بحبل التوفيق الأقوى :

(١) في ت : « يقربه لربه زلفى ويذنيه » .

(٢) كذا ط ولعلها محرفة عن : « حذو » أو « قد » وكلاما مصدر بمعنى قطع

الشيء على مثال شيء آخر .

وما دارنا إلا مَوَاتٌ لَوْ أَنَّا نَفَكَّرَ وَالْآخِرَى هِيَ الْحَيَوَانُ
 شَرِينَا^(١) بِهَا عَزَّابُهُونَ جِهَالَةً وَشَتَانٌ عَزٌّ لِّلْفَقَى وَهَوَانٌ
 وَحُقُّ لِمَنْ عِلْمٌ تَقَلَّبَاتِ الدَّهْرِ بِأَهْلِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ ، أَنْ يَسْتَعْمَلَ مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ
 فِيمَا يُوصِلُهُ إِلَى مَنَازِلِ النِّعَمِ الْمُقِيمِ وَغُرُفَاتِهِ :

لِلدَّهْرِ قَوَسٌ لَا تَزَالُ سِهَامُهَا تُضْمِي الْأَنَامَ أَصَاغِرًا وَأَكْبَارًا
 طُوبَى لِمَنْ هَجَرَ الْقَبِيحَ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ مَثَابًا
 جَعَلَنَا اللَّهُ تَمَنَّا ثَابِرًا عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ ، وَبَلَغَ مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ غَايَةَ التَّامِيلِ .

وَحِينَ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا الْخِطَابُ الَّذِي تَقَدَّمَ ، وَأَلْتَنِي رُكْنَ الْإِصْطِبَارِ كَادَ يَتَهَدَّمُ
 أَوْ تَهَدَّمُ ؛ أَضْرَبْتُ عَنْ جَوَابِهِ حِينَئِذٍ مِنَ الدَّهْرِ ، وَمَاطَلْتُ مُقْتَضَى دِينِهِ مِنْ
 يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ ، وَمِنْ شَهَرٍ إِلَى شَهَرٍ ؛ وَالْأَرْضُ تَمِيدُ اضْطِرَابًا وَاجْتِلَالًا ، وَالْأَحْوَالُ
 تَزِيدُ دَنَفًا وَاعْتِلَالًا ؛ وَأَنَا أَحُومُ عَلَى مَنَاهِلِ الْجَوَابِ حَوْمًا ، وَأُرُودُ الْوُرُودَ فِي
 مَشَارِبِهَا الْعَذْبَةِ يَوْمًا فَيَوْمًا ؛ وَالْأَيَّامُ لَا تَسْمَحُ بِنَهْلِهِ ، وَلَا تَقْسَحُ^(٢) إِلَيْهَا فَسْحَةً ،
 وَلَا تَوْسَعُهَا مَهْلَةً ؛ ثُمَّ وَقَعَ الْعَزْمُ وَالتَّصَمُّيمُ عَلَى جَوَابِ هَذَا السَّائِلِ ، رَاجِيًا مِنْ
 اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ وَأَعْظَمِ الْوَسَائِلِ ؛ وَدَخَلْتُ مِنْ هَذَا
 الْبَابِ بَعْدَ أَنْ قَرَعْتُ ، وَأَخَذْتُ فِي هَذَا الْفَرْضِ وَشَرَعْتُ ، وَشَرَبْتُ مِنْ مَاءِ
 التَّنْصِيفِ وَكَرَعْتُ ، وَبَذَرْتُ فِي أَرْضِ التَّأْلِيفِ وَزَرَعْتُ ، هَذَا^(٣) مَعَ أَنِّي
 مَا مَهَرْتُ وَلَا بَرَعْتُ ؛ وَلَا أَتَقَنَّتُ لِمَصْنَاعَةِ التَّأْلِيفِ عَمَلًا :

لَكِنْ قُدْرَةٌ مِثْلِي غَيْرُ خَافِيَةٍ وَالتَّمَلُّ يُغْذَرُ فِي الْقَدَرِ الَّذِي حَمَلَا
 وَكَثِيرًا مَا خَرَجْتُ مِنَ الشَّيْءِ إِلَى مَا يَنَاسِبُهُ وَيَدَانِيهِ ؛ وَرَبَّمَا أَبْعَدْتُ

(١) شَرِينَا (هنا) : بَعْنَا .

(٢) فِي ت : « تَفْتَح » .

(٣) هَذِهِ السَّكَّةُ « هَذَا » : سَاقِطَةٌ فِي ت .

النَّجْعَةُ^(١) ، ثم وقعت الأوبة والرَّجْعَةُ ؛ على رَغَمِ أَنْفِ قَالِي ذَلِكَ وشَانِيهِ ،
وَقَرَّبَتْ بِذَلِكَ كُلَّهُ شَاسِعًا ، كَيْ تَسْهَلَ مَثُونَتُهُ عَلَى مُعَانِيهِ ، وَهَصَرَتْ أَفْنَانُ
أَلْفَاظِهِ وَمُعَانِيهِ ؛ لِيَقْرُبَ اقْتِطَافُهُ لَجَانِيهِ ؛ وَسَمِيَتْهُ^(٢) « بَازَهَارُ الرِّيَاضِ » ، فِي أَخْبَارِ
عِيَاضِ ، وَمَا يُنَاسِبُهَا مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ ارْتِيَا حِ وَارْتِيَا ضِ « ؛ تَسْمِيَةً وَافَقَتْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مَعْنَاهُ ، وَنَاسَبَتْ مَنْزِلَهُ وَمَعْنَاهُ ؛ لِأَنَّهُ جَمَعَ أَزَاهِرَ ذَاتِ أَلْوَانٍ ، مِنْ وَرْدٍ وَأُخْوَانٍ ؛
وَبَهَارٍ^(٣) ، عَرَفُهُ ذُو اتِّشَارٍ^(٤) ؛ وَمَنْشُورٍ ، رَوْضَهُ مَرِيْعٍ^(٥) مَمْطُورٍ ، وَنِسْرِينَ^(٦) ،
يَفُوقُ أَرْجَهُ مِسْكَ دَارِينَ^(٧) ؛ وَآسٍ^(٨) ، عَاطِرِ الْأَنْفَاسِ ؛ وَشَقِيقٍ^(٩) ، خَلِيقٍ
بِالْمَدْحِ حَقِيقٍ ؛ وَنِيلُوفَرٍ^(١٠) ، حَازَ مِنَ الْحَاسَنِ النَّصِيبَ الْأَوْفَرَ ؛ وَأَجْرِيْتُ
جَدَاوِلَ أَنْهَارٍ ، مِنَ الْحِكَايَاتِ لَسَقَى هَذِهِ الْأَزْهَارَ ؛ فَابْنَعَ النُّوَارَ ، وَتَأَلَّقَتْ الْأَنْوَارُ ،
وَتَقَنَّ النَّازِرَ بَيْنَ أَنْجَادٍ وَأَعْوَارٍ ، وَلَمْ يَذَرِ وَقَدْ انْتَقَلَ مِنْ أَطْوَارٍ إِلَى أَطْوَارٍ ،
وَتَأْمَلَ صَرْحًا^(١١) بُنِيَ عَلَى غَيْرِ [شَفَا]^(١٢)] جُرْفٍ هَارٍ :

أَضْيَاءُ هَدَى أَمْ ضِيَاءُ نَهَارٍ وَشَذَا الْمَحَامِدِ أَمْ شَذَا الْأَزْهَارِ

- (١) النجعة (بضم النون) : الارتياح والطلب .
- (٢) كذا في ت وهو موافق للمصدر الذي بعده . وفي ط : « ووسمته » .
- (٣) الأخخوان : نبت طيب الريح ، له نور أبيض كأنه ثمر جارية حديثة السن ، وهو البابونج بالفارسية . والبهار : نبت جعد له فقاحة صفراء ، طيب الرائحة .
- (٤) في ت : « ذو اشتهار » .
- (٥) مريع : خصب .
- (٦) النسرين (بكسر النون) : ورد أبيض عطري الرائحة .
- (٧) دارين : فُرْضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . (عن معجم البلدان) .
- (٨) الآس : الريحان .
- (٩) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود . وفي ط : « والشقيق » .
- (١٠) النيلوفر (بفتح النون المشددة وكسرها) : نبات مائي ، له ساق أملس ، فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر زهراً أبيض ، وسطه زعفراني اللون .
- (١١) في ت : « سرحا » بالسين .
- (١٢) زيادة عن ت .

وقد أفصح تَرْجُمان التراجم عن عدّها^(١) وسَرَدّها ، ولوَّح لُنُكْتة الاختتام بنيلوفرها والافتتاح بوَرَدّها .

وهى هذه الترجمة :

الأولى : روضة الورد ، فى أولية هذا العالم الفرد .

الثانية : روضة الأخوان ؛ فى ذكر حاله فى المنشأ والعنفوان .

الثالثة : روضة البهار ، فى ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر من شمس النهار .

الرابعة : روضة المنشور ، فى بعض ماله من منظوم ومنثور .

الخامسة : روضة النّسرين ، فى تصانيفه العديدة النّظير والقَرين .

السادسة : روضة الآس ، فى وفاته وما قابله به الدهر الذى ليس لجُرْحه من آس .

السابعة : روضة الشّقيق ، فى جُمَل من [فوائده ، ولُمع من^(٢)] فرائده ، المنظومة نظم الدرّ والعقيق .

الثامنة : روضة النّيلوفر ، فى ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التى هى أعطر من المسك الأذفر .

فدونك أيها الناظر^(٣) روضاتِ أزهار ، وجناتِ تجرى من تحتها الأنهار ؛ أبوابها ثمانية ، وقُطوفها دانيه ؛ تعطر منها نسيم الصّبَا بزهر الآداب ، وصما إلى

(١) فى ط : « عددها » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) فى ت : « أيها الأخ الناظر » .

محاسنها من تعلق من التاريخ بأهداب^(١) ؛ لم أَسْبِقْ إلى مثلها فيما رأيت ، وإن
بَعُدْتُ فيها عن التميع المطروق ونأيت ؛ والإنسان مُغْرَمٌ^(٢) بَيْنَيَاتِ أَفْكَارِهِ ،
وإن قُوبِلَ مَا صَدَرَ مِنْهُ بِإِنْكَارِهِ ؛ وقد أُنْشِدْتُ بِلِسَانِ حَالِهَا ، مخاطبة من رضى
بانتسابها وانتحالها :

سَرَّحْ جُفُونَكَ فِي الْحَدَا ثِقِ وَأَجْنِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ
مِنْ وَرْدٍ أَحْمَرَ أَوْ شَقَا ثِقِ أَوْ بِهِارِ ذِي بَيَاضِ
وَأَشْرَبْ بِكَاسَاتِ الرَّقَا ثِقِ مِنْ عُيُونِ أَوْ حِيَاضِ
وَانظُرْ مَنَاقِبَ ذِي الْحَقَا ثِقِ عَالِمَ الدُّنْيَا عِيَاضِ

واكرع بماء التعريف زُلَالَا ، وأدِرْ كَأْسَ التَّشْرِيفِ حَلَالَا ؛ وأرَوَ مِنْ هَذَا
النَّهْرِ ، واقطِفْ مَا شَتَّتْ مِنْ أَصْنَافِ الزَّهْرِ ؛ وأخْطِرْ هَذِهِ الرُّوضَةَ بِيَالِكَ ، وأدِرْ
إِلَيْهَا وَجَهَ قَبُولِكَ وَإِقْبَالِكَ ؛ فثَوَّلَها وإن لم يكن بِمُصِيبٍ ، ولا مِمَّنْ لَهُ فِي
الإِجَادَةِ حِظٌّ وَافِرٌ وَلَا نَصِيبٌ^(٣) ، فَمَنْ أَلْفَتْ فِيهِ تَحَسُّنٌ بِإِحْسَانِهِ وَتَنَالٌ^(٤)
الرَّمْعَى الْخَصِيبَ :

سَلَامٌ مِثْلُ عَرَفِ الْمِسْكِ طِيبًا وَحُسْنًا مِثْلُ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ
عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ وَالْمَعَالَى إِمَامَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عِيَاضِ^(٥)
إِذَا مَا قَيْسَ بِالْعَلَمَاءِ طُرًّا غَدَا بَحْرًا وَأَخَّحُوا كَلْحِيَاضِ

(١) في ت : « قطعاً إلى محاسنها من تعلق من التاريخ بالأهداب » . وهي
ظاهرة التعريف .

(٢) في ت : « يقرع » وهو تحريف .

(٣) في ط : « وافر ونصيب » .

(٤) أشير في هامش ط فوق هذه الكلمة إلى رواية نسخة أخرى ، وهي : « وترعى » .

(٥) رواية الشطر الثاني من هذا البيت في ت : « ومعنى المجد والعليا عياض » .

وكنـت حين شرعت في هذا المجموع السامى ، وأطلعت على بعضه صاحبنا
الفقيه العلامة الأصيل الحاجّ الرّحال ، أبا الحسن سيدي عليّ بن أحمد الخزرجيّ
الشاميّ ، حفظ الله كماله ، وبلغه آماله ، خاطبني بقصيدة من نظمته ، أسماه الله ،
ألم فيها بذكر هذا الموضوع بما يقتضيه شرفُ خلاله ، وكرمُ جلاله ؛ وأشار فيها
إلى نقض عزم الرّحلة التي نويّت إذ ذاك ^(١) للمكان الشريف ، لا حرّمنّا ^(٢) الله
من ^(٣) مُشاهدته عن قرب ، في حفظ وعافية ، بمنّته ويُمّنه . وهى هذه ، وأنشدنيها
من لفظه ، وكتبها بخطه ، وأرسلها إلى ، شكر الله صليّعه :

أُمُفَتِي الغرب أَبَدَعْتُمْ طَرَاظًا نَثَرْتُمْ فِيهِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ ^(٤)
وَنَظَّمْتُمْ عُقُودًا مِنْ لَآلٍ لَجِيدٍ حُلًى الْمَآثِرِ مِنْ عِيَاضٍ
وَأَوْرَقْتُمْ غُصُونَهُ لَمَّا سَقَاها فِكْرُكُمْ سَقَى الْحِيَاضِ ^(٥)
وَتَمَقَّمْتُمْ مَطَارِفَ مَا رَأَيْنَا كَطَرَتِهَا سَوَادًا فِي بَيَاضِ ^(٦)
وَنَادَيْتُمْ عَقَائِلَهُمَا فَذَلَّتْ شَوَامِسُهَا إِلَيْكُمْ بَارِزِيَاضِ ^(٧)
وَأَسَّسْتُمْ مِنَ الْآثَارِ طُرًّا قَوَاعِدَ لَا تُسَاوِمُ ^(٨) بَانْتِقَاضِ
لَكَ التَّبَرُّيزُ فِي الْعُلَيَاءِ فَاقْضِ عَلَى عُلَمَائِهَا مَا أَنْتَ قَاضِي

[١٠]

(١) فى ت : « ذاك » .

(٢) فى ت : « لا أحرمنّا » .

(٣) المجموع أن الفعلين (حرم ، وأحرم) يتعديان بنفسهما إلى مفعولين .

(٤) الطراز : علم الثوب ، أى ما فيه من نقش .

(٥) جاء بالفعل « أورك » هنا متعديا ، وهو لازم .

(٦) الطرة : نقش فى الثوب يخالف لونه ، يمتد على الجانبين .

(٧) العقائل : جمع عقيلة ، وهى النجبة الكريمة ، والشوامس : جمع شامسة ، وهى الممتعة .

(٨) كذا فى ط . ولا تساوم بانتقاض ، أى لا يطمع فى نقضها ، من المساومة ، وهى المجادلة بين البائع والمشتري . وفى ت : « لا تسام » ، إلا أن الوزن لا يستقيم بها .

تَبَدَّيْتُمْ بِهَا بَدْرًا وَحُزْنًا خِصَالِ سِبَاقِكُمْ^(١) دُونَ اعْتِرَاضٍ
نُعِمْ بِالْكَمَالِ بَغَيْرِ عَطْفٍ وَكُلُّهُمْ بِذَلِكَ النَّفْتِ رَاضٍ
وَمَا وَفَّوْا بِحَقِّكُمْ وَلَكِنْ يُؤَدِّي الْبَعْضُ مِنْ بَعْضِ افْتِرَاضٍ
بِعِلْمِكُمْ شَفِيتُمْ أَرْضَ غَرْبٍ وَكَانَتْ ذَاتَ أَحْشَاءٍ مِرَاضٍ
وَلَمَّا أَنْ بَدَأَ مِنْكُمْ فِرَاقٌ تَوَقَّعْتَ أَنْ يَتَوَلَّى إِلَى انْقِرَاضٍ
وَأَنَّ نُجُومَهَا بِالْبُعْدِ يُخْشَى عَلَيْهَا مِنْ سُقُوطٍ وَأَنْقِرَاضٍ
فَارْسَلَ شَافِعًا خِلًّا حَشَاهُ بِهَذَا الْبُعْدِ أُمْسَتْ فِي انْقِرَاضٍ
يَذَكِّرُكُمْ لِيَالِي نَيَرَاتٍ بِأَنْسِكُمْ تُنِيرُ دُجَى الْمَضَاضِ^(٢)
يَوَدُّ الطَّرْفُ يَجْمَعُهَا اِكْتِحَالًا مَكَانَ سَوَادِهِ دُونَ اغْتِيَاضٍ
بِحَقِّ اللَّهِ لَا تُبْدِي دُجَاهَا بَغِيْبَةٍ بِدَرْكُمْ بَعْدَ اِتِّمَاضِ^(٣)
وَلَا تُهْمِلْ شِفَاعَةَ مُسْتَهَامٍ صَدُوقِ الْوُدِّ فِي آتٍ وَمَاضٍ
وَدُمْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا إِمَامًا وَبَحْرَ هُدًى عُلُومِكُ فِي افْتِيَاضٍ
يَعْمُ الْأَرْضَ مَا لَاحَتْ^(٤) بُدُورُ وَمَا فَاحَتْ أَزَاهِرُ فِي رِيَاضٍ
يَكْرَعُ مِنْهُ الْمُلُوكُ عَلًّا وَنَهْلًا ، وَيَضْرَعُ فِي الْجَوَابِ فِعْلًا لَا قَوْلًا ؛ وَيُعِيدُ
الْسَّلَامَ التَّامَ ، الزَّكَاةَ الْعَامَ ، عَلَى الْمَجْلِسِ الْعَلِيِّ ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ .
انْتَهَى مَا كَتَبَ بِهِ صَانَهُ اللَّهُ ، وَأَضْفَى عَلَيْهِ حُلَّ الْمَجْدِ .

(١) فِي ط : « سِبَاقِهِمْ » .

(٢) الْمَضَاضُ (بِالضَّم) : وَجَعٌ يَصِيبُ الْعَيْنَ (كَمَا فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ) ؛ وَيُرِيدُ بِدَجَى الْمَضَاضِ : مَا يَجِدُهُ الْمَرِيضُ بَعَيْنِهِ مِنْ سَوَادٍ حَالِكٍ .

(٣) اِتِّمَاضٌ : بَرِيقٌ وَلَمَعَانٌ ؛ وَهُوَ اِفْتِعَالٌ مِنْ وَمَضَ . وَفِي ط « اِتِّمَاضٌ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٤) فِي ت : « مَا دَامَتْ » .

وقد ذكرتُ في هذا الكتاب حكاياتٍ مختلفة ، وفنوناً مفيدة^(١) ، يزاد الناظر بها معرفة [حسباً]^(٢) جرت بذلك عادة كثير من الأئمة في مُصنّفاتهم ، ومجالس دَرَسهم . وقد قال الماوردي ، أفضى القضاة في كتاب آداب الدين والدنيا^(٣) : القلوب تَرْتاح إلى الفنون المختلفة ؛ وذكر أن المأمون كان ينتقل في قصره من موضع إلى موضع ، ويُنشد قولَ أبي العتاهية :

[١١] لا يَصلحُ النفسَ إذ كانت مُدَبَّرَةً إلا التَّنقُلُ من حالٍ إلى حالٍ^(٤)

وقال أبو حنيفة : الحكايات عن العلماء أحبّ إلى من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم . وقال الشيخ سيّدنا أبو القاسم الجنيد ، رضى الله عنه ، ونفعنا بركاته : الحكايات جُند من جنود الله ، يُقوِّى الله بها أبدانَ المُريدين . وقال الإمام المَوَاق^(٥) في كتابه المسمّى «سند المهتدين»^(٦) عن شيخه المَنَتوري ، بسنده إلى أبي العباس بن العريف ، قال : كنت في مجلس أستاذي أبي علي الصّدق^(٧) أقرأ عليه الحديث ، فقرأ يوماً الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل

(١) في ت : « حكايات عظيمة ، وفنون بدیعة » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هو كتاب « أدب الدنيا والدين » كما في كتب الفهارس .

(٤) النفس المدبرة : المشغولة بالتفكير في الأمور .

(٥) كذا في ط . والمواق ، هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم خطيب غرناطة . وفي ت : « المولى » وهو تحريف .

(٦) كذا في ط . وهو « سند المهتدين في مقامات الدين » . والكتاب محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٨٣٥ تصوف . وفي ت : « سنن المهتدي » وهو تحريف .

(٧) هو القاضي أبو علي حسين بن محمد بن حيون بن فيرة الصديقي السرقسطي ، يعرف بابن سكرة وابن الدراج . لم يكن بشرق الأندلس في وقته مثله في تقييد الحديث وضبطه ، والعلو في روايته . توفي سنة ٥١٤ هـ . (راجع بغية المتتمس للضي ، ونفع الطيب للمؤلف ، والصلة لابن بشكوال) .

يَحْكِي حِكَايَاتٍ^(١) الصالحين ، فوقع في نَفْسِي : كيف يُجِيزُ الشَّيْخُ أَنْ يَقْطَعَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَحْكِي الحِكَايَاتِ ؟ قَالَ : فَاثَمَّ لِي الْخَاطِرُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى^(٢) الشَّيْخِ شَرْزَرَاءَ ، وَقَالَ : يَا أَحْمَدُ ، الحِكَايَاتُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ يَثْبُتُ اللَّهُ بِهَا قُلُوبَ الْعَارِفِينَ مِنْ عِبَادِهِ . قَالَ : فَمَا بَقِيَ فِي جَسَدِي شَعْرَةٌ إِلَّا قَطَرٌ مِنْهَا الْعِرْقُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ دَهْشَتَ ، قَالَ لِي : يَا أَحْمَدُ ، أَيْنَ مُضْدَاقُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ؟ قُلْتُ : الشَّيْخُ أَعْلَمُ ؛ قَالَ : قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ » الْآيَةُ . اتَّهَى .

وهذا آوان الشُّرُوع ، وعلى الله قَصْدُ السَّبِيلِ ، وهو حَسْبِي ونعم الوكيل .

(١) كَذَا فِي تَوْسِندِ الْمُهْتَدِينَ . وَفِي ط : « حِكَايَةٍ » .

(٢) كَذَا فِي سِندِ الْمُهْتَدِينَ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « نَظَرْتُ » .

روضة الورد في أولية هذا الإمام الفرد^(١)

أقول ، وعلى الله أعتمد ، ومن بحر كرمه أَسْتَمِدَّ :

هذه ترجمة نذكر فيها أصله ومَحْتَدَه ، وأوَّلَيْتَه ومولده .

قال الشيخ الإمام الرحال أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى^(٢) ، الملقَّب عند الوادى آشى بِشَمْسِ الدين ، رحمه الله ورَضِيَ عنه :

هو عِيَاض بن موسى بن عِيَاض بن عَمْرُون بن موسى بن عِيَاض بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن عِيَاض اليَحْصَبِيِّ السَّبْتِيِّ . هكذا ذكر نسبه الشيخ أبو القاسم الملاحى . وعَمْرُون ، ثبت عنده بنون بعد الواو .

ووقع في مُعْجَم أصحاب الصَّدَقِى ، للإمام الشهير القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد الله القُضَاعِى ، المعروف بابن الأَبَار : « عمرو » ، دون نون .

قلت : ونحوه لابن خاتمة^(٣) في الكتاب المسمى بـ « مَزِيَّة المَرِيَّة » ، على غيرها من البلاد الأندلسية .

وقال الشيخ أبو القاسم بن الملجوم :

إجتاز علينا القاضى عِيَاض عند انصرافه من سبَّته قاصداً إلى الحَضْرَة ، زائراً لأبى بداره^(٤) عشية يوم الاثنين الثامن لرجب ، سنة ثلاث وأربعين وخمس

(١) فيما سبق عند الكلام على تقسيم الروضات (ص ١٧ من هذا الجزء) : « العالم الفرد » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن على الهوارى ، من أهل المرية ، كان كفيف البصر ، وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب ، وصاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان . وقد رحل إلى المشرق في طلب الحديث . والوادى آشى : نسبة إلى وادى آش (ويقال فيه : وادى الأشات) . وهى مدينة جبلية من أعمال غرناطة . (عن نفع الطيب) .

(٣) ابن خاتمة : هو أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصارى ، من أهل المرية ، يكنى أبا جعفر . (راجع الإحاطة ونفع الطيب) .

(٤) فى ت : « فى داره » .

مئة ، وفي هذه العشية استجزته^(١) ، وسألته عن نسبه ؛ فقال لي : إنما أحفظ : « عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض . وأحفظ أيضا بعد ذلك : محمد^(٢) بن عبد الله^(٣) بن موسى بن عياض . ولا أعرف أن محمدا هذا هو أبو عياض أو بينهما أحد » . انتهى كلام ابن الملقوم .

وقوله « اجتاز علينا » يعنى بمدينة فاس ، وقوله « قاصدا إلى الحضرة » [١٢] يعنى مراكش .

وأفادني الشيخ العارف المتبذل ، الرباني البركة ، سيدي حسين الزرويلي أبق الله بركاته ، وأدام وجوده والنفع به :

نزوله بدار ابن
الفرديس

أن القاضي عياضا ، رضى الله عنه ، لما دخل الحضرة الفاسية ، حاطها الله ، نزل بدار ابن الفرديس التغلبي^(٤) بزقة حجامه ، حسبا أشار إليه ابن الأحرر ، ولم تنزل هذه الدار إلى الآن بيد أولاد ابن الفرديس .

وقال نجل عياض الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عياض ، قاضي دانية^(٥) ، على ما قال ابن خلكان ؛ وقاضي غرناطة ، على ما قال^(٦) ابن قنفذ وغيره . ولعله تولى القضاء فيهما معا رحمه الله ، المتوفى سنة خمس وسبعين وخمس مئة :

عند ولده محمد

- (١) استجزته : طلبت منه أن يميزني ، أي يأذن لي بقراءة مؤلفاته ومروياته .
- (٢) كذا في ت ومعجم أصحاب الصدق لابن الأبار ، وفيا سيأتي في الأصلين . وفي ط هنا : « أحمد » وهو تحريف .
- (٣) لم يذكر ابن الأبار « عبد الله » في أجداد القاضي عياض .
- (٤) هو محمد بن الفرديس قاضي فاس إذ ذاك . (انظر كتاب البستان لابن مريم طبع الجزائر صفحة ٥٤) .
- (٥) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية ، على ضفة البحر شرقا . (عن معجم البلدان) .
- (٦) في ط : « ما قاله » .

« كان أبي يقول : لا أدري : هل محمد والد عياض ، أو بينهما رجل ؟ فهو جدّه » . انتهى .

وهو مثل ما حكى ابن الملقوم عن عياض ، كما سبق قريبا .
ورأيت في تاريخ الشمس ابن خلّكان ، المسمى بـ «وفيات الأعيان» ،
في تعداد آباء القاضي عياض ، خلاف ما سبق ؛ ولا أدري : هل ذلك تحريف
من الناسخ أو وهم من المؤلف ؟ ونصه : « عياض بن موسى بن عياض بن
موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي » . انتهى .
فأنت تراه قد أسقط « عمرو^(١) » فيما بين عياض وموسى ، وأسقط أيضا
« عبد الله » فيما بين « محمد » و « موسى » .

وقد وافقه على إسقاط « عبد الله » الشيخ العلامة ابن خاتمة في « مزينة
المريّة » ، فإنه قال في باب العين ما نصه : « ومن الغرباء : عياض بن موسى
ابن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض
اليحصبي^(٢) » . انتهى .

على أن ابن خلّكان وغيره من المشارقة ربما يقع لهم الغلط في تاريخ أهل
المغرب ، لبعد الديار ، ولغير ذلك ، مما لا يخفى على من مارس علم التاريخ ؛ كما
أن كثيراً من المغاربة لا يحرّرون تاريخ المشارقة ، لما ذكرناه ؛ ولذا قال شيخ
الإسلام ابن حجر^(٣) في تأليفه المسمى بـ « إنباء الغمر ، بأنباء الغمر » حين عرّف

(١) الذي في وفيات الأعيان لابن خلّكان المطبوع يخالف ما ذكره المؤلف ، إذ فيه :
« عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن
عياض اليحصبي السبتي » بذكر « عمر » في مكان « عمرو » .

(٢) ووافقهما أيضا ابن الآبار في معجمه على إسقاط اسم « عبد الله » من نسب عياض .

(٣) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي ، الشهير بابن حجر العسقلاني ،

المولود سنة ٧٧٣ هـ ، والمتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

عند ابن خاتمة
أيضا

شيء عن ابن
خلّكان وابن
خلدون

بشيخه وليّ الدين بن خلدون الحَضْرَمِيّ المَغْرِبِيّ قاضي القضاة المالكية ،
بالديار المصرية ، وهو صاحب التاريخ الكبير المشهور ، الموسوم بـ «ديوان العبر» ،
وكتاب المبتدأ والخبر ، في تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من
ذوى السلطان الأَكْبَر^(١) » مانصه :

« وصنف التاريخ الكبير في سبع مجلدات ضخمة ، ظهرت فيه فضائله ،
وأبان فيه عن براعته ، ولم يكن مطلعاً على الأخبار على جَلَّتِها ، ولا سَمِياً
أخبار^(٢) المشرق ، وهذا^(٣) يَبَيِّنُ لمن نظر في كلامه » . انتهى .

وَأين هذا الكلام وقول^(٤) الشيخ^(٥) شمس الدين البغدادى في الشيخ
وليّ الدين عبد الرحمن بن خلدون المذكور ، رحم الله الجميع :

قاضي القضاة ابنُ خَلْدُونٍ أَتَى عَجَباً تاريخُهُ مُخْبِرٌ عَنْ سَائِرِ الدُّوَلِ
قالوا وَلِيٌّ فَقَلْنَا مِنْ كَرَامَتِهِ وَكَشَفَهُ جَاءَ يُنَبِّئُنَا عَنِ الْأَوَّلِ^(٦) [١٣]
وليس بِذُنَا وَلَا فِي اللَّهِ مُمْتَنِعَا أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ الْكُلِّيَّ فِي رَجُلٍ^(٧)
وبالجملة فما ذكرنا أولاً في تعداد آباء القاضي عياض ، رحمه الله ، هو الذي

(١) اسم الكتاب على النسخة المطبوعة ، وفي كشف الظنون ، وفي نفع الطيب :
« كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ... الخ » .

(٢) كذا في ط وإنباء الغمر . وفي ت : « أخبار أهل المشرق » .

(٣) كذا في ط وإنباء الغمر المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٧٦ تاريخ .
وفي ت : « وهو » .

(٤) في ت : « من قول » .

(٥) هذه الكلمة : « الشيخ » ساقطة في ت .

(٦) يشير بقوله : « ولي » إلى لقب ابن خلدون وهو : « ولي الدين » .

(٧) ينظر في هذا البيت إلى قول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

عليه المعول ، وعليه أعتد ولده ، وابن الملجوم ، وابن بشكوال^(١) ، وابن جابر ، وابن الخطيب في « الإحاطة » ، وغير واحد ؛ وكفى بهؤلاء حجة . وناهيك بولده وابن الملجوم ، الذي أخذ ذلك من لفظه ، حسبما سبق آنفا ؛ وهو الصواب الذي لا يُعَدَّل عنه ، والله تعالى أعلم .

الكلام في ضبط
« اليحصي »

وَالْيَحْصِيُّ ، بضم الصاد وكسر ها ، وزاد بعضهم فَتَحَهَا^(٢) ، ونحوه لابن خلكان ؛ واقتصر بعضهم على الكسر قائلا : وهو الصواب ، بناء على أنها ، أعني القَبِيلَة ، يَحْصِب ، بكسر الصاد ، كَتَغَلِب . ولا أشك أن النسب إليه إن كان بكسر الصاد : يَحْصِي ، بالكسر كَتَغَلِي^(٣) ؛ وأما ضم الصاد في النسب ، فهو مبنى على أن « يَحْصِب » بضم الصاد^(٤) في الحى . قال ابن سيده في مُحْكَمه : وَيَحْصِب : قبيلة ، وإنما هي يَحْصِب ، يعنى بضم الصاد ، نُقِلَتْ من قولك : حَصَبَهُ بالحصى يَحْصِيهِ ؛ قال ابن جابر : وليس بالقوى^(٥) .

وَيَحْصِب : من حَمِير ، وهو يَحْصِب بن مُدْرِك ، حسبما هو مذكور في كتب الأنساب .

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي الفضل عياض :

محمد بن عياض
يخبر عن موطن
أجداده

(١) لم يذكر ابن بشكوال في الصلة غير : « عياض بن موسى بن عياض اليحصي » .
(٢) زيد في هامش ط عند هذه الكلمة : « فيكون مثلثا ، ونقل التثنية الجعبرى في شرح الشاطبية ، وابن مالك في مثلثاته ، وغيرها » .
(٣) يجوز في النسب إلى تغلب ونحوه كسر الثالث وفتحه . وزيد في هامش ط عند هذه الكلمة : « فيه نظر يعلم من شرح الشفاء للشهاب . وفي كتب الصرف في التسهيل : الفتح ، وهو الجارى على قواعد النسب وإن كان بالكسر ، كأنه كنمر ونحوه » .

(٤) في ط : « يعنى بضم الصاد » .

(٥) أى أن جعل الفعل من باب نصر ليس بالقوى ، وإنما القوى فيه أنه من باب ضرب .

« استقر أجدادنا في القديم بجهة بَسْطَة ^(١) ، من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، فلا أدري أكان قبل استقرارهم بالأندلس أم بعده ؟ ولذلك يقول عبد الله بن حَكِيم :

وكانت لهم بالقيروان مآثر عليها لمحض الحق أوضح بُرْهان
قال :

وكان « عمرو » والد جد أبي ، رحمة الله على جميعهم ، رجلاً خيراً صالحاً ، من أهل القرآن ، حجَّ إحدى عشرة حِجَّةً ، وغزا مع ابن أبي عامر ^(٢) غزوات كثيرة ، وانتقل من مدينة فاس إلى مدينة سَبْتَة ، بعد دخول بني عُبيد ^(٣) المغرب ، وكان سبب ذلك أنه كان له ولأبيه نباهة بمدينة فاس ، فأخذ ابن أبي عامر رُهنًا من أعيان مدينة فاس ، فأخذ فيهم أخو « عمرو » : عيسى والقاسم ، فخرج عمرو إلى مدينة سَبْتَة ، ليقرب من أخبارها بمدينة قُرْطُبَة ، فاستحسن سُكنى مدينة سَبْتَة ، وكان مُوسِراً ، فاشترى [بها ^(٤)] أرضاً ، وهي المعروفة بالتمارة ، فبنى في بعضها مسجداً ، وفي بعضها داراً ، حَبَسَهَا على المسجد ، وهو حتى الآن منسوب إليه ، وَحَبَسَ باقى الأرض للدفن ، ولم يزل منقطعاً في ذلك المسجد إلى أن مات ، رحمه الله ، سنة سبع وتسعين وثلاث مئة . ووُلِدَ له قبل وفاته بيسير ابنه عياض ، ثم وُلِدَ لعياض ابنه موسى ، ثم ولد لموسى ابنه

[١٤]

(١) بَسْطَة : من أعمال جيان . (عن تقويم البلدان) .

(٢) هو المتصور محمد بن أبي عامر المعافى الوزير الحاجب في دولة المؤيد هشام بن الحكم المستنصر الأموى . كان من أهل الفقه والحنكة والدهاء ، وأبلى في محاربة الإِسبانية أعظم البلاء .

(٣) يريد الفاطميين أولاد عبيد الله المهدي .

(٤) زيادة عن ت .

عياض ، أبى ، رحمهم الله أجمعين ؛ وذلك ، فيما رأيته بخطه ، فى النصف من شعبان عام ستة وسبعين وأربع مئة بسبته . انتهى .

والسبتي : نسبة إلى سبته ، مدينة بساحل بحر الرقاق ، مشهورة ، واختلّف فى سبب تسميتها بذلك ، فقليل لانتقطاعها فى البحر ، من قولك : سبت النعل : إذا قطعها ^(١) ، وقيل لأن محتطها هو سبت بن سام بن نوح ، وإلى هذا الأخير ينظر قول لسان الدين الوزير الشهير ، العلامة أبو عبد الله بن الخطيب السلماني الغرناطى ، رحمه الله ، من قصيدة :

حُيِّتَ يا مُحْتَطَّ سَبْتِ بنِ نوح بكل مُزْنٍ يَغْتَدِي أو يَرْوَحُ
مَغْنَى أبى الفضلِ عياضِ الذى أَصْحَتْ بِرِيَّاهُ رِياضُ ^(٢) تقوح
وفيهما يقول الأديب أبو الحكم مالك بن المرحّل ، من قصيدة طويلة بدعية ^(٣) جدًا ، مطلعها :

سَلام على سَبْتَةِ المَغربِ أُخِيَّةِ مَكَّةَ أو يَثْرِبِ
وفى مَدْحِها يقول أيضاً رحمه الله :
إِخْطِرْ على سَبْتَةِ وانْظُرْ إلى جَماها تَصْبُو إلى حُسْنِ
كَأَنَّها عودُ غِناءٍ وَقَدْ أُلْقِيَ فى البَحْرِ على بَطْنِ
وقال الحِجَارى فى المُسْهَبِ :

« أول من سكن برّ العُدوة وبرّ الأندلس من ولد نوح بعد الطوفان ، سبت وأندلس ابنا ^(٤) يافث بن نوح ، فنزل سبت فى آخر المعمور من برّ العُدوة ،

(١) فى ط : « قطعته » . والمعروف أن النعل مؤنثة .

(٢) فى ت ونفع الطيب : « رياضا » .

(٣) هذه الكلمة « بدعية » ساقطة فى ت .

(٤) فى ط : « ابن » وهو تحريف .

وبنى له منزلاً في موضع سَبْتَة ، فدُعيت ^(١) باسمه ، وتناسلت منه قبائل البربر ،
واتسعت في برّ العُدوة إلى أن بلغت إلى فلسطين ، وكان مَلِكهم يسمى
جالوت ، وكان مجوسياً ، وهزَمه طالوت ، وقتله داودُ ، فانصَمَت البربر عن
فلسطين ، وعن الديار المصرية ، واقتصرت من برّقة إلى آخر المعمور ؛ وسكن
أخوه أندلس [مقابلاً له في ^(٢)] انتهاء المعمور ، فعرفت باسمه . انتهى .
وأكثر بلاد العُدوة في الإقليم الثالث ^(٣) ، وفيه حَضَرَتها مَرَاكُش ، وما
قارب منها الأندلس كسَبْتَة ^(٤) وما قرب منها في الإقليم الرابع .

قال ابن سعيد :

« ولا نطالب في هذا البر بما صنعناه في الأندلس ^(٥) ، فأهل الأندلس إما
عرب أو متعربون ^(٦) ، قد توارثوا قوام اللسان ^(٧) وحافظوا عليه ، وأهل برّ العُدوة
إما برّبر أو مُتَبَرِّرون » . اهـ .

وفي وصفها يقول لسانُ الدين بن الخطيب في مقامة وصف البلدان :

« قلت : فمدينة سَبْتَة ؟ قال : تلك عروس المَجْلَى ^(٨) ، وثَنِيَّة الصَّبَاح الأَجْلَى ؛

وصف ابن
الخطيب لسبته

(١) في ت : « فعرفت » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هذا حسب التقسيم الجغرافي القديم . (انظر تقويم البلدان لأبْنِ الفداء ، ومسالك الأبصار
للعمري ، ونزهة المشتاق للإدريسي) .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « وما قاربها منها الأندلس كسبته في الإقليم الرابع » .

(٥) في ت : « في هذا الفن عما صنعنا بالأندلس » .

(٦) كذا في نفع الطيب (ج ١ ص ٦٣ طبع مصر) . وفي الأصلين : « فكان أهل
الأندلس إما عرب أو متعربون » .

(٧) كذا في نفع الطيب وفي ط : « أقوام الأندلس » . وفي ت : « قدام الأندلس »
ولا يستقيم بهما الكلام .

(٨) في ط : « مجلى » .

تَبَرَّجَتْ تَبَرَّجَ الْعَقِيلِ ، ونظرت وجهها من البحر في المرأة الصَّعِيلِ ، واختصَّ
مِيزَانُ حَسَنَاتِهَا بِالْأَعْمَالِ الثَّقِيلَةِ ؛ وإذا قامت بِيضُ أسوارها ^(١) ، وكان جبل
بَلْيُونَش ^(٢) شَمَامَةً أزهارها ^(٣) ، والمَنَارَةُ مَنَارَةً أنوارها ؛ فكيف ^(٤) لا ترغب
النفوس في جوارها ، وتَهيم الخواطر بين أنجادها وأغوارها ؛ إلى الميناء الفلكية ،
والمراقى الملكية ^(٥) . والزَّكِيَّةُ ^(٦) الزَّكِيَّةُ ، غير المَنزُورَةِ ^(٧) ولا البِكِيَّةُ ^(٨) .
ذات ^(٩) الوقود الجَزَلِ ، المعدَّة للأَزَلِ ^(١٠) ، والقُصُور المَقْصُورَةُ على الجَدِّ والهزل ؛
والوجوه الزُّهْر السَّحْنِ ، المَضمُون بها عن المَحَن ؛ دار الناشبه ^(١١) ، والحامية
المُضْرَمَة للحرب المُنَاشِبِ ^(١٢) ؛ والأسطول المَرْهُوب ، المَخْطُور الأَلْهُوب ^(١٣) ،
والسَّلاح المَكْتُوب المحسوب ، والأثر المعروف المنسوب ؛ كرسى الأمراء
والأشراف ، والوسيطه ، لخامس أقاليم البسيطه ، فلا حظَّ لها في الانحراف ؛

[١٥]

- (١) في ت : « أسوارها » وهو تحريف .
- (٢) كذا في تقويم البلدان لأبني الفداء إسماعيل ، والمغرب ، في بلاد إفريقية والمغرب ،
للبيكري ، وفي نفع الطيب للمؤلف في بعض مواضع ، وفي الاستبصار ، في عجائب
الأمصار ، عند الكلام على سبته ، وفي الأصلين هنا وفيما سيأتي : « بليونش » .
- (٣) الشَّامَة : ما يتشتم من الأرواح الطيبة . يريد أن جبل بليونش أعطر رياضها .
- (٤) في الأصلين ونفع الطيب : « كيف » .
- (٥) في ت : « الفلكية » .
- (٦) الركية : البئر . ورواية هذه الكلمة في الأصلين « الذكية » وظاهر أنها محرفة
عما أثبتناه . وعين عليه قرينتا « المنزورة والبكية » بعده .
- (٧) المنزورة : القليلة الماء .
- (٨) البكية : القليلة الماء . ورواية هذه الكلمة في الأصلين : « المبكية » وظاهر أنها
محرفة عما أثبتناه .
- (٩) يريد سبته .
- (١٠) الأزل : الضيق والشدة .
- (١١) كذا في ت . والناشبة : القوم الذين يرمون بالنشاب ، أى النبل .
- (١٢) يقال : ناشبه الحرب ، أى نابه .
- (١٣) الألهوب (هنا) : السطو والبطش ، مأخوذ من أهوب الفرس ، وهو اضطراجه
في عدوه .

بَصْرَةَ علوم اللسان ، وصَنَعَاء الحُلل الحسان ، وثمرَة امتثال قوله : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » ، الأمانة على الاختزان ، القويمة المكيال والميزان ، مَحْشَرُ أنواع الحيتان ، وَتَحَطُّ قوافل العَصِير والحريير والسكَّتان ، وكفاها السكني بيليونش في فصول الأزمان ، ووجود المساكن النبيلة بأرخص الأثمان ؛ والمدفن المرحوم غير المرحوم ، وخزانة كتب العلوم ^(١) ، والآثار المُنْبِئَة عن أصالة الحُلوم ؛ إلا أنها فاعرة الأفواه للجنوب ^(٢) ، للغيث المصبوب ، عُرْضَة للرياح ذات الهبوب ، عُدِيمة الحرث فقيرة من الحبوب ، ثغر تنبؤ فيه المضاجع بالجنوب ، وناهيك بحسنة تعدد من الذنوب ؛ فأحوال أهلها رقيقه ، وتكلفهم ظاهرهما ظهرت وَلِيمة أو عَقِيقة ^(٣) ، واقتصادهم لا تلتبس منه طريقه ، وأنساب نفقاتهم في تقدير الأرزاق عريقه ؛ فهم يَمَصُّون البُلالة مصّ المحاجم ^(٤) ، ويجعلون الخبز في الولائم بعدد الجماجم ، وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجم ، بالبشير المهاجم ^(٥) ، وراعى الجديب بالمطر الساجم ^(٦) ؛ فلا يفضلون على مدينتهم مدينته ، الشك عندي في مكة والمدينة . انتهى .

قلت : ولعله عرّض بقوله : « الشك عندي في مكة والمدينة » ، بقول مالك بن النُرحَل : « أُخَيَّةُ مَكَّةُ أَوْ يَثْرِبُ » . والله أعلم .

وكان لسان الدين بن الخطيب كثيراً ما ينزل في وجهاته المقرية ، عند الشريف الشهير ، سيدى أبى العباس أحمد بن سيدى محمد ، ابن سيدى أحمد ،

الشريف أبو
العباس وحفاوته
بإبن الخطيب

(١) هذه العبارة : « وخزانة كتب العلوم » . ساقطه في ت .

(٢) في ت ونفع الطيب : « أفواه الجنوب » .

(٣) الحقيقة : الطعام يدعى إليه الناس عند حلق شعر المولود .

(٤) المحاجم : جمع محجم ، أو محجمة ، وهى شبه الكأس يمس به الدم من الجسم .

(٥) في ت : « المهاجم » .

(٦) المطر الساجم : القليل .

ابن سيدى طاهر^(١) ، ابن سيدى رفيع ، ابن سيدى على المدعو بالمكين ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى على ، ابن سيدى أبى الطاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن [سيدى^(٢)] مؤهوب ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى محمد ، ابن سيدى طاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن مولانا على ، المدعو بالهادى ، ابن مولانا محمد ، المدعو بالجواد ، ابن مولانا على الرضا ، ابن مولانا موسى ، المدعو بالكاظم ، ابن مولانا جعفر الصادق ، ابن مولانا محمد الباقر بن زين العابدين ، ابن مولانا على ، ابن مولانا الحسين الشهيد^(٣) ، ابن مولانا أمير المؤمنين ، مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ونفعنا ببركة هؤلاء السادات ، الذين سرّدنا أسماءهم تبرّكا بها . قال صاحب كتاب « الكواكب الوقادة » ، فى ذكر من دُفن فى سبّنة^(٤) من العلماء والصلحاء القادة :

« كان هذا السيّد الشريف يُوسّع ابن الخطيب إكراما ، وكان من عادة الشريف المذكور أن يخرج إلى بساتينه فى التصيف بقرية بليُونش ، كمنية العبا ، وجنّة الحافة ، ويجلس فى القبة السامية المطلة على البحر بمجنّة الحافة ، ويجعل الطريق تحته ، فإذا رأى جماعة سائرين من أى صِنْف كانوا ، من التجار أو الغرباء أو البلديين ، يوجّه رجاله إليهم ، ويقدم لهم الطعام ، ويرتاح إلى ذلك ، ويُسرّبه ، ويؤنّس كلّما يُناسبه ، من ذكر عيون أخبار بلده^(٥) ، وخاصيّة قُطره ، وما يجرّئ إلى ذلك ويرجع إليه ، من بديع الحكايات ، ولطيف

(١) فى ت : « الطاهر » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) فى ط : « الشهير » .

(٤) فى ت : « سبّنة » . واسم هذا الكتاب فى البستان لابن مريم (ص ٣١٤) :

« الكواكب الوقادة » ، فيمن كان بسبّنة من العلماء والصلّاحين القادة » .

(٥) فى ت : « بلاده » .

النوادر ؛ ثم يأمر بإدارته على تلك البساتين ، ورؤية ما بها من المصانع ^(١) ، ثم يبعث وراء آخرين ، ويُنزل كل واحد منزلته ؛ ويغيب ^(٢) عن يُخجله حضوره ؛ ويُغضي عن مُداعبة إن وقعت ، ويتجاهل المفوة إن بدرت . وكان يُخرج الوزير ابن الخطيب — عند نزوله عنده — إلى هذه القرية البليونشية .

ومن بديع نظم ابن الخطيب فيها :

شعر لابن الخطيب
في بليونش

بليونشُ أَسْنَى الأَمَاكن رَفْعَةً وَأَجَلَ أَرْضِ اللَّهِ طُرًّا شَانًا
هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا الَّتِي مَنْ حَلَّهَا ^(٣) نَالَ الرِّضَا وَالرَّوْحَ وَالرَّيْحَانَا
قَالُوا الْقُرُودُ بِهَا فَقَلَّتْ فَضِيلَةٌ حَيَوَانُهَا قَدْ قَارَبَ الْإِنْسَانَا ^(٤)
وَفِيهَا يَقُولُ الْقَاضِي عِيَاضُ ^(٥) :

شعر لعياض
فيها أيضا

بليونشُ جَنَّةٌ وَلَكِنْ طَرِيقُهَا يَقْطَعُ النَّيَاطَا
كَجَنَّةِ الْخُلْدِ لَا يَرَاهَا إِلَّا الَّذِي ^(٦) جَاوَزَ الصَّرَاطَا

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ ابْنِ حَيَّانٍ ^(٧) — بَعْدَ كَلَامٍ فِي سَبْتَةِ — مَا نَصَّهُ :

وصف ابن
حيان لها

« وَمَتَنَزَّهَاتُهَا أَعْظَمُهَا بَلِيُونَشُ ، تَحْتَوِي عَلَى مِيَاهِ عَيُونٍ ، وَأَوْدِيَةٍ ، وَمَتَنَزَّهَاتٍ ، وَأَبْنِيَةِ عَظِيمَةٍ ؛ وَفِيهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ وَالثَّمَارِ » .

(١) المصانع : جمع مصنع ، أو مصنعة (بفتح النون وضمة الهاء) ، وهي شبه الحوض يجمع فيها ماء المطر ؛ والمصانع (أيضا) : المباني من القصور ونحوها .

(٢) في ت : « وينيب » .

(٣) في ت : « من شأنها » . ولا يستقيم بها الكلام .

(٤) قال في الاستبصار : « وعلى قرية بليونش المذكورة جبل عظيم فيه الفردة » . وسيعرض المؤلف لهذا بعد قليل .

(٥) نسب هذان البيتان في تقويم البلدان لابن عياض .

(٦) كذا في تقويم البلدان . وفي الأصلين : « إذا » ، وما أثبتناه أظهر .

(٧) في الأصلين : « أبي حيان » وهو تحريف .

شعر للمنصفي
فيها أيضا

وفيها يقول أبو الحجاج المنصفي^(١) :

بليونش شكّلها بديع أفرغ في قالب الجمال^(٢)
فيها الذي ما رآته عيني يوما ولم يختطر ببالي^(٣)
طريقها كالصدود لكن تعقبه لذّة الوصال^(٤)

قال ابن رشيد :

وأنشدني القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكميلي^(٥) قاضي
أزمّور^(٦) فيها :

بليونش كلّها عذاب^(٧) فالمنشئ في سُبُلها عقاب^(٨)
يكنفها شامخٌ مُنيف كأنه فوقها عقاب
وهذا الشامخ يعرف بجبل موسى . [وإليه أشار المنصفي في مخمسة :
وطوّد موسى^(٩)] لها تاج على الراس

وبهذا الجبل متعبّد مبارك ، وبساحله مغطس المرّجان ، ومن عجائب هذا
المتعبّد أن من دخله ممن ليس له أهلاً فإنه يجد في عنقه^(١٠) صفّعا إلى أسفل الجبل ؛
وهو مسيرة ثلاثة أميال ، وهو من سبّته على تسعة أميال ، وبهذا الجبل منشأ

(١) نسبة إلى « منصف » بفتح الميم والصاد ، من قرى بلنسية .

(٢) في ط : « في قالب كمال » .

(٣) لم ترد صيغة « اختطر » في القاموس وشرحه ولا في اللسان ولا في الأساس .

(٤) في ط : « من الصدود لكن » وهو تحريف .

(٥) في ت : « الأبي » .

(٦) أزمور (بفتح الهزّة والزاي المعجمة وتشديد الميم ثم واو وراء مهملة) : من مدن
بر المدوة على ميلين من البحر . (عن تقويم البلدان) .

(٧) في ط : « عقاب » .

(٨) في ط : « عذاب » .

(٩) زيادة عن ت .

(١٠) في ط : « في شقه » .

شعر الكميلي فيها

القرود ، وهو مستشرف على بعض الأندلس . وبسبنة مدرسة بناها أبو الحسن الشاربي^(١) ، ووقف بها كتباً عظيمة .

وبموضع يقال له التوتة يوجد كثير من الياقوت الأحمر^(٢) دقيق^(٣) . ومن عجائبها أن البيلارج^(٤) لا تعشش فيها^(٥) ، ولما تخطر عليها . ويقال إنها^(٦) بناها سبت بن سام بن نوح ، وإنه دعا لها باليمن والبركة ، ورووا في ذلك حديثاً عن مالك عن نافع عن ابن عمر . قال عياض : وأبرأ أنا من عهدته ، وقد خرجه في الغنية ، ولذلك قال بعض الشعراء :

فكل جبار إذا ما طغى وكان في طغيانه يسرف
أرسله الله إلى سبنة فكل جبار بها يقصف
أنشدهما أبو عبد الله محمد بن حمادة [البرنسي^(٧)] ، خال أبي لأمه^(٨) ، في كتابه المسمى بـ « المقتبس » ، في أخبار المغرب والأندلس .

شعر المنصفي فيها

ومن نظم المنصفي في بليونش من قصيدة :
انظر إلى نضرة زهر الرُّبَا كأنه وشى على كاعب
ومتّع الطرف ببليونش ومائها المنبعث الساكب
تشاركت والحسن في وصفها تشارك العين مع الحاجب

- (١) في ت : « الشاوي » .
(٢) في ت : « كسر من الياقوت السم » .
(٣) كذا في ت : وقد وردت هذه الكلمة مطبوسة في ط .
(٤) البيلارج : اللقاني . (عن تكملة المعجمات العربية لدوزي) .
(٥) في ت : « بها » .
(٦) في ت : « إنه » .
(٧) زيادة عن ت . والبرنسي : نسبة إلى برنس (بوزن قنفذ) : قبيلة من البربر ، سميت بهم مساكنهم .
(٨) في ت : « قال أبي لأمه » . وهو تحريف .

وقد أرتنا^(١) اليوم من حُسْنها ما لم يكن في زَمَن الحاجب
— والحاجب : أحد^(٢) ملوك سبتة ؛ [وله عمل ابن مَرَّانة^(٣) قصيدة في
الكوائن والحوادث^(٤)] —

فَعَالَةٌ بِالطَّبْعِ فِي أَهْلِهَا مَا تَفْعَلُ الْقَهْوَةُ بِالشَّارِبِ
تُذَكِّرُ الشَّيْخَ زَمَانَ الصَّبَا وَتُفْسِدُ^(٥) التَّوْبَةَ لِلتَّائِبِ
وله :

انظر إلى بَهْجَةِ بَلْيُونَشٍ وَحُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ اللَّامِعِ
تَحْكِي الثَّرِيًّا عِنْدَمَا أُسْرِجَتْ بَلِيلَةُ الْخَتْمَةِ فِي الْجَامِعِ^(٦)

مثل من كرم
الفريرف
أبي العباس

ولما قَفَلَ السلطان الأشهر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر من المغرب ،
حين رجوعه إلى بلده^(٧) مع قاضي حَضْرته غَرْناطة ، أبي الحسن علي بن الحسن ،
المعروف بالنَّبَاهِي شَيْخِنَا ، ووزيره أبي عبد الله بن الخطيب ، صنع له ضيافة
مُلُوكِيَّة^(٨) بِالْمُنْمِيَّة ، من قرية بَلْيُونَشِ المشار إليها ، حيثُ القصر هنالك ، وعُنصر

(١) في ت : « رأنا » .

(٢) في ت : « آخر » .

(٣) كذا في معجم البلدان طبعة أوربة عند الكلام على سبتة . وفي ت : « مرانة »
بالتاء المثناة الفوقية .

(٤) زيادة عن ت .

(٥) في ط : « وتكسر » .

(٦) في ت : « الجامع » . ولعله يريد ببليلة الختمة ما يفعله أهل المغرب من الاحتفاء
بِحِمِّ حفظ القرآن أو تفسيره أو ختم صحيح البخاري في حفل عام بالمساجد تضاء له
الأنوار ، ويحضره الناس خاصتهم وعامتهم . وقد أفاض في شيء من ذلك ابن أبي دينار
في كتابه « المونس » ، في أخبار إفريقية وتونس .

(٧) في ت : « ملكة » .

(٨) كذا هنا وفيما سياتي . والنسبة إلى الملوك : « ملكي » ، وشاع على أقلام بعض
الكتاب كالجاحظ : « ملوكي » .

الماء المختص بها . ومن هناك ركب البحر ليلا ، وذلك في جُمادى الآخرى^(١) من عام ثلاثة وستين وسبع مئة . وفي الحادى والعشرين من الشهر المذكور دخل دار ملكه حمراء غرناطة ، وأكل من فضل هدم الضيافة مُعظم من كان بالقرية ، من قوئى وضعيف ، ورفيع ووَضيع .

وكان شيخنا القاضى أبو الحسن المذكور يُثْنِي عليه ، ويُعَظِّمُه تعظيما يليق بمثله ، ويقول فى أثناء حديثه : فعل أبو العباس الشريف صاحب سبته كذا ، وصنع كذا . ولم تزل حالته هذه ، رحمة الله عليه ، إلى أن أُسِنَّ وأُقْعِدَ ، فلزم منزله ثلاث سنين ، من غير أن يَنْقُصَ ذلك من مَنْصِبِهِ شيئا ، ولا من انتفاع الناس به ؛ وكان أبيض اللون ، حسن الهيئة والملبس ، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ ؛ وَتَوَقَّى فى زَمَانَتِهِ وقد نَيْفَ على^(٢) الثمانين ، عام ستة وسبعين وسَبْعَ مِئَةٍ ، وله الآن قرابة بمدينة فاس بقَيْد الحياة » .

انتهى كلام صاحب الكواكب الوَقَادَة باختصار ، وبعضه بالمعنى .

ومن نظم هذا الشريف ، مما أَمَرَ به أن يُنْقَشَ بالقبة المذكورة آنفاً فى معنى الاستعادة :

وَتَقَتُ بِاللّهِ رَبِّى وَحَسْبَى اللّهُ حَسْبَى
واللّهُ كافٍ وواقٍ ودافعٌ كُلَّ خَطْبٍ
ولستُ أَخْشَى إِذَا مَا وَتَقَتُ بِاللّهِ رَبِّى
بَلَفَتُ فِيهَا مُرَادَى مُهِنّاً مع صَحْبَى
وَالْخَمْسُ تَفَقّاً عَيْنَاً لِكُلِّ حَاسِدٍ نَذْبُ^(٣)

(١) فى ط : « الآخر » .

(٢) فى ط : « عن » وهو تحريف .

(٣) النذب : الحفيف فى الحاجة الظريف .

ثناء أبى الحسن
النباهى على
الشريف وشىء
عنه

شعر للشريف

حفاوة أبي عنان
بالشريف أبي
العباس ونزلته
في سبته

وكان السلطان المرحوم أبو عنان فارس ، ابن السلطان أبي الحسن المرينيُّ
يُجِلُّ هذا الشريف ، ويعترف له بالفضل ، ويعطيه العطاء الجزل ، وكان يستدعيه
كل سنة إلى حضرته فاس ، لحضور المولد السعيد ، الذي سنّه ببلاد المغرب
الشيخ أبو العباس القرظي ، وتلك السنة باقية إلى الآن بحسن نيّته ، واعتنائه
بالجناب العلّي^(١) ، نفعه الله بذلك ، ويحلّ عليه الخلع الملوّكيّة ، ويُعَدُّ له ديناراً
مَسْكُوكاً يُصْنَعُ بمدينة مراكش ، زنته مئة دينار ذهباً ، يدفع له ذلك مع جائزته ،
إلى غير ذلك مما كان يُتَّخِذه به ، رحمه الله ، ويصحبه في وجهته تلك من الضعفاء
والتجار ما لا يُحصى كثرة ، ويتولّى هو الإنفاق على الجميع من ماله ، ويرفع^(٢)
عنهم اللوازم المخزنيّة ، فكان التجار لأجل ذلك يرصدون وقت سفره وقفوله .
وقدّمه السلطان أبو عنان المذكور ناظراً على بلده سبته ، وأمر صاحب قصبته
ألا يقطع أمراً إلا بمشورته ، فكان العمال يخافونه ويشاورونه ، فإذا رأى من
أحدهم خروجا عن العادة ، أو خيفاً على الرعية ، كتب إلى السلطان في شأنه ،
فيتنزه من قوّره ، ويُعوّضه بغيره . وكان يقول للسلطان : لعلك تحسبني خديماً^(٣) ،
لست كذلك ، وإنما نحن معشر أهل البيت شفعاء في الدنيا ، وشفعاء في الآخرة .
فكان أهل سبته في أيامه في عيش هنئ ، ونعمة شاملة ، بقي على هذه الحالة
المرضية مدة عشرين سنة . وله بسبته آثار تحكي الآثار القرظية^(٤) ، كالرياض^(٥)

[١٨]

(١) في ت : « العالي » .

(٢) في ت : « يدفع » .

(٣) يريد : « خادماً » . ولم تنقل المعاجم : « الخديم » بمعنى الخادم ، لكن شارح
القاموس ذكر هذه العبارة : « والخدمان (بالضم) : جمع خادم ، هكذا تقول
العامة ، وكأنهم تصوروا فيه جمع خديم » .

(٤) في ت : « الرعية » .

(٥) كذا في الأصلين هنا وفيما سيأتي ، يريد به القصر وما يحيط به من بساتين ، وقد
يجرى في لسان المغاربة حتى اليوم استعمال لفظ الرياض مفرداً مذكراً بهذا المعنى .

الأعظم ، الذى أمام باب الميناء الأسفل الذى تأتق فى بُنيانه وأبذع صَنَعته ، وجلب إليه الماء بالدواليب حتى أوصله إلى القبة ذات الأعمدة ؛ وكالرياض الذى بالصفارين ، حيث كان قعوده مع خواص الناس وعامتهم .

قال صاحب الكواكب الوقادة :

« سمعت أحد كتابه الخاصَّ به ، الملازم له ليلا ونهارا ، مع مرور الأيام والسنين ، يقول : ما أمرنى قطَّ سيدى ومولاي الشريف بكتِّبْ شىء مخالف للشرع ، بل فى رفع المظالم ، وإنهاء الشفاعات ، وتوجيه الأمانات ، وما فى معنى ذلك ، مما ندبَ إليه الشرعُ ، وحضَّ عليه ، ووعد بالثواب على فعله . وطالما سمعت الكاتب المذكور يُقسم على ذلك ، نفعه الله [به] » ^(١) . انتهى .

وصف أحد
كتاب
الشريف له

قلت : تذكرت بهذا الفعل الجميل ما كتب [به] ^(١) على دواة أمير المؤمنين أبى عنان ، رحمه الله ، وهو :

دواة أبى عنان
وشعر مكتوب
عليها

أنا دواة فارس أبى عنان المعتمد
حلفتُ من يكتبُ بى بالواحد الفرد الصمد
أن لا يمدَّ مدَّة فى قطع رزق لاحد

وقد رأيت فى هذه الأيام دواة فى غاية ما يكون من الإتيان والصنعة والتذهيب ، وفيها مكتوب البيتان الأخيران ، وهى عند بعض أصحابنا الكتاب بالحضرة الفاسية — حاطها الله — وأظنها هى الدواة التى كانت لأبى عنان ، والله أعلم .

رجع إلى ذكر الشريف

شيء من كرم
الشريف وشعره

وكان الشريف المذكور يصنع أنواع المَطَامِ الرَفِيعَةِ ، ويتبسط في ألوانها ،
ويطعمها الغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، ممن يحضر مجلسه أو يأتي إليه ، وبالجملة
فهو قُطْبُ الجود الذي عليه المدار ، وإمام الأدب الذي لا يجاريه الرِّضِيُّ ولا مِهْنَارُ ؛
ومن نظمه ، وقد سائر قاضي الجماعة بحضرة غرناطة ، أبا البركات البَلْفِيقِيَّ ^(١) الشهير
بأبن الحاج السَّلْمَى ، من ولد العباس بن مرْدَاس رضى الله عنه ، زمن الشيبية
في بعض أسفاره ببرّ الأندلس ، فلما انتهيا إلى قرية بَرِليانة ^(٢) وأدركهما النصب ،
واشتد عليهما حرّ الهجير ، نزلا وأكلا من باكر التين الذي هنالك ، وشربا من
ذلك الماء العذب ، واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ،
ثم التفت إلى الشريف وقال :

ماذا تقول ، فَدَتَكَ النفس في حالي يفنى زمانى في حلّ وترحال ^(٣)
وأرتجّ عليه ؛ فقال لأبى العباس : أجز ؛ فقال بديها :

كذا ^(٤) الثُّفوس اللواتى العزُّ يَصْحَبُها لا ترتضى بمقام دون آمال

[١٩]

(١) البليقي : نسبة إلى بليقي (بالفتح ، ويروى بتشديد اللام المكسورة مع كسر
الموحدة) : حصن بالرية . (عن تاج العروس) .

(٢) كذا في معجم البلدان . وبرليانة (بكسرتين وسكون اللام) : بلدة قريبة من مالقة
بالأندلس . وفي ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٤٩ طبعة مصر) : « برليانة » . وفي
ت : « قرليانة » .

(٣) في ت : « في حل وترحال » .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « إن » .

أشراف سبته

دَعَهَا تَجُوبُ الْفَيَافِي وَالْقِفَارَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ السُّؤْلَ أَوْ تَفْنَى بِتَجْوَالٍ^(١)
 وكان عطاء هذا السيد الشريف المرسوم له من بيت المال ، ثلاثين ديناراً من
 الذهب العين^(٢) في رأس كل شهر ، وهو خاتمة الشرفاء العظام بمدينة سبته .
 وهؤلاء الشرفاء بمدينة سبته نحو الثلاثين قهراً ، في روضتهم المنسوبة إليهم ، بالجانب
 الشرقي من رابطة الفصال . وهؤلاء الشرفاء من ذرية أبي الطاهر الذي خرج
 من جزيرة صقلية ، وكانت لهم بسبته وجاهة^(٣) وسياده ، وجلالة ومجاده ؛ لمكان
 بيتهم الشريف ، ونسبهم العالي المنيف ؛ ما منهم واحد إلا غداه العلم بلبانه ،
 والأدب ببيانه . وولي منهم قضاء بلدهم سبته رجلان ، لم يُطْلِعْ مِثْلَهُمَا الْمَلَوَانُ ؛
 تَقَى وَعِلْمًا ، وَأَنَاةً وَحِلْمًا ؛ أُولَاهُمَا الْقَاضِي أَبُو الشَّرَفِ^(٤) رفيع ، والثاني ابنه القاضي
 أبو الحسن علي . ولم نشأ عن هذا الأصل الطاهر من جهيدٍ نحير ، وعالم ماهر ؛
 وسخى جواد ، له إلى الإعطاء^(٥) ارتياح وإلى الكرم استناد^(٦) ؛ وناهيك
 بنخاتمهم أبي العباس المذكور .

وكان فائد مَضْرِبٍ^(٧) الميناء لهذا الشريف أبي العباس الحسيني ، دون
 أَنْ يَشْرَكَهُ غَيْرُهُ ؛ وكان له بِمَضْرِبٍ أَوِيَاتٍ يوم يضرب فيه ، ويومان لبيت المال ،

دخل الشريف
من مضرب الميناء
وما كان يتفقه فيه

(١) رواية هذا البيت في نفح الطيب :

دعها تسر في الفياقي والقفار إلى
 أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال
 وزاد بعده :

الموت أهون من عيش لدى زمن
 يعطى الأثيم ويدنى الأشرف العالي

(٢) في ت : « ذهاب » .

(٣) في ط : « وجهة » .

(٤) في ط : « الشريف » .

(٥) في ت : « العطا » .

(٦) في ط : « استناح » وهو تحريف .

(٧) المضرب (كما هو ظاهر من السياق هنا) : سوق يتخذها حاكم الميناء لبيع ما يستخرج
 من السمك ونحوه .

وكانت عادة عامل المضارب ، الناظر في فوائدها وما تحتاج إليه من نفقة وآلة ، أن يأمر رجاله وأعوانه ، حين يُقعد النوايتية الكيس ، بالوقوف إليه ، والدفاع عنه ، بعد أن يحضر الشهود ، خفراً وضبطاً لما يحصل من فائد^(١) المضرب المالى فى يوميه^(٢) ؛ فإذا كان يوم [السَّيِّد^(٣)] الشريف يأمر رجاله وخدامه وأعالجه^(٤) الإسلاميين ، بإباحة المضرب للمساكين ، وتفريق الحوت على من لا يصل إليه ، ممن يحضر متنزّها ، إما لحفظ سرّوة ، وإما لغير ذلك . ولا يزال الناظر من قبله ، وهو القائد فارج أحد أعالجه ، واقفاً على حصانه ، وقد أحاطت به رجاله ، إلى أن يرضى كل من يحضر ، وما فضل عن ذلك فهو له . وأما السيد الشريف فلا يحضر ، إذ همته أرفع من ذلك ، وقدره أعظم ، ومكانته بسبته مكانته ، بحيث يأتى إليه فى الموضع الذى أعده جلوسه برياضه الذى بالصقارين صبيحة كل يوم صاحب القصبة ، كائناً من كان ، مسلماً^(٥) عليه ، ثم ينصرف ، ثم يأتى الوالى على قبض الجباية مسلماً ، ثم ينصرف بعد تقبيل قدمه ، ثم يأتى صاحب الشرطة ، وكذا جميع أمراء سبته ، إلا القاضى ، لمكان خطّته ، فيعامل كلاً بما يستحق من إكرام وإهانة ، وإغلاظ ومجاملة ، فلا يتخلف أحد عن غرضه ، ولا يصدر إلا عن رأيه ونظره . وهذا كلّ مع النصيحة للمسلمين ، وجلب المنفعة لهم بالقول والفعل ، وإطعام الطعام الذى لا يقدر عليه الأمير فمنّ دونه ، ورفع المظالم ، ومنح الجاه ، إلى غير ذلك ، نفعه الله . فكان من حكمة الله عز وجل وبركة أهل البيت ،

[٢٠]

(١) فى ط : « فوائد » .

(٢) فى ت : « فى يومه » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) أعالجه : مواليه من غير العرب ؛ مفردة : عالج (بوزن ملح) .

(٥) العبارة من « عليه » إلى « مسلماً » : ساقطة فى ت .

وفضل الجود والكرم ومكارم الأخلاق ، وإيصال المنفعة للعباد ، أن يخرج في اليوم الذى له بالمضرب من الحوت ، أى نوع كان من الجارى ، أضعافُ ما يخرج في اليومين ، ويحصل له من الفائدة أكثر مما يحصل لمتولى النظر فيهما ، فيتصل^(١) بيده من فائد يومه خمس مئة دينار^(٢) وسبع المئة ، وربما يزيد وينقص ؛ وقد انتهى في بعض الأحيان إلى ألفي دينار في اليوم ، حسبما يُستني^(٣) الله عز وجل ؛ هذا بعد العادة التى عودَها نفسَه النفيسة ، من الإيثار والبذل ، للسرّى والنذل . ولم تكن له همّة ، رحمه الله ، في احتكار المال وجمعه ، بل يصرف ذلك كله في إطعام الطعام ، الخاصّ والعام ، وفي تشييد البُنْيَان ، والإنفاق على الفعلة والصنّاع والخدم ، وآثاره ومصانعه بداخل سبّعة وخارجها شاهدة بذلك مدى الأيام ؛ وكفى أثناء هذا التصرف من مؤاسة فقير ، وإعانة ضعيف ، وإغاثة ملهوف ، برفع^(٤) لازم أو وظيف^(٥) ، حسبما هو معلوم معروف منقول .

وكان ملوك بني مرّين يعتنون به أتم اعتناء ، ويبادرون إلى موافقة أغراضه ، وقبول شفاعته ، وما كان يتلقاه حين وروده على حضرتهم فاس إلا الملكُ بنفسه ، إلى غير ذلك من مناقبه رضى الله عنه ، ونفعنا به ، وبسلفه الطاهر .

حفاوة ملوك
بني مرّين به

قلت : وإنما ذكرت التعريف بهذا الشريف القيّاض ، تفاؤلا بالابتداء [٢١] به بعد عياض ، لأنى اشترطت أنى أخرج من الشئ إلى ما يناسبه ، فبدأت

سبب تعريف
المؤلف بهذا
الشريف

(١) فى ت : « ويحصل » .

(٢) فى الأصلين : « الخمسمائة دينار ، والسبعائة » .

(٣) يستنيه الله : يسهله ويسره .

(٤) برفع : يحمل .

(٥) يريد : « الوظيفة » وهى الراتب الجارى من الأرزاق ونحوها .

في ذلك بهذا السيد الشريف ، الذي عظمت مجادته ^(١) ، وكرمت مناصبه ، وزكت مآثره ، وعلت مناصبه ^(٢) ؛ والأعمال بالنيات ، والله يُبلغنا في الدارين غاية الأمنيات .

استيلاء العدو
على سبته

وبعد أن بلغت سبته ما ذكرناه من أحوالها ، وبقيت مدة آمنة من شرور الدنيا وأهوالها ؛ وأطلعت في سماءها نجوما ، كانت علومها ^(٣) للردة رجوما ^(٤) ؛ كعياض المؤلف فيه هذا الكتاب ، وهؤلاء الشرفاء الذين لا يُمتري في فضلهم ولا يرتاب ؛ وبنى العز في المشاهير ، الذين برّزوا في ميدان السبق على الخاصة ^(٥) والجماهير ؛ وحازوا رئاسة الدين والدنيا ، وفازوا بالمكانة السامية والمرتبة العليا ؛ وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ، ممن كان لهم تقديم وأثره ؛ عدا عليها الدهر بُعدوانه ، وسقط شرفها من إيوانه ؛ واستولى عليها العدو الكافر ، في قضية يطول شرحها ، وعظم على أهل الإيمان قرّحها ، وأعزل أطباء الملوك إلى الآن جرحها ، ولم يزل بنفوس المؤمنين شجّوها وبرّحها .

أخبرني الفقيه الطيب العدل الفرضي ، سيدي أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني رحمه الله : أنه لما دخل سبته ، حين وجهه أمير المؤمنين ، مولانا المنصور ، رحمه الله ، إليها ، في شأن فداء الكفار المأخوذین بالغزوة الشهيرة ، ذهب إلى المدرسة التي كان بناها أحد ملوك بني مرّين رحمهم الله ، وأظنه أبا عنان ^(٦) ،

(١) في ط : « مآثره » .

(٢) في ت : « وهدهد ومناصبه » .

(٣) في ت : « علومهم » .

(٤) في ت : « نجوما » .

(٥) في ت : « الخواص » .

(٦) هذه العبارة : « وأظنه أبا عنان » ساقطة في ت .

وهي من أجل المدارس وأعظمها ، فرأى في محرابها ناقوساً وصليباً ، قال : فساءني ذلك ، فرفعت بصرى فإذا كتابة بخطٍ رائع ، في تلك النقوش فوق ذلك الناقوس ، فيها قوله تعالى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » . وكان ذلك الكتب قديماً فيها من جملة ما كتب المسلمون بها حين بنائها ، على ما جرت به عادة الملوك من كتب الآيات القرآنية في النقوش بالزليج^(١) والمرمر . قال لي رحمه الله : فتعجبت^(٢) من ذلك الاتفاق ، وسلاّني ذلك بعض التسلي ، وإلى الله ترجع الأمور .

وكان أخذ سبته ، أعادها الله ، سنة تسع عشرة وثمان مئة ، بعد ما استولى العدو الكافر على معظم بلاد الأندلس ، مثل قرطبة ، ومرسية ، وطليطلة ، وبلنسية ، وغيرها ، مما يطول تعداداه .

وقد قال بعض الشعراء حين أخذت طليطلة ، وكانت من أول ما أخذ من القواعد العظام ، يخاطب أهل الأندلس :

رثاء طليطلة

يَا أَهْلَ أُنْدَلُسِ شُدُّوا رِحَالَكُمْ فَمَا الْمَقَامُ بِهَا إِلَّا مِنَ الْفَلَطِ
السِّلْكُ يُنْثَرُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى سِلْكَ الْجَزِيرَةِ مَنْثُوراً مِنَ الْوَسَطِ
مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لَا يَأْمَنُ بَوَائِقَهُ كَيْفَ الْحَيَاءُ مَعَ الْحَيَاتِ فِي سَفَطِ

[٢٢]

(١) الزليج : نوع من الحزف الفاخر الأملس ، تبلط به الأرض أو يلصق على الجدران للزينة ، وهو ما يسمى في لسان العامة « القاشاني » . (عن جملة المجمع اللسكي للغة العربية) . وقد وردت هذه الكلمة في نفع الطيب (ج ١ ص ٩٤) ، كما وردت في صبح الأعشى (ج ٥ ص ١٥٦) مشروحة بما لا يخرج عن هذا المعنى .
(٢) في ت : « فعبت » .

قصيدة الرندي
في رثاء الأندلس

ولله در الإمام العالم^(١) العلامة خاتمة أدباء الأندلس ، أبي الطيب^(٢) صالح
ابن شريف الرندي [رحمه الله]^(٣) إذ قال يندب بلاد الأندلس ، ويبعث العزائم
ويحرقها من أهل الإسلام لنصرة الدين ، وإنقاذ البلاد من يد الكافرين ،
ولسان الحال ينشده « لقد أسمعت لو ناديت حيا » :

لكل شيء إذا ما تم نُقصانُ فلا يُغَرَّ بِطِيبِ العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتهمُ بادُولُ من سرَّه زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تُبقي على أحد ولا يدوم على حالٍ لها^(٤) شان
يُمزِّق الدهرُ حتماً كل سائفة إذا نبت مشرفيات وخرصان^(٥)
ويَنْتَضِي كلَّ سَيْفٍ للفناء ولو كان ابن ذِي يَزَنٍ والغمدُ عُمدان^(٦)
أين الملوك ذوو التيجان من يَمَن وأين منهم أكليـل وتيجان
وأين ما شاده شَدَاد في إرم وأين ما ساسه في الفُرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عادٌ وشَدَاد وقحطان
أتى على الكلَّ أمرٌ لا مَرَدَّ له حتى قَضَوْا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلكٍ ومن مَلِك كما حكي عن خيال الطَّيفِ وسنان
دارُ الزمان على دارا وقَاتلهُ وأمَّ كِسْرَى فما آواه إيوان^(٧)

(١) في ت : « الأديب » .

(٢) في نفع الطيب : « أبي البقاء » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « قوم بها » .

(٥) السائفة : الدرع الكاملة . والمشرفيات : السيوف المنسوبة إلى المشارف ، وهي
قرى من أرض العرب تدنو من الريف . والخرصان (بكسر الخاء) : الرماح ،
الواحد : خرص .

(٦) سيف بن ذِي يَزَن : من ملوك الين . وغمدان : قصره .

(٧) دارا : أحد ملوك الفرس .

كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبٌ يَوْمًا وَلَا مَلَكَ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ
فَجَاءَهُ الدَّهْرُ أَنْوَاعُ مَنْوَعَةٍ وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ
وَاللَّحَوَاثِ ^(١) سُلُوفَانُ يُهَوِّنُهَا وَمَا لَمَّا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوفَانُ
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرُهُ لَا عَزَاءَ لَهُ هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَانْهَدَّ ثَمَلَانُ ^(٢)
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَارْتُزَتْ ^(٣) حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ
فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَّةَ مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ وَأَيْنَ شَاطِئَةٍ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ
وَأَيْنَ قَرْطَبَةَ دَارِ الْعُلُومِ فَكَمْ مِنْ عَالَمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
وَأَيْنَ خِصَصَ ^(٤) وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نَزَرِهِ وَنَهْرَهَا الْقَذْبُ قِيَاضٌ وَمِلَّانُ
قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقُ أَرْكَانُ
تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ أَسْفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلَافِ هَيَّانُ
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ قَدْ أَسْلَمْتُ ^(٥) وَلَهَا ^(٦) بِالْكَفْرِ عِمْرَانُ
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ
حَتَّى الْحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ حَتَّى ^(٧) الْمَنَابِرُ تَرْتَنِي وَهِيَ عِيدَانُ
يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالدَّهْرِ يَقْظَانُ
وَمَا شَيْئًا مَرَحًا يُلْهِيه مَوْطِنُهُ أَبْقَدَ خِصَصَ تَغَرُّ الْمَرْءِ أَوْطَانُ

(١) في ت : « وللمصائب » .

(٢) أحد وثملان : جبلان في بلاد العرب .

(٣) كذا في ت : ونفع الطيب . وفي ط : « فامتحت » .

(٤) يريد بمحص : « إشبيلية » لأن الدين سكنوها عند الفتح كانوا من أهل حمص بالشام .

(٥) في نفع الطيب : « أفقرت » .

(٦) في ط : « قلها » .

(٧) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « حيث » .

تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها مع طول الدهر نسيان
يا أيها الملك البيضاء رايتك أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا^(١)
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبا من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنو المستضعفين^(٢) وهم أسرى وقتلى فما يهتز إنسان
ما ذا التقاطع^(٣) في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد الله إخوان
ألا نفوس أبيات لها هم أما على الخير أنصار وأعوان
يا من^(٤) لذلة قوم بعد عزهم أحال حالهم كفر^(٥) وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو^(٦) تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكمهم عند بيعةهم هالك الأمر واستهوتك أحزان
يارب أم وطفل حيل بينهما كما تفرق أرواح وأبدان

(١) هذا البيت ساقط من نفع الطيب .

(٢) في ت : « بنا المستضعفون » .

(٣) في ط : « التنافر » .

(٤) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « من ذا » .

(٥) في ت : « قهر » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ولو » .

وطفلةٍ مارأتها الشمس إذ^(١) برزت كأنما هي يا قوتٌ ومرجانٌ
يقودها العليجُ المسكروه مكرهه والعين باكيةٌ والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان
اتهي^(٢).

[٢٤]

وكان الشيخ [الإمام] ^(٣) العلامة الفقيه الوزير الكاتب أبو يحيى بن عاصم
صاحب الشرح على تحفة أبيه، رحم الله الجميع، عند ما رأى اختلال أمر الجزيرة
— أعادها الله — وأخذ النصارى — دمرهم الله — لمعظمها، ولم يبق إذ ذاك بيد
المسلمين إلا غرناطة، وما يقرب منها، مع وقوع قتن بين ملوك بني نصر حينئذ،
ثم أفضى الملك إلى بعضهم، بعد تمحيص وأمور يطول بيانها، ألف كتابا سماه:
«جنة الرضى، في التسليم لما قدر الله وقضى»، وهو كتاب عجيب جدا غريب،
رأيت بعضه يتلصصان، ونقلت منه ما نصه:

ابن عاصم وبعض
ما جاء في كتابه
عن انحلال أمر
الأندلس

«من استقرأ التواريخ المنصوصة، وأخبار الملوك المقصوصة، علم أن
النصارى — دمرهم الله — لم يدركوا في المسلمين ثارا، ولم يرخصوا^(٤) عن^(٥)
أنفسهم عارا، ولم يخربوا من الجزيرة منازل وديارا، ولم يستولوا عليها بلادا
جامعة وأمصارا، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف، واجتهادهم في وقوع
الافتراق، بين المسلمين والاختلاف؛ وتضريبهم^(٦) بالمكر والخديعة بين ملوك

(١) في ت: «قد». ورواية هذا الشطر في نفح الطيب:

«وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت»

(٢) أشار المؤلف في نفح الطيب بعد ذكر هذه القصيدة إلى أنها قد زيد عليها أبيات
آخر ليست منها، وأنه نقلها على هذه الصورة عن يوتق به وليس فيها تلك الزيادة.

(٣) زيادة عن ت.

(٤) كذا في نفح الطيب، ورحض: غسل. وفي الأصلين: «لم يدحضوا».

(٥) في ت: «على».

(٦) كذا في ت: ونفع الطيب. وفي ط: «وتصرفهم».

الجزيره ؛ وتحريشهم بالكيد والخلافة بين مُحامتها في الفتن المبيده ؛ ومهما كانت الكلمة مؤتلفه ، والأهواء لا مفترقة ولا مختلفه ، والعلماء بمعاناة اتفاق القلوب إلى الله مزدلفة ؛ فالحرب إذ ذاك سبجال ، والله في إقامة الجهاد في سبيله رجال ، وللممانعة^(١) في غرض المدافعة^(٢) ميدان رحب ومجال ، وروية^(٣) وارتجال .

ثم قال : وتطاولت الأيام ما بين مهادنة ومقاطعه ، ومضاربة ومقارعه ، ومنازلة ومنازعه ، ومواقفة وممانعه ، ومحاربة وموادعه ؛ ولا أمل للطاغية إلا في التمرس بالإسلام والمسلمين ، وإعمال الحيلة على المؤمنين ، وإضمار المكيدة للموحدين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين ؛ وهو يظهر أنه ساع للوطن في العاقبة الحسنى ، وأنه منطو لأهله على المقصد الأسنى ؛ وأنه مُهْتَمٌّ بمراعاة أمورهم ، وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجمهورهم ؛ وهو يُسِرُّ حَسَوًا في أرتقائه^(٤) ، ويُعْمَلُ الحيلة في التماس هلك الوطن وأبتغائه . فتبًا لعقول تقبل مثل^(٥) هذا المحال ، وتصدق هذا الكذب بوجهه أو بحال^(٦) ؛ وليت المغرور الذي يقبل هذا لو فكر في نفسه ، وعرض هذا المسموع على مُدْرَكَاتِ حِسِّه ، وراجع^(٧) أوليات عقله وتجربيات^(٨) حدسه ، وقاس عدوه الذي لا تُرجى مودته على أبناء جنسه ؛ فأنا أناشده^(٩) الله ، هل بات قط بمصالح النصارى وسلطانهم مُهْتَمًّا ، وأصبح من خطب طرقتهم مُعْتَمًّا ؛ ونظر لهم نظر المفكر في العاقبة الحسنه ، أو قصد لهم قصد

[٢٥]

- (١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وللمبالغة » .
- (٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الموافقة » . وهو تحريف .
- (٣) الحسو : شرب السائل شيئاً بعد شيء . والارتقاء : احتساء الرغوة . وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره ، أو لمن يظهر طلب القليل وهو يسر أخذ الكثير .
- (٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « تقبل هذا المحال » .
- (٥) في ط : « حال » .
- (٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ورجع » .
- (٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « تجربات » .
- (٨) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « أنشده » .

المدبر في المعيشة^(١) المستحسنه ؛ أو خطر على قلبه أن يحفظ في سبيل القربة^(٢) أربابهم وصلبانهم ، أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أخبارهم ورهبانهم ؛ فإن لم يكن ممن يدين بدينهم الحبيث ، ولم يشرب قلبه حب التثليث ؛ ويكون صادق اللهجة ، منصفاً عند قيام الحجة ؛ فسيعترف أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولا مر له ببال ، وأن عكس ذلك هو الذي كان به ذا اغتباط وبفعله ذا اهتبال^(٣) ، وإن نسب لذلك المعنى^(٤) ، فهو عليه أثقل من الجبال ، وأشد على قلبه من وقع النبال ؛ هذا وعقده^(٥) التوحيد ، وصلاته التحميد ؛ وملته القراء ، وشريعته البيضاء ؛ ودينه الحنيف القويم ، ونبية الرؤوف الرحيم ، وكتابه القرآن الحكيم^(٦) ، ومطلوبه بالهداية الصراط المستقيم ؛ فكيف نعتقد هذه المزية الكبرى ، والمنقبة الشهري ؛ لمن عقده التثليث ، ودينه المليث^(٧) ؛ ومعبوده الصليب ، وتسميته التصليب ؛ وملته المنسوخة ، وقضيته المنسوخة ؛ وخيتانه التغطيس ، وغافر ذنبه القسيس ؛ وربّه عيسى المسيح ، ونظره ليس البين^(٨) ولا الصحيح ، وأن ذلك الرب قد ضرج بالدماء ، وسقى الخل عوص الماء ؛ وأن اليهود قد^(٩) قتلته مصلوباً ، وأدركته مطلوباً^(١٠) ، وقهرته^(١١)

(١) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « العيشة » .

(٢) كذا في ت ونفع الطيب . والقربة : التقرب . وفي ط « القربة » .

(٣) الاهتبال : تحين الشيء واغتنامه .

(٤) كذا في نفع الطيب ، وفي ط : « وإن نسب ذلك لا معنى » . وفي ت : « وإن نسب ذلك المعنى » . وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وعظه » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « العظيم » .

(٧) مليث : مختلط أمره . يقال : رأس مليث إذا اختلط شعره الأبيض والأسود .

(٨) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « لا أبين » .

(٩) هذه الكلمة : « قد » ساقطة في ت ونفع الطيب .

(١٠) هذه العبارة « وأدركته مطلوباً » ساقطة في ت .

(١١) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « وقتلته » .

مغلوبا ؛ وأنه جَزِعَ من الموت وخاف ، إلى سِوَى^(١) ذلك مما يُناسب هذه الأقاويل السَّخَاف ؛ فكيف يُرْجَى من هؤلاء الكفرة من الخير مثقال^(٢) الذرة ، أو يُطَمَع^(٣) منهم في جَلْبِ المنفعة أو دفع المضرة ؛ اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلك بنا سبيلَ المهتدين . انتهى .

ومنه أيضاً ما نصه :

« كانت خزانةُ هذه الدار النَّصْرِيَّة^(٤) ، مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ، وبتيمة من الجواهر ، وفريدة من الزُّمُرُود ، وثمانية من الفَيْرُوزِج ، وعلى كل واقٍ من الدُّرُوع ، وحامٍ من العُدَّة ، وماضٍ من الأسلحة ، وفاخر من الآلة ، ونادر من الأمتعة ، فمن عُقود فِذَّة^(٥) ، وسُلُوكِ جَمَّة ، وأقراط تُفَضِّل على قُرْطَى مَارِيَّة^(٦) ، نفاسة فائقة ، وحُسْنًا رائقًا ، ومن سيوفٍ شواذٍّ في الإبداع ، غرائب في الإعجاب ، مَنسوبات^(٧) الصَّفَاحِ في الطَّبَع ، خالصة^(٨) الحَلَى من التَّبَر ؛ ومن دُرُوع مُقَدَّرَة^(٩) السَّرْد ، متلاحمة النسيج ، واقية للبأس^(١٠) في يوم الحرب ، مشهورة النسبة إلى داود نبي الله ؛ ومن جَواشِن^(١١) سابعة اللَّبْسَة ، ذهبية الحليّة ،

[٢٦]

(١) في ت : « غير » .

(٢) في نفح الطيب : « مقدار » .

(٣) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « يطلب » . وهو تحريف .

(٤) النصرية : نسبة إلى بني نصر ، وهم بنو الأحمر أصحاب غرناطة .

(٥) في هامش نفح الطيب : « عدة » .

(٦) هي مارية بنت ظالم بن وهب الكندية ، زوجة الحارث الأكبر الفسائي ؛ وكان

في قرطبتها لؤلؤتان عجيبتان ضربت العرب بنفاستهما المثل .

(٧) معروفة بصانعيها .

(٨) في ت ونفح الطيب : « خالصات » .

(٩) في ط : « المقدودة » ، وهو تحريف .

(١٠) في ط ونفح الطيب : « للناس » .

(١١) الجواشن : الدروع .

هندية الضرب ، ديباجية الثوب ؛ ومن بيضات عسجدية الطوق ^(١) ، جوهريّة التنضيد ^(٢) ، زبرجدية ^(٣) التقسيم ، ياقوتية المركز ؛ ومن مناطق لجينية الصوغ ، عريضة ^(٤) الشكل ، مزججة ^(٥) الصفح ؛ ومن درق لمطية ^(٦) ، مضمته المسام ، لينة المجسة ، معروفة المنفعة ، صافية الأديم ؛ ومن قسي ناصعة الصبغة ، هلالية الخلقة ، منعطفة الجوانب ، زارية بالحواجب ، إلى آلات فاخرة ، من أتوار ^(٧) نحاسية ، ومناور ^(٨) بلورية ، وطيافير ^(٩) دمشقية ، وسبحات ^(١٠) زجاجية ، وصحاف صيدنية ، وأكواب عراقية ، وأقداح طباشيرية ^(١١) ، وسوى

(١) في نفح الطيب طبع مصر : « الطرق » .

(٢) في ط : « التنضيف » وهو تحريف .

(٣) كذا في ت : ونفح الطيب . وفي ط « مجردية » وهو تحريف .

(٤) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « عرضة » . وهو تحريف .

(٥) كذا في نفح الطيب . وفي ت : « فرجية » وفي ط « برعمة » .

(٦) نسبة إلى لمطة مدينة من المغرب الأقصى ينسب إليها الدرق ، لأنهم يتقعون الجلود في الحليب سنة ، فيعملونها ، فينبو عنها السيف القاطع .

(٧) كذا في ت . والأتوار : آنية يشرب فيها ، وأحدها تور . وفي نفح الطيب :

« أوتار » . وفي ط : « أتواق » ولا معنى لهذه الأخيرة .

(٨) المناور : جمع منارة ، وتجمع على منائر ومنارات . وهي ما يوضع عليه السراج . وقد ذكرها دوزي نقلا عن أبي إسحاق الشيرازي في عبارة نصها : « في آنية مختلفة الأعلى والأوسط والأسفل كالأباريق والأسطان الضيقة الرؤوس والمنارات (المنائر) » .

(٩) الطيافير : كلمة مولدة لم ترد في معاجم اللغة . وذكرها دوزي في كتابه تكملة

المعاجم العربية : « وهي أطباق مستديرة عميقة ، قاعها مستو ، وحافاتها مرتفعة نحو

ثلاث بوصات أو أربع ؛ الواحد : طيفور ، ويقال فيه « تيفور » وتجمع أيضا على

طيافروطوافير . وقد وردت أيضا ضمن عبارة في صبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٠٥)

هذا نصها : « فيمد لهم السباط ثرائد في جفان حولها طوافير ، وهي الخافق ، فيها

أطعمة ملونة متنوعة » . وظاهر من عبارة صبح الأعشى أنها آنية ذوات أعطية .

(١٠) كذا في الأصلين ونفح الطيب . والسبحات : جمع سبحة ، وهي خرزات تنظم

في خيط للتسبيح ، وهي مولدة . وذكرها هنا بين أسماء آنية الطعام ووصفها

بالزجاجية ، يشعر بأنها محرفة عن لفظ آخر .

(١١) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين ورواية أخرى في نفح الطيب : « طباشيرية » ،

ولعل المراد بالطباشير هنا : مادة خزفية أو نحوها .

ذلك مما لا يحيط به الوصف ، ولا يستوفيه القد ؛ وكل ذلك ألّهبة^(١) شواظ^(٢) الفتنة ، والتقمه تيار الخلاف والفرقة ؛ فرزئت الدار منه بما يتعذر إتيان الدهور بمثله ، وتقصر ديار الملوك المؤتلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله . انتهى .
وسنذكر من كلامه رحمه الله بعد هذا ، زيادة على ما جلبناه الآن ، والله المستعان .

وكانت غرناطة منتهى الآمال ، ووُسْطَى قِلادة الأمصار ، ولم تزل محاسنها تجلوة على منصة الدهور والأعصار . وقد استولى^(٣) وصفها لسان الدين الوزير أبو عبد الله بن الخطيب في كتاب الإحاطة ، ويرحم الله القائل :

غَرْنَاطَةُ مَا لَهَا نَظِيرٌ مَا مِصْرُ مَا الشَّامُ مَا الْعِرَاقُ ؟
مَا هِيَ إِلَّا الْعُرُوسُ تُجَلَّى وَالْأَرْضُ مِنْ جُمْلَةِ الصَّدَاقِ^(٤)

تفريظ لابن
عاصم على كتاب
الإحاطة

قال الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن [أحمد بن^(٥)] الحدّاد الشهير بالوادى آشى ، نزيل تِلْسان :

كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال ، الفائقة الكمال ، من الإحاطة ، في تاريخ غرناطة ، المحبسة على المدرسة اليوسُفِيّة ، من الحضرة العليّة^(٦) ، بخط قاضى الجماعه ، ومنفذ الأحكام الشرعيّة المُطاعه ، صدرّ البلغاء ، وعلم العلماء ، ووحيد الكبراء ، وأصيل الحُساباء ، الوزير الرئيس المعظم أبي يحيى بن عاصم ،
رحمة الله عليه ، ما نصّه :

[٢٧]

- (١) كذا في إحدى روايتي نفع الطيب . وفي الأصلين ورواية أخرى بنفع الطيب « التهبه » . ولم يرد هذا الفعل متعديا في كتب اللغة . ولعله محرف عن « التهمه » .
- (٢) الشواظ : لهب النار .
- (٣) يريد : « تولى » . ولم يرد في المعاجم « استولى » متعديا إلا بالحرف .
- (٤) رواية الشطر الثاني من البيت في نفع الطيب : « وتلك من جملة الصداق » .
- (٥) زيادة عن الإحاطة .
- (٦) في ط : « العالية » .

« الحمد لله ، الاستدلالُ بالأثر على المؤثر مما سلمه الأعلام ، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام ؛ وهو الحُجَّةُ الْمُعْتَمَدَةُ حين تتفاضل الأبواب ، وتتقاصر الأفهام ، وبه الاستمسك إن طرقت الشكوك ، أو عرضت الأوهام . وحسبك بما يُسَلَّمُ في هذا المقام المتعالى من الأدلة ، وما يُعْتَمَدُ في هذا المجال المتضايق من البراهين المستَقْلَةِ ؛ تحقيق أن يُتَلَقَّى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفن المشار إليه بالقبول ، ويُسْتَقْبَلُ الْمُتَهَدِّى لا ستنباطه لما فيه من التبادر إلى الأفهام والتسابق للعقول ؛ وإذا ثبت أن المستدل بهذه الأدلة سالك على سواء سبيل ، ومنتهى من صحة النظر إلى أكرم قبيل ، فلا خفاء أن كتاب « الإحاطة » للشيخ الرئيس ذى الوزارتين ^(١) أبى عبد الله بن الخطيب رحمه الله ، من أثر هذه الدولة النُصْرِيَّة — أدامها الله — بكل اعتبار ، ومآثرها التى هى عبرة لأولى الألباب ، وذكري لأولى الأبصار .

أما الأول فلأن الأنبياء التى أظهرت صحتها ^(٢) ، وأوضحت حجتها ، وشرّفت مقصدها ، وكرّمت مصعدّها ، إنما هى مناقب ملوكها الكرام ، ومكارم خلفائها الأعلام ، وأخبار ^(٣) من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور حملة السيوف والأقلام ؛ وأفذاذ حفظة الدين والدنيا ، والشرف والعليا ، والملك والإسلام ؛ أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة الملك ، ويُنظَمُ ^(٤) نظم الجُمان ^(٥) فى ذلك السلك ، من حصانة قلعتها ، وأصالة ^(٦) منعتها ؛

(١) فى ط : « ذى الوزارة » . وهو تحريف .

(٢) فى ت : « ظهرت بهجتها » .

(٣) فى ت : « أو أخبار » .

(٤) فى ت : « ينتظم » .

(٥) فى ت : « المجال »

(٦) فى ط : « وأصانة » . وهو تحريف .

وقَدِيم اختطاطها ، وكَرِيم جهادها ورباطها ؛ وحُسْن ترتيبها ووضْعها ، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهل رُبْعها ؛ وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فمن قَبِيل القليل ، ومما يرجع إلى شرف الحضرة ، ممن انتابها ^(١) من أهل الفضل الواضح والمجد الأثيل .

وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوة ^(٢) ، ومُبدع محاسنها المجلوة ، وناقل صورتها من الفعل إلى القوة ، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمة ، ونشأة ^(٣) من نشآت جودها الشامل النعمه ، الهامل الديمّه ؛ فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف ، على الإنصاف ، فأخلاف ^(٤) هذه المكارم النَّصْرِيَّة أَرْضَعته ، وعنايتها الجميلة أَسَمته ، فوق الكواكب ورفَعته ؛ وإليها ينسب إحسانه إن انتسب ، ومن كَرِيم تشریفها اكتسب ، من الفضل الظاهر ما اكتسب . والحضرة هي منشؤه الذي عظم فيه قدره ، بل أفضّه ^(٥) الذي أشرق فيه بדרه ؛ والتشريفات السلطانية هي التي فَتَقَتِ اللَّهْيَ بِاللَّهْيِ ^(٦) ، وأَحَلَّتْ من مراقي العزِّ فوق السَّهْبِ ^(٧) ؛ وأمكنت الأيدي ^(٨) من الذَّخَائِرِ والأَعْلَاقِ ، وطوقت المِنَنِ كالقَلَانِدِ في الأعناق ؛ وقلدت الرياسة والأَقْلَامُ أَقْلَامَ ، وثنت الوزارة والأَعْلَامُ أَعْلَامَ ؛ فبهرت أنواعُ الحاسن ، وورد معين البلاغة غير المطروق ولا الآسن ؛ وبرَعَتِ التّوَالِيفُ ، في الفنون المتعددة ، واشتهرت التصانيف ، ومنها هذا التصنيف المشار إليه ، لما له

(١) كذا في ط . وانتابها : قصدها . وفي ت : « انتهى بها » .

(٢) في ط : « الناصرة » . وهو تحريف .

(٣) النشأة : السحابة الناشئة

(٤) الأخلاف : جمع خلف ، وهو من ذوات الحف بمنزلة الندى للإنسان .

(٥) في ط : « بالفقه » وهو تحريف .

(٦) اللهی (بالفتح) : جمع لهة ، وهي اللحمه المشرفة على الحلق ، واللهی (بالضم) :

جمع لهية ، وهي العطية .

(٧) السَّهْبُ : كوكب خفي من بنات نعل ، ويضرب به المثل في العلو والارتفاع .

(٨) في ط : « الأيادي » .

من الأذمة المتأكده . وإذا ^(١) ظهر هذا الاستدلال ، وأوضح البيان ما كتمه الإجمال ، فلنصح ^(٢) الآن بما قصد ، ولنحقق من أنجم السعادة ما رصد ، وذلك أن لمولاي ^(٣) أمير المؤمنين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، الغالب بالله ، المؤيد بنصره أبي عبد الله ، محمد بن الخلفاء النصريين — أيده الله ونصره ، وسنى له الفتح المبين ويستره — ما تر لم يسبق إليها ، ومكارم لم يجز أحد ممن وسم بالكرم عليها ، لجلالة قدرها ، وضخامة أمرها ؛ من ذلك هذا القصد الذي آثر لها كالكتاب المذكور وسواه ، مما هو واحد وقد ^(٤) في معناه ؛ عقد في جميعها التحجيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العلية ^(٥) هنالك ، ليشمل به الإمتاع ، ويم به الانتفاع ؛ والله ينفع بهذا القصد الكريم ، ويتولى المثوبة على هذا العقد الجسيم .

وهذه النسخة في اثني عشر سفرًا ، متفقة الخط والعمل ، اكتتب هذا على ظهر الأول منها بتاريخ ^(٦) رجب الفرد ، عام تسعة وعشرين وثمان مئة ، عرف الله بركته بمنه ، آمين ^(٧) . انتهى .

وقال الوزير أبو يحيى بن عاصم المذكور ، قدس الله روحه الطيبة ، وسقى ^(٨) مشواه غيث رحمته الصيبة ، في كتابه المسمى بـ « الروض الأريض » ^(٩) ، في ترجمة شمس العصر ، من ملوك بني نصر ، في اسم الغنى بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل ابن فرج بن نصر الخزرجي ، بعد كلام ما نصه :

نبذة من كتاب
الروض لابن عاصم
عن ابن يوسف

(١) في ط : « إذا » بدون واو .

(٢) في ت : « فالصح » .

(٣) في ت : « لمولانا » .

(٤) في ت : « ... واحد في فنه وفي معناه » .

(٥) في ط : « العليا » .

(٦) في ط : « وبتاريخ » .

(٧) هذه الكلمة « آمين » ساقطة في ت .

(٨) في ط : « وسقاه غيث » .

(٩) بقية الاسم في نفع الطيب : « في تراجم ذوى السيوف والأقلام والقرىض » .

« كان قد جرى عليه التمهيد الذي أزعجه عن وطنه ، إلى الدار البيضاء بالمغرب من إيالة بنى مرين ، فأفادته الحُنْكَةُ والتجربة هذه السيرة التي وقف شيوخننا على حقيقةها ، واتهجوا واضح طريقتها ، وبلغتنا منقولة بالسنة صدقهم ، معبراً عنها في عرف التخاطب بالعادة ، فلم يكن الوزير الكيس ، والرئيس الجِهِيْدُ يجران من الاستقامة على قانون ، ولا يطرّدان من الصواب على أسلوب ، إلا بالحافظة على ما رسم من القواعد ، والمطابقة لما ثبتت^(١) من العوائد ؛ وكان ذوو الثُّبُل من هذه الطبقة ، وأولو الجِدْق من أرباب هذه المهن السياسية ، يتعجبون من صحة اختياره لما رسم ، وجودة تمييزه لما قعد ، ويرون الفسدة بالخروج^(٢) عنها ضربة لازب^(٣) ، وأن الاستمرار على مراسمها آكد^(٤) واجب ؛ فيتحرّونها بالالتزام كما تُتحرّى السُنن ، ويتوخّونها بالإقامة كما تُتَوخّى^(٥) الفرائض ، وسواء تبادر لهم معناها ففهموه ، أو خفي عليهم وجهه رَسْمُها فجھلوه . »

[٢٩]

حدثني شيخنا القاضي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسنى :

أن الرئيس أبا عبد الله بن زمرّك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب يستأذنه في جملة مسائل ، مما يتوقف^(٦) عادة على إذن الوزير ، وكان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبي عبد الله . قال الشريف : فأمضاها كلّها له^(٧) ، ما عدا واحدة منها تضمّنت نقض عادة مستمرة ، فقال له ذو الوزارتين

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « أثبت » .

(٢) في ط : « في الخروج » .

(٣) في ط : « لازم » .

(٤) في ط : « واكد » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين « تقام » .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « توقف » ،

(٧) هذه الكلمة : « له » ساقطة في ت .

[ابن الخطيب] ^(١) : لا والله يا رئيس أبا عبد الله ، لا آذن لك في هذا ، لأننا ما استقمنا في هذه الدار إلا بحفظ العوائد .

[ثم] ^(٢) قال صاحب الروض :

فلما تأذن الله [تعالى] ^(٣) للدولة بالاضطراب ، واستحكم الوهن بتمكن الأسباب ؛ عدل عن هذه القواعد ^(٤) الراسخة ، واستخف بتلك القوانين ^(٥) الثابتة ؛ فنشأ من المفاصد ما أعوز رفعه ، وتعدّد وتره وشفعه ، واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه ، وتعدّر فيه الدواء الذي يرحى نفعه ؛ وكان قد صحّبه من الجد ما سنّى آماله ، وأنجح — بإذن الله — أقواله وأعماله ؛ فكان يجري الأمر على رَسْم من السياسة واضح ، ونظر من الآراء السديدة راجح ؛ ثم يحفّه ^(٦) من الجد سياج لا يفارقه ، إلى تمام الغاية المطلوبة من حصوله ، وتمكن مقتضى الإرادة السلطانية من فروعه وأصوله .

انتهى كلام ابن عاصم ، وإنما أتيت به لغرابته .

وقال أبو عبيد البكري رحمه الله :

اضطراب
أمر الأندلس
بالخروج على
القواعد

وصف البكري
للأندلس

[٣٠] « الأندلس شامية في طيها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين » ^(٧) .

(١) زيادة عن نفح الطيب .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) زيادة عن نفح الطيب .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : تلك « العوائد » .

(٥) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « القواعد » .

(٦) كذا في ت . وفي ط : « يحبه » .

(٧) لكلام أبي عبيد البكري بقية ذكرها المؤلف في نفح الطيب (ج ١ ص ٦٤ طبعة المطبعة الأزهرية) .

وقال ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب :

خص الله بلاد الأندلس من الرِّيع ، وغَدَقَ السُّقْيَا ، ولذاذة الأقوات ، وفراهة الحيوان ، ودُرُور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتَبَخَّرَ العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، واييضاض ألوان الإنسان ^(١) ، ونبل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطباع ، ونفوذ الإدراك ، وإحكام التمدن والاعتماد ، بما حرمه ^(٢) الكثير من الأقطار ، مما سواها .

ثم قال : وحديث الفتح ، وما فتح الله على الإسلام من المنح ، وأخبار ما أفاء الله من خير ، على موسى بن نصير ، وكتب من جهاد ، لطارق بن زياد ، كَمُلُولِ قُصَاصٍ وأوراق ، وحديث أُفُولٍ وإِشْراق ، وإرعاد وإِبراق ؛ وعَظُمُ ^(٣) أمتشاش ^(٤) ، وآلة مُعلَّقة في دُكَّانِ قَشَّاش ^(٥) . انتهى .

ولا خفاء بما كان للملوك المسلمين بالأندلس والعدوة على النصارى — دمرهم الله — من الاستطالة والغلبة ، حتى وقع التخاذل والتدابر ، فانعكس الأمر . وقد حكى غير واحد أن دُنْ جانجه ^(٦) بن دُنْ أَلْقُش ، استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق المَرِينِي ، ولاذ به ، ورهن عنده تاجَه ^(٧) ذخيرة النَّصارى ، ولقيه بصخرة عَبَاد ، من أحواز رُنْدَه ، فسلم عليه ،

(١) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « الأسنان » .

(٢) في ت : « أحرمه » .

(٣) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « وأعظام » .

(٤) امتشاش العظم : مصه مضبوغا لاستخراج ما فيه . يريد أن الحديث في هذا مفروغ منه كالعظم الذي امتش ، فلم يبق فيه شيء .

(٥) القشاش : الذي يبيع القديم البالي من سقط المتاع . (عن دوزي)

(٦) كذا في ط . وفي الاستقصا للسلوى (ج ٢ ص ٢٧ طبع مصر) : « شانجه » وفي ت : « تجانجه » . ثم إن السلوى ذكر أن المستنصر هو هراوند أبو شانجه .

على العكس مما ساق المؤلف هنا .

(٧) في ط : « تاج » .

ويقال إن أمير المسلمين^(١) لما فرغ من ذلك ، طلب بلسان زَنَاتَةَ^(٢) الماء ، ليغسل يده به من قُبْلَةِ الْفُنْشِ ، أو مصاحفته^(٣) .

ابن الخطيب :

تغيب لابن
الخطيب على
قصة أبي يوسف

« والشئ يذكّر بالشئ ، فَأُثْبِتُ حِكَايَةَ اتَّفَقَتْ لِي بِسَبَبِ ذَلِكَ ، أَسْتَدْعِي بِهَا الدِّعَاءَ مَنْ يَحْسُنُ عِنْدَهُ مَوْقِعُهُ ، وَهِيَ أَنَّ الْيَهُودِيَّ الْحَكِيمَ ابْنَ زَرْزَارَ ، عَلَى عَهْدِ مَلِكِ النَّصَارَى ، حَفِيدِ هَذَا الْفُنْشِ الْمَذْكُورِ ، وَصَلَ إِلَيْنَا بِغَرْنَاطَةِ فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ ، وَدَخَلَ إِلَى بَدَارِ سَكْنَائِي ، مُجَاوِرًا لِقَصْرِ السُّلْطَانِ بِحَمْرَاءِ غَرْنَاطَةِ ، وَعِنْدِي الْقَاضِي الْيَوْمِ بِغَرْنَاطَةِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ ، وَبِيَدِهِ كِتَابٌ مِنْ سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي^(٤) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الْمَوْلَى أَبِي الْحَسَنِ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ هَذَا قَدْ فَرَّ إِلَى صَاحِبِ قَسْتَلَةِ ، وَاسْتَدْعَى مِنْ قَبْلِهِ إِلَى الْمَلِكِ ، فَسَهَّلَ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ مَا شَاءَ ؛ وَرَبَّمَا وَصَلَهُ خُطَابُهُ بِمَا لَمْ يُقْنِعْهُ فِي إِطْرَائِهِ ، فَقَالَ [لِي^(٥)] : مَوْلَايَ السُّلْطَانُ دُنْ بِطَرِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ ، وَيَقُولُ لَكَ : أَنْظِرْ مَخَاطِبَةَ هَذَا الشَّخْصِ ، وَكَانَ بِالْأَمْسِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ بَابِهِ ، حَتَّى تَرَى خَسَارَةَ الْكِرَامَةِ فِيهِ . فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ مِنْ يَدِهِ ، وَقَرَأْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : أَبْلَغْهُ عَنِّي أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا جَرَّكَ إِلَيْهِ إِلَّا خُلُوُّ بَابِكَ مِنَ الشَّيْخِ ، الَّذِينَ يُعَرِّفُونَكَ بِالْكِلَابِ وَالْأَسْوَدِ ، وَبِمَنْ تُغْسَلُ الْأَيْدِي مِنْهُمْ إِذَا قَبَّلُوهَا ، فَتَعْلَمُ مِنَ الْكَلْبِ الَّذِي تُغْسَلُ الْيَدُ مِنْهُ ، وَمَنْ لَا ، وَأَنَّ جَدَّ هَذَا الْوَلَدِ هُوَ الَّذِي قَبَّلَ جَدُّكَ يَدَهُ ،

(١) في ط : « المؤمنين » .

(٢) في ط : « الزناتية » .

(٣) في ت : « ومصاحفته » .

(٤) كذا في ت والاستقصا . وفي ط : « محمد بن عبد الرحمن » وهو تحريف .

(٥) زيادة عن ت .

واستدعى الماء لغسل يده منه بمحضّر النصارى والمسلمين ؛ ونسبة الجدة إلى الجد كنسبة الحفيد إلى الحفيد ؛ وكونه لجأ إلى بلادك ليس بعار عليه ، وأنت مُعرّض إلى اللّجأ إليه ، فيكافئك بأضعاف ما عاملته ^(١) به . فقام ابن الحسن المستقصى يبكي ، ويُقبّل يدي ، ويصفني بوليّ الله ، وكذلك من حضرني . وتوجّه إلى المغرب رسولا ، فقصّ على بنى مرّين خبر ما شاهده مني وسمعه ؛ وبالحضرة اليوم ممن تلقى منه ذلك كثير ، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه . انتهى .

بعض ما كتب
في استنهاض
المهم ضد
النصارى

ولما تقلّص ظل ^(٢) الإسلام بالجزيرة ، أعادها الله للإسلام ، واسترد الكفار ، دمرهم الله ، أكثر أمصارها وقراها ، على وجه العنوة والصلح والاستسلام ، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حمّيات ^(٣) ذوى البصائر والأبصار ، ويستنهضون عزّماتهم من كل الأمصار .

فمن ذلك ما كتب به الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرّك رحمه الله لما نزل المسلمون بأخر مرّج غرناطة ، متوجهين لفتح خير :

« اعلّموا أنا نذّركم ما لا يغيب عن أديانكم وأحسابكم ؛ إن هذا الجهاد ولّمة دعا الله عباده إليها ، وحضّهم عليها ؛ فالآيات في المصاحف مسطوره ، والأحاديث مشهوره ؛ لبيع النفوس فيها من الرّحمن ، وبذل المهج رغبة في حصول ثواب الملك الدّيان ، ينزل الله فيها الملائكة المسوّمين . وتفرح الحور العين ، وتسبح الرحمة من رب العالمين ، ويباهى الله ملائكته ^(٤) بالجهادين ؛ وقد

(١) في ط : « ما عاملته » .

(٢) في ط : « ذيل » .

(٣) في ط : « حماة » .

(٤) في ت : « الملائكة » .

تضافرت على ذلك النصوص ، وكفى شرفاً الفوز بمحبة الله في قوله (إن الله يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ؛ فينبغي فيه الاستغفار من سالف الذنوب ، وتطهير السرائر والقلوب ، واجتماع الأيدي والكلمة في مَرْضَاتِ عِلَامِ الْغُيُوبِ .

[٣٧]

لابن الخطيب

وأبلغ منه ما كتب به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب في الحث على الجهاد ، والترغيب فيه ، وهو :

«أيها الناس ، رحمكم الله ، إخوانكم المسلمون قد دَهَمَ العدو — قَصَمَهُ الله — ساحتهم ، ورام الكفر — قَبَحَهُ الله — استباحتهم ؛ وزحفت أحزاب الطواغيت عليهم ^(١) ، ومد الصَّليب ذراعيه إليهم ؛ وأيديكم بعزة الله أقوى ، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى ؛ وهو دينكم فأنصروه ، وجواركم القريب فلا تخفروه ، وسبيل الرُّشْد قد وضح فلتبصروه . الجهاد الجهاد ، فقد تَمَّيَّنَ الجارُّ الجار ، فقد قرر الشرع حقه وبيَّن ؛ الله الله في الإسلام ، الله الله في أمة محمد عليه السلام ؛ الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله ، الله [الله في ^(٢)] وطن الجهاد في سبيل الله ؛ قد استغاث بكم الدين فأغيثوه ، قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه ؛ أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله لكم ^(٣) جميل العوائد ؛ صلوا رحمَ الكلمة ، وآسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة ؛ كتابُ الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله يقول فيه : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم) . ومما صح عنه قوله : « من اغترت قدماه في سبيل

(١) في ط : « إليهم » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ط : « إليكم » .

الله حَرَّمَهَا اللهُ عَلَى النَّارِ . « لَا يَجْتَمِعُ غِبَارِي فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ » (١) .
 « وَمَنْ جَهَّزَ غَازِيَاً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا » . أَذْرِكُوا رَمَقَ الدِّينِ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ ،
 بَادِرُوا عَلِيلَ الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ؛ احْفَظُوا وَجُوهَكُمْ مَعَ اللهِ يَوْمَ يَسْأَلُكُمْ
 عَنْ عِبَادِهِ ، جَاهِدُوا فِي اللهِ بِالْأَلْسُنِ وَالْأَمْوَالِ حَقَّ جِهَادِهِ :

مَاذَا يَكُونُ جَوَابُكُمْ لِنَبِيِّكُمْ وَطَرِيقُ هَذَا الْعُذْرِ غَيْرُ مُمَهَّدٍ
 إِنْ قَالَ لِمَ فَرَقْتُمْ فِي أُمَّتِي وَتَرَكْتُمُوهُمُ لِلْعَدُوِّ الْمُعْتَدِي
 تَاللهُ لَوْ أَنَّ الْعُقُوبَةَ لَمْ تُخَفْ لَكُنِيَ الْحَيَا (٢) مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ السَّيِّدِ

[٣٣] اللهم اعطف علينا قلوب العباد ، اللهم بُثْ لَنَا الْحَمِيَّةَ فِي الْبِلَادِ ، اللهم دافع
 عن الحرم الضعيف والأولاد ؛ اللهم انصرنا على أعدائك بأحبابك وأوليائك
 يا خير الناصرين ، اللهم أفرغ علينا صَبْرًا وَثَبْتُ أَقْدَامَنَا وَانصرنا على القوم
 الكافرين . وصلى الله على سيدنا [ومولانا (٣)] محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم
 تسليماً . انتهى .

سقوط غرناطة
 في يد العدو
 والخلاف في
 تاريخ ذلك

واستمر الأمر بالجزيرة على هذه الحالة مدة ، والمسلمون لا يزدادون إلا ضعفا
 والعدو تَكَالَبًا وَشِدَّةً ؛ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَى الْجَزِيرَةِ بِأَسْرَهَا ، وَشَرَحَ ذَلِكَ يَطُولُ .
 وَكَانَ اسْتِيلَاؤُهُ عَلَى حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةِ ، وَدَخُولُ جَيْشِهِ [لَهَا (٣)] ثَانِي ربيع النبوي ،
 مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَتَسْعِينَ وَثَمَانِ مِئَةً . هَكَذَا رَأَيْتُهُ فِي تَأْلِيفِ لِبَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ ، ضَمَّنَهُ
 الْقَضِيَّةَ ، وَأَلْفَهُ بِسَبِّهَا ؛ عَلَى أَنِّي رَأَيْتُ بِحُطِّ الْفَقِيهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْوَادِي أَشَى
 مَا يَخَالَفُ ذَلِكَ ، وَهُوَ (٤) أَنَّهُ أَوْرَدَ رِسَالَةَ ابْنِ الْخَطِيبِ يَخَاطِبُ بِهَا السُّلْطَانَ أَبَا سَالَمٍ

(١) تنمة الحديث كما في سنن النسائي : « في منخري مسلم أبدا » .

(٢) الحيا : مقصور من الحياء .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) في ت : « وذلك » .

الترينى ، نصّ محل^(١) الحاجة منها :

« ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت عروة تأميلكم ، أو أعرضتم عن ذلك الوطن ، استولت عليه يد عدوه » . انتهى .

فكتب بطرته أبو عبد الله الوادى آشى المذكور^(٢) ما نصه :

« كذلك وقع آخر الأمر . وكان الاستيلاء على غرناطة آخر ما بقى من بلاد الأندلس للإسلام ، فى محرم [عام]^(٣) سبعة وتسعين وثمان مئة ، فرحم الله ابن الخطيب ، العاقل اللبيب ، وغفر له برحمته » . انتهى كلام الوادى آشى . على أنه قد يظهر من كلام بعضهم أن الصلح كان فى محرم ، ودخول الجيش القصبة الحمراء كان فى ربيع ، فلا منافاة ، والله أعلم .

ورأيت بخط الإمام الوائشري^(٤) سيدى عبد الواحد رحمه الله ما نصه :

« استولى العدو على جبل الفتح سنة ست وستين وثمان مئة ، وعلى الحمة^(٥) تاسع المحرم يوم الخميس عام سبعة وثمانين وثمان مئة ؛ وفى عام خمسة وتسعين وثمان مئة استولى العدو على جميع [بلاد]^(٦) الأندلس ماعدا غرناطة وبشرتها^(٧) ، وكان قبله فى عام اثنين وتسعين استولى على مالقة فى رمضان منه ، وفى عام سبعة وتسعين استولى على غرناطة » . انتهى .

(١) هذه الكلمة « محل » ساقطة فى ت :

(٢) هذه الكلمة : « المذكور » ساقطة فى ت .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا فى نفح الطيب طبعة أوربة . والوائشري : نسبة إلى وائش (بالنون

وشينين معجمتين وراء ثم ياء) : جبل بين مليانة وتلسان من نواحي المغرب .

وفى الأصلين وهامش نفح الطيب : « الوائشري » .

(٥) الحمة : من أعمال مرسية . (عن تكملة كتاب الصلة) .

(٦) كذا فى نفح الطيب وفيها سيأتى فى الأصلين . وظاهر من سياق نفح الطيب أنها

ضواح لغرناطة أو مواضع بها . وفى الأصلين هنا : « وبشارتها » .

خروج أمير
الحمراء ابن
أبي الحسن
إلى فاس

ولما دخل النصارى إلى الحمراء خرج أميرها أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن على النَّصْرَى ، واشترط المسلمون على العدو الكافر شروطاً أظهر قبولها ، وبسط لهم جَنَاح العدل ، حتى بلغت بزعمهم نفوسهم مأمولها ؛ وكان من جملتها أن من شاء البقاء عنده أقام في ظل الأمان ^(١) مُكْرَمًا ، ومن أراد الخروج إلى برِّ العدوَّة أنزل بأى بلاد شاء منها ، من غير أن يُعْطَى كِرَاء ولا مَغْرَمًا ؛ وأظهر للمسلمين العناية والاحترام ، حتى كان النصارى يَحْسُدُونهم في ذلك ، ويقولون لهم : أنتم عند ملكنا أغنى وأكرم منا ؛ ووضع عنهم التغارم ، حيلة منه وكيداً ، ليغترم بذلك ، ويُثَبِّطهم عن الجواز . فوقع الطمع لكثير من الناس ، وظنوا أن ذلك البرق ليس بخَلْب ، فاشتري كثير من المقيمين الرِّبَاع العظيمة ، ممن أراد الذهاب للعدوة ، بأرخص الأثمان ، وأمر — لعنه الله — بانتقال سلطان غرناطة أبي عبد الله إلى قرية أندَرَش ^(٢) ، من قرى البشارة ، فارتحل أبو عبد الله بعياله وحشمه ، وأقام بها ينتظر ما يؤمر به ، ثم ظهر للطاغية أن يُجِيزه إلى العدوَّة ، فأمره بالجواز ، وأعدَّ له المراكب العظيمة ، وركب معه كثير من المسلمين ، ممن أراد الجواز ، حتى نزلوا بمَلِيلَة ^(٣) من ريف المغرب ، ثم ارتحل السلطان أبو عبد الله إلى مدينة فاس — حرمها الله — وما زال أعقبه بها إلى الآن من جملة الضعفاء السَّوَال ، بعد الملوك الطويل العريض ، فسبحان المعزِّ المذلِّ ، المانع المانع ، لا إله إلا هو .

(١) هذه العبارة : « في ظل الأمان » ساقطة في ت .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب وتقويم البلدان . وفي ت : « أندرس » بالسين المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) مليلة (بوزن سفينة) : مدينة قديمة مسورة على بحر الزقاق (انظر المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) .

وفاته وشيء عنه
وعن عقبه

وكان خلع أبيه أبي الحسن يوم الأحد ثالث جمادى الأخرى من عام تسعين
وثمان مئة ، خلعه أخوه ^(١) ، ودخل أبو عبد الله المذكور ، ابن أبي الحسن ^(٢) ، رِبَضَ
البَيْتَازِينَ سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالَ عام واحد وتسعين ، وافتكَّ مُلْكَ أبيه من يد عمه ،
وَتُوِّفِيَ رحمه الله بفاس عام أربعة وعشرين وتسع مئة ، ودفن بإزاء المصلى ،
خارج باب الشريعة ، وخلف ولدين ، اسم أحدهما يوسف ، والآخر محمد ^(٣) ،
وعقبه الآن بها كما ذكرناه ، والله وارث الأرض ومن عليها ، والله خير الوارثين .

حال المسلمين
بعده بالأندلس

وكان من قَدَرِ اللَّهِ تعالى أنهم لما وصلوا مدينة فاس أصاب الناس بها شدة
عظيمة ، من الجوع والغلاء والطاعون ، حتى فرَّ كثير منها بسبب ذلك ، ورجع
بعضُ أهل الأندلس إلى بلادهم ، فأخبروا بتلك الشدة ، فتقاعس من أراد الجَوَّازَ ،
وعزَمُوا على الإقامة والدَّجْنَ ^(٤) ، ولم يُجْزِ النَّصَارَى أحدا بعد ذلك إلا بالكِرَاءِ
والمَغْرَمِ وعُشْرِ المال ، فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجَوَّازَ وعزموا على
الاستيطان والمُقَامِ في الوطن ، أخذ في نقض الشروط التي اشترط عليه المسلمون أولَ
مرة ، ولم يزل ينقضها فصلا فصلا ، إلى أن نَقَضَ جميعها ، وزالت حُرْمَةُ المسلمين ،
وأدركهم الهوان والذلَّةُ ، واستطال عليهم النصارى ، وفُرِضَتْ عليهم المغارم الثقيلة ،
وقُطِعَ عنهم الأذان في الصوامع ، وأمرهم بالخروج من غرناطة إلى الأرباض
والقُرَى ، فخرجوا أَذِلَّةَ صاغرين ، ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنشُّرِ ، وأكْرَهُهم
عليه ، وذلك سنة أربع وتسع مئة ، فدخلوا فيه كَرْهًا ، وصارت الأندلس كلها

(١) في ط : « وكان أبوه أبو الحسن خلع سنة تسعين وثمان مئة ، خلعه أخوه يوم
الأحد ثالث جمادى الأخرى من العام » .

(٢) هذه العبارة : « ابن أبي الحسن » : ساقطة في ت .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « أحمد » .

(٤) الدجن : الإقامة .

دار كُفر ، ولم يبق من يَجْهر بكلمة التوحيد والأذان ، وجُعِلت في المساجد والمآذن النواقيسُ والصلبان ، بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، لا رادَ لما قضاه الله الملك الديّان .

وقد رأيت لبعضهم رسالة ببعض شرح ذلك ، ونصها :

رسالة في ذكر
ما جرى للمسلمين
في الأندلس

« وتعرّفنا من غير ما طريق ، وعلى لسان غير فريق ، أن قَطُر الأندلس : —
نظر اللهُ إليه ، وعاد بنوره عليه — طَرَقَ أهله خَطْبٌ لم يَجْزِ في سالف الدهر ،
وذلك أنهم أكرهوا بالقتل إن لم يقع منهم النطقُ بما يقتضى في الظاهر الكفر ،
ولم يُقبَل منهم الأشر ؛ وكان الابتداء في ذلك من أهل غرَناطة — جدّد الله
رسمها ، وأعاد إلى بلاد المسلمين ^(١) اسمها — وخصوصاً أهل واسطتها ، لقلة الناس ،
وكونهم من الرعيّة الدّهَاء ، مع عدم العصبيّة ، بسبب اختلاف الأجناس ؛ وعلم
النصارى — دترهم الله — بأن من بقي بها ^(٢) من المسلمين إنما هم أسارى في أيديهم ،
وعيال عليهم ؛ وبعد أن انتزعوا منهم ^(٣) الأسلحة والمعاقل ، وعتّوا فيهم بالخروج
والجلاء ، فلم يبق من المسلمين طائِل ؛ ونقض اللعين طاغية النصارى عهوده ،
ونشر بمحض الغدر بُنوده ؛ من غير معذرة لَفَقّها ، ولا كَذْبة في مَعْرِض العُذر
نَمَقّها ، إلا أعجازاً من الكفر ، وصدوراً من الغيظ والمكر ، وخالص الغدر ،
جَمَعها وفرّقها ؛ وكان الطاغية إذ ذاك بِاشْبِيلِيّة — جبرها الله ، وجعل بها قبره ، ووقّى
المسلمين والإسلام شرّه — وبعد أن كان [قبل ^(٤)] قد انسل إلى غرَناطة انسلال

(١) في ت : « الإسلام » .

(٢) في ت « منها » .

(٣) في الأصلين : « لهم » .

(٤) زيادة عن ت .

الْقَطَا إِلَى الْمَاءِ ، وَطَلَعَ إِلَيْهَا طُلُوعَ الرَّقِيبِ عَلَى خُلُوتِ الْأَحْبَاءِ ؛ وَأَمَرَ بِإِخْلَاءِ الْأَرْبَابِ ، وَأَذِنَ فِي السَّفَرِ فِي الْبَحْرِ لِلْأَبْعَاضِ ، وَلَمْ يُحْضَرْ مِنَ الْأَجْفَانِ ^(١) إِلَّا الْقَلِيلَ ، وَمَا كَانَ قَصْدُهُ إِلَّا التَّفْرِيقَ وَالتَّهْوِيلَ ؛ عَلَى مَا عُوِّدَ مِنْ غَدَرِ النَّصَارَى وَطُغْيَانِهِمْ ، وَفَعَلَهُمُ الذَّمِيمَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَتَوَرَّانَهُمْ ؛ وَالْإِعْلَانُ بِمُحَنَّتِهِمْ ؛ وَالْحِرْصُ عَلَى ارْتِدَادِهِمْ وَفَتْتِهِمْ ؛ وَأَقَامَ بَعْدَ انْصِرَافِهِ عَنْهَا ، وَخُرُوجِهِ مِنْهَا ، بِإِسْبِيلِيَّةٍ مُدَيَّدَةٍ ، وَعَقَارِبِهِ لِأَشْيَاعِهِ مِنَ النَّصَارَى بِغَرْنَاطَةِ تَدَبُّبٍ وَتَسْرِى ، وَنَفْسِهِ الْخَبِيثَةَ بِالْعَابِ ^(٢) تَقَرَّى ؛ ثُمَّ انْتَقَلَ عَنِ الْوَاسِطَةِ لِلْبَيَازِينِ ، حَيْثُ الْحَمِيَّةِ ، وَالنُّصْرَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ^(٣) ، مَعَ السَّرَاجَةِ وَالنَّجِيَّةِ ^(٤) ، وَالْعَقْلِ الرَّصِينِ ، وَالْدِّينِ الْمَتِينِ ؛ فَجَعَلَ صَعْبَهَا ذُلُولًا ، وَأَعَادَ لِلْكَفَرِ كَرَهَا مِنْ كَانَ بِمُحَضَّرَتِهَا ، وَتَمَتَّعَ أَحْزَابُ الشَّيْطَانِ — قَصَمَهُمُ اللَّهُ — بِنُضْرَتِهَا ، نَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ تَمَتُّعَهُمْ قَلِيلًا .

وزيادة ^(٥) الخبر :

تتكيل طاغية
قشتالة وأرغون
بالمسلمين

« أَنْ طَاغِيَةَ قِشْتَالَةَ وَأَرْغُونَ — قَصَمَهُ اللَّهُ — صَدَمَ غَرْنَاطَةَ صَدَمَهُ ، وَأُكْرِهَ عَلَى الْكُفْرِ مَنْ بَقِيَ بِهَا مِنَ الْأُمَّةِ ؛ بَعْدَ أَنْ هَيَّضَ جَنَاحَهُمْ ^(٦) ، وَرَكَدَتْ رِيَاحُهُمْ ؛ وَجَعَلَ بَعْدُ جُنْدُهُ الْخَاسِرَ عَلَى جَمِيعِ جِهَاتِ الْأَنْدَلُسِ يَنْتَالُ ، وَالطَّاغِيَةُ يَزْدَهَى فِي الْكُفْرِ وَيَخْتَالُ ؛ وَدِينُ الْإِسْلَامِ تُنْفَرُ بِالْأَنْدَلُسِ نَجْمُهُ ، وَتُطْمَسُ مَعَالِمُهُ وَرُسُومُهُ ؛ فَلَوْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعَ الْكُفْرُ بِالْإِسْلَامِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلِيهِ ، لَكَانَ

(١) الْأَجْفَانُ : كَلِمَةُ أَنْدَلُسِيَّةٌ ، بِمَعْنَى السَّفِينِ . ذَكَرَهَا دَوْزَى فِي مَعْجَمِهِ .

(٢) كَذَا فِي ط . وَفِي ت : « بِالْعَارِ » .

(٣) فِي ط : « الْأَمَانِيَّةُ » .

(٤) كَذَا فِي ط . وَفِي ت : « مَعَ السَّادِجَةِ وَالْقَحِيَّةِ » وَلَا مَعْنَى لِلرَّوَايَتَيْنِ .

(٥) فِي ت : « وَزَيْدَةُ » .

(٦) فِي ت : « جَنَابِهِمْ » .

كل مسلم يندبه ويبيكه ؛ فقد عبث البلاء برُسومه ، وعَنَى على أقداره ونجومه ؛ ولو حضرتم من جُبرٍ بالقتل على الإسلام ، وتوَعَّد بالنكال والممالك العظام ؛ ومن ^(١) كان يُعَذَّب في الله بأنواع العذاب ، ويُدْخَل به من الشدة في باب ويُخْرَج من باب ؛ لأنساكم مَصْرَعُهُ ، وساءكم مَقْظَمُهُ ؛ وسيوف النصارى إذ ذاك على رؤوس الشرِّذمة القليلة من المسلمين مَسْلُولُهُ ، وأفواه الذاهلين محلوله ؛ وهم يقولون : ليس لأحد بالتنصر أن يُمْتَطَل ، ولا يلبثُ حيناً ولا يُمَهَّل ؛ وهم يكابدون تلك الأحوال ^(٢) ، ويطلبون لطف الله في كل حال . انتهى .

بعض من خرج
من علماء
الأندلس

وكان جماعة من علماء الأندلس خرجوا إلى تِلْمَسَانَ ، منهم القاضي الشهير أبو عبد الله بن الأزرق ، صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل ، وكتاب السياسة الملخص من مقدمة تاريخ ابن خلدون ، وفيه زيادات بديعات ^(٣) ، وكتاب روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ، وغير ذلك ، وارتحل من تِلْمَسَانَ إلى المشرق ، وسُئِلَ بذكره . ومنهم بنو داود المذكورون في فهرسة الشيخ ابن غازي ، وهؤلاء خرجوا من الأندلس قبل أخذ غرناطة ^(٤) ؛ ولكن لما رأوا استطالة العدو عليها ، وأنه أخذها لا محالة ، قَوَّضُوا رِحَالَهُمْ عَنْهَا ، فنزلوا بتِلْمَسَانَ المحروسة ، وأخذت الحضرة الغرناطية ^(٥) بعد ارتحالهم بقریب ، رحمهم الله . ومنهم الفقيه الأديب ، حائز قَصَبِ السَّبْقِ في كثرة النسخ والكتابة ، أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادي آثي ، وسنذكره إن شاء الله ، رحم

[٣٧]

(١) في الأصلين : « ولن » .

(٢) في ط : « الأحوال » .

(٣) في ت : « زيادة بديعة » .

(٤) في ت : « أخذها » .

(٥) في ت : « وأخذت غرناطة » .

الله الجميع^(١) . ومن خرج بفاس من العلماء ، الفقيه أبو العباس البقّيّ^(٢) ، ثم رجع إلى غرناطة ، وقضيته معروفة .

كتاب ابن الأحرر
لصاحب فاس

ولا بأس أن نورد كتاب السلطان أبي^(٣) عبد الله بن الأحرر الخلوع المذكور ، الذي بعث به لصاحب فاس^(٤) في ذلك العهد ، تمهيداً لعُذْره ، وتوطئة لمقصده ؛ وتطارُحاً على تلك الأبواب وتعلُّقاً ، وتمسُّكاً بذلك الجناب وتعلُّقاً ؛ وهو في الغاية^(٥) من الفصاحة والبلاغة ، من إنشاء الفقيه الأديب ، الشاعر الناظم ، النائر الكاتب ، المُجيد البازع البليغ ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربيّ العقيليّ رحمه الله ، وسماه بالروض العاطر^(٦) الأنفاس ، في التوصل إلى المولى الإمام سلطان فاس ؛ ونصّه بعد الافتتاح^(٧) :

« مَوْلَى الْمُلُوكِ مَلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ رَعِيًّا لِمَا^(٨) مِثْلُهُ يُرْعَى مِنَ الدَّمِ .
بك استجرتنا ونعم الجار أنت لمن جار الزمان عليه جور مُنتَقِمِ .
حتى غدا مُلْكُهُ بِالرَّغْمِ مُسْتَلَبَا وَأَفْطَعُ الْخَطْبِ مَا يَأْتِي عَلَى الرَّغْمِ .
حُكْمٌ مِنْ اللَّهِ حَمْدٌ لَا مَرَدَّ لَهُ وَهَلْ مَرَدُّ لِحُكْمٍ مِنْهُ مُنْحَمٌ^(٩) .

(١) في ت : « جميعهم » .

(٢) في ط : « الفقاني » .

(٣) في ط : « أبا » وهو تحريف .

(٤) هو الشيخ الوطاسي سلطان فاس .

(٥) في ت : « وفي الغاية » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب ، وفي ط : « المطير » .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب ، وفي ط : « افتتاح » .

(٨) في نفع الطيب : « لمن » .

(٩) كذا في الأصلين وإحدى روايتي نفع الطيب ، ولم ترد صيغة « انحتم » في المعاجم التي بين أيدينا . وفي رواية أخرى لنفع الطيب : « منحتم » .

وَهِيَ اللَّيَالِي وَقَاكَ اللَّهُ صَوْنَهَا تَصُولُ حَتَّى عَلَى الْآسَادِ فِي الْأَجَمِ
 كُنَّا مُلُوكًا لَنَا فِي أَرْضِنَا دُولٌ نَمْنَا^(١) بِهَا تَحْتَ أَفْنَانٍ مِنَ النَّعَمِ
 فَأَيَقُظُنَا سِهَامَ الرَّدَى صَيْبٌ يُرْمَى بِأَفْجَعِ حَتَفٍ مِنْ بَهَنٍ رُمَى
 فَلَا تَمَّ تَحْتَ ظِلِّ الْمَلِكِ نَوْمَتَنَا وَائِي مَلِكٍ بَظِلِّ الْمَلِكِ لَمْ يَنْمَ
 يَبْكِي عَلَيْهِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ بِأَذْمُعٍ مُزَجَّتْ أُمُوهَا بِدَمِ
 كَذَلِكَ الدَّهْرُ لَمْ يَبْرَحْ كَمَا زَعَمُوا يُشِمُّ بَوَّ الصَّغَارِ^(٢) الْأَنْفَ ذَا الشَّمِ^(٣)
 وَصِلْ أَوَاهِرَ قَدْ كَانَتْ لَنَا اشْتَبَكْتُ فَالْمَلِكُ بَيْنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ كَالرَّحِمِ
 وَابْسُطْ لَنَا الْخُلُقَ الْمَرْجُوَّ بَاسْطُهُ وَاعْطِفْ وَلَا تَنْحَرِفْ وَاعْذِرْ وَلَا تَلْمِ
 لَا تَأْخُذْنَا^(٤) بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ نَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ أَقْوَالُ ذِي الْوَحَمِ
 فَمَا أَطَقْنَا دِفَاعًا لِلْقَضَاءِ وَمَا^(٥) أَرَادَتْ أَنْفُسُنَا مَا حَلَّ مِنْ نَقَمِ
 وَلَا رُكُوبًا بِإِزْعَاجِ لِسَابِحَةِ فِي زَاخِرٍ بِأَكْفِ الْمَوْجِ مُلْتَطِمِ
 وَالْمَرْءُ مَا لَمْ يُعْنِهِ اللَّهُ أَضْيَعُ مِنْ طِفْلِ تَشَكَّى بِفَقْدِ الْأُمِّ فِي الْيَتَمِ
 وَكُلُّ مَا^(٦) كَانَ غَيْرُ اللَّهِ يَحْرُسُهُ^(٧) فَإِنَّ مُحْرَسَةَ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِ^(٨)

[٣٨]

(١) في ت « نَمْنَا » ، وهو تحريف .

(٢) البو : جلد الحوار يحشى تبنا ونحوه لتعطف عليه أمه فتدر . والصغار : الدل .

(٣) في ط « ذو الشم » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب طبعة أوربة . وفي ت ونفع الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « لَا تَأْخُذُونَا » .

(٥) في ت : « وَلَا » .

(٦) كذا في ط : ونفع الطيب . وفي ت : « مِنْ » .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « مَا كَانَ غَيْرَ اللَّهِ يَحْرُسُهُ فَإِنَّ مُحْرَسَهُ » ، وهو تحريف .

(٨) الوض : خوان القصاب ، وهو ما يقطم عليه اللحم ويهيشه .

- كُنْ كالسمومِ إذ سار الهام له
فِي جَحْفَلٍ كسواد اللَّيْلِ مُرْتَكِمٍ^(١)
- فَلَمْ يُبَحْ أَذْرَعُ الْكِنْدِيِّ وَهُوَ يَرَى^(٢)
أَنْ ابْنَهُ الْبَرَّ قَدْ أَشْنَى عَلَى الرَّجَمِ^(٣)
- أَوْ كَالْمَعْلَى^(٤) مَعَ الضَّلِيلِ الْأَرْوَعِ إِذْ
أَجَارَهُ مِنْ أَعَارِبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
- وَصَارَ يَشْكُرُهُ شُكْرًا يَكْفِي مَا
أَسْدَى إِلَيْهِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ
- وَلَا تَعَاتَبْ عَلَى أَشْيَاءَ قَدْ قُدِّرَتْ
وَحُطَّتْ مَسْطُورُهَا فِي اللُّوحِ بِالْقَلَمِ
- وَعَدَّ عَمَّا مَضَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ
وَعُدَّ أَحْرَارَنَا فِي جُمْلَةِ الْخَدَمِ
- إِيَّاهِ حَنَانِيكَ يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ عَلَى
ضَيْفٍ أَلَمَ بِفَاسٍ غَيْرِ مُحْتَشِمٍ^(٥)
- فَأَنْتَ أَنْتَ وَلَوْلَا أَنْتَ مَا نَهَضَتْ
بِنَا^(٦) إِلَيْهَا خُطَا الْوَحَادَةِ الرَّثْمِ^(٧)
- رُحْمَاكَ يَا رَا حَا يُنَمِّي إِلَى رُحْمَا
فِي النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْإِتْبَاعِ وَالْحَشَمِ
- فَكَمْ مَوَاقِفٍ صِدْقٍ فِي الْجِهَادِ لَنَا
وَالْخَلِيلُ عَالِكَةُ الْأَشْدَاقِ لِلْجُمِ
- وَالسَيْفُ يَخْضِبُ بِالْحَمَرِ مِنْ عَاقٍ
مَا أَيْضَ مِنْ سَبَلٍ وَاسْوَدَّ مِنْ لَمَمٍ^(٨)
- وَلَا تَرَى صَدْرَ غَضَبٍ غَيْرَ مُنْقَصِفٍ
وَلَا تَرَى مَتْنٍ^(٩) لَدُنْ غَيْرِ مُنْخَطِمٍ

(١) الجحفل : الجيش الجرار . ومرتكم : متراكم .

(٢) في ط : « فلا » .

(٣) الرجم : جمع رجمة ، وهي الحجارة توضع على القبر ، ويريد القبر نفسه .

(٤) المعلى : هو أحد بني تيم ، وكان قد أجاز امرأ القيس من المنذر بن ماء السماء .

(٥) إليه : أى حسبك .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « منا » .

(٧) الوحادة : السريعة السير . والرسم : جمع رسوم ، وهي الناقاة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطء .

(٨) يريد بالسبل : شعر اللحية . واللهم : جمع لمة ، وهي شعر الرأس الذي يلم بالمتكبين .

(٩) في ت « مثل » .

حتى دُهينا بدهيا لا اقتدار بها^(١) سوى على الصون للأطفال والحرم
فقال من لم يشاهدها فرُبَّتْما يُخال جاعها يُقتاد بالخطم
هيئات لو رُبَّتْته الحرب كان بها أعياء من يد جالت على زَلَم^(٢)
تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا ولا طوت صِحَّة منها على سَقَم
لكن طلبنا من الأمر الذي طلبت ولأتنا^(٣) قبلنا في الأعصر الدُّم
نخانا عنده الجدُّ الخثون ومن تَعُدُّ به نكبات الدهر لم يَمُ
فأسود ما أخضر من عيش دَهْتِه عدا بالأسمر اللذن أو بالأبيض الخدم^(٤)
وشتت البين شملا كان منتظما والبين أقطع للوصول من جَلَم^(٥)
فرُب مَبْنَى شديد قد أناخ به ركب البلاء فقرته أدمع الدِّم^(٦)
قنا لديه أصـيـلانا نسائله أعياء جوايا وما بالربع من أَرَم^(٧)
وما ظننا بأن نبقى إلى زمن نرى به غرر الأحباب كالحِمْ^(٨)
لكن رَضًا باقضا الجارى وإن طُوبت منا الضلوع على بَرَح من الألم

[٣٩]

(١) في ت . « بدمي لا اقتدار بنا » .

(٢) كذا في ت . والزلم (بفتحين ، أو بضم ففتح) : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية . وفي ط ونفع الطيب طيبة المطبعة الأزهرية : « رحم » . وفي نفع الطيب طيبة أوربة « رحم » . وما أثبتناه أوضح ، فهو يريد أن يد هذا اللأم أضعف من يد تحيل قداح الميسر .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « ولاته » . وفي ط : « ولاية » .

(٤) الأسمر اللذن : الرمح . والأبيض الخدم : السيف القاطع .

(٥) الجلم : المقرض .

(٦) الديم : جمع ديمة ، وهي السحابة يدوم مطرها أياما .

(٧) أصيلانا : قرب الأصيل . وما بالربع من لرم : أى من أحد .

(٨) الفرر : جمع غرة ، وهي يياض الجبين . والحلم الفعم الأسود ، الواحدة حمة (بالضم) .

لَبَيْكَ يَا مَنْ دَعَانَا نَحْوَ حَضْرَتِهِ دَعَاءُ إِبْرَاهِيمَ الْحُجَّاجِ لِلْحَرَمِ
وَأَعْطِ الْأَمْنَ^(١) الَّذِي رُصِّتْ قَوَاعِدُهُ عَلَى أَسَاسِ وِفَاءٍ غَيْرِ مَنْهَدِمِ
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَافَاكَ الْعَبِيدُ فَكُنْ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَطَوَّلٍ عِنْدَ ظَنِّهِمْ
وَبَيْنَ أَسْلَافِنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ بِهِ مِنْ اعْتِقَادٍ بِحَكَمِ الْإِرْثِ مُقْتَسَمِ
وَأَنْتَ مِنْهُمْ كَأَصْلِ مُطْلِعِ غُصْنًا أَوْ كَالشَّرَاكِ الَّذِي قَدْ قُدَّ مِنْ أَدَمِ
وَقَدْ خَطَوْتَ خُطَاهُمْ فِي مَا تَرَاهُمْ فَلَمْ يُذَمُّوا إِذَنْ فِيهَا وَلَمْ تُذَمَّ^(٢)
وَصِيتَ مُوَلَّى الْوَرَى الشَّيْخَ الْإِمَامَ غَدَا فِي النَّاسِ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ
سُلَالَةِ الْأَمْزَاءِ ، الْجِلَّةِ الْكِبَرَا ، الْعَلِيَّةِ الظُّهْرَاءِ ، الْقَادَةِ الْبُهْمِ^(٣)
بَنُو مَرَيْنَ لِيُوثَ فِي عَرِينِ أَبَوَا رُؤْيَا قَرِينٍ لَمْ فِي الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ
النَّازِلِينَ مِنَ الْبِيضَاءِ^(٤) وَسَطِحِي أُنْحَى مِنَ الْأَبْلَقِ السَّامِيِّ وَمِنْ إِرَامِ
وَالْجَائِسِينَ بِذُهُمِ الْخَيْلِ كُلِّ ذَرَى وَالْدَّاعِسِينَ بِسَمْرِ الْخَطِّ كُلِّ كَيْمِ^(٥)
يَرِيكَ فَارُسُهُمْ إِنْ هَزَّ عَامِلَهُ^(٦) فِي مَازِقِ^(٨) بَلْغَى الْهَيْجَاءِ مُضْطَرَمِ

(١) فِي نَفْعِ الطَّيْبِ : « وَاعْطِ الْأَمَانَ » .

(٢) فِي ت : « رَسَتْ » .

(٣) لَمْ تَدَمْ : لَمْ تَعْب . يُقَالُ : ذَامَهُ يَذِمُّهُ : إِذَا عَابَهُ .

(٤) الظُّهْرَاءِ : جَمْعُ ظَهِيرٍ ، وَهُوَ النَّصِيرُ . وَالْبُهْمِ : جَمْعُ بُهْمَةٍ (بِالضَّمِّ) وَهُوَ الْبَطْلُ الشَّجَاعُ .

(٥) الْبِيضَاءُ : فَاسٌ الْجَدِيدَةُ .

(٦) الْجَائِسِينَ : الَّذِينَ يَتَرَدَّدُونَ خِلَالَ الدُّوَرِ وَالْبُيُوتِ فِي الْفَارَةِ . وَكُلُّ ذَرَى : كُلُّ نَاحِيَةٍ .

وَالدَّاعِسِينَ : الطَّاعِنِينَ . وَسَمَرُ الْخَطِّ : الرِّمَاحُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْخَطِّ ، وَهُوَ مَرْفَأُ الْبَحْرَيْنِ .

وَالْكَيْمِ : الْبَطْلُ الْمُنْتَسِرُ فِي سِلَاحِهِ .

(٧) عَامِلُ الرَّمْحِ : صَدْرُهُ .

(٨) فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَفْعِ الطَّيْبِ : « مَارِقٌ » وَلِئَلَّهَا مَحْرَفَةٌ عَمَّا أُتْبِنَتْهُ .

- لَيْثًا عَلَى أَجْدَلٍ عَارٍ مِنْ أَجْنَحَةٍ يَسْطُو بِأَرْقَمَ لَدَاغٍ بَغِيرٍ فَمِ (١)
 فِي اللَّامِ يُدْغِمُ مِنْ عَسَالِهِ أَلِفًا وَلَمْ نَجِدْ أَلِفًا أَصْلًا بِمَدْغَمِ (٢)
 أَهْلُ الْحَفِظَةِ يَوْمَ الرَّوْعِ يُحْفَظُهُمْ مِنْ عَصْمَةِ اللَّهِ مَا يُرْبِي عَلَى الْعِصَمِ (٣)
 بَأْسٌ (٤) تَطِيرُ شَرَارُهُ مِنْهُ مَحْرَقَةٌ لِكُلِّ مَدْرَعٍ بِالْحَزْمِ مُحْتَزِمِ
 هُمْ (٥) بِطَائِفَةِ التَّثْلِيثِ قَدْ فَتَكُوا كَثُلَ مَا يَفْتِكُ السَّرْحَانُ بِالْغَنَمِ (٦)
 وَإِنْ يُلْثَمُهُمْ يَوْمَ الْوَعْيِ رَهْجٌ أَنْسَوُكَ مَا ذَكَرُوهُ عَنْ ذَوَى اللَّثَمِ (٧)
 تَضَى آرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ إِضَاءَةُ السُّرْجِ فِي دَاخِلٍ مِنَ الظُّلَمِ
 هَذَا وَلَوْ مِنْ حَيَاءٍ ذَابَ مُحْتَشِمٌ لَذَابَ مِنْهُمْ حَيَاءٌ كُلُّ مُحْتَشِمِ
 طَابَتْ مَدَائِحُهُمْ إِذْ طَابَتْ أَنْفُسُهُمْ فَاشْتَقَّتْ النَّسَمَاتُ اسْمًا مِنَ النَّسَمِ
 لِلَّهِ دَرْهُمْ وَالسُّحْبُ بَاخِلَةٌ بِدَرَّهِنَّ عَلَى الْأَنْعَامِ وَالنَّعَمِ
 بِحَيْثُ الْأَفْقُ يَرَى مِنْ لَوْنٍ مُحَرَّرَةٍ كَالشَّيْبِ يُخَضَّبُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَمِّ (٨)

(١) الأجدل : الصقر ، شبه به الحصان في سرعة انقضاضه . والأرقم : الثعبان ، شبه به الرمح .

(٢) اللام : مسهلة عن اللثم ، جمع لأمة ، وهي الدراع . والعسال : الرمح اللدن ، وقد شبهه في استقامته بالألف . وفي البيت توريه .

(٣) العصم : ما يعتصم به الناس في الحرب من معازل وشبهها . يريد أنهم محوطون من عناية الله وحياطه بما لا تنق بمثل المعازل والحصون .

(٤) في ت ونفع الطيب : « يامن » .

(٥) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ت : « وم » .

(٦) السرحان : الذئب .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب . والرهج : الفبار تشبه الحرب . وفي ط : « وهج » . وذوو اللثم : يريد المشتمين ، قبائل من البربر عرفوا بالشجاعة .

(٨) الكم (كسب) : نبت يستعمل في خضاب الشعر . يفهم في هذا البيت والذي قبله بالجلود في أزمان القحط والشدّة .

- [٤٠] هناك تَهَلُّ أَيْدِيهِمْ بِصُوبِ حَيًّا (١) يُحْيِي بِالْأَجْدَاثِ مَا فِيهَا مِنَ الرِّمِّ (٢)
وإنَّ بَيْتِي زِيَادٍ طَالَمَا ذُكِرَا إِذَا أَلَمْتُ أَحَادِيثَ بِذِكْرِهِمْ (٣)
« أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُطَهَّرَةٌ مِنْ الْمَعْقَةِ وَالْآفَاتِ وَالْإِثْمِ » (٤)
يَرَوْنَ حَقًّا عَلَيْهِمْ حِفْظَ جَارِهِمْ فَلَمْ يُضَرَّ نَازِلٌ فِيهِمْ وَلَمْ يُضْمَ (٥)
فَرُوعُهُ (٦) بِالْدَوَامِي لَا يُرَاعَ وَلَا يُغْنَى مِنْهَا بِمَا يَعْرِوْنَ مِنَ النُّعْمِ (٧)
هَمُّ الْبَحَارِ سَمَاحًا غَيْرَ أَنَّ بَهَا مَا قَدْ أَنَافَ عَلَى الْأَطْوَادِ (٨) مِنْ هَمِّ
وَلَيْسَ يَسْلَمُ مِنْ حَتْفِ مَحَارِبِهِمْ حَتَّى يَكُونَ إِلَيْهِمْ مُلْقَى السَّلَامِ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَمِيرٍ أَوْحَدٍ نَدَسٍ يُقَرِّطُسُ الْفَرَضُ الْمَقْصُودُ بِالْفَهْمِ (٩)
وَلَا كَسِبَتْ أَبِي حَسُونٌ مَنْ حَسُنَتْ أَمْدَاحُهُ حُسْنٌ مَا فِيهِ مِنَ الشِّيمِ (١٠)
هَذَا كُمْ ابْنُ أَبِي زَكْرِيَّاهُ الْمَاهِمُ قُلُّ (١١) فِي أَصْلِهِ الْمُنْتَقَى مِنْ مَجْدِهِ الْعَمِّ (١٢)

(١) تهلل : تفيض . وصوب الحيا : ماء المطر . والأجداث : القبور .

(٢) زياد : هو النابتة الذي يأتي .

(٣) المعقة : العقوق . والإثم : جمع لثمة ، وهي الإثم . وهذا البيت من مقطوعة للنابتة أبياتها أربعة في مدح الفاسانة ، وقبله :

مُ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَوَاءِ وَالنُّعْمِ
وَلَمَّا لَنَاظِمٍ يَعْنِي هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ .

(٤) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « فروعهم » .

(٥) الروع : موضع الفزع من القلب .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « الأطرأ » .

(٧) الندس (كعصد وكنتف وسهم) : الفطن الفهم . ويقرطس الغرض : يصيبه .

(٨) أبو حسون : هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن أبي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي ، يعرف بأبي حسون الباذسي ، بويج بفاس أول مرة سنة اثنتين وثلاثين وتسع مئة . (انظر بقية أخباره في الاستقصا للسلوى) .

(٩) زكري : يريد زكرياء وفيه لغات ، منها زكري (كعربي) بتشديد الياء وتخفيفها ، وبهذه الرواية الأخيرة جاء هنا مع إسكان الكاف ، ليستقيم الوزن .

(١٠) العمم : التام .

خليفة الله حقا في خليقته كنائب ناب في حكم عن الحكم
 مهما نُزِرَ قِسِمَاتُ^(١) منه نيرة تَنَزَّلُ بَنَانٌ لَهُ مَا جَلَّ مِنْ نِعَمِ^(٢)
 فَوَجْهُهُ بَدُجِيٌّ وَكَفُّهُ بِجَدَا أَبْهَى مِنَ الزَّهَرِ أَوْ أُنْدَى مِنَ الدِّيمِ^(٣)
 وفضله وله الفضل المبين جري كجري الأمثال في الأقطار والأم
 وجوده المتوالى للبرية ما وجوده بينها طرًا بمنهم
 إذا ابتغت نِعَمًا منه العُفاة له لم يسمِعُوا كَلِمَةً مِنْهُ سِوَى نَعَمٍ
 وإنَّ يُعَبِّسَ زَمَانٌ فِي وُجُوهِهِمْ لم يُبْصِرُوا غَيْرَ وَجْهِهِ مِنْهُ مُبْتَسِمٍ
 وَجْهُهُ تَبَيَّنَ سِمَاتُ الْمَكْرُمَاتِ بِهِ كَمَا تَبَيَّنَ سِمَاتُ الصَّدَقِ فِي الْكَلِمِ
 وراحة لم تزل في كل آونة فِي^(٤) نَيْلِهَا رَاحَةَ الشَّاكِيِّ مِنَ الْعُدْمِ
 لله ما التزمته من نوافله أَيَّامٌ لَا فَرَضَ مَفْرُوضٌ بِمَلْتَزَمٍ
 أنسى الخلائف في حلم وفي شرف وَفِي سَخَاءٍ وَفِي عِلْمٍ وَفِي فَهْمٍ
 فجاز معتمدًا منهم ومُعْتَصِدًا وَامْتِازَ عَنْ قَائِمٍ مِنْهُمْ وَمُعْتَصِمٍ
 وناصر الدين في الإقبال فاق وفي حَبَّةَ الْعِلْمِ أَزْرَى بِابْنِهِ الْحَكَمِ
 أفعال أعدائه معتلة أبدا مَتَى^(٥) يَرُمُ جَزْمَهَا بِالْحَذَفِ تَنْجِزِمِ

(١) رواية هذا البيت في ط .

مهما نسم نسمات منه نيرة تنزل بنازله ما جل من نعم

(٢) قسِمَاتُ الوجه : ما أقبل منه ، أو محاسنه .

(٣) الجدا : العطاء . والديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم أياما .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « من » .

(٥) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « حتى » .

- [٤١] فويل أهل القلām من حَيَّة ذَكَرَ^(١) [لِلْمُتَلَبِّ^(٢) اللَّهُمَّ الْمَجْرُمُتَقِمَ^(٣)]
- رَامُوا عداوة من إن شاء غادرهم مثل الأحاديث عن عادٍ وعن إرم
- فسوف يأكلهم من جيشه لَجِبُ^(٤) بكل قرَم إلى لَحْمَانِهِمْ قَرَمَ^(٥)
- وإنَّ الأعرابَ إذْ ساروا لغابته لساروف إلى لَقَم على لَقَمَ^(٦)
- وهم كما قاله ماض : أرى قَدَمِي بسميه نحو حَتَفِي قَد أَرَأَق دَمِي^(٧)
- فقل إذْ لِلْمُنَاوِي النَّاوِي أَلَا أَلَاذِي يَأْغُرُ^(٨) غَرَمَكَ مَا أَبْصَرْتَ فِي الْحَلْم
- له صوارم لو ناجتكَ السُّنْهَا لبشرك بكُفْر منك مُنْصَرِم
- وإن رُوحَكَ عن قرب سَيَقْبُضُهُ قبضَ المُسَلِّم ما قد حاز من سَلَمَ^(٩)
- فهو الذي ما له نِدٌّ يشابهُهُ من كلِّ مُتَّصِفٍ بِالذَّهِي^(١٠) مُتَّسِم
- يُدَبِّرُ الأمرَ تَدْبِيرًا يُخَلِّصُهُ مما عَسَى أَنْ يُرَى فِيهِ مِنَ الْوَهَم
- وَيُبْصِرُ الْغَيْبَ لِحَظُ الذَّهْنِ مِنْهُ إِذَا تَعَمَّى عَنْ أَدْرَاكِهِ أَلْخَاطُ كُلِّ عَم

(١) حية ذكر : شهيم .

(٢) كذا في نفع الطيب ، ويريد بالمتلب : الجيش المتمد . وفي ت : « للمتلب ، وهو تحريف . وسقطت هذه الكلمة من ط .

(٣) اللهم والمجر : بما بمعنى الجيش العظيم .

(٤) اللجب الجيش الكبير ، والقرم : السيد . واللحمان : جمع لحم . وقرم (ككتف) : شديد المقهوة لأكل اللحم .

(٥) كذا في ت ونفع الطيب . واللقم : الأكل ، ويريد به الافتراس ، واللقم (بالتحريك) وسط الطريق . وفي ط : « ... نعم على لقم » .

(٦) يشير إلى قول أبي الفتح البستي :

إلى حتفي سمي قديمي أرى قديمي أراق دمي

(٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « يفر » .

(٨) المسلم : السلف ، الذي يعطى ذهاباً أو فضة على سلعته معلومة إلى أجل معلوم . والسلم : البيع المبيع المؤجل قبضه .

(٩) الدهي والدهاء : الفكر وجودة الرأي .

- وَيُنْعِمُ^(١) النَّظَرَ الْمُفْضِي بِنَظَرِهِ لَصُوبِ وَجْهِ صَوَابٍ وَاضِحٍ اللَّقْمِ^(٢)
 ذُو مَنْطِقٍ لَمْ تَزَلْ تَجْلُو نَتَائِجُهُ عَنْ مُبْطِلٍ بِخَصَامِ الْمُبْطِلِ الْخَصَمِ^(٣)
 وَمِيسَمٍ لَيْسَ يُضْعَى لِلْوُشَاةِ فَلَمْ يَنْفُقْ لَدَيْهِ الَّذِي عَنْهُمْ إِلَيْهِ نُمِي^(٤)
 فَعَقَلَهُ لَا تَوَازِيهِ الْعُقُولُ وَهَلْ يَوَازِنُ الطُّودَ مَا قَدْ طَالَ مِنْ أَكَمِ
 إِلَيْهِ جَمِيعُ الْوَرَى مِنْ بَدْوٍ أَوْ حَضَرٍ نِدَاءٌ مُرْتَبِطٌ بِالنُّصْحِ مُرْتَسِمِ
 شُدُّوا وَجِدُّوْا وَلَا تَعْنُوا وَلَا تَهِنُوا قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِالسَّوَاقَةِ الْحَطَمِ^(٥)
 هَذَا الْأَمِيرُ^(٦) الْمَرْبِئِيُّ السَّعِيدُ لَهُ سَعْدٌ يُؤَيِّدُهُ فِي كُلِّ مُضْطَلَمٍ
 قَدْ أَقْسَمَتْ أَنَّهُ الْمَنْصُورُ أَلْسِنَةً مِنْ نُخْبَةِ الْأَوَّلِيَا مَبْرُورَةُ الْقَسَمِ
 فَشَيْعُوهُ وَوَالُوهُ تَرَوْنَ عَجَبًا وَتَنْظُرُونَ مَعَهُ بِالْأَجْرِ وَالنِّعَمِ^(٧)
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَبْقَى خِلَافَتَهُ كَهْفًا لَنَا مَنْ يُخَيِّمُ فِيهِ لَمْ يَرَمِ^(٨)
 حَرِزٌ حَرِيزٌ وَعِزٌّ قَائِمٌ وَنَدَى غَمْرٌ دِرَاكٌ بَلَا مَنْ وَلَا عَمَامَ^(٩)

(١) كذا في نفع الطيب . وإنعام النظر : تدقيقه . وفي الأصلين : يعمن . وهو يتعمد بحرف الجر . يقال : أعمن في الأمر ، أى أبعد فيه .

(٢) اللقم (كسب) : وسط الطريق .

(٣) الخصم (ككتف) : الجدل الشديد الخصومة . يريد أنه يبطل حجج خصمه بقوة بيانه .

(٤) ينفق : يروج . ونمي إليه : وصل إليه .

(٥) لا تعنوا : لا تخضعوا وتدلوا . ولا تهنوا : لا تضعفوا . ولها : جمعها ، والضمير

في الأصل للآيل ، والسواقة : السواق ، والتاء للبالغة . والحطم : الشديد السوق ؛ وهذا مثل . يريد أن متولى أمرهم ، وهو المدوح ، رجل قوى شديد .

(٦) في نفع الطيب : « الإمام » .

(٧) شيعوه : ناصروه . والغم (بالتحريك) : الغم ، كالغم (بالضم) .

(٨) لم يرم : أى يعز على من يطلبه .

(٩) غمر : كثير . ودراك : متتابع متلاحق .

دامت ودام لها سَعْدُ يساعدها	في كل مُبتدأ منه ^(١) ومختتم
فالله — عز اسمه — قد زانها بحلى	من غرّ أمداحه كالذرّ في النظم ^(٢)
الواهب الألف بعد الألف من ذهب	كالجثر يلع في مُستوقد الضرم ^(٣)
والفاعل الفعل لم يههم به أحد	والقائل القول فيه حكمة الحكم
ذا كم هو الشيخ فاعجب إنه هرم ^(٤)	جودا وحاشاه أن يُغزى إلى هرم ^(٥)
وحسبنا أن أيدينا به اعتصمت	من حبّله بوثيق غير مُنقصم
فما مُحالفه يوماً بمضطهد	ولا مؤالفه يوماً بمهتضم
ولا موافيه في جهد بمطرح	ولا مُصافيه في ودّ بمثم
ولا مُحَيّا مُحَيّيه بمنكسف	ولا رجاء مُرجّيه بمنخرم ^(٦)
وما ^(٧) تَكْرُمه سِرّاً ^(٨) بمنكسف	ولا تنكره جهراً بمكتم
وليس لامحُ مرآه بمكتتب	وليس راضع جدواه بمنفطم
ولا مُقبِلُ يمينه الكريمة في	محلّ مُتمنّ بل دَسْتِ مُحترَم ^(٩)
وما وسيلتنا العظمى إليه سوى	ماليس يُنكر ما فيها من العظم
وإنما هي وما أدراك ما هي من	وسيلة رُدّها أذهى من الرضم ^(١٠)

- (١) في نفع الطيب طبعة أوربة : « منها » .
 (٢) النظم : جمع نظام ، وهو الحيط ينظم فيه الحرز ونحوه .
 (٣) في ط : « الظلم » .
 (٤) يريد أن الممدوح مثل هرم بن سنان ، ممدوح زهير بن أبي سلمى ، الزنى .
 (٥) في نفع الطيب طبعة أوربة : « الهرم » .
 (٦) بمنخرم : أى بمنقطع .
 (٧) في نفع الطيب (طبع في أوربة ومصر) : « ولا » .
 (٨) في ط : « يوماً » .
 (٩) يريد بالدست : المكان الكريم ، مأخوذ من دست البيت ، وهو صدره .
 (١٠) كذا في ط . والرضم : صخور عظام . وفي ت : « الوخم » .

نبينا المصطفى الهادي بخير هدى محمد خير خلق الله كلهم
 داعي الوري من أولي خيم وأهل قرى إلى طريق رشاد لاجب أمم^(١)
 عليه منا صلاة الله ما ذكرت « أمّن تذكر جيران بذي سلم »^(٢)
 وما تشفع فيها بالشفيع له دخیل حرّمته العلّیاء فی الحرم^(٣)
 « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »
 « أبت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين » . « ربنا عليك توكلنا
 وإليك أنبنا وإليك المصير » . « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين
 لا مولى لهم » . « نعم المولى ونعم النصير » .

أما بعد حمد الله الذي لا يُحمد على السراء والضراء سواه ؛ والصلاة والسلام
 على سيدنا ومولانا محمد ، الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح ، يدعو إلى سبيل
 كل فلاح ، أولي قلوب غافلة ، ونفوس سواه ؛ والرضا عن آله وأصحابه ، وعثرته
 الأكرمين وأحزابه ، الذين تلقّوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه ،
 وعنده ونصروه في حالي قربه ونواه . [٤٣]

فيا مولانا ، الذي أولانا من النعم ما أولانا ؛ لاحط الله تعالى لكم من العزة
 رواقا^(٤) ، ولا أذوى لدوحة^(٥) دولتكم أغصانا ولا أوراكا ؛ ولا زالت مخضرة
 العود ، [مبتسمة^(٦)] عن زهرات البشائر مُتَحِفَةً بثمرات السُّعود ، ممطورة

(١) أهل خيم : أي ساكني الحيام . واللاحب : الواضح . والأُمّ : البين . وقد ورد
 الشطر الأول من هذا البيت في ط هكذا :

« داعي الوري من أولى من أهل خيم قرى »

(٢) هذا الشطر مطلع قصيدة البردة المشهورة للبوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) الدخیل : اللاجئ . والحرمة : الذمة .

(٤) الرواق : الحيمة . يدعو له بدوام ارتفاع المنزلة .

(٥) الدوحة : الشجرة الواسعة الظلال . وأذوى : أذبل وأضعف .

(٦) زيادة عن ت ونفع الطيب .

بسحائب البركات المتداركات دون بُرُوق^(١) ولا رعود :

هذا مقام العائد بمقامكم ، المتعلق بأسباب ذِمّامكم ، المترجى لعواطف قلوبكم ،
وعوارف إنعامكم ، المُقبل الأرضَ تحت أقدامكم ، المتلجّج^(٢) اللسان عند
محاولة^(٣) مفاتحة كلامكم ؛ وماذا الذي يقول مَنْ وجهه خجل ، وفؤاده وجل ،
وقضيته المفضية عن التنصل والاعتذار تجل ؛ بيد أني أقول لكم ما أقوله لربي ،
واجترأى عليه أكثر ، واجترأى^(٤) إليه أكبر : اللهم لا برىء فأعتذر ، ولا قوى
فأنتصر ، لكنني مُستقيل^(٥) مُستنيل^(٦) مستعتب^(٧) مستغفر ؛ « وَمَا أُبْرئُ
نفسى ، إن النفس لأَمَّارَةٌ بالسُّوء » . هذا على طريق التنزل والاتصاف ، بما
تقتضيه الحال ممن يتحيز إلى حيز الإنصاف ؛ وأما على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته
الأمّ ابنَةُ الصديق^(٨) : « وَاللّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنِّي إِن أَقْرَرْتُ بِمَا يَقُولُهُ النَّاسُ ، وَاللّهُ يَعْلَمُ
أَنِّي مِنْهُ بِرِيَّةٌ^(٩) ، لأَقُولَنَّ^(١٠) ما لم يكن ، وَلَئِنْ أَنْكَرْتُ مَا يَقُولُونَ لَا تَصْدُقُونَنِي ،
فَأَقُولُ مَا قَالَهُ أَبُو يَوْسُفَ^(١١) : صَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ » .

على أني لا أنكر عيوبى ، فأنا مَعْدِنُ العيوب ، ولا أَجْحَدُ ذُنُوبى ، فأنا

(١) فى ت ونفع الطيب : « برق » .

(٢) فى ط : « والتلجج » .

(٣) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « عند مفاتحة » .

(٤) اجترأى : ذنبى .

(٥) مستقيل : طالب الإقالة من العثرة .

(٦) مستنيل : طالب النوال .

(٧) مستعتب : طالب العتي ، وهى الرضا .

(٨) يريد أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق .

(٩) كذا فى نفع الطيب وسيرة ابن هشام . وفى الأصلين : « برىء » .

(١٠) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى نفع الطيب وط : « لأقول » . وفى ت : « لأقول » .

(١١) تريد سيدنا يعقوب عليه السلام .

جَبَلَ الذنوب ؛ إلى الله أشكو عَجْرِي وَبُجْرِي ^(١) ، وَسَقَطَاتِي وَغَلَطَاتِي . نَعَمْ ،
كلّ شيء ولا ما يقوله المتقوّل ، المشنّع المهوّل ، الناطق بفم الشيطان المُسوّل .
وَمِنْ أمثالهم : « سُبَّني وَاصْدُقْ » ، وَلَا تَقْتَرِ وَلَا تَخْلُقْ ؛ فَمَثَلِي كَانَ يَفْعَلُ أمثالها ،
وَيَحْمِلُ ^(٢) مِنْ الأوزار المضاعفة أحمالها ، وَيُهْلِكُ نفسه وَيُحْبِطُ أَعْمَالها ؛ عِيَاذًا
بِالله مِنْ خُسْرَانِ الدين ، وَإِثَارِ الجاحدين والمعتدين ، قَدْ ضَلَّاتِ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنْ
المهتدين . وَأَيْمُ الله لو علمتُ شعرةً فِي فَوْدي ^(٣) تَمِيلُ إِلَى تلكِ الجهة لَقَلَعْتُها ، بَلْ
لَقَطَفْتُ ^(٤) مَا تَحْتَ عِمَامَتِي مِنْ هَامَتِي وَقَطَعْتُها ؛ غَيْرَ أَنَّ الرَّاعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ ،
لِلْمَلِكِ أَعْدَاءُ وَعَلَيْهِ أَحْزَابُ وَأَعْوَانُ ، كَانَ أَحَقَّ وَأَجْهَلَ مِنْ ابْنِ ثَرْوَانِ ^(٥) ،
أَوْ أَعْقَلَ وَأَعْلَمَ مِنْ أَشَجِّ بْنِ مَرْوَانَ ^(٦) ؛ وَرُبَّ مُتَّهَمٍ بَرِيٍّ ، وَمُسْرَبَلٍ بِسْرِبَالٍ [٤٤]
وَهُوَ مِنْهُ عَرِيٌّ ^(٧) ؛ وَفِي الْأَحَادِيثِ صَحِيحٌ وَسَقِيمٌ ، وَمِنْ التَّرَاكيبِ المنطقية مُنْتَجَجٌ
وَعَقِيمٌ ، وَلَكِنْ نَمَّ مِيزَانُ عَقْلٍ ، تُعْتَبَرُ بِهِ أَوْزَانُ النُّقْلِ ؛ وَعَلَى الرَّاجِحِ الْإِعْتَادُ ^(٨) ،
ثُمَّ إِشَاعَةُ الْإِحَادِ ، الْمُتَّصِلُ الْمُتَمَادُ ؛ وَلِلْمَرْجُوحِ الْأَطْرَاحُ ، ثُمَّ الذَّمُّ الصُّرَاحُ ،
بَعْدَ النِّفْضِ ^(٩) مِنَ الرَّاحِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا تَسْمَعُهُ الْكَذِبُ ، وَطَبِيعُ جُمْهُورِ الْخَلْقِ إِلَّا مِنَ

(١) العجر والبجر (هنا) : العيوب والأحزان وما يبسدى المرء وما يغنى . والعجر

(في الأصل) : العروق المتعقدة الناثثة . والبجر : ما تعقد منها على البطن خاصة .

(٢) فِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ : « وَيَحْتَمِلُ » .

(٣) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : مِنْ « فَوَادِي » .

(٤) كَذَا فِي ط . وَالْقَطْفُ : الْقَطْعُ . وَفِي ت : « بَلْ لَقَعْتُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) كَذَا فِي أَخْبَارِ الْحَقِّ وَالْمُفْلِحِينَ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ ، وَالْمُضَافُ وَالْمُنْسُوبُ لِلثَّعَالِيِّ . وَهُوَ

هَبِيقَةُ الْقَيْسِيِّ يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ ، الْمَعْرُوفُ بِبَنَى الْوَدْعَاتِ ، وَهُوَ مِثْلُ فِي الْحَقِّ وَالْجَهْلِ .

وَفِي ط : « مِنْ أَبِي ثَرْوَانَ » . وَفِي ت : « مِنْ أَبِي ثَرْوَانَ » . وَكَلَامُهُ تَحْرِيفٌ .

(٦) أَشَجُّ بْنُ مَرْوَانَ : هُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، لِأَنَّهُ كَانَتْ بِهِ شَجَّةٌ .

(٧) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « وَمُسْرَبَلٌ بِسْرِبَالٍ عَارٍ وَهُوَ مِنْهُ عَرِيٌّ » .

(٨) كَذَا فِي ت وَنَفْحِ الطَّيْبِ . وَفِي ط : « وَعَلَى الرَّاجِحِ عَلَى الْإِعْتَادِ » .

(٩) فِي ت : « النَّفَاضُ » .

عصمه الله^(١) إليه منجذب ؛ ولقد قَذَفْنَا من الأباطيل بأحجار ، ورُمِينَا بما لا يُرَمَى^(٢) به الكُفَّار ، فضلا عن الفُجَّار ؛ وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمرو ، ما لكم منه حفظ الجُبَّار^(٣) ؛ وإذا عظم الإنكاء^(٤) ، فعلى نُسْكَاء التجلُّد الأتْكَاء ؛ أَكْثَرَ المكثرون ، وجهد^(٥) في تعشيرنا المتعثرون ؛ ورَمَوْنَا عن قوس واحدة ، ونظّمونا في سلك الملاحِده ؛ أَكْفَرًا أيضًا كُفْرًا ! غَفَرًا اللَّهُمَّ غَفْرًا ؛ أَعِذْ نظرًا يا عبدَ قيس ، فليس الأمر على ما خِيلَ^(٦) لك لَيْسَ ؛ وهل زِدْنَا على أَنْ طَلَبْنَا حَقَّنَا ، مِمَّنْ رام حَقِّقه ومَحَقَّنَا ؟ فطارَدْنَا في سبيله عُدَاة كانوا لنا غائظين ؛ فانفتق علينا فَتَقْ ، لم يمكنا له رَتَقْ ، وما كنا للغيب حافظين .

وبعد ، فاسأل أهل الحل والعقد ، والتميز والنقد ؛ فعند جُهَيْتِهِم تَلَقَى الخبر يقينا ، وقد رَضِينَا بِحُكْمِهِمْ يُؤْتِمِنَا فَيُؤَبِّقُنَا ، أَوْ يُبْرِئُنَا فَيَقِينَا . إِيَّاهُ يَأْمَنُ اشْرَابٌ إِلَى مَلَامِنَا ، وَقَدَحٌ حَتَّى فِي إِسْلَامِنَا ؛ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، فَقَدْ وَجَدْتَ قُوَّةً وَأَيْدًا ؛ وَيَحْكُ ، إِنَّمَا طَالَ لِسَانُكَ عَلَيْنَا ، وَامْتَدَّ بِالسُّوءِ إِلَيْنَا ؛ لِأَنَّ الزَّمَانَ لَنَا مُضْغِرٌ ، وَلَكَ مُكْبِرٌ ، وَالْأَمْرُ عَلَيْكَ مُقْبِلٌ ، وَعَنَّا^(٧) مُذْبِرٌ ، كَمَا قَالَ كَاتِبُ الْحِجَاكِ الْمَذْبُورِ^(٨) .

(١) في ط : « إلا من عظم الله » .

(٢) في ت : « بما لم يرم » .

(٣) كذا في ت . ورواية هذه العبارة في ط : « وجرى ... وعمرو ما يريكم منه حفظ الجار » . وفي نفح الطيب : « وجرى ... وعمرو ما لديكم منه حفظ الجار » ، وظاهر أنها محرفتان عما أثبتناه .

(٤) كذا في ت ونفح الطيب . والإنكاء : شدة النيل من العدو . وفي ط : « وإذا علم الإنكار » .

(٥) في ط : « وجهر » .

(٦) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « ما خيلت لك » .

(٧) في ت : « علينا » وهو تحريف .

(٨) كاتب الحجاج : هو يزيد بن أبي مسلم . يشير إلى رد يزيد على سليمان ابن =

وعلى الجملة ، فهبنا صِرْنَا إلى تسليم مقالك جدلاً ، وذهبنا فأقرزنا بالخطأ
في كل وزيد وصدر ، فله دُرُّ القائل :

إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأَ القَدَرُ^(١)

وكانَّا^(٢) بمتعسف^(٣) إذا وصل إلى هنا ، وعدم إنصافه يعلمه الهنا^(٤) ؛
قد ازور متجانفا^(٥) ، ثم افتر متهانفا^(٦) ، وجعل يمثل بقولهم :
« إذا عيروا قالوا مقاديرُ قُدِّرَتْ »

وبقولهم : « المرء يعجز لا محالة^(٧) » ؛ فيعارض الحق بالباطل ، والحالي
بالعاطل ، وينزع بقول القائل : « رَبِّ^(٨) مُسْمِع هائل ، وليس تحته من
طائل^(٩) » . وقد فرغنا أول أمس^(١٠) من جوابه ، وتركنا الضغن يُلصق حرارة

== عبد الملك حين دخل عليه فتقصه سليمان وسب الحجاج : « إنك رأيتني والأمر

عني مدبر ، ولو رأيتني والأمر على مقبل استعظمت من أمرى ما استصغرت » .

(انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١ طبعة الفتوح سنة ١٣٣٢ هـ) .

(١) هذا مجزيت لأبى الغتاهية ، وصدره :

هي المقادير فلعني أو فذر

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « وكان » .

(٣) في ت : « بمتعسف » .

(٤) يريد بالهنا : جمع هنة ، وهي اليب . والذي في كتب اللغة أنها تجمع على هنات
وهنات .

(٥) ازور متجانفا : مال متباغدا .

(٦) كذا في ط ونفح الطيب . وافتر متهانفا : أى فتح فاه ضاحكا مستهزئا . وفي ت :

« متهانفا » وهو تصحيف .

(٧) في ط : « لا المحالة » .

(٨) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين « ذى » . وهو تحريف .

(٩) كذا في ط . وفي ت : « وليس من تحته من طائل » . وفي نفح الطيب :

« وليس تحته طائل » .

(١٠) أول أمس : أى بكرته ومبتدأه . والمسموع من العرب عند إرادة اليوم السابق

لأمسك « أول من أمس » .

الْجَوَى بِهِ ؛ وَسَنُكِّمُ^(١) الْآنَ بِمَا يُوسِعُهُ نَسْكِيَتَا ، وَيَقْطَعُهُ تَبْكِيَتَا . فنقول له :
 ناشدناك الله تعالى ، هل اتفق لك قَطُّ وَعَرَضٌ ، خروج أمر ما على القصد منك
 فيه والفرَض ؛ مع اجتهادك أثناءه في إصدارك وإيرادك ، في وقوعه على وَفَقٍ
 اقتراحك ومُرَادك ؟ أو جميع ما تزاوله بإدارتك ، لا يقع إلا مطابقاً لإرادتك ؟
 أو كل ما تقصده وتنويه ، تُحَرِّزُهُ كما تشاء وتحويه ؟ فلا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ اضطراباً ،
 بأن مطلوبه يَشِدُّ عنه مَراراً ؛ بل كثيراً ما يُفْلِتُ صيدهُ من أَشْرَاكه ، ويطلبه
 فيعجز عن إدراكه ؛ فنقول : ومسألتنا من هذا القبيل : أيها النبيه النَّبِيل ؛ ثم
 نسرد له من الأحاديث النبوية ماشيناً ، مما يُسَايرُنَا في غرضنا منه ويماشيناً ،
 كقوله صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » .
 وقوله أيضاً : « لو اجتمع أهل السماوات وأهل الأرض على أن ينفعوك بشيء ،
 لم يَقْضِ اللهُ لك ، لم يَقْدِرُوا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يَقْضِ
 اللهُ عليك ، لم يَقْدِرُوا عليه^(٢) » ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فَأَخْلَقَ به أَنْ
 يَلُودَ بِأَكْنَافِ الإِحْجَامِ ، وَيَزُرَّمْ عَلَى تَفْتَةٍ فِيهِ كَأَنَّمَا أُجْلِمَ بِالْجَامِ ؛ حينئذ نقول
 له ، والحق قد أبان وجهه وجَلَّاه ، وقهره بحجته وعَلَّاه : ليس لك من الأمر شيء
 قل إن الأمر كله لله . وفي محاجة آدم موسى^(٣) : « يَقْطَعُ لِسَانَ الْخَصْمِ ، وَيَرْحُضُ^(٤) »
 عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من دَرَنِ الوَضَمِ ؛ وكيفما كانت الحال ،
 وإن أساء الرأى والانتحال ، ووقعنا في أوجال وأوْحال ؛ فثُلَّ عَرْشُنَا ، وطويت
 قُرُشُنَا ، ونُكِّسَ لَوَاؤُنَا ، ومُلِكْ مَثْوَانَا ، فنحن مِثْلُ مَنْ سِوَانَا ؛ وفي الشر خيار ،

(١) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ونسلم » ، وهو تحريف .

(٢) الذي في الأربعين النووية : « ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء »

لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك
 إلا بشيء قد كتبه الله عليك .

(٣) راجع صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى « فلا يخرجكما من الجنة فتشقى » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . ويرحض : يفضل . وفي ت : « يدحض » ، وهو تحريف .

ويد اللطائف تكسر من صولة الأغيار^(١) ؛ فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى
لُطفًا ، ولا عَدِمنا^(٢) أدوات أدعية تعطف بلا مُهلة على جُمْلتنا المقطوعة جَمَلِ
النعم الموصولة عَطفاً ؛ وإلا فتلك بغداد دار السلام ، ومَتَبَوُّوا الإسلام ، المحفوف
بُفرسان السيوف والأقلام ؛ مثابة الخلافة العباسية ، ومقر العلماء والفُضلاء أولى
السير الأويسيّة^(٣) ، والعقول الإياسية^(٤) ؛ وقد نُوزِلت بالجيش ونُزِلت ،
وزُوِلت بالزحوف^(٥) وزُلِزِلت ؛ وتَحَيَّفَ^(٦) جوانبها الحَيِّف ، ودخلها كغفار التتار
[عَنوة]^(٧) بالسيف ، ولا تسل إذ ذاك عن كيف ؛ أيام تجلّت عروس المنية ،
كاشفة عن ساقها مُبديّة ، وجرت الدماء في الشوارع والطرق [كالأنهار]^(٨) ،
والأوديه ، وقيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضة بالعمائم في رقابهم
والأرديه ؛ وللنجيع^(٩) سيول ، تخوضها الخيول ؛ فتخضها إلى أرساغها ، وتَهْمُ
ظاؤها بورديها ، فتَنَكُّل عن تجرُّعها ومَساغِها ؛ فطاح عاصمها ومستعصمها ،
وراح ولم يَفِد ظالمها ومتظلمها ؛ وخَرِبَت مساجدها وديارها ، واضطُلم^(١٠) بالحُسام
أشرارها وخيارها ؛ فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرِف ، حسبًا عرفت أو حسبًا
تعرف ؛ فلا تكن مُتَشَكِّكًا متوقفاً ، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند

[٤٦]

(١) يريد بالأغيار : تقلبات الدهر وأحداثه .

(٢) في ت : « ولعدمنا » وهو تحريف .

(٣) الأويسية : نسبة إلى أويس بن عاصم القرني ، وهو من سادات التابعين زهدا وعبادة ،

وقد قتل بصفين .

(٤) الإياسية : نسبة إلى إياس بن معاوية ، قاضي البصرة في عهد عمر بن العزيز ، وكان

معروفا بشدة زكاته ، وحسن قضائه ، وقوة جنانه ، وفصاحة لسانه .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « بالزحاف » .

(٦) تحيَّفه : تنقصه .

(٧) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٨) النجيع : الدم الأحمر .

(٩) اصطلم : استؤصل .

المؤرّخين من قفّا^(١)؛ فأين تلك الحجاغل، والآراء المُدَارّة في المحافل؛ حين أراد الله تعالى بإدالة الكفر، لم تُجَد ولا قَلَامَة ظُفّر؛ إذن فَمَنْ سَلِمَتْ له نفسه التي هي رأس ماله، ووعِيَاله وأُطْفَاله، اللذان هما من أعظم آماله؛ وكلُّ أوْجُلٍّ أوْ أَقْلٍّ رياشه، وأسباب معاشه، الكفيلة باتهاضه وانتعاشه؛ ثم وَجَدَ مع ذلك سبيلا إلى الخلاص، في حال مُيَاسِرة ومساهلة، دون تصعب واعتياص^(٢)، بعد ما ظن كل الظن أن لا حَيمِدَ ولا مناص؛ فما أحقه حينئذ وأولاه، أن يحمّد خالقه ورازقه ومولاه؛ على ما أسداه إليه من رفده وخيره، ومعافاته مما ابتُلِيَ به كثير من غيره؛ ويَرَضَى بكل إيراد وإصدار، تتصرف فيهما الأحكام الإلهية والأقْدَار، فالدهر غَدَار، والدنيا دار مشحونة بالأكدار؛ والقضاء لا يُرَدُّ، ولا يُصَدِّ؛ ولا يغالب، ولا يطالب؛ والدائرات تدور، ولا بد من نقص وكمال للبدور؛ والعبد مطيع لا مُطَاع، وليس يُطَاع إلا المُسْتَطَاع، وللخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب، للأذهان عن مداه انقطاع؛ ومال والتكاف لما لا أحتاج إليه من هذا القول، بين يدي ذى الجلالة والمجادة والفضل والطول؛ فله من العقل الأرجح، ومن الخلق الأسجح، ما لا تَلْتَأَطُ^(٣) معه تهمتي بصفره^(٤)، ولا تنفق عنده وشاية الواشي، لا عُدَّ من نفره، ولا فاز قدْحُه بظفره؛ والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب، وتجرّ براحتها إلى المتاعب؛ وقديما للأكياس من الناس خدعت، وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت،

(١) يشير إلى المثل المضروب: «أشهر من قفا نك». وهي مطولة امرئ القيس المضمومة.

(٢) اعتناص الأمر عليه: اشتد والتأت، فلم يهتد للصواب.

(٣) تلتأت: تلصق.

(٤) الصفر (بالتحريك): اللب والعقل.

وفعلت بهم ما فعلت ، يَسَار الكواكب التي جَبَّتْ وَجَدَعَتْ^(١) ، ولئن رَهَصَتْ وَهَصَرَتْ^(٢) ، فقد نَبَّهَتْ وَبَصَّرَتْ ، ولئن قَرَعَتْ وَمَعَصَتْ^(٣) ، لقد أَرَشَدَتْ وَوَعَّظَتْ ؛ ويا وَيْلُنَا مِنْ تَنَكَّرْهَا لَنَا بِمَرَّةٍ ، ورميها لنا في غَمْرَةٍ أَيْ غَمْرَةٍ ؛ أَيَّامٌ^(٤) قَلَبَتْ لَنَا ظَهَرَ الْمَجْنِّ ، وَغَيَّمَ أَفْقَهَا الْمُصْحَى وَأَدَجَنَ^(٥) ؛ فَسَرَّعَانَ مَا عَيْنًا حَبَالَهَا مُنَبَّهَةً ، ورأينا منها ما لم نحسب كما تقوم الساعة بفعته ؛ فَمَنْ استعاذ من شيء ، فليستعذ مما صِرْنَا^(٦) إليه ، من الحَوَرِ بعد الكَوَرِ^(٧) ، والانحطاط من النَّجْدِ إلى الغَوَرِ :

فبيننا نَسُوس النَّاسِ والأمرُ أمرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوْقَةٌ تَنْصَفُ^(٨)
قَافٌ لَدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ
وَأَيُّهَا لَقَدْ أَرَهَقْتَنَا إِرْهَاقًا ، وَجَرَعْتَنَا مِنْ صَابِ^(٩) الْأَوْصَابِ كَأَسَا دِهَاقًا^(١٠) ؛
ولم نفرز إلى غير بابكم المنيع الجناب ، المنفتح حين سُدَّتِ الأبواب ، ولم نلبس
غير لباس نَعْمَانِكُمْ حين خَلَعْنَا مَا أَلْبَسَنَا الْمُلْكُ مِنَ الْأَثْوَابِ ؛ وإلى أُمِّهِ يُلْجَأُ الْوَلَدُ
لَجَأَ اللَّهْفَانِ ، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الْأَجْفَانِ^(١١) ، ووجه الله تعالى

(١) الحب والجدع : القطع . يشير بهذه العبارة إلى حادثة عبد يدعى يسارا راود بنت مولاه

عن نفسها ، فجيت ماذا كبره (انظر كتاب المضاف والمنسوب للثعالبي) .

(٢) الرهص والمصر : العصر والأخذ الشديد .

(٣) معصت : أغضبت .

(٤) في ط : « وإن قلبت » .

(٥) أدجن : أظلم .

(٦) في ت : « سرنا » .

(٧) الحور : النقص . والكور : الزيادة .

(٨) تنصف : تطلب النصفة ، وهي الإنصاف .

(٩) كذا في ط ونقح الطيب . والصاب : عصارة شجر مر . وفي ت : « كاس » .

(١٠) دهاقا : مملوءة .

(١١) في ط : « تمتاز السيوف في الأجوان من الأجفان » . ويريد بالأجوان : جمع جون ، وهو الظلام .

يبقى ، وكلُّ من عليها فان ، وإلى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبى هذا ^(١) وكفان ؛ ولا ريب من اشتغال العلم الكريم ، على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم ؛ من الأخذ باليد عند رلة القدم ، وقرع الأسنان وعض البنان من الندم ؛ دينا به تدبنت حتى مع اختلاف الأديان ، وعادة اطردت فيهم على تعاقب الأزمان والأحيان .

ولقد عرّض علينا صاحب قشّالة مواضع معتبرة ، خير فيها وأعطى من أمانه ، المؤكّد فيه خطّه بأيمانه ؛ ما يقنع النفوس ويكفيها . فلم نر ، ونحن من سلالة الأحمر ، مجاورة الصّفْر ، ولا سَوَّغَ لنا الإيمان الإقامة بين ظهْرَانِي الكُفْر ؛ ما وجدنا على ذلك مندوحة ولو شاسعه ، وأمنا من المطالب المُشاغِب حُمة شرّ لنا لاسعه ؛ وأدّكرنا أى أدّكار ، قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الإنكار : « ألم تكن أرض الله واسعة » ؛ وقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام : « أنا برىء من مؤمن مع كافر لا تترامى ناراهما ^(٢) » ؛ وقول الشاعر الحاثّ على حثّ المطيه ، المتشاقلة عن السير فى طريق منجاتها البطيّة :

وَمَا أَنَا وَالتَّلْدَدَ نَحْوُ نَجْدٍ وَقَدْ غُصَّتْ تِهَامَةٌ بِالرَّجَالِ ^(٣)

(١) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « الله » .

(٢) نص هذا الحديث فى النهاية لابن الأثير ولسان العربى (مادة رأى) : « أنا برىء من كل مسلم مع مشرك ؛ قيل : لم يارسول الله ؟ قال : لا تترامى نارهما . أى لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد المشركين ، فيكون معهم بقدر ما يرى كل واحد منهم نار صاحبه .

(٣) التلد : التلفت . وفى الأصلين ونفح الطيب : « التلدذ » . وهو تصحيف .

ووصلت [أيضاً^(١)] إلينا ، من الشرق^(٢) كتب كريمة المقاصد لدينا ؛
تستدعى الانحياز إلى تلك الجنّات^(٣) ، وتتضمن ما لا مزيد عليه من
الرغبات ؛ فلم نَحْتَرِ إلا دارنا ، التي كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرتض
الانضواء إلا لمن بحبله وُصِّلَ حبلنا ، وبريش نبله ريش نبلنا ؛ إدلالا على تحلّ
إخاء متولّث لا عن كلاله ، وامتنالا لوَصَاةِ أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالة
وجلاله ؛ إذ قد رَوَيْنَا عن سلف من أسلافنا ، في الإيضاء لمن يخلف بعدهم
من أخلافنا ؛ ألا يَبْتَغُوا إذا دَهَمَ داهم بالحضرة المرينية بدّلا ، ولا يجدوا
عن طريقها في التوجّه إلى فريقها مَعْدِلًا . فاخترقنا إلى الرياض الأريضة
الفجاج ، وركبنا إلى البحر الفُرات ظهر البحر الأجاج ؛ فلا غَرَو أن نرد منه
على ما يُقَرَّر العين ، ويشفى النفس الشاكية من ألم البين ؛ ومن تَوَصَّلَ هذا
التوصّل ، وتوسّل بمثل ذلك التوسّل ؛ تطارّحا على سُدّة أمير المؤمنين ، المحارب
المحاريب ، والمؤمّن للمستأمنين ؛ فهو الخليق الحقيقي ، بأن يُسَوِّغَ أصفى
مشاربه ، ويُبلِّغَ أوفى مآربه ؛ على توالى الأيام والشهور والسنين ، ويخلّص
من الثُّبور إلى الحُبور ، ويخرج من الظلمات إلى النور خروج الجنين ؛ ولعلّ
شعاع سعادته يفيض علينا ، ونفحة قبول إقباله تسرى إلينا ؛ فتخامرنا أريحية
تحمّلنا على أن نبادر ، لأنشاد قول الشريف الرضى في الخليفة القادر :

عَظَمًا أمير المؤمنين فإنّنا في دَوْحة العلياء لا نَتَفَرِّقُ
ما بيننا يوم الفَخار تفاوتٌ أبداً كلانا في المعالي مُعْرِقُ

(١) زيادة عن ت ونفع الطب .

(٢) في ط : « الشرق » .

(٣) في ط : « الجهات » .

إلا الخلافة مَيَزَتْكَ فَإِنِّي أنا عاقل منها وأنت مَطْوَّق
لا ، بل الأخرى بنا والأحجى ، والأنجح لسعيننا والأرجى ؛ أن نعدِل [٤٩]
عن هذا المنهاج ، ويقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف
المحتاج ، وينشد ما قال في الشيرازي ابن حجاج^(١) :

الناس يَفْدُونكَ اضْطِرَّارًا منهم وأفديك باختيارِ
وبَعْضُهُمْ في جوارِ بعض وأنت حتى أموتَ جَارِ
فِعْشُ لُخْبَزِي وعش لِمَائِي وعش لداري وأهلِ دَارِي

ونستوهب من المَنِّان الوَهَّابِ تعالى وجلت أسماؤه ، وتعاضمت نَمَاؤُهُ ؛ رحمة تجعل
في يد الهداية أُعِنَّتَنَا ، وعِصْمَةٌ تكون في مواقف الخَافِ جُنَّتَنَا ؛ وقبولا يُعْطِفُ
علينا تَوَافِرُ القلوب ، وصُنْعًا يُسَيِّئُ لنا كل مرغوب ومطلوب ؛ ونسأله ، وطالما
بَلَغَ السائل سُؤْلًا ومأْمُولًا ، مَتَابًا صادقًا على موضوع النَّدَمِ محمولًا ، ثم عَزَاءَ حسننا
وصبرنا جميلًا ، عن أرض أورثها من شاء من عباده مُعَقِّبًا لهم ومُدِيلًا ، وسادِلًا
عليهم من سُتُورِ الإِمْلاءِ^(٢) الطويلة سُدُولًا ، « سُنَّةَ اللَّهِ التي قد خَلَّتْ من قَبْلُ
ولنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » . فليطِرْ طائرُ الوَسْوَاسِ المَرْفُوفِ مَطِيرًا ،
كان ذلك في الكتاب مسطورًا ، ولم نستطع عن مورده صُدُورًا ، وكانَ أَمْرُ اللَّهِ
قَدَرًا مَقْدُورًا .

(١) ابن حجاج : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الكاتب الشاعر . وهذه الأبيات
من أبيات خمسة قالها في أبي الفضل الشيرازي . (انظر يتيمة الدهر للشعالبي ، ووفيات
الأعيان لابن خلكان) .

(٢) الإِمْلاء : الإمهال .

ألا ، وإن لله سبحانه في مقامكم العلى الذى أيده وأعانه ، سِرًّا من النصر ، يترجم عنه لسان من النّصل ، وترجع فروع البشائر الصادقة ، بالفتوحات المتلاحقة ، من قاعدته المتأصلة إلى أصل ؛ فبمثله يجب اللياذ والعياذ ؛ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولأمر ما آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا الله تعالى واستخرناه ؛ ومنه جلّ جلاله نرغب أن يَخِيرَ لنا ولجميع المسلمين ، ويُوَوِّينَا^(١) من حمايته ووقايته إلى مَعْقِلٍ مَنيع ، وجناب^(٢) [رفيع]^(٣) ، آمين ، آمين ، آمين .

[٥٠] نرجو أن يكون ربُّنا ، الذى هو فى جميع الأمور حَسْبُنَا ؛ قد خَارَ لنا حيثُ أَرشدنا وهدّانا ، وساقنا توفيقه وحدّانا ؛ إلى الاستجارة بملكٍ حَفِيٍّ ، كريمٍ وَفِيٍّ ؛ أعزّ جاراً من أبى دُود^(٤) ، وأحمى أنفًا من الحارث بن عباد^(٥) ، يشهد بذلك الدانى والقاصى والحاضر والباد ؛ إن أغاث مَلهُوفاً فما الأسود ابن قنّان^(٦) يذكر ، وإن أنعش حُشاشة هالك فما كعب بن مامة على فِعله وحده^(٧) يُشكر ؛

(١) فى ط : « ويوردنا » . وفى نفح الطيب : « ويثوب بنا » .

(٢) هذه الكلمة « وجناب » : ساقطة فى ت .

(٣) زيادة عن نفح الطيب .

(٤) أبو دود : هو جارية بن الحجاج ، وقيل حنظلة بن الشرقى الإيادى . كان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فاجاره وأحسن إليه ، فضرب المثل بحسن هذا الجوار . وقيل غير ذلك . (انظر تفصيل ذلك فى الشعر والشعراء لابن قتيبة عند الكلام على ترجمة أبى دود) .

(٥) يشير إلى حمية الحارث بن عباد البكرى فى الحرب بين بكر وتغلب حين بلغه قتل مهلهل بجيرا ابنه وقوله له : يؤ بشمع نعل كليب ، فنادى بالرحيل وقال قصيدته المعروفة :

« قربا مربوط النعامه مئى لفتح حرب وائل عن حياى »

(٦) لم نجد شيئاً عن الأسود بن قنّان هذا فى المظان التى رجعنا إليها .

(٧) يشير إلى ما أثر عن كعب بن مامة الإيادى من أنه أثر بنصيبه من الماء رفيقه الثمرى ، فأت عطشا ، وضرب به المثل فى الإيثار . (انظر الشعر والشعراء ص ١٢٠ طبعة أوربة ، والمضاف والمنسوب للتمالي) .

جَلِيسَه كَجَلِيسِ الْقَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ^(١) ، وَمُذَاكَرَه كَمُذَاكَرِ سَفْيَانَ^(٢) الْمُنْتَسَبِ مِنَ الرَّبَابِ^(٣) إِلَى تَوْرٍ ؛ إِلَى التَّحَلِّي بِأَمَّهَاتِ الْفَضَائِلِ ، الَّتِي أَضْدَادُهَا أَمَّهَاتُ الرِّذَائِلِ ؛ وَهِيَ الثَّلَاثُ : الْحِكْمَةُ ، وَالْعَدْلُ ، وَالْعِفَّةُ ، الَّتِي تَشْمَلُهَا الثَّلَاثُ : الْأَقْوَالُ ، وَالْأَفْعَالُ ، وَالشَّمَائِلُ ؛ وَيَذْأُ مِنْهَا مَا شَتَّ^(٤) مِنْ عَزْمٍ وَحَزْمٍ ، وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ ، وَتَبْقِظُ وَتَحْفَظُ ، وَاتَّقَاءُ وَارْتِقَاءُ ، وَصَوْلُ وَطَوْلُ ، وَسَمَاحٌ وَنَائِلُ ؛ فَبِنُورِ حِلَاهِ الْمُشْرِقِ ، يَفْتَخِرُ الْمَغْرِبُ عَلَى الْمَشْرِقِ ؛ وَبِمَحْتَدِهِ^(٥) السَّامِيُّ خَطَرَهُ فِي الْأَخْطَارِ ، وَبَيْتُهُ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الذَّهَاهِ وَالنَّجَابَةِ قَدْ طَارَ ، يُبَاهِي جَمِيعَ مُلُوكِ الْجَاهَاتِ وَالْأَقْطَارِ ، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الرَّفِيعُ الْمُتَمَتِّعُ وَالنَّجَّارُ ، الرَّاضِعُ مِنَ الطَّهَّارَةِ صَمُوَ أَلْبَانَ^(٦) ، النَّاشِئُ مِنَ السَّرَاوَةِ وَسَطِ أَحْجَارٍ ؛ فِي ضِئْضِئِ^(٧) الْجَدِّ ، وَجُبُوحِ الْكَرَّمِ ، وَسَرَاوَةِ أَمْرَةِ الْمَمْلُوكَةِ الَّتِي أَكْنَفَهَا حَرَمٌ ، وَذُوَابَةُ الشَّرَفِ الَّتِي تُجَاذِبُهَا لَمْ تُرَمَ ؛ مِنْ مَعْشَرِ أَيْ مَعْشَرٍ ، بَخِلُوا إِنْ وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْيَانِهِمْ ، وَجَبُّنُوا إِنْ لَمْ يَحْمُوا سِوَى ذِمَارِهِمْ ، بَنُو^(٨) مَرَيْنَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا بَنُو مَرَيْنَ :

(١) القَعْقَاعُ بْنُ شَوْرٍ : تَابِيُّ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي حَسَنِ الْمَجَاوِرَةِ ؛ كَانَ إِذَا جَالَسَهُ وَاحِدًا بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ جَعَلَ لَهُ نَصِيبًا مِنْ مَالِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى عُدُوهِ ، وَشَفَعَ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ .
(انظر المضاف والمنسوب ، وشرح القاموس مادة قَعْقَع) .

(٢) هُوَ سَفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ مَسْرُوقِ الثَّوْرِيِّ ، تَابِيُّ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ الْحَدِيثِ .

(٣) الرَّبَابُ (بِالرَّاءِ الْمَشْدُودَةِ الْمَكْسُورَةِ) : الْجَمَاعَاتُ ، وَتَطْلُقُ عَلَى قِبَائِلِ عَوْفٍ وَثَوْرٍ وَأَشْيَبٍ وَضَبَةٍ وَعَمَمٍ ، سَمَّوْا بِذَلِكَ لِتَفَرُّقِهِمْ .

(٤) كَذَا فِي تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ وَالِاسْتِقْصَا لِلْسَّلَاوِيِّ . وَفِي ط : « نَاشِئَةٌ » .

(٥) فِي تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ : « وَبِمَحْدِهِ » .

(٦) فِي ت : « أَلْبَانَ » .

(٧) الضِّئْضِئُ : الْأَصْلُ .

(٨) فِي ط : « بَنُو » .

سَمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُرُزِ^(١)

الْقَازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

لَهُمْ مِنَ الْهَقَوَاتِ انْتِفَاءً ، وَعِنْدَهُمْ مِنَ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ اكْتِفَاءً ؛ انْتَسَبُوا إِلَى
بَرِّ بْنِ قَيْسٍ^(٢) ، فَخَرَجُوا فِي الْبَرِّ عَنِ الْقَيْسِ^(٣) ؛ مَا لَهُمُ الْقَدِيمُ الْمَعْرُوفُ ، قَدْ نَقَدَ
فِي سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ ، وَحَدِيثُهُمُ الَّذِي نَقَلْتَهُ رِجَالُ الزُّحُوفِ^(٤) ، مِنْ طُرُقِ الْقَنَا
وَالسِّيُوفِ ، عَلَى الْحَسَنِ مِنَ الْمَقَاصِدِ مَوْقُوفٍ^(٥) ؛ تَحَمَّدَ مِنْ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ ،
ذَابِلَهُمْ وَلَدَنَّهُمْ ، فَلَهُ آبَاءُ أَنْجِبُوهُمْ ، وَأُمَمَاتٌ وَلَدَنَّهُمْ :

سُمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ^(٦)

إِلَيْهِمْ فِي الشَّدَائِدِ الْإِسْتِنَادُ ، وَعَلَيْهِمْ فِي الْأَزْمَاتِ الْمُعَوَّلُ ، وَلَهُمْ فِي الْوَفَاءِ
وَالصَّفَاءِ وَالِاحْتِفَاءِ ، وَالْعَنَاءِ^(٧) وَالْحَمَايَةِ وَالرَّعَايَةِ ، الْخَطُّ الْوَاسِعُ ، وَالْبَاعُ الْأَطْوَلُ ،
كَأَنَّمَا عَنَاهُمْ بِقَوْلِهِ جَرُولُ^(٨) :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَى وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

(١) هذا عجز بيت ، وصدره : « لا يبعدن قومي الدين هم » . وهذا البيت والذي يليه من

قصيدة لخرنق بنت هفان ترقى زوجها وابنها علقمة وأخويه . (راجع الأملالي ج ٢
ص ١٥٨ طبعة دار الكتب) .

(٢) هو بر بن قيس عيلان ، وإليه ينتسب البربر . (انظر شرح القاموس مادة بر) .

(٣) القيس : القياس والتقدير .

(٤) الزحوف : جمع زحف ، وهم الجماعة يزحفون إلى العدو بمرة .

(٥) في ط : « موصوف » .

(٦) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها الفاسانة ، وصدره :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم

(٧) هذه الكلمة : « العناية » ساقطة في ت .

(٨) جرول : اسم الخطيئة الشاعر المخضرم المعروف .

وإن كانت النعاه فيهم جزوا بها^(١) وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وتعدّلني أبناء^(٢) سعد عليهم^(٣) وما قلت إلا بالتي علمت سعد
وبقوله الوثيق مبناه ، البليغ معناه :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العِناجَ وشدوا فوقه الكربا^(٤)
يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم ، وليس له منهم عائب ولا واصم ، فهم^(٥)
أحق بما قاله في منقري قيس بن عاصم^(٦) :

لا يَفْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحِفْظِ جَوَارِهِ فُطُنُ^(٧)
حَلَام هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل ، أمير المؤمنين ، دام
نصره ، قَسَمُهُمْ فِيهَا حَدَوُ^(٨) النغل بالنغل ، ثم هو عليهم وعلى من سواهم
بالأوصاف الملوكية مُسْتَعْمَل ؛ اِرْقَضَ مِنْهُمْ مِنْهُ عن غيث مُلِثَ يَحْوِ أُنَارِ
الزَّيْبِ^(٩) ، وانشق غِيْلُهُمْ مِنْهُ عن ليث ضار مُنْقَبِض على بَرَائِنِهِ لِلْوَيْبِ^(١٠) ، قُل

(١) رواية هذا الشطر في مختارات ابن الشجري : « وإن كانت النعاه فيهم جزوا بها » .

(٢) في مختارات ابن الشجري : « أفناء » . والأفناء : الأخلاط .

(٣) يروى : « وقد لامي أفناء سعد عليهم » .

(٤) العناج : عروة في أسفل القرب من باطن ، تشد بوئاق إلى أعلى الكرب ، وهو
الحبل الذي تعلق فيه الدلو من عرقوتها ، فإذا انقطع الكرب أمسك العناج الدلو
أن تقع في البئر . يريد أنهم إذا عقدوا عقداً لجارهم أحكموه .

(٥) كذا في ط . وفي ت ونفع الطيب والاستقصا للسلاوي : « فهو » .

(٦) بنو منقر : من تميم ، منهم قيس بن عاصم هذا .

(٧) هذا البيت من أبيات لعيس مظلها :

إني امرؤ لا يعترى حسي دنس يفنّده ولا أفن

(٨) كذا في ت ونفع الطيب : وفي ط : « حدوك » .

(٩) الزبة : الضيق والشدة .

(١٠) يشير إلى قول النابغة :

وقلت يا قوم إن الليث منقبض على برائته للوَيْبِ الضاري

لِسَكَّانِ الْفَلَاحِ : لَا تَغُرَّنَّكُمْ أَعْدَادُكُمْ وَأُمْدَادُكُمْ ، فَلَا يُبَالِي السَّرَّحَانُ الْمَوَاشِي ،
سِوَاءَ مَشَى إِلَيْهَا النَّقَرَى أَوْ الْجَفَلَى ^(١) ؛ بَلْ يَصْدِمُهُمْ صَدْمَةٌ تَحْطِمُ مِنْهُمْ كُلَّ
عَرْنَيْنٍ ، ثُمَّ يَبْتَلَعُ بَعْدُ أَشْلَاءَهُمُ الْمُعَفَّرَةُ ابْتِلَاعَ التَّنِينِ ^(٢) ؛ فَهُوَ هُوَ كَمَا عَرَفُوهُ ،
وَعَهْدُهُ وَأَلْفُوهُ ؛ أَخُو ^(٣) الْمَنَايَا ، وَابْنُ جَلَا ^(٤) وَطَلَاعُ الثَّنَايَا ^(٥) ، مُجْتَمِعٌ أَشَدَّهُ ،
قَدْ احْتَنَكَتْ سِنَّتُهُ ^(٦) وَبَانَ رُشْدُهُ ؛ جَادٌ مَجْدٌ ؛ مُحْتَزَمٌ بِحَزَامٍ مِنَ الْحَزَمِ ، مُشَمَّرٌ
عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلِيبِ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ ^(٧)
أَسَدِيُّ الْقَلْبِ آدَمِيُّ الرُّوَاءِ ، لَا بَسَ جِلْدَ النَّمْرِ لَذَوَى الْعِنَادِ وَالنَّوَاءِ ^(٨) :

وَلَيْسَ بِشَاوَى عَلَيْهِ دِمَامَةٌ إِذَا مَا سَعَى يَسْعَى بِقَوْسٍ وَأَسْنَهُمْ ^(٩)
وَلَكِنَّهُ يَسْعَى عَلَيْهِ مُفَاضَةٌ ^(١٠) دِلَاصٌ كَأَعْيَانِ الْجَرَادِ الْمَنْظَمِ ^(١١)

(١) مَشَى إِلَيْهَا النَّقَرَى أَوْ الْجَفَلَى ، أَيْ دَهَمَهَا وَحَدَّه أَوْ مَعَ غَيْرِهِ .

(٢) التَّنِينُ (بِكسْرِ أَوَّلِهِ) : الْحَيَّةُ الْعَظِيمَةُ .

(٣) فِي ط : « وَأَخُو » .

(٤) يُقَالُ : هُوَ ابْنُ جَلَا : لِلسَّيِّدِ الْفَرِيفِ الَّذِي لَا يَخْفَى مَكَانَهُ .

(٥) الثَّنَايَا : جَمْعُ ثَنِيَّةٍ ، وَهِيَ الْعَقَبَةُ ؛ وَطَلَاعُ الثَّنَايَا : مَنْ يَسْمُو لِمَعَالَى الْأُمُورِ .

(٦) احْتَنَكَتْ سِنَّتُهُ : قَوِيَتْ تَجَارِبُهُ .

(٧) الْقَلِيبُ : الْبُئْرُ . وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لِأَبِي سَعِيدِ الْخَزَوِيِّ . (انظر الأملال ج ١)

ص ٢٥٩ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٨) النَّوَاءُ : الْمَنَاوَةُ ، وَهِيَ الْمَعَادَاةُ .

(٩) شَاوَى : صَاحِبُ شَاءٍ ، وَهِيَ الْفَنَمُ . وَرَوَايَةُ هَذَا الْبَيْتِ فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ (شَوْه) :

وَلَسْتُ بِشَاوَى عَلَيْهِ دِمَامَةٌ إِذَا مَا غَدَا يَغْدُو بِقَوْسٍ وَأَسْنَهُمْ

وَهُوَ وَالَّذِي بَعْدَهُ لِيَزِيدِ بْنِ عَبْدِ الدَّانِ .

(١٠) رَوَايَةُ هَذَا الشُّطْرِ فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ (عَيْن) : « وَلَكِنِّي أَغْدُو عَلَى مُفَاضَةٍ » .

(١١) الْمَفَاضَةُ : الدَّرْعُ . وَالْدِلَاصُ : اللَّيْنَةُ الْبَرَاةُ الْمَلَاءُ .

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين ، والوحاء الوحاء^(١) لاحقين به خاضعين ؛
 قبل أن تساقوا إليه مُقَرَّنِينَ في الأصْفَادِ ، ويعيا الفداء بنفائس النفوس والأموال
 على الفاد^(٢) ؛ حينئذ يَعْصُ ذُو الْجَهْلِ والقَدَامَه^(٣) ، على يديه حسرة وندامة ؛ إذا
 رأى أبطال الجنود ، تحت خوافق الرايات والبُنود ، قد لَفَحَتْهُمْ نار ليست بذات
 سُخُود ، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم : عادٍ وثمود ؛ زَعَقَات
 سَبْطَانَات^(٤) تَوْزَم^(٥) الكتائب أَرْزَا ، وَهَمَزًا محققا للخيال بعد المدّ المشبع للأعنة
 هَمَزًا ، وَسَلًّا للهندية سَلًّا وهزًّا للخطية هَزًّا ، حتى يقول النَّسْرُ للذئب : هل
 تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا^(٦) . رثق خليفة الله بذاك ، في كل
 من رام أذى رعيته أو أذاك^(٧) ، فتلك عادة الله سبحانه وتعالى في ذوى الشقاق
 والنِّفَاق ، الذين يَشْقَوْنَ عصا المسلمين ، ويقطعون طريق الوفاق^(٨) ؛ وَيَنْصِبُونَ
 حَبَائِلَ البَغْيِ والفساد في جميع النَّوَاحِي والآفاق ؛ فَلَنْ يَجْعَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ من
 الْآمِنِينَ ، أُنَّى وكيف وقد أفسدوا وخانوا ؟ وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ،
 ولا يهدى كيد الخائنين .

وها نحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم وُجُوه صلواتِ التقديس والتعظيم ،
 بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدُرِّ ثناء أبهى من دُرِّ العِقدِ النظيم ؛ منتظمين

(١) كذا في الأصلين . والوحاء : السرعة . وفي نفع الطيب : « والوجل الوجل » .

(٢) الفاد : انفادى ، وهو من يفديهم بالمال .

(٣) القدامة : المي عن الحجة مع ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٤) سبطانات : جمع سبطانة ، وهي آلة يرمى بها في الحرب ، (مولدة) .

(٥) تَوْزَم : تحركهم بشدة .

(٦) رِكْزًا : صوتا خفيا .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « وأذاك » .

(٨) في ت ونفع الطيب : « الرفاق » .

فِي سِلْكِ أَوْلِيَائِكُمْ ^(١) ، متشرفين بِخِدْمَةِ عَلِيَّائِكُمْ ؛ وَلَا فَقَدَ عِزَّهُ وَلَا عَدَمَهَا ،
مَنْ قَصَدَ مَثَابَتَكُمْ الْعَزِيزَةَ وَخَدَمَهَا ؛ وَإِنْ الْمَتْرَامَى عَلَى سَنَائِكُمْ ، لَجْدِيرٌ بِحَرَمَتِكُمْ
واعتنائِكُمْ ؛ وَكُلٌّ مَلْهُوفٌ تَبَوُّاً مِنْ كَنَفِكُمْ حِصْنًا حَصِينًا ، عَاشَ بِقِيَةِ عَمْرِهِ مَحْرُوسًا
مِنَ الضِّيمِ مَصُونًا ؛ وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ : مِنْ قَعَدَتْ بِهِ نِكَايَةُ الْأَيَّامِ ،
أَقَامَتْهُ إِغَاثَةُ الْكِرَامِ ؛ وَمَوْلَانَا أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلِيَّ مَا يَرْفُقُهُ إِلَيْنَا مِنْ مَكْرُمَةٍ بَكْرٍ ،
وَيَصْنَعُهُ لَنَا مِنْ صَنِيعٍ حَافِلٍ يَخْلُدُ فِي صَحَائِفِ ^(٢) حَسَنِ الذِّكْرِ ، وَيَرْوِي مُعْنَعِنَ
حَدِيثِ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ طَرَسُ عَنْ قَلَمٍ عَنْ بَنَانٍ عَنْ لِسَانٍ عَنْ فِكْرٍ ؛ وَغَيْرِهِ
مَنْ يَنَامُ عَنْ ذَلِكَ فَيُوقِظُ ، وَيَسْتَرْسِلُ مَعَ الْغَفْلَةِ حَتَّى يَذْكَرَ وَيُوعِظُ ؛ وَمَا عَهْدُ مُنْذُ
وَجَدَ إِلَّا سَرِيعًا إِلَى دَاعِيِ النَّدَى وَالتَّكْرُمِ ، بَرِيئًا مِنَ الضَّجَرِ بِالْمُطَالَبَةِ وَالتَّبَرُّمِ ؛
حَافِظًا لِلْجَارِ الَّذِي أَوْصَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِهِ ، مُسْتَفِرًّا وَسِعَهُ فِي
رَعْيِهِ الْمُسْتَمَرَّ وَلَحْظُهُ ، آخِذًا مِنْ حَسَنِ الثَّنَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَالْآنَاءِ بِحِفْظِهِ :

[٥٣]

فَهُوَ مِنْ دَوْحَةِ السَّنَا فَرَعُ عِزٍّ لَيْسَ يَحْتَاجُ مُجْتَئِيهِ لَهْزٍ
كَفُّهُ فِي الْإِحْمَالِ أَغْزَرَ وَبَلَّ وَذَرَاهُ فِي الْخُوفِ أَمْنَعُ حِرْزِ ^(٣)
حَلِيمِهِ يُسْفِرُ اسْمَهُ لَكَ عَنْهُ فَتَفْهَمُ يَا مَدْعَى الْفَهْمِ لُغْزِي ^(٤)
لَا تَسْلُهُ شَيْئًا وَلَا تَسْتَنْلُهُ نَظْرَةً مِنْهُ فَيْكَ تُغْنِي وَتُجْزِي
فَنْدَاهُ هُوَ الْفُرَاتُ الَّذِي قَدْ عَامَ فِيهِ الْأَنَامُ عَوَمَ الْإِوْزِ
وَحِمَاهُ هُوَ الْمَنِيْعُ الَّذِي تَرَى جَمْعَ عَنْهُ الْخُطُوبَ مَرْجِعَ عَجْزِ

(١) فِي ط : « وَمُنْتَظِمِينَ فِي سِلْكِ أَوْلَائِكُمْ » .

(٢) فِي ت : « الصَّحَائِفُ » .

(٣) ذَرَاهُ : كَنَفُهُ .

(٤) لَعَلَّهُ يَرِيدُ أَنَّ الْحِلْمَ يَلْحَظُ فِي اسْمِهِ (الشَّيْخِ) ، لِأَنَّهُ مَعَ الشَّيْخُوخَةِ الرِّزَاةُ وَالْهُدُوءُ .

فَدَعُوا ذَهَنَهُ يَزَالُ قَوْلِي فهو أدرى بما تضمن رمزي
دام يُخَيِّ بِكُلِّ صُنْعٍ وَمَنْ ويعافى من كل بؤس ورجز

وكأننا به قد عمل على شاكلة جلاله ، من مدّ ظلاله ، وتمهيد خلاله ، وتلقّى ورودنا
بحسن تهلّله واستهلّله ، وتأنيسنا بجميل قبوله وإقباله ، وإيرادنا على حوض
كوثره المتّرع بزلاله . والله [سبحانه] ^(١) يُشْعِدُ مَقَامَهُ الْعَلِيِّ ، وَيُسَعِدُنَا بِهِ فِي
حَلِّهِ وَارْتِحَالِهِ ، وَمَالِهِ وَحَالِهِ ؛ وَيُوَيِّدُ جَنْدَهُ الْمَظْفَرِ ، وَيُوَيِّدُنَا بِتَأْيِيدِهِ عَلَى نَزَالِ
عَدُوِّهِ وَاسْتِنْزَالِهِ ، وَهَزْزِ الدَّوَابِلِ ^(٢) لِإِطْفَاءِ ذُبَالِهِ ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُسْتَوَلُ
أَنْ يُرِيَهُ قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخُدَّامِهِ وَأَمْوَالِهِ ، وَأَنْظَارِهِ ^(٣) وَأَعْمَالِهِ ، وَكَافَةِ
شُؤْنِهِ وَأَحْوَالِهِ . وَأَحَقُّ مَا نَصَلَ بِالسَّلَامِ وَأَوَّلَى ، عَلَى الْمَقَامِ الْجَلِيلِ مَقَامِ الْخَلِيفَةِ
الْمَوْلَى : أَزَكَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى خَاتَمَةِ ^(٤) أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَرْسَالِهِ ^(٥) ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَآلِهِ ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ أَبَدًا ،
مُوصُولِينَ بِدَوَامِ الْأَبَدِ وَاتِّصَالِهِ ، ضَامِنِينَ لِمُجَدِّدِهَا وَمُرَدِّدِهَا صَلَاحَ فَاسِدِ أَعْمَالِهِ ،
وَبُلُوغَ غَايَةِ آمَالِهِ ، وَذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِذْنِهِ وَفَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ .

اتمى الكتاب ؛ وأوردته بطوله لما فيه من ذكرى واعتبار ، بما فعلته الدنيا
مع الملوك الأعظم الكبار ، ولأن الكلام جر إليه ، والله تعالى الكفيل بخلاص
من توكل عليه .

(١) زيادة عن نفح الطيب .

(٢) الدوابل : الرماح ، جمع ذابل .

(٣) كذا في ط ونفح الطيب . والأنظار : جمع نظر ، وهو مصدر ، يراد به ما ينظر
النظر عليه من الأعمال . وفي ت : « أنظاره » .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « خاتم » .

(٥) يريد رسله ، والأرسال : غير مسموع في هذا المعنى .

أبو عبد الله
العربي وشي.
من نظمه

وصاحب هذا الإنشاء وصفه الإمام ابن داود بقوله : « الفقيه الخطيب
الفاضل ، خاتمة الأدباء بالأندلس ^(١) » ، أبو عبد الله محمد بن الفقيه الصالح أبي محمد
عبد الله العقيلي المعروف بالعربي .

ومن بديع نظمه هذه الأبيات ^(٢) :

جُرْ بالبساتين والرياض فما أبهج مرثيها ^(٣) وأجلاله ^(٤)
واعجب بها للنبات ولتلك في أسفله ناظرا وأعلاه
وقدس الله عند ذاك وقل سبحانه لا إله إلا هو

ورأيت بخط ابن داود المذكور أنه وقع بينه ، أعني ابن داود ، وبين الفقيه
المدرس أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل بن إبراهيم البسطي ، نزاع في مسألة نحوية ،
قال : وطال فيها الكلام ^(٥) بما تقيّد عني في غير هذا ، فقال الفقيه الخطيب
الأديب العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي يُورّى بالقضية ، ويشير إلى
قصة نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام :

ندد البسطي في مسألة لابن داود وقد أحكمها
وقديما وقعت مُفضلة وابن داود الذي فهمها ^(٦)

[٥٥] انتهى .

ومن نظم الشيخ الفقيه ، الأستاذ المقرئ الخطيب ، الفذّ الأوحد ، سيدي

قصيدة الدقون
في نذب الجزيرة

(١) في ت : « أدباء الأندلس » .

(٢) في ت : « ومن بديع نظمه قوله » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « مرآها » .

(٤) في نفع الطيب : « وأجلاله » .

(٥) في ت : « القيام » .

(٦) يشير إلى قوله تعالى في قصة الغم والحرب : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا

حكما وعلمنا » .

أبي العباس أحمد الدقون^(١) رحمه الله ، قصيدة في نَدْب^(٢) الجزيرة ، تذكر النفوس
بشجوها ، فترسل العيون دموعها الغزيرة ، افتتحتها بنثر نصه :

الحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله خير آل .
أما بعد فيقول خديم^(٣) أهل الله تعالى ، عبید الله أحمد بن محمد الأندلسي ، الشهير
بالدقون ، لطف الله به بمنه وكرمه :

إنه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء ، بأخذ الحمراء ؛ قرَعْتُ باب النُدْبِه ، لما
تقدم من الصحبه ؛ فقلت أبيتاً صَدَرْتُ من قلب كئيب ، مُبَكِّية كل^(٤) لبيب
أريب ؛ وسميتها بالموعظة الغراء ، بأخذ الحمراء ، مبيحاً لمن رغب فيها ، ولم يرغب
عنها ، أو استحسن شيئاً منها ، أن يحدث بها عني ؛ وذلك بعد إتيان لفظها
وحفظها ، وفهم وعظها ولحظها ؛ وإن كنت لا أحسن أن أقول ، وربما أغزى بها
إلى الفضول ؛ لكنني لا أعْدِمُ المثليل ، وفي مثل هذا قيل :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلَّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

والله حسبي وعُدَّتِي ، وهو مُقِيلُ عَثْرَتِي . وهذا مطلع صباحها ، ومنبع افتتاحها :

أَمِنْتُ مِنْ عَكْسِ آمَالٍ وَأَحْوَالٍ وَعَشْتُ مَا بَيْنَ أَعْمَامٍ وَأَحْوَالٍ
وَلَا ابْتُلَيْتُ بِمَا فِي الْقَلْبِ مِنْ نَكْدٍ فَالْجَسْمُ مُشْتَغَلٌ مِنْ غَيْرِ أَشْغَالٍ
وَكَيْفَ لَا وَبِقَاعِ الدِّينِ خَالِيَةٍ مِنْ أَرْضِ أُنْدَلُسٍ مِنْ أَجْلِ أَهْوَالٍ

(١) هو أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي المشهور بالدقون ، توفي مستهل شعبان
سنة إحدى وعشرين وتسع مئة . (انظر كتاب نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج ،
لأحمد بابا التنبكي) .

(٢) في ت : « ندبة » .

(٣) انظر حاشية رقم ٣ صفحة ٣٩ من هذا الجزء .

(٤) في ت : « لكل » .

عَمَّتْ فَعَمَّتْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ فِيَا لِّلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْدَاءِ وَأَنْكَالٍ
جَاشَتْ بِهِامِنْ جِيُوشِ الْكُفْرِ مَا دَرَسَتْ بِهِمْ مَعَالِمُ أَخْيَارٍ وَأَقْيَالٍ^(١)
أَهْلُ الشَّجَاعَةِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَهْلُ تَقَى أَهْلُ النَّفَاسَةِ فِي قَوْلٍ وَأَفْعَالٍ
عَنْهُمْ وَفِيهِمْ أَحَادِيثُ النَّبِيِّ بَدَتْ وَهُمْ مَعَاقِلُ قَوْلِ اللَّهِ لِلتَّالِي
رُهْبَانٍ لَيْلٍ وَفُرْسَانِ النَّهَارِ قَعَنْ يُلَمِّمُ بِسَاحَتِهِمْ يَظْفَرُ بِأَمَالٍ
لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ الْمُضَافَ لَهُمْ يَسْلُو عَنْ أَهْلِ وَأَوْطَانٍ وَأُمُومَالٍ
فَهَلْ تَرَى بَعْدَ هَذَا النَّفْسَ سَائِلَةً وَكَيْفَ تَسْأَلُ عَنْ وَصْفٍ وَعَنْ حَالٍ
تَاللَّهِ لَا زَالَ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ أَسْفٍ وَلَوْ أَكُونُ حَلِيفَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي
أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ فِي نَصْرِ يَمَنْ بِهِ فَاللَّهُ بَاقٍ يَبْقَى مِنْ كُلِّ مُحْتَمَالٍ
قَدْ رَامَ إِطْفَاءَ نَوْرِ اللَّهِ مَجْتَهِدَا وَبِإِذْلَا كُلِّ مَا قَدْ حَازَ مِنْ مَالٍ
سَطَا بِجَيْشِ كُوجِ الْبَحْرِ فِي عُودٍ نَمْ ، وَفِي عَدَدٍ مِنْ رَهْطِ أَبْطَالٍ
مُؤَيَّدَا بِاجْتِمَاعِ الْمَصْرِ يَتَّبِعُهُ شَرَّ الْخَلَائِقِ مَسْرُورَا بِإِقْبَالٍ
يَسْبِي الْمَسَامِعَ بِالْأَنْفَاضِ^(٢) مُشَبَّهَةً وَقَعَ الصَّوَاعِقُ فِي هَيْدٍ وَزَلْزَالٍ
يَبْنِي لِيَهْدِمَ مَا الْإِسْلَامَ شَيْدُهُ وَالْوَصْفُ يُعْجِزُ مَنْ يُدْعَى بِقَلْقَالٍ^(٣)
فَهُوَ الْمُقَاتِلُ فِي الْأَبْرَاجِ مُنْتَقِلُ إِلْفَ النُّجُومِ وَتَغْيِيرُ^(٤) وَتَرْحَالٍ
فَاسْتَوْطِنَ الْمَرْجَ لَا يَنْوِي الرِّحِيلَ وَلَا يَخْشَى الْغَيْثَ بِسَهْلٍ أَوْ بِأَجْبَالٍ
وَالْمُسْلِمُونَ مِنَ الْأَضْغَانِ قَدْ مُلِئَتْ قُلُوبُهُمْ وَأَبْوَا تَسْنِيدَ أَخْلَالٍ^(٥)

[٥٦]

(١) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك دون الملك الأعظم .

(٢) كذا في الأصلين : ولعلها محرفة عن الأنقاط (بالطاء) ، يريد بها الآلات التي ترمى بها الحصون والأسوار كالمدافع . (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزي) .

(٣) يريد بالقلقال (هنا) : الفصيح اللسن ، كما هو شائع على ألسنة المغاربة حتى اليوم .

(٤) في ط : « النجوس » .

(٥) الأخلال : جمع خلل ، وهي الثغرة في الصفوف ونحوها .

والحقّ مختلفٌ والحقُّ مؤتلفٌ والكل منصرف عن نصر أبطالٍ
 وهم لديه كطير وهو ينتفهُ والطير يرجو البقا مع كيد قتالٍ
 إذا تجرّد^(١) من ريش يطير به أضحى يدافع عن رُوح بأوصال^(٢)
 سدّوا مسالك أرزاق ومنفعة كدودة القز في نسجٍ لسربالٍ
 ثم استغاثوا : ألا فرسان عاديةٌ قال الصدى : لست ذا رمح ونبالٍ
 والصيف ضيعت ما أمّلت من ابنٍ ففارق الجبجج من تدخين نحّال^(٣)
 وارحل بنحلك^(٤) نحو الغرب في كرم من قبل وضعك في قيدٍ وأغلالٍ
 فاستمكن^(٥) الرُعْبُ في الأكبَادِ وانفقت بعد اختلاف على تأمين أُرْدالٍ
 واحتل غرناطة الغرّاء قد^(٦) عديمت حبّ الحصيد ونصر الله والآل
 كأنها الشمس في أفق العلى كُسيّت فهل على طلالٍ ترمى بأبطال؟^(٧)
 وهل تعود ليالٍ قد سلفن بها ونحن لا نشكّي تنكيد ضلالٍ؟
 وهل يعود لها الدين الذي أنست به وقد أيسّت من فتح أبدال؟^(٨)
 فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم كمثّل عادٍ وما عادُ بأشكالٍ
 قد فرّقوا كسبًا في كل منزلة وقد سبا عدّه من أيدٍ أو عالٍ^(٩)

(١) كذا في ط . وفي ت : « تجدد » وهو تحريف .

(٢) الأوصال : مجتمع العظام . يريد الأطراف .

(٣) الجبجج : خلية النحل . والنحال : القائم على خلايا النحل .

(٤) في ت : « بنحلك » .

(٥) في ت : « واستمكن » .

(٦) في ط : « مذ » .

(٧) كذا في ط . وفي ت : « تومي بأطلال » ولا معنى له .

(٨) يشير إلى ما هو معروف في الغرب من الاستنصار بالأولياء ، وهم الأبدال ، عند اشتداد الأزمات والخطوب .

(٩) كذا ورد هذا الشطر في الأصلين .

فلا المساجد بالتوحيد عاصرة
ولا المنابر للوعاظ بارزة
ولا المكاتب بالصبيان آنسة
آه على الدين والدنيا وما نفعت
إننا إلى الله والرجعى له وبه
وكان ما كان والألطاف شاملة
فلنكرمكم^(٢) الآن من ينزل بمنزلنا
وإذ ولا قدرة تدنى المنى فلهم
نلقاهم ولنا بشر ومعدرة
ولا نذعن ورود الحوض وارده
إخوانكم رفعوا أيدي الضراعة مع
وقل لوال تطف في مغارمهم
هذا التذير جهارا جاء يُنذرنا
ونحن في غفلة عما يراد بنا
يأهل فاس أما في الغير موعظة
فقل تعالوا إلى نصح وتذكرة
كيف الحياة إذ الحيات قد نفحت
ولا سبيل إلى الترياق غير تُنقى
والأخذ بالجد في جمع القلوب على

إذ عمروها بناقوس وتمثال
الأمر والنهى أو تذكير آجال
تتلو القرآن بأسحار وأصال
آه إذا صدرت من قلب بطال^(١)
تعلق القلب في تصحيح إعلال
لاحت بنقلة نسوان وأطفال
فالدهر ذو دول فاسمع لأمثال
حق الجوار ولا توصف^(٣) بإهمال
ورحمة يا حمة العم وإخمال
ولا ندع قول ذى نصح وإجمال
كسر القلوب فلا يلتقوا بإخمال
يلطف بك الله إذ تدعى لأحمال
والاذن في صم عن قيل أو قال
نمشى على مؤلة من طول إهمال
إب السعيد لمعوظ بأمثال
فالأمر جد فلا تصحب ليكسال
على السواحل أو همت بإرسال
والخزم في سعة من قبل إجمال
بذل النصيحة أو إبراء أدخل

[٥٧]

(١) في ط : « آها على الدين ... » * إلا إذا صدرت ... الخ .

(٢) في ت : « فنكرم » .

(٣) في ت : « فلا يوصف » .

والزُّهد في هذه الدنيا وزُخرفها والأمر بالعرف مع تحسينِ مقوال
ولا تَرُم في أمان الروم منزلةً خوفاً على الدين أو بعداً من أنْذال
فمن يَبْتَ في أمان الكلب منتصبا لسخط مَوَلَى ولا عذرٌ بأنْقال
وارباً بنفسك عن أرض تهان بها فحينما كنت لا تحشى من أقتال
فالموت عندى خير من حياة فتى قد اكتسى بعد عز ثوبٍ إذلال
والمِجرة الآن قد عادت كما سبقت فافهم تفاصيل أقوال وإجمال
واحتل بذهنك ولتسمع نصائح مَنْ قد طَبَّ مَنْ حَبَّ^(١) لم يُوصَفْ بمُحتال
في صدر سبع على التسعين زائدة شمسُ الجزيرة غابت بعد إكمال
وبُلِّغَ الكلبُ ما قد شاء من أَرْبٍ إذ لم يجد ذاذاً عن ديننا العالى
ليقضَى الله أمرًا كان قدَّرَه والأمرُ لله في قول وأفعال
وقد وعظتُ ولو أسمعُ لا تنشرتُ سحائب الدمع لم تقلع عن انزال
فليشتغل كل مسكين بمهجته والله يحفظنا من كل مهوَال
ثم الصلاة على المختار سيدنا محمد والرضا عن آلٍ أو تآلى

[٥٨]

ومما كتبه بعض أهل الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان
أبى يزيد^(٢) خان العُثماني ، رحمه الله ، ما نصه بعد سطر الافتتاح :

مما كتبه بعض
أهل الجزيرة
لأبى يزيد

الحضرة العلية ، وصل الله سعادتها ، وأعلى كلمتها ؛ ومهد أقطارها ، وأغز
أنصارها ، وأذل عُداها ، حضرة مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ، السلطان الملك
الناصر ؛ ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قانع أعداء الله

(١) من أمثال العرب في التنوق في الحاجة وتحسينها : اصنعه صنعة من طب لمن
حب . . . أى صنعة حاذق لمن يحبه .

(٢) في ط : « بايزيد » .

الكافرين ؛ كهف الإسلام ، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام ؛ يحيى العدل ، ومنصف المظلوم ممن ظلم^(١) ، ملك العرب والعجم ، والترك والدَّيْلَم ؛ ظل الله في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ؛ ملك البرّين ، وسُلطان البحرين ؛ حامى الذّمار ، وقامع الكفّار ؛ مولانا وعُمدتنا ، وكهفنا وغيائنا^(٢) ، مولانا أبو يزيد ، لا زال ملكه موفور الأنصار ، مقروناً بالانتصار ، مُخلد المآثر والآثار ، مشهور المعالي والفَخار ؛ مستأثراً من الحسنات بما يضاعف الله به الأجر الجزيل ، فى الدار الآخرة والثناء الجميل ، والنصر فى هذه الدار . ولا برّحت عزّماته العلية مختصة بفضائل الجهاد ، مُجرّدة على أعداء الدين من بأسها ، ما يروى صدور السُّمر والصفّاح^(٣) ، وألسنة السّلاح ، باذلة نفائس الذخائر فى المواطن التى تألف فيها الأخائر مفارقة الأرواح للأجساد^(٤) ، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد :

سلام كريم دائم متجدد	أخص به مولاي خير خليفة
سلام على مولاي ذى المجد والعلا	ومن ألبس الكفار ثوب المذلة
سلام على من وسع الله ملكه	وأيدته بالنصر فى كل وجهة
سلام على مولاي من دار ملكه	قسنطينة أكرم بها من مدينة
سلام على من زين الله ملكه	بجند وأتراك من أهل الرّعاية
سلام عليكم شرف الله قدركم	وزادكم ملكا على كل ملّة ^(٥)

(١) فى ط : « من الظالم » .

(٢) فى ط : « غوثنا » .

(٣) الصفّاح : جوانب السيوف ، الواحد : صفح .

(٤) هذه العبارة ، من قوله : « باذلة نفائس » إلى قوله : « للأجساد » : ساقطة فى ت .

(٥) رواية هذا الشطر فى ط : « وزادكم ملكا فى كل ملكة » وهو محرف .

سلام على القاضى وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ
سلام على أهل الديانة والتقى
سلام عليكم من عبید تخلّفوا
أحاط بهم بحر من الرّوم زاخراً
سلام عليكم من عبید أصابهم
سلام عليكم من شیوخ تمزقت
سلام عليكم من وجوه تكشّفت
سلام عليكم من بنات عواتق
سلام عليكم من عجائز أكرهت
تقبل نحن الكل أرض بساطكم
أدام الإله (٣) ملككم وحياتكم
وأيدكم كنم بالنصر والظفر بالعدا
شكونا لكم مولاى ما قد أصابنا
غدرنا ونصّرنا وبدّل ديننا
وكنا على دين النبی محمد
ونلقى أموراً فى الجهاد عظيمة
فجاءت علينا الروم من كل جانب

مِنَ الْعَدَاءِ الْأَكْرَهِينَ الْأَجَلَةَ
ومن كان ذارأى من أهل المشورة
بأندلس بالغرب (١) فى أرض غربة
وبحر عمیق ذو ظلام ولجة
مُصاب عظیم يالها من مُصيبة
شُيُوبهم بالنتف من بعد عِزّة
على جملة الأعلاج من بعد سِترة
يسوقهم اللبّاط قهراً لخلوة (٢)
على أكل خنزير ولحمٍ لحييفة
وندعو لكم بالخير فى كل ساعة
وعافاكم من كل سوء ويحنة
وأسكنكم دار الرضا والكرامة
من الضر والبلى وعظم الرزية
ظلمنا وغوغلنا بكل قبیحة
نقاتل عمال (٤) الصليب بنية
بقتل وأسرى ثم جوع وقلة
بسيل عظیم جملة بعد جملة

(١) فى ط : « فى الغرب » .

(٢) اللبّاط : من رجال الدين بالكنيسة ، كما فى معجم دوزى . يشير إلى ما فعله نصارى الأسبان من إكراه المسلمين على ترك دينهم .

(٣) فى ط : « إلهى » .

(٤) كذا فى ت . وفى ط : « أعمال » . وفى رواية : « عباد » .

ومالوا علينا كالجراد بجمعهم
فكنا بطول الدهر نَلْقَى جموعهم
وفُرسانهم تزداد في كل ساعة
فلما ضَعَفْنَا خَيْمُوا في بلادنا
وجاءوا بأنفاط^(٢) عظام كثيرة
وشدوا عليها في الحِصار بقوة
فلما تَفَانَتْ خَيْلُنَا ورجالنا
وَقَلَّتْ لَنَا الْأَقْوَات واشتدَّ حالنا
وخوفًا على أبنائنا وبناتنا
على أن نكون مثل من كان قَبْلُنَا
وَتُبْنِي على آذاننا وصلاتنا
ومن شاء منا البحرَ جاز مُؤَمَّنًا
إلى غير ذاك من شروط كثيرة
فقال لنا سُلْطَانُهُمْ وكبيرُهم
وأبدى لنا كُتُبًا بعهد وموثق
فكونوا على أموالكم ودياركم
فلما دخلنا تحت عَقْد ذِمَامِهِمْ
وخان عهودًا كان قد غَرَّنَا بها

بجد وعزم من خيول وعدَّة
فنفقَتُ فيها فرقةً بعد فرقة
وفُرساننا في حال^(١) نقصٍ وقلة
ومالوا علينا بِلَدَةٍ بعد بِلَدَةٍ
تهدم أسوار البلاد المنيعَة
شهورًا وأيامًا بِجَدٍّ وعَزَمَةٍ
ولم نر من إخواننا من إغاثَة
أطعناهم بالكُره خوف الفضيحة
من أن يؤسروا أو يقتلوا شرقية
من الدَّجَن من أهل البلاد القديمة
ولا نتركن شيئًا من أمر الشريعة
بما شاء من مال إلى أرض عدوة
تزيد على الخمسين شرطًا بخمسة
لكم ما شرطتم كاملا بالزيادة
وقال لنا هذا أمانِي وذِمَّتِي
كما كنتم من قبل دُونَ أذِيَّة
بدا عَدْرُهُمْ فينا بنقض العزيمة
ونَصَرْنَا كَرَهَا^(٣) بُغْتَفٍ وَسَطْوَةٍ

(١) في ط: « في كل » .

(٢) كذا في ط . ويريد بالأنفاط : الآلات التي ترمى بها الحصون والأسوار كاللدافع . وفي ت : « بأنفاض » وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ١٠٥ من هذا الجزء) .

(٣) في ط: « قهرا » .

وأحرق ما كانت لنامن مصاحف
وكل كتاب كان في أمر ديننا
ولم يتركوا فيها كتاباً لمسلم
ومن صام أو صلى ويعلم حاله
ومن لم يجئ من الموضع كفرهم
ويقطع خديه ويأخذ ماله
وفي رمضان يفسدون صيامنا
وقد أمرونا أن نسب نبينا
وقد سمعوا قوماً يغنون باسمه
وعاقبهم حكاهم وولاتهم
ومن جاءه الموت ولم يحضر الذي
ويترك في زبل طريقاً مجذلاً
إلى غير هذا من أمور كثيرة
وقد بدلت أسماءنا وتحولت
فأها على تبديل دين محمد
وأها على أسمائنا حين بدلت
وأها على أبنائنا وبناتنا
يملأهم كفرًا وزورًا وفرية
وأها على تلك المساجد سوررت
وأها على تلك الصوامع علقت
وأها على تلك البلاد وحسنتها

وخاطبها بالزبل أو بالنجاسة
ففي النار ألقوه بهزء وحقرة
ولا مضحكاً يخلى به للقراءة
ففي النار يلقوه على كل حالة
يعاقبه اللبائط شر العقوبة
ويجعله في السجن في سوء حالة
بأكل وشرب مرة بعد مرة
ولا نذكرنه في رخاء وشدة
فأدركم منهم أليم المضرة
بضرب وتغريم وسجن وذلة
يدكرهم لم يدفنوه بحيلة
كمثل حارميت أو بهيمة
قباح وأفعال غزار ردية
بغير رضا منا وغير إرادة
بدين كلاب الروم شر البرية
بأسماء أعلاج من أهل الغباوة
يروحن للباط في كل غدوة
ولا يقدرُوا أن يمنعوهم بحيلة
مزابل للكفار بعد الطهارة
نواقيسهم فيها نظير الشهادة
لقد أظلمت بالكفر أعظم ظلمة

وصارت لِعَبَادِ الصَّلَيبِ مَعَاقِلًا
وَصِرْنَا عَبِيدًا لَا أُسَارَى فَنُفْتَدَى
فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا صَارَ حَالُنَا
فِيَا وَيْلَنَا ، يَا بُؤْسَ مَا قَدِ أَصَابَنَا
سَأَلْنَاكَ يَا مَوْلَايَ بِاللَّهِ رَبَّنَا
وَبِالسَّادَةِ الْأَخْيَارِ آلِ مُحَمَّدٍ
وَبِالسَّيِّدِ الْعَبَّاسِ عَمَّ نَبِينَا
وَبِالصَّالِحِينَ الْعَارِفِينَ بَرِيهِمْ
عَسَى تَنْظُرُوا فِينَا وَفِيَا أَصَابَنَا
فَقَوْلُكَ مَسْمُوعٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ
وَدِينُ النَّصَارَى أَصْلُهُ تَحْتَ حَكْمِكُمْ
فَبِاللَّهِ يَا مَوْلَايَ مُتُونَا بِفَضْلِكُمْ
فَأَتَمُّ أَوْلُو الْإِفْضَالِ وَالْجَدِّ وَالْعَلَا
فَسَلِّ بِأَبِهِمْ ^(١) أَعْنَى الْمُقِيمِ بَرُومَةَ
وَمَا لَهُمْ مَالُوا عَلَيْنَا بِغُدْرِهِمْ
وَجَنَسُهُمُ الْمَغْلُوبُ فِي حِفْظِ دِينِنَا
وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَدِيَارِهِمْ
وَمَنْ يُعْطِ عَهْدًا ثُمَّ يَغْدِرْ بَعْدَهُ ^(٢)
وَلَا سِيَّأَ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَإِنَّهُ

وَقَدْ أَمِنُوا فِيهَا وَقُوعَ الْإِغَارَةِ
وَلَا مُسْلِمِينَ نَطْقُهُمْ بِالشَّهَادَةِ
إِلَيْهِ لَجَادَتْ بِالْذُّمِّ مَوْعِ الْغَزِيرَةِ
مِنَ الضَّرِّ وَالْبَلْوَى وَثُوبِ الْمَذَلَّةِ
وَبِالْمُصْطَفَى الْخِتَارِ خَيْرِ الْبَرِيَةِ
وَأَصْحَابِهِ أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ صَحَابَةِ
وَشَيْتَتِهِ الْبَيْضَاءِ أَفْضَلَ شَيْبَةِ
وَكُلِّ وَلِيٍّ فَاضِلٍ ذِي كِرَامَةٍ
لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَأْتِي بِرَحْمَةٍ
وَمَا قَلْتُ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ بِسُرْعَةٍ
وَمَنْ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ إِلَى كُلِّ كُورَةٍ
عَلَيْنَا بِرَأْيٍ أَوْ كَلَامٍ بِحُجَّةٍ
وَعُوثُ عِبَادِ اللَّهِ فِي كُلِّ آفَةٍ
بِمَاذَا أَجَازُوا الْغَدْرَ بَعْدَ الْأَمَانَةِ ؟
بَغِيرِ أَذَى مَنَا وَغَيْرِ جَرِيمَةٍ
وَأَمِنْ مَلُوكِ ذِي وِفَاءٍ أَجِلَّةٍ
وَلَا نَالِهِمْ غَدْرٌ وَلَا هَتَكُ حُرْمَةٍ
فَذَاكَ حَرَامُ الْفِعْلِ فِي كُلِّ مِلَّةٍ
قَبِيحٌ شَنِيعٌ لَا يَجُوزُ بِوَجْهِهِ

(١) يريد البابا رئيس الدين المسيحي .

(٢) في ط : « ثم يغدر بعده » .

وقد بَلَغَ الكتوب منكم إليهم وما زادم إلا اعتداءً وجُرْأَةً وَقَدْ بَلَغَتْ أَرْسَالُ^(١) مَصْرَ إِلَيْهِمْ وَقَالُوا لَتلكَ الرُّسُلُ عَنَّا بِأَنَّا وَساقوا عقود الزور ممن أطاعهم لَقَدْ كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ وَكَلَامِهِمْ وَلَكِنْ خَوْفَ الْقَتْلِ وَالْحَرَقِ رَدَّنَا وَدِينُ رَسولِ اللَّهِ ما زالَ عِندنا وَوالله ما نرضى بتبديل ديننا وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّا رَضِينا بِدِينِهِمْ فَسَلُّ وَحَرِّا عَنْ أَهْلِها كَيْفَ أَصْبَحُوا وَسَلُّ بَلَقِيقا عَنْ قَضِيَةِ أَمْرِها وَمِنيافَةٍ^(٢) بِالسَّيفِ مَرْقِ أَهْلِها وَأَنْدَرَشْ^(٤) بِالنَّارِ أَحْرَقِ أَهْلِها فَها نحن يا مولاى نَشْكُو إِلَيْكُمْ عَسَى دِيننا يَبْقَى لَنا وَصَلاتُنا وَإِلَّا فَيُجْلَوُنا جَمِيعاً مِنْ أَرْضِهِمْ فَاجْلَاؤُنا خَيْرَ لَنا مِنْ مُقَامِنا فَهذا الَّذى نَرْجُوهُ مِنْ عِزِّ جَahِكم

فَلَمْ يَعمَلُوا مِنْهُ جَمِيعاً بِكَلِمَةٍ عَلَيْنا وَإِقداماً بِكُلِّ مَساءَةٍ وَمَا نَأْلَمُ غَدْرَها وَلَا هَتَكَ حُرْمَةَ رَضِينا بِدِينِ الكُفْرِ مِنْ غَيْرِ قَهْرَةٍ وَوالله ما نَرْضى بِتلكَ الشَّهادَةِ عَلَيْنا بِهذا القَوْلِ أَكْبَرُ فِرْيَةٍ نَقولُ كَما قالوا مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ وَتَوْحِيدُنا لِلَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَلَا بِالَّذى قالوا مِنْ أَمْرِ الثَّلَاثَةِ بِغَيْرِ أَذى مِنْهُمْ لَنا وَمَساءَةٍ أَسارَى وَقَتلى تَحْتَ ذُلٍّ وَهَنَةٍ لَقَدْ مَزَّقُوا بِالسَّيفِ مِنْ بَعدِ حَسْرَةٍ كَذا فَعَلُوا أَيْضاً بِأَهْلِ البُشْرَةِ^(٣) بِجَماعِهِمْ صاروا جَمِيعاً كَفَحْمَةٍ فَهذا الَّذى نَلْناهُ مِنْ شَرِّ فُرْقَةٍ كَما عاهدونا قَبْلَ نَقْضِ العَزمَةِ بِأَموالِنا لِلْغَرَبِ دارَ الأَحِبَّةِ عَلى الكُفْرِ فِي عِزٍّ عَلى غَيْرِ مِلَّةٍ وَمِنْ عِندِكم تُقضى لَنا كُلُّ حاجَةٍ

[٦٢]

(١) يريد بالأرسال (هنا) : جمع الرسول .

(٢) وحرا ، ومنيافة : اسما بلدين ، ولم نعتز عليهما في المعاجم .

(٣) البصرة : جهة تنتظم قرى كثيرة نزهة قرب فرناطة .

(٤) أندرش (أندراش) : بلدة بالأندلس من كورة ألبيرة .

وَمِنْ عِنْدَكُمْ نَرْجُو زَوَالَ كُرُوبِنَا وَمَا نَالْنَا مِنْ سُوءِ حَالٍ وَذِلَّةٍ
فَأَتَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ خَيْرَ مُلُوكِنَا وَعِزَّتُكُمْ تَعْلُو عَلَى كُلِّ عِزَّةٍ
فَنَسْأَلُ مَوْلَانَا دَوَامَ حَيَاتِكُمْ بِمُلْكٍ وَعِزٍّ فِي سُرُورٍ وَنَعْمَةٍ
وَتَهْدِينِ^(١) أَوْطَانٍ وَنَصْرٍ عَلَى الْعِدَا وَكَثْرَةِ أَجْنَادٍ وَمَالٍ وَثَرَوَةٍ
وَتُمْ سَلَامَ اللَّهِ تَتْلُوهُ رَحْمَةً عَلَيْكُمْ مَدَى الْأَيَّامِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
انتهت الرسالة بحمد الله ، وكتبتها وإن كانت ألفاظها غير بليغة ، تكميلاً
للفائدة ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

بلاغة
أهل الأندلس

وكان أهل الأندلس في عُنْفُوَانٍ أَمْرُهُمْ فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ ، حَتَّى قَالَ الرَّئِيسُ
ابْنُ الْجَبْيَابِ يَفْتَخِرُ^(٢) بِذَلِكَ :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْيَدُ الْعُلْيَا لِأَنْدَلُسٍ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا ثُنْيَا^(٣)
وَأَنَّ هِيَ عَظَمَتُهَا نِيُوبُ نَوَائِبِ فَصَيَّرَتِ الشَّهْدَ الْمَشُورَ بِهَا شَرِيَا^(٤)
فَمَا عَدِمَتْ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَالْحِجَا يَقِيمُونَ فِيهَا الرِّسْمَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا
إِذَا خَطَبُوا قَامُوا بِكُلِّ بَلِيغَةٍ تُجَلِّي الْقُلُوبَ الْغُلْفَ^(٥) وَالْأَعْيْنَ الْعُمْيَا
وَأِنْ شَعَرُوا جَاءُوا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَخَالِ النُّجُومَ النَّيِّرَاتِ لَهَا حَلْيَا
فَنَسْأَلُ فِي الدُّنْيَا مِنْ اللَّهِ سِتْرَةً عَلَيْنَا ، وَفِي الْآخِرَى إِذَا حَانَتِ اللَّقْيَا

[٦٣]

ولعمري ، لقد صدق قائل هذه الأبيات ، فَإِنَّ الْبَلَاغَةَ لَمْ تَزَلْ شَمْسُهَا
بِالْأَنْدَلُسِ بَاهِرَةً الْإِيَاءَ^(٦) ، ظَاهِرَةُ الْآيَاتِ ، إِلَى أَنْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْعَدُو ، وَعَطَّلَ

(١) كَذَا فِي ت . وَالتَّهْدِينُ : التَّسْكِينُ وَفِي ط : « وَتَهْدِيب » .

(٢) فِي ط : « مَفْتَخِرًا » .

(٣) وَلَا ثُنْيَا : وَلَا اسْتِثْنَاءَ .

(٤) الْعَصْرَى : الْحَنْظَلُ .

(٥) فِي ت : « تُجَلِّي قُلُوبَ الْقُلُوبِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) إِيَاءَةُ الشَّمْسِ : ضَوْؤُهَا .

من أهل الإسلام الرّواح إليها والغُدُو ، وفي أهلها بقية لسان وبراعة^(١) ،
وتصرف في فنون الإجابة وبراعة ، وقد قصصنا عليك آنفاً الرسالة التي كتبها
الملك^(٢) المخلوع لصاحب المغرب فيما سردناه ، واطلعت منها على ما يؤيد
ما [قلناه^(٣)] ، من الغرض الذي انتحينه وأوردناه : وقد كان ذلك الكاتب
وطبقته تلقفوا كُرّة البلاغة من يد طبقة أخرى حازت^(٤) مُعَلّى القِداح ، وتبرجت
لها من الفصاحة كل خَوْد رَداح^(٥) ، كالفقيه الكاتب أبي عبد الله الشّرّان ، المبرز
في أدواته على الأنداد والأقران ، وكالأديب الشهير [الفقيه عمر ، الذي لم تزل
أخباره إلى الآن سَمَر ، وكفارس تلك الحلبة ، الكاتب القاضي الرئيس ،
الوزير^(٦)] الفقيه ، أبي يحيى بن عاصم ، الذي حَلَيْتْ بعلومه اللَّبَّات والمعاصم ،
وغيرهم من الجهابذة النُّقاد ، والأعلام الذين تخضع لهم الحاسن وتنقاد ، إن جَدُّوا
وصلوا مقطوع الأسباب ، وإن هَزَلُوا ، على عادة الأفاضل في مثل هذا الباب ،
ملكوا النفوس ، وسحروا الأبواب ؛ وقد سبق من كلام ابن عاصم ما يصحّح
ما ادعيناه ، ولنورد زيادةً إذا أبصرها المنصف المستفيد تَقَرَّ عيناه ، فنقول :

أما الفقيه عمر فهو أشهر من نار على عَلم ، وأزجاله ومنظوماته ومقاماته عند
العامة محفوظة ، وعند الخاصة مرفوضة ، إلا القليل الذي يُسمح في مثله لصاحب
القلم ، كقمامته^(٧) التي سماها بتسريح النَّصّال ، إلى مقاتل الفَصّال ، ونصّها :

مقامة الفقيه
عمر : تسريح
النّصّال إلى مقاتل
الفصّال

(١) البراعة : قصبة القلم . والمراد أنهم أهل فصاحة إذا تكلموا أو كتبوا .

(٢) في ط : « كتب ملكها » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) في ط : « جازت » .

(٥) الحود : الحسنه الخلق الشابّة أو الناعمة ؛ والرداح : الثقبلة الأوراك والمآكم .

(٦) زيادة عن ت .

(٨) في ط : « مقاماته » .

يعامد السالكين ، ومحط رحال^(١) المستفيدين والمتبركين ، وثِمَال الضعفاء
 والمساكين والمتروكين ، في طريقك يتنافس المتنافس ، وعلى أعطافك تُزْهِى
 العباءات وتروق الدِّلافس^(٢) ؛ وبكتابك تحيا جوامد الأفهام ، وبمذَبَّتِكَ تُشَرِّد
 ذُباب الأوهام ؛ وفي زَنبيلك^(٣) يَدْمَسُ التالذ والطارف ، وبعضاك يُهَشِّ على
 بدائع المعارف ، اللهُ اللهُ في سالك ، ضاقت عليه المسالك ؛ وشاد ، رُحْمِي بالبعاد^(٤) ،
 أدركته متاعب الحِرْفَة^(٥) ، وأقيم من صَفِّ أهل الصُّفَّة^(٦) ؛ فلا يجد نشاطاً
 على ما يتعاطى ، ولا يَلْقَى اغتباطاً ، وإن حل زاوية أو نَزَلَ رِباطاً ؛ أَقْصَى
 عن أهل القرب والتخصيص ، وابتلى بمثل حالة بَرَصِيص^(٧) ؛ فأحيل عليك ،
 وتوقفت إقالته على توبة بين يديك ؛ فكاتبك استدعاء ، واستوهب منك
 هداية ودعاء ؛ ليسير على ماسَوَيْت ، ويتحمل عنك أَشْتَات مازَوَيْت ؛ فيلقى
 الأَكْفَاء الظُّرْفَاء عَزِيزاً ، ويباهى بك كل من خاطبك مستجيزاً ، فاصرف إلى
 مُحْيَا الرِّضَا ، وأَعِذْ من إيناسك العهد الذى مَضَى ، ولا تلقنى مُعْرِضاً ولا مُعْرِضاً ،
 وأصغِ إلى سَمْعِكَ كما قدر الله وقضى :

تعالَ نَجِدْهَا طَرِيقَةَ سَاسَانِ^(٨) وَعَضَّ عَلَيْهَا مَا تَوَالَى الْجَدِيدَانِ

(١) هذه الكلمة « رحال » : ساقطة في ت .

(٢) الدلافس : جمع دلفاس (ويقال فيه دفاس أيضا) : نوع من اللباس خشن كالعباءة
 إلا أنه قصير ، يلبسه الصوفية والفقراء (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزى) .

(٣) في ط : « زبيلك » وهى لغة في الزنبيل .

(٤) في ت : « بإبعاد » .

(٥) الحرفة (بالضم والكسر) : الحرمان .

(٦) أهل الصفة : فقراء صحابة رسول الله كانوا يبيتون فى صفة مسجده صلى الله عليه
 وسلم ، وهى موضع مظلل منه .

(٧) برصيص ، ويقال فيه برصيصا : كان من عباد بنى إسرائيل ، ثم فتنه الشيطان ، وقصته
 مشهورة تذكر عند تفسير قوله تعالى : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) .

(٨) يريد بطريقه ساسان علم الحيل الساسانية . قال حاشى خليفة فى كشف الظنون : =

ونصرف إليها من مَثَارِ عَزَائِمٍ ونحلف عليها من مُؤَكَّدِ أَيْمَانٍ
ونعقذ على حكم الوفاء هَوَاءَنَا لنأْمَنَ مِنْ أَقْوَالِ زُورٍ وَبُهْتَانٍ
ونقسم على ألا نصدقَ وأشيأَ يروح ويفدو بين إِيْمٍ وَكُذْوَانٍ
يطوف حولينا ليفسد بيننا بمنطق إنسان وخُدعة شيطانٍ
على أننا من عالم كَلَامٍ بَدَا نعوذ منه عالم الإنس والجان
وحاشاك أن تُنَلِّقَ عن الصلح مُعْرِضًا ^(١) إلى الصلح آلت حرب عبس وذبيان
وإِنِّي أَهْمَتْنِي شُئُونُ كَثِيرَةٍ وَصُلْحُكَ أَوْلَى مَا أُقَدِّمُ مِنْ شَانِي
فَأَنْتَ إِمَامِي إِنْ كَلِفْتُ بِمَذْهَبٍ وَأَنْتَ دَلِيلِي إِنْ صَدَعْتُ بِبِرْهَانٍ
سَأُرْعَاكَ فِي أَهْلِ الْمَبَاءَاتِ كُلِّهَا ^(٢) رَأَيْتَكَ فِي أَهْلِ الطَّيَالِسِ تِرْعَانِي
ويا لابسِي تلك العباءات إنها لباس إِمَامٍ فِي الطَّرِيقَةِ دِهْقَانٍ
تَفَرَّقَتِ الْأَلْوَانُ مِنْهَا إِشَارَةٌ ^(٣) بِأَنَّكَ تَأْتِي مِنْ حِلَاكٍ بِالْوَانِ
ويا بِأَبِي الْفَصَالُ شَيْخُ طَرِيقَةٍ خُلُوبٌ لِأَلْبَابِ لِعُوبٍ بِأَذْهَانٍ
إِذَا جَاءَ فِي الثَّوْبِ الْحَبْرُ خِلَتَهُ زُنْبِيرَةٌ ^(٤) قَدْ مَدَّ مِنْهَا جَنَاحَانِ
فَمَا تَأْمَنُ الْأَبْدَانُ آفَةً لَسَمِعِهَا وَإِنْ أَقْبَلْتَ فِي سَابِغَاتٍ وَأَبْدَانٍ ^(٥)

[٦٠]

== « ذكره أبو الخير من فروع علم السحر وقال : علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال ، والذي باشرها يتزيا في كل بلدة يرى يناسب تلك البلدة ، بأن يعتقد أهلها في أصحاب ذلك الزى ، فتارة يختارون زى الفقهاء ، وتارة يختارون زى الوعاظ ، وتارة يختارون زى الأشراف ، إلى غير ذلك . ثم لأنهم يحتالون في خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها . »

- (١) كذا في ط . وفي ت : « على النصيح » .
- (٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « كلها » .
- (٣) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « فانك » .
- (٤) زنبيرة : تصغير زنبورة ، وأصله زنبيرة ، وهي من الذباب اللساع .
- (٥) السابغات والأبدان : الدروع .

- (١) سأدعوك في حالات كيدى وكديتى
وإن كان في الأنساب من تباين
ألا فادع لى في جنح ليلك دعوة
لك الطائر الميمون في كل وجهة
فكم من فقير بأس قد (٢) عرفته
وكم من رفيع الجاه واليت أنسه
فلو كنت للفتح بن خاقان صاحباً
ولو كنت للصابي صديقاً ملاطفاً
ولو كنت من عبد الحميد مقرباً
ولو كنت قد أرسلتها دعوة على
ولو كنت في يوم الغبيط مراسلاً
- بشيخى ساسان وعى هامان
فما تنكر الآداب أنا نسيان
لتنجح آمالى ويرجح ميزانى
سريت إليها غير نكس ولا وانى (٣)
فرقت عليه نعمة ذات أفنان
فعاش قرير العين مرتفع الشأن
لما خانه المقدار في ليلة الخان (٤)
لما قبلت فيه مقالة بهتان (٥)
لما هزم السفاح أشياغ مروان (٦)
أبى مسلم ما حاز أرض خراسان
لبسطام لم تهزم به آل شيبان (٧)

- (١) كذا في نفع الطب . والكدية : شدة الدهر . وفي ت : « كيد وكيدة » .
وفي ط : « كيدى وكيدتى » .
(٢) النكس : الضعيف الجبان . والوانى : المقصر .
(٣) فى ت : « مذ » .
(٤) يشير إلى مقتل الفتح بن خاقان القيسى الأندلسى صاحب قلائد العقيان ومطمح
الأنفس فى الفندق الذى نزل به بمدينة مراکش سنة تسع وثلاثين وخمس مئة (انظر
وفيات الأعيان) .
(٥) الصابى : هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء فى دولة بنى بويه .
ويشير الشاعر إلى مانال الصابى من اضطهاد وإبعاد من عضد الدولة بن بويه ، لقالة
نقلت إليه عنه فأغضبته . (انظر وفيات الأعيان) .
(٦) يشير إلى مانال مروان بن محمد وعبد الحميد بن يحيى كاتبه من الهزيمة على يد السفاح
(٧) الغبيط : مكان بين الكوفة وفيد ، وبه كان يوم بنى تميم وشيبان ، غلبت فيه تميم
شيبان ، وفيه أسر عتيبة بن الحارث بن شهاب بسطام بن قيس ، فقدى نفسه
بأربع مئة ناقة . (انظر العقد الفريد وشرح القاموس) . ومراسلاً (هنا) :
معاوناً ، من المراسلة بمعنى المتابعة .

- ولو كنت في حرب الأمين لطاهر لما هان في يوم اللقاء ابن ماهان^(١)
ولو كنت في مغزى أبي يوسف لما رماه بغدر عبده في تلسان^(٢)
ولو أن كسرى يزدد جرد عرفته لما طاح مقتولا على يد طحان^(٣)
ولو أن لذريقا وطئت بساطه لما أثرت فيه مكيدة أليان^(٤)
وفيا مضى في فاس أوضح شاهد غنى لدينا عن بيلان وتبيان
ولما اغتنى منك السعيد بكاتب رأى ما ابتغى من غز ملك وسُلطان
فلا تنسى من أهل وُدك إنني أخاف الليالي أن تطول فتتساني
ولا خير أن تجعل كفاء قصيدتي كفاء ابن درّاج على مدح خيران^(٥)
فجد بدنانير ولا تكن التي ألم بها الكندي في شعب بوان^(٦)

- (١) يشير إلى الواقعة التي كانت بين طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون ، وعلى بن عيسى ابن ماهان قائد جيش الأمين ، وقد انتهت بانتصار طاهر وقتل ابن ماهان .
(٢) لعنه يريد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المربني في غزوه تلسان ، وإقامته على حصارها مئة شهر . وقد قتله عبده « سعادة » في أثناء ذلك الحصار المشهور ، في حديث فصله السلاوي في كتاب « الاستقصا ج ٢ ص ٤١ » .
(٣) يشير إلى هرب يزدجرد آخر ملوك الفرس من أعدائه ، والتجأه إلى طاحونة لم يحسن الطحان ستره فيها ، حتى أدركه طالبوه وقتلوه (انظر غرر أخبار ملوك الفرس للثعالي صفحتي ٧٤٦ — ٧٤٧) .
(٤) يشير إلى تمكين أليان : (بليان ، جليان ، أمير المغرب من قبل لذريق ملك القوط بالأندلس) العرب من دخول الأندلس انتقاما لشرفه من لذريق ، في حديث مفصل في كتب التاريخ (انظر نفع الطب وغيره) .
(٥) هو خيران الصقلي أمير المرية ، وهو من موالى المنصور بن أبي عامر ، وقد مدحه ابن دراج القصطي بقصيدة تونية مطلعها :
« لك الخير قد أوفى بعهدك خيران » ولعل خيران لم يحسن جائزة الشاعر كما يفهم من السياق هنا .
(٦) الكندي : هو أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر المعروف ، ونسب إلى محلة كنده بالكوفة . وشعب بوان : متنزّه بفارس . يشير الشاعر إلى قول المتنبي في القصيدة التي مدح فيها عضد الدولة ووصف شعب بوان :
« وأني العرق منها في ثيابي بدنانيرا تفر من البنان =

- فجودك فينا الغيث في رَمَلٍ عاجٍ وفضلك فينا الخبزُ في دار عُثمان^(١)
وما زلتَ من قبل السؤالِ مقابلاً مُرادى بإحساب وقصدى بإحسان^(٢)
ولا تنس أياماً تقضتْ كريمة بزاوية المحروق أو دار همدان^(٣)
وتألفنا فيها لقبض إناوة وإغرام مسنون وقِسمة حُلوان
وقد جلس الطَّرْقون بالبعد مُطَرِّقاً يقول نصيبى أو أبوح بكيمان^(٤)
عَرِيفِي يَلْحَانِي إِذَا مَا أَتَيْتُهُ ولم أنصرف عنكم بواجب الحان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا أئمة حُساب^(٥) وأعلام كُهان
إِذَا اسْتَنْزَلُوا الْأَرْوَاحَ بِاسْمِ تَبَادَرَتْ طوائف ميمون وأشيع بركان^(٦)
وإنْ بَخَّرُوا عِنْدَ الْحُلُولِ تَأَرَّجَتْ مجامرهم عن زَعفران ولُوبان^(٧)
وإنْ فَتَحُوا الدَّارَاتِ فِي رَدِّ آبَقٍ ثنت غزمه أوهام خوف وخِذْلان^(٨)

[٦٦]

- == يصف ضوء الشمس النافذ إليه من بين أوراق الأشجار ، فيرمس على ثيابه أشباه الدنانير صفرة واستدارة ، إلا أن اليد لا تقدر عليها .
- (١) عاج : موضع بالبادية يصل إلى الدهناء ، والدهناء فيما بين اليمامة والبصرة . يقول : نحن منعطشون إلى جودك كتمطش رمال عاج إلى الغيث ، محاجون إلى فضلك احتياج المحصورين في دار عثمان بن عفان إلى الطعام والشراب وقد حرموها .
- (٢) بإحساب : أى بما يكفينى ويرضىنى .
- (٣) زاوية المحروق : متعب بفاس . ودار همدان بفاس أيضاً .
- (٤) الطَّرْقون (كلمة مغربية مولدة) : من يسده قبالة اللهو وقبض ضرائب الأعراس ونحوها ، مما تستعمل فيه الدفوف وآلات الملاهى (انظر تكملة المعجيات لدوزى) .
- (٥) كذا فى ت ونفع الطب . ويريد بالحساب : المشتغلين بحساب الطوائف للناس . وفى ط : « أحساب » .
- (٦) ميمون وبرقان : من أسماء ملوك الجن التى تدور على ألسنة المشعبيين . (انظر كتاب الجواهر اللامعة ، فى استحضار ملوك الجن فى الوقت والساعة) .
- (٧) لوبان : لفظة مغربية محرفة عن « اللبان » وهو الكندر المعروف . (عن دوزى)
- (٨) الدارات : حلقات يعقدها شيوخ المشعبيين ومريدوم عند استطلاع أمر خفى كإظهار مسروق ، وإرجاع آبق ، ونحو ذلك ، يقولون إذا سرق شئ : هلم نفتح الدارة .

فيحسب أن الأرض حيث ارتمت به
وقد عاشرتنا أسرة كيموية^(١)
فله من أعيان قوم تألفوا
ونحن على ما يغفر الله إنما
مع الصبح نضيفها عبادة صفة
أتذكر في سفح العقاب مبيتكم
لديكم من الألوان ما لم يحجب به
ثم ذكر خمسة أبيات أقذع فيها ، فلذا تركتها^(٢) ، ثم قال :

فأقسم بالآيمان لولا تعفني
عن السوء لأنحلت عقيدة إيماني
فعد للذي كنا عليه فإن لي
على الغير إن صاحبتة فقد غيران
فمن يوم إذ صيرت ودي جانباً
وأعرضت عني ما تناطح عزان
ولا روت الكتاب بعد تفارنا
محاوراً من ثعلبان لسرحان

(١) كذا في نفح الطيب : وفي ط : « كوية » وكلاهما يراد به النسب إلى الكيمياء ،
وفي ت : « كهوية » ، وهو تحريف .

(٢) كذا في ت . وفي ط ونفح الطيب : « خان » .

(٣) كذا في ت عبادة صفة : يريد بها زى الفقراء النساك . انظر الحاشية رقم ٦ صفحة

١١٧ من هذا الجزء . والزناير جمع زنار ، وهو ما يشد به الزاهب وسطه ؛ يريد

أنه يعمل في الليل ما لا يعمل في النهار . وفي ط : « تلويها زناير ... الخ »

(٤) العقاب : موضع بالأندلس ، كانت به وقعة مشهورة محس الله فيها المسلمين .

(٥) ابن ذنون (ابن دنون) : هو المأمون أحد ملوك الطوائف في طليطلة ، من بني

ذى النون ، وقد بلغوا في البذخ والترف إلى الغاية ، ولهم الإعذار المشهور الذي

يقال له : « الإعذار الذنوني » ، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو عند

بناتبة عرس بوران عند أهل المشرق ، والمأمون هو صاحب ذلك . وبوران هي

بنت الحسن بن سهل ، وقد زفت إلى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد في إعراس

مشهور في كتب التاريخ .

(٦) ذكر المؤلف القصيدة كاملة من غير حذف في نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٢ طبعة

الأزهرية بمصر) .

وما هو قصدى منك إلا إجازةً تخولنى التفضيل ما بين خلانى
وإنك إن سخرت لى وأجزتني لنم وَلِيًّا صان ودى وجازانى
ولم لا ترويني وأنت أجل من سقانى من قبل الرحيق فروانى
ألا فأجزنى يا إمامى بكل ما رويت لمدغليس أو لابن قزمان^(١)
ولا تنس للرباع نظما عرفته فإنكما فى ذلك النظم سيان
ومزدوجات ينسبون نظامها إلى ابن شجاع فى مديح ابن بطن
والم بشيء من خرافات عنتر وألم ببعض من حكايات سوسان
وإن كنت طالعت اليتيمة واسنى بلامية فى الفحش من نظم واسانى^(٢)
أجزنى بكشف الذك^(٣) أرضى وسيلة وخير جليس فى بساط ودكان
وناولنى المصباح^(٤) فهو لغربى ميسر أغراضى ورائد سلوانى
وألحق به شمس المعارف^(٥) إننى أسائل عن إسناده كل إنسان
وقد كنت قبل اليوم عرفتني به ولكننى أنسيته بعد عرفان

[٦٧]

(١) أبو بكر بن قزمان ومدغليس من أوائل الزجالين بالأندلس .

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانه بن محمد المعروف بالواسانى . ويشير الشاعر إلى قصيدته اللامية التى هجا بها أبا الفضل يوسف بن على ، وعرض فيه بابن الفزاز ، ومطلعها :

يأهل جيرون هل لسامركم إذا استقلت كواكب الحمل
(انظر يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦١ — ٢٧٤ طبعة دمشق) .

(٣) كذا فى نفح الطيب . يريد كتاب : « كشف الدك » ، وإيضاح الشك « لأبى عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسى ، وهو كتاب مشهور فى الحيل والشعبذة . وفى الأصلين : « بكشف الديك » وهو تحريف .

(٤) فى الفهارس كتب كثيرة فى علوم مختلفة كل منها اسمه « المصباح » ، ولا ندرى أيها يريد . ولعله فى الروحانيات ، كما يفهم من السياق .

(٥) يريد كتاب : « شمس المعارف » ، ولطائف العوارف « للشيخ أحمد بن على البونى ، المتوفى سنة ٦٢٢ ، وهو كتاب مشهور فى التعاويذ ونحوها من الروحانيات .

ولا بُدَّ يا أستاذُ من أن تُجيزَنِي بيدء ابن سبعين وفصل ابن رضوان^(١)
وكُتِبَ ابن أخلى كيف كانت فإنها لوزن رقيق القول^(٢) أكرم ميزان
ولا تنس ديوان الصَّبا^(٣) والصفاء لإخوان صدق في الصفاخير إخوان
وزهر رياض^(٤) في صنوف أضاحك وجبذ كساء في مكاييد نسوان
كذلك فناولني كتاب حُباب وزدني تعريفاً بها وبيرجان
ولى أمل في أن أروى رسالة مضمنة أخبار حتى بن يقظان^(٥)
وحبس على الكاس والكوز والعصا فإنك مُثَرٌّ من عصي وكيزان
وصير لي الدلفاس^(٦) أرفع لبسة فقد جلَّ قَدْرِي عن حرير وكَتَان
وقد رقَّ طبعي واعتزنتي خشية يكاد بها رُوحِي يفارق جُمانِي
وخلَّ مفاتيح الطريقة في يدي وسوَّغ لهم فيها^(٧) مزيدى وتقصانى
فإني لم أخدمك إلا بنبية وإني لم أتبعك إلا بإحسان
فكن لي بالأسرار أفصح مُعلن فإني قد أخلصتُ سرِّي وإعلاني

اتهمت المقامة . وأثبتها لأنها أخف ما رأيت من هزليات الفقيه عمر المالق ،
رحمه الله وسامحه ، ومثل هذا الهزل قد وقع لكثير من الأئمة على سبيل

(١) يريد بيدء ابن سبعين كتاب « بدء العارف » لأبي محمد عبد الحق بن إبراهيم الشهير
بإبن سبعين المرسى الأندلسي . وابن رضوان : هو عبد الله بن يوسف بن رضوان
التجارى من أهل ماهة .

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « دقيق القوم » .

(٣) يريد ديوان الصبا لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى التلمساني الحنفي المتوفى
سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) في الفهارس كتب كثيرة بهذا الاسم .

(٥) يريد كتاب : « أسرار الحكمة المشرقية » لأبي بكر محمد بن عبد الملك بن الطفيل ،
وهو قصة خيالية فلسفية ، جمع فيها بين الفلسفة والشريعة .

(٦) الدلفاس (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١١٧ من هذا الجزء) .

(٧) في نفح الطيب : « حكى » .

الإحاض^(١) ، ولم يَعْنُوا بها غالباً إلا إظهارَ البلاغة والافتقار ، كما فعل الحريري وغير واحد ، والأعمال بالنيات .

شيء من نظمه

ومن نظم الفقيه عمرَ المذكور قوله عفا الله عنه :
إلى الله ربي أشتكى سوء حالتي عسى فرجٌ يأتي بأفضل حالي
وما أسنى إلا لمالي أبيعه وخائنٌ مالي يشتريه بمالي

مقامة
في أمر الوباء

ومن أبدع ما صدر عنه رحمه الله مقامة في أمر الوباء ، رأيت أن أثبتها لغرابة مَنزِعها ، وإن كان بعض فصولها لا يجري على المشهور من مذاهب العلماء ، ونصها :

إلى حمراء الملك وقلعته ، ومَقَرِّ المزِ ومنعته ، ومطلِّع كل قر نصرٍ يُجَلُّ الأقرار بطلعته ، أبقاها الله على تعاقب الزمان ، منزل أمان ودار إيمان ، وأمتعها بحياة المَلِكِ الخَزْرَجِيِّ اليمان ، من مُوجِبَةِ إجلالها كما يجب ، المعترفة بفضلها وشرفها وأنوار الشمس لا تحتجب ، والواقفة عند إشارتها وطاعتها ، فإن تأمُرْ أُمْتَمِلْ وإن تدْعُ أُسْتَجِبْ ، مألقة ، المستمسكة بذمتها الوثيقة ، المتشوقة إلى أخبارها تشوف المُحِبَّةِ الشفيقة ، إلى رِيحانة قلبها في الحقيقة ، وإلى هذا يا سيدتي ويا عُدَّتِي ، ويا ذخيرتي ويا عُمدتي ، أمتعنا الله وإياك بحياة مَنْ استنقذنا من الورطات ، وردنا إلى الصواب مما كان منا من الغَلَطَات ، مولانا الغالب بالله^(٢) وحده ، الموعد بعزير النصر وقريب الفتح والله ميسر وعده .

سلام عليك يتعطر بذكر مولانا أمير المسلمين فَوْحُهُ^(٣) ، وينشق

(١) الإحاض : الانتقال من حال إلى حال ؛ مأخوذ من إحاض الإبل ، وهو نقلها من رعي الحلة إذا سُمِّتْها إلى رعي الحنض والحنض : ما ملع وأمر من النبات ، وهي كفاكمة الإبل ، والحلة : ما حلا ، وهي تكبزها . (عن القاموس) .

(٢) في ت : « الغالب بأمر الله » .

(٣) في ط : « بوجه » .

كالمسك^(١) الفتيت روحه ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ، فإني أحمد إليك الله الذي إذا استُكفي بعزته كفى ، وإذا استُشفي بكلمته شفى ، وإذا سئل بواسع رحمته عفا ؛ وأُصلَّى على رسوله محمد الكريم المصطفى ، وعلى آله وأصحابه ، أكرم من نصح له وأخلص ووفى .
كتبته إليك يا سيدتى عن نفس قلقة ، ساهرة أرقه ، حاذرة مشفقة ، مُلهبة بل محترقة ؛ وإني أقسم عليك بالرب الذي كرمك بالعز وشفرك ، وعرفك من لطائف الفرج بعد الشدة ما عرفك ، أن تسعدني على تسكين لوعتي ، وتأمين روعتي ، وتراجع رقادي [بعد سُهادي ، وقضاء حاجة جلت في فؤادي ، وتفهمي مراد إشارتي وإشارة مرادي]^(٢) ، وتتركي هوى النفس الذي هو للحق معاند وللرشد معادى .

ومبنى هذه الرسالة إليك على قولهم : « الشفيق مولع بسوء الظن » ، ومن منن الله على عبده الوقاية من المتالف جل الله العظيم المن ؛ وعلى قول المتنبي :
ربما ضر عاشق معشوقا ومن البر ما يكون عقوقا^(٣)

والمثل الأول لى ، والآخر لك . والله يُيسر في حفظ مولانا أُملى وأملك . [٦٩]
وإني أتعجب من مساعدتك على إقامة مولانا بمنزل ، هذا المرض به فاش ، وهذا الهواء الفاسد بين دياره جاء وماش ، وسمعتُ أن حديث السفر لمالقة أثقل عليك من حديث رقيب وعاذل وواش ؛ وأن الآراء في ذلك اختلفت ، ولم يُرجع فيها إلى سُنن تقدمت وعوائد سلفت ؛ والأوائل من المؤمنين رحمهم الله ماتوا شيئا سدى ، بل نصبوا على كل طريق إلى النجاة علم هدى ؛ وسمعت

(١) في ت : « وينشق المسك » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) لم نجد هذا البيت في نسخ ديوان المتنبي .

ياسيدتى أن القضية عُول فيها على المُقام والاستسلام ، وخولف فيها رأى الخليفة الرشيد لما تحول فى مثلها عن سكنى دار السلام ، بمحضر أركان الدين وأعلام الإسلام ؛ وقد سمعتُ فى الأجوبة الظريفة ، ما صدر من قوله : أخشى أن أكون أول خليفة ؛ وقد كنتُ ياسيدتى أرتجى أن يكون لهذا المرض ارتفاع ، أو يحصل بدخول فصل^(١) البرد انتفاع ؛ فتركت الكتب منتظرة لذلك ، إلى أن تزايدت الحال وأنت على حالك ، لا يمر الترحال بخاطرك ولا يبالك ؛ وأنا أقول : أما واجب التسليم ، لتقدير العزيز العليم ؛ فمأكد شرعاً ، لا يضيق به المؤمن ذرعاً ؛ لكن ما يفعل المستسلم بالروح والجسد ، إذا قيل له اهرب من الأسد ؛ وقد أبصره مقبلاً إليه ، أو مُنقِضاً عليه ؛ يأخذ فى تحفظه واحتراسه ، أم يصبر لافتراسه ؟ ومن قيل له فى ظلم الليل : ارتفع عن هذا المكان تنج من السيل ؛ أينام فى مكانه ، أم يبادر إلى السلامة بجهد إمكانه ؟ ومن نودى : هذه الخيل قد طلعت مغيرة ، والرعاة بالجبال مستجيرة ؛ فارفع غنمك قبل الاكتساح ، فالوقت فى انفساح ؛ أيتها تسرح ، ولا يبرح ؛ أم يرفعها لتسلم ، ممّا تدرب وتعلم^(٢) ؟ وكذلك إذا قامت الرماة صفوفًا ، وأصاب سهمهم^(٣) من الخلق ألوفا ؛ أيرجح الحقُّ تباعدًا أم وقوفًا ؟ وكذلك أيضاً المنازل ، التى تدوم بها الزلازل ؛ فأرضها فى كل يوم تميد ، ودَهَش القلوب بها حاضر عتيد ، والخسف بها فى يوم ينقص وفى يوم يزيد ؛ لا تسمع فيها إلا سقوط جدار ، على ركن دار ؛ وانفكاك الأركان ، على السكان ؛ وإخراج ميت ، من تحت بيت ؛ وسقوط سارية ، على جارية ؛ أيُعزم على السكنى والاستيطان ، تحت هذه الحيطان ؛ أم يؤخذ فى الاحتيال ،

[٧٠]

(١) فى ت : « وقت » .

(٢) فى ت : « مما تدرب وتعلم » .

(٣) فى ت : « بسهامهم » .

بالخروج بالأطفال والعيال؟ يا سيدتي الحمراء، سألتك فأخبريني، وإن تحيّر فهمي فاعذريني، ووصل إليّ الكتاب الشريف، من جنان^(١) العريف؛ يذكر أن السلامة كانت [به] ^(٢) مستصحبة لمولانا ولناسه، وأن العافية كانت بهم منتشفة مع أنفاس رنده وآسه، ما عرضت به إلى طبيب حاجه، ولا استدعى فيه المعاور^(٣) للنظر في زجاجه؛ ولا لقول ولا عمل، ولا بلغ من الجساوة والقساوة أقل أمل؛ ولم ينتقص من الساكنين بهذا البستان، من عبيد مولانا السلطان، غير فتى من الخُصيان، لا يساوى عشرة دراهم في سوق الفتیان، والجميع بحمد الله استمرت عافيتهم على استقامه، بطول أيام الإقامه؛ وعرفني أيضاً جنان العريف في وافد كتابه، ووارد خطابه، أن رغبته كانت في انتقال مولانا نصره الله من صحيح هوائه، وسلسبيل مأه؛ ونفحة جنابه، وتلاعب النسيم العاطر بين قبابه. إلى مألقة حيث الجوّ الصقيل، والروض الذي يطيب به المقيّل، والراحة التي تتمزج بالأرواح كما قيل؛ حيث العرف الأريج، والوادي المنعرج، والساحل الذي ينشرح به الصدر الحرج، حيث البنفسج يدير كئوس البهار، والياسمين نجوم طالعة بالنهار؛ حيث يتمازج طيب الزهر، بعرف الأترج ونفحات السحر، حيث يشبه أنين السواني، حنين المتعشّقات من الغواني، إذا حُدّ الصباح، وانفلق الإصباح؛ وعمرت صفار القوارب، ونادت بحرية الشباك:

(١) جنان العريف، أو جنة العريف: بستان في خارج غرناطة، ذكره لسان الدين في الإحاطة، صفحة ٢٥ ج ١.

(٢) زيادة عن ت.

(٣) كذا في ط. ولعله يريد بالمعاور، كما يظهر من السياق الذي يفحص عن قوارير بول المرضى ليقدر وزنه ونوعه، وهو من عاور القي. إذا قدره، كما يؤخذ من اللسان مادة «عير». وفي ت «المعاور».

إلى المضارب^(١) ، وسالت أنوار المشرق على جوانب المغرب ، ونادى محرك الجيش :
 ظهور الخيل ، وصباح الخير ، واستقبلوا الوادى الكبير لمصيد الأرنب والحوت
 والطير ؛ شكر الله جنان العريف على ما قصد ونوى ، وعلى ما أظهر من اتباع حق
 ومخالفة هوى ، اعتماداً من أخبار الدول القديمة على ما حفظ ورّوى . وقال لى
 يا سيدتى إنك وقفت مع الحديث المنصوص^(٢) ، الوارد فى مثل هذا المرض على
 الخصوص ؛ وفيه النهى عن الخروج من منازل هذا المرض ومواضعه ، وعن
 القدوم على معتركاته ومصارعه ؛ والحديث صحيح ، والرشد فيه قول صريح ؛
 واسكن للعلماء فيه أقوال طويلة التفصيل ، وقد نلخصها وبينها الإمام ابن رشد
 فى كتابه الجامع من البيان والتحصيل^(٣) ؛ والاتفاق من الجميع أن النهى فى هذا
 الحديث ليس نهى تحريم ، وإنما هو على سبيل إرشاد وأدب وتعليم ؛ فلا إثم
 ولا حرج ، على من أقام ولا على من خرج . وقال عمرو بن العاص : الأفضل
 الخروج لأهل الفطنة ، اتقاء من اعتقاد يؤدى إلى فتنه ؛ وكفى بعمرو بن العاص
 حجة لمن أراد انتصارا ، والكلام كثير ، ولكنى اختصرته اختصارا ؛ وإن
 نظراً قدمه كثير من الصحابة ورجحه ، خلّيق بأن يقال فيه ما أسعده وما أنجحه !
 ياليت تقمى كله يكون من هذا القبيل ، وجاريا على هذا السبيل ، مستنداً إلى قول
 صحابى جليل ، ومستنداً بأرشد علم ودليل ، ولو كان على خلاف المشهور من قول

(١) المضارب (هنا) : الحيام تضرب على ساحل البحار ، لبيع فيها ما يصاد من السمك .

(٢) ورد الحديث المشار إليه فى صحيح مسلم ، ونصه فى رواية أسامة : « الطاعون

رجز أو عذاب أرسل على بنى إسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به

بأرض ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » .

وفيه روايات أخر تختلف ألفاظها ، وتتفق معانيها ؛ وقد علق عليه النووي ،

ونقل كلام القاضى عياض وغيره ، فليُنظر ثمة (ج ١٤ ص ٢٠٤) .

(٣) اسم الكتاب : جامع البيان والتحصيل ، لما فى المستخرجة من التوجيه والتعليل .

خليل^(١) . وهنا يقال : ما في هذه القلة غير هذا الإغريل^(٢) . يا سيدتي الحمراء ؛ أراك في هذه القضية تفقّمت وتوقفت فيما بينه عالم وذو علم ، ومنعت مما ليس فيه حَرَج ولا إثم ؛ ولو كنت حاضرة لكان لي معك حديث طويل ، واحتجاج ينصره نص وتأويل . وسمعتُ أنكِ أشفقتِ من عظيم النّفَقَة ، وليس هذا موضع الشفقة ؛ فالأمن ليس بقال ، ولو يُشترى بكل ذخيرة وكل مال ؛ والأولى بالملامة ، من^(٣) يفضل شيئاً على السلامه . القمح يأكله الشّوس ، والذهب تنقى عنه الفلوس^(٤) ، فكيف يُستعظمان فيما تُؤمن به النفوس . وبلغني أنكِ [٧٢] قلت : مألقة ليس بها زرع ، وبقليل المُقام يضيق لها صدر وذرع^(٥) ، وفلاحتها وحرثها ليس لها أصل ولا فرع ؛ وعنّي على هذا الكلام ، ولكنني سلّمت والسلام^(٦) ؛ فإن سِعرى عن سِعر^(٧) غرناطة منحط ، وفي لحظة بصر يضيق منى بالطعام في كثير من الأيام ساحل وشطّ ، ولا يُعلم أنه دامت لي شدة قط . لي في الاعتصام بالتوكل على الله ما يزيد على سبع مئة العام^(٨) ، ما أشغلت فيها فكري ولا قلباً بادخار قوت ولا باحتكار طعام ؛ أثق في اليوم والغد ، بالرزق الرّغَد ؛ تأتي به الرياح على الأعناق ، ويفيض سيله على جوانب الدواوين وأكناف الأسواق ، وتجلبه الأحباب والأعداء بإذن اللطيف الخبير الوهاب الرزاق .

(١) هو خليل بن إسحاق المالكي ، صاحب المختصر في فقه المالكية .

(٢) كذا وردت هذه العبارة في ط . وفي ت : « ما في هذه القلة . . . الخ » .

والعبارة على الروايتين ظاهرة التحريف .

(٣) في ت : « نس » . وهو تحريف .

(٤) في ط : « النفوس » .

(٥) في ت : « وضرع » .

(٦) في ت : « والإسلام » .

(٧) في ت : « أسعار » .

(٨) في الأصلين : « السبع مئة عام » .

قالت النملة : افتخارى ، بادخارى ؛ قالت العصفورة : توسلى ، بتوكلى ؛
قالت النملة : أعتمد على الحب ؛ قالت العصفورة : أتوكل على الرب . فلما جنَّ
الليل ، أقبل السيل ؛ تخرجت النملة بالعموم ، وبقيت الحبوب بين الدَّوم ؛ فنزلت
العصفورة وسجدت ، [والتقطت] ^(١) من مدَّخر النملة كل ما وجدت ؛ وقالت :
خسر المحتكر ، وربح طالب الرزق المبتكر ، الكريم لا يفتخر بما يدَّخر .

وصح عندى أن الوزير أعزه الله ليس عنده فى هذا كله كلام ولا قول ، وأن
الأمر عنده مفوض إلى الرب الذى له القوة والحول . وسمعتُ يا سيدتى أن هذا
السم ، أعظمُ تأثيره إنما هو فى قطع الأكبَاد ، من صغار الأولاد ؛ الذين من فوق
السبع ودون العشر ، وهم فى هذه السنين رياحين القلوب العاطرة النَّشر ؛ وهذا
إلى كُتبتى لك أعظم دأع ، فإن الأولاد سوائهم والوالد راع ؛ والزاعى لا يترك
غنمه فى طريق سَبُع ضار ، ولا قريباً من حريق نار ؛ ونحن نشاهد الطير ينقل
أفراخه من وكر إلى وكر ، ويسترها بملثف الشجر إذا خاف عليها عادية جارح ^(٢)
أو صاحب مكر ؛ فكيف لا نفتدى فى تأمين روعتنا بمن تقدّم من الأكابر ،
ونقف فى حامل السيل ^(٣) بأولادنا الأصاغر ؛ فما عندك فى هذا كله من القول ومن
الجواب ؟ وما يظهر لك من وجه الرأى والصواب ؟ اكتبى بذلك كتاباً أعتمد
عليه ، وأستند إليه ؛ وقبلى عني يدَ مولانا تقبيلاً ، ويا ليتنى وجدت إلى ذلك
سبيلاً ؛ وأخبريه أنى [فى] ^(١) خدمته على نيتى الأولى ، عاكفة على شكر
مِنته الطوْلِ ؛ أدام الله حياة البلاد والنفوس بحفظه وحياطته ، وأسمعنى البشارة

[٧٣]

(١) زيادة عن ت .

(٢) فى ت : « جائج » .

(٣) حامل السيل : السيل الجارف .

بقُدومِه على مُحَدَّث مالَّة من حمراء غَرناطتِه ؛ ويحفظُه في النفس والأولاد ،
والملك والبلاد ، بِمَنِّه وفضلِه .

وكتب بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمان مئة . انتهت المقامة .
وكلام المذكور كثير ، ومحله من عذوبة المنطق أثير ؛ ونظمه أعلى طبقة
من نثره طريقة مَعَرِيَّة ، حسبما يظهر ذلك بالتأمل لنفوس بالإنصاف حريَّة ؛
وله [عدة] ^(١) تآليف أكثرها هزليَّة ، ولذلك لم أجلب شيئاً منها سوى
ما تقدم ، مما يقتضى ما أصْلَناه من المزيه ، والفضيلة للبلاد الأندلسية ^(٢) .

ومن أحسن مقطوعاته ^(٣) التي تطارح بها على باب الكريم ، وتطفل بها
تطفل من لا يبرح عن باب سيده ولا يريم ؛ ويرجى له بها كل جميل ، والله
لا يخبى ما أمَّله من تأميل ؛ قوله رحمه الله :

بعض مقطوعاته

عقيدة دين الحق أن محمداً له الفضل إطلاقاً ^(٤) على كل مخلوق
وإن سبقت رُسُلٌ بكتبٍ وبعثة
فهذا إذا ما عشتُ أولى عقيدتي
[وقوله :

جئتُك يا رب ولا أعذر لي وهل لعبد السوء من معذرة ؟
أرجوك فيما أنت أهلٌ له فأنت أهلُ العفو والمغفرة
وقوله في مرضه :

يا سامعين الكلام مُختلطاً نظماً ونثراً قلانداً ودُرُزاً
صلوا على المصطفى وسيلتنا محمدٍ وارجوا الفقيه عُمر ^(٥)

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « من المزية للبلاد الأندلسية والفضيلة » .

(٣) في ط : « منظوماته » .

(٤) في ط : « إجماعاً » .

(٥) ما بين القوسين المربعين زيادة عن ت .

تعريف بالقرآن

وأما الكاتب الرئيس أبو عبد الله الشَّران^(١)، فهو الشيخ الفقيه الرئيس الصدر، العلامة العماد، الذخر الأرفع، العلم الأوحد، الأنجد الأسرى، الذي لا يجارى في الإنشاء والاختراع كلاماً جزلاً، وقولاً فصلاً، رئيس الكتبة بالحضرة العلية، أبو عبد الله، ابن الشيخ الفاضل المسجد الأعز الأرفع الأوجه أبي إسحاق، كان حياً سنة سبع وثلاثين وثمان مئة. هذا كلام بعض الأندلسيين فيه.

[٧٤]

وقال القَلَصَادِي في حقه: هو الفقيه الوجيه الليب اليقظ الأدرى، الأديب الأحظى، الرئيس النبيل الأرقى؛ وحيد عصره وأوانه، وفريد دهره وأقرانه، أبو عبد الله محمد الشَّران الغرناطى، تغمده الله برحمته. وذكر هذا الشيخ القَلَصَادِي في طالعة شرحه لأرجوزة أبي عبد الله الشَّران المذكور، التى أولها:

بمحمد خير الوارثين أبتدى وبالسراج النبوى أهتدى
وهى أرجوزة عذبة النظم، سهلة المأخذ مختصرة في علم القرائض.
ومن بديع نظم الكاتب أبي عبد الله الشَّران رحمه الله تعالى قوله:
[فلا تمنع العين أنهما لا فانه غرام شجر إسناده غير مهمل
أحاديث تزويها الجفون عن الحشا ويثبت منها مرسل بمسلسل
وقوله يخاطب الفقيه الصالح سيدى أحمد بن حرشون، وقد أهدى له
قرص زعفران:

أهلاً بقرصة زعفران أطلعت من حسنها للقلب باعث أنسه
حياً الخلوص به وغير عجيبة للبدر أن حياً بقرصة شمس
يا نيراً للمجد أهدى نيرا كل امرئ إهداؤه من جنسه
وقوله^(٢):

(١) هو محمد بن إبراهيم. (انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج).
(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت.

لما اختفت شمسك عن ناظري أرسلتُ منه مطر الدمع
وأقبلت ظلمة ليل النوى فما ترى في رخصة الجمع

وحكى الحافظ أبو عبد الله التَّنْسي رحمه الله ، أنه لما صُرف الفقيه أبو الفضل ابن جماعة عن رئاسة الكتابة بقرنطة ، إلى قضاء الجماعة ، وولى مكانه صاحب الترجمة أبو عبد الله الشَّران ، لقي بعض رؤساء الدولة ابن جماعة يوماً ، فقال له : يا سيدي ، إن السر الذي عهدناه في الحضرة غاب عنها بغيبتك . فقال له : وكيف لا وقد تركتم الفضل المجموع^(١) وأخذتم الشر المكرر^(٢) !

ثم إن ابن جماعة كان عنده إعذار^(٣) ، فدعا أعيان البلد إليه ولم يدع الشَّران ، فكتب إليه الشران :

ماذا أعد المجدُّ من أعذاره في ترك دعوتنا إلى إعداره^(٣)
إن كان رسم دون محضرنا اكتفى لا بد أن يبقى على إعداره^(٤)
ثم قال الشيخ التَّنْسي : والشران هذا ممن له باع مديد في الشعر ، وتصرف

حسن . انتهى .

ومن بديع نظم الشَّران المذكور قوله رحمه الله :

دوام حال من قضايا الحال واللفظ موجود على كل حال
والنصر بالصبر مُحَلَّى الظُّبَى والجَدُّ بالجدِّ مَرِيش النَّبَالِ
وعادة الأيام معهودة حرب وسلم والليالي سِجَالِ
وما على الدهر انتقاد على حال فإن لحال ذات انتقال

[٧٥]

(١) يشير إلى اسمه : « أبي الفضل بن جماعة » .

(٢) يشير إلى لقب أبي عبد الله : « الفران » . فكأنه تثنية : « شر » .

(٣) الإعذار : طعام الختان .

(٤) الإعذار (هنا) : التقصير .

طريقة لابن جماعة وقد تولى الفران مكانه

شعر للشران يعاتب ابن جماعة على إهمال دعوته إلى إعداره

قصيدة الامية

مَنْ لَّيَالَى بِاِثْتِلَافٍ وَكَمْ مِنْ لَّيَالَى بِاِثْتِلَافٍ^(١) الليلان
أَخَذَ عَطَاءً ، مَحْنَةً مِّنْعَةً تَفَرَّقُ جَمْعٌ ، جَلال جال
حَالُ^(٢) انتظام وانتشار معاً كأنما هَذَى اللَّيَالَى لآل
وهل سَنَى الصَّبْحِ وَجُنْحُ الدُّجَى خَلْقَةُ الْأَضْدَادِ إِلَّا مِثَال
وَالظُّلُمُ الْخُلُكُ عَلَى نَوْرِهَا تَدَلُّ وَالْعُسْرُ يَسِرُّ يُدَال
وَالسَّيْفُ قَدْ يَصْدَأُ فِي غِمْدِهِ ثُمَّ يُجَلِّي صَفْحَتَيْهِ الْعِصْفَالِ
وَالشَّمْسُ بَعْدَ الْغَيْمِ تُجَلِّي كَمَا لِلغَيْثِ مِنْ بَعْدِ الْقَنُوطِ انْهِمَالِ
وَالْفَرَجُ الْمَوْهوبُ يَجْرَى^(٣) بِهِ لَطَائِفُ لَمْ تَجْرُ يَوْمًا بِيَالِ
فَصَابِرِ الدَّهْرِ بِحَالِيهِ مِنْ حُلُوِّ وَرَمٍ وَاعْتِدَا وَاعْتِدَالِ
فَمَا لَهُ صَبْرٌ عَلَى حَالِهِ وَإِنَّمَا الصَّبْرُ حُلَّى الرِّجَالِ
وَلَا يَضِقُ صَدْرُكَ مِنْ أَزْمَةٍ ضَاقَتْ فَصْنَعُ اللَّهِ رَحْبُ الْمَجَالِ

إلى هنا توجد هذه القصيدة بأيدي الناس ؛ ورأيت بخط بعض الأخيار
بعد هذا البيت زيادة كثيرة على ذلك ، منسوبة لصاحب القصيدة ، وهي لا تبعد
من نفسه ، على أن فيها إبطاء^(٤) . وها أنا أيضاً أثبتتها بجملة لغزاتها وجزالتها ،
ولاشتمالها على مدح المصطفى المجتبي ، صلى الله عليه وسلم ، ونصها بعد قوله :
« رَحْبُ الْمَجَالِ » :

وَانْظُرْ بِلُطْفِ الْعَقْلِ كَمْ كُرْبَةٍ فَرَجَهَا لُطْفُ كَحَلٍ^(٥) الْعِصْفَالِ
وَكِلْ إِلَيْهِ كُلَّ حَاجٍ فَمَا [لَنِي]^(٦) حِجَابًا إِلَّا عَلَيْهِ اتِّكَالِ

(١) في نيل الابتهاج : « في اختلاف » .

(٢) في ت : « حلى » .

(٣) زيد في ط فوق هذه الكلمة : « تَأْتِي بِهِ » .

(٤) كذا في ط . والإبطاء : تكرير القافية لفظاً ومعنى . وفي ت : « على أنه فيها وما أنا » .

(٥) في ط : « غل » .

(٦) زيادة عن ت .

وكل بدء فله غاية وغاية الخطب الشديد انحلال
 وكل عود فله آية وآية العقل اعتبار المال
 وفي مال الصبر عُنْبِي الرضا من فرج يُدْنِي وأجر يُنَال
 عجبت للعبد الضعيف القوي يُغْنِي^(١) بالرب الشديد الحال
 يَهْوِي مع الآمال مسترسلاً طوع الهوى حيث أمالته مال
 تحسده النفس بتخييلها وهل خيال النفس إلا خبال
 يخال أن الأمر جارٍ على تديره هياتٍ مما يخال
 الخلق والأمر لمن لم يزل في ملكه التلك وما إن يزال
 والفعل والتترك دليل على مراده والكل طوعُ انفعال
 يعطى فلا منع ويقضى فلا دَفْعٌ ويُمضِي حكمه لا يُبَال
 يُدَبِّرُ الأمر فعن أمره تقدير ما في الكون سُفْلٌ وعال
 يُضِلُّ يَهْدِي حكمة أنفذت فضلاً وعدلاً في هُدًى أو ضلال
 وحكمة الباري في حكمه ما لمجال العقل فيها مجال
 والرب لا يسأل عن فعله قد قُضِيَ الأمر فقيم السؤال
 فيأخا الفكر اشتغالاً بما في غيره للفكر حقَّ اشتغال
 سلم ففي التسليم من كل ما ينفذ تسليم وتنعيم بال
 وارض بما فاتك أو نلتَه فعكسه ما لك فيه مجال
 وفوض الأمر إلى الحق لا تركن من الدنيا لحال مُحال
 فذو الحجا فيما اتقى وارتجى بالعدل حالٍ ومن العدل خال
 يرضى بقسم الرب كل الرضا في كل حالٍ ما عن العهد حال

(١) ذكرت هذه العبارة أمام هذا البيت في هامش ط : « يتراض الرب بدل يغفر » .

يرى خلال الشكر والصبر في
فهو على الحائنين قد نال من
ما أقصر الدنيا على مرّها
فاظنّ لها حزماً ففي ظلّها
ما يقطّات العيش إلا كرمي
يا ليت شعري والمّني عبدة^(٢)
هل يستحيل العهد من صَبوتي
والشّيب هل يوقظني صبحه
وكسرتني من عُسرتي هل تقى
هذا زمانى في تولّى وفي
حالٍ من احتل بدار البلاء
يا رَبِّ ما المخلص من زلّتي
يا رَبِّ ما يلقاك مثلى به
يا رَبِّ لا أحلّ حرّ الصّبا
أم كيف عذرى وقد أعذرتلى^(٣)
رحمتك اللهم فهي التي
ولا تعاملنا بأعمالنا

ما سرّ أو ساء أبرّ الخلال
مُناه في الدارين أقصى منال
كالظل ما أقصر مدّ الظلال !
ما قال يوماً حازم حيث قال
ولا مرّأتى العين إلا خيال^(١)
والشعر قول قد ينافى الفعل
فقد مضى عهد الصّبا واستحال
فالنوم في ليلٍ من^(٢) اللهو طال
وعُثرتى من^(٣) عِبرتى هل تُقال
عزى توانٍ والهوى في توال
ولم يحدث نفسه بارتحال
لا عملٌ لا حجةٌ لا احتيال
عن طاعة لم ألقها بامثال
فكيف بالنار لضعفى احتمال
بأخذ حذرى من دواعى النكال
لها على العاصين مثلى انثيال
لكن رجا آمالنا صلّ ووال

[٧٧]

(١) يشير إلى قول أبي الحسن التهامي في صرّيته ابنه :

والمرء بينهما خيال سارى فالعيش نوم والنية يقظة

(٢) في ت : « عدة » .

(٣) في ط : « وفى » .

(٤) في ت : « فى » .

(٥) في ت : « فى » .

وبامتداح المصطفى هَبْ لَنَا
فَمَا سِوَى حَبِيٍّ لِلْمُصْطَفَى
ذَلِكَ تَجَرَّى ^(٢) وَعَلَى فَضْلِهِ
فَإِنْ يَفْزُ قَدْحِي بِمَدْحِي لَهُ
وَرَأَيْتُ الْقُرَى الْغَوَالِي ^(٣) عَلَى
أَعْظَمَ بِأَمْدَاحِ نَبِيِّ الْمَدَى
خَيْرَ الْوَرَى مِنْ بَادٍ أَوْ حَاضِرٍ
فَادِيهِمْ مِنْ فَتَكَاتِ الرَّدَى
حَامِيهِمْ بِالْقَضْبِ إِذَا لَا حِمَى
مُنِيلِهِمْ إِذَا لَا جَدَى يُرْتَجَى
قَرِيبِهِمْ فِي طَبَقَاتِ الْعُلَا
مُؤْوِيهِمْ مِنْ حَوْضِهِ مِنْ صَدَى
أَطْوَلَ مِنْ سَالِ بِسَيْبِ النَّدَى
مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِخُصْلِ الْعَدَى
مَنْ بَاهَرَ الْحَسَنَ وَفَضَلَ التَّقَى
حَالٍ مِنَ الْعِلْمِ بِأَسْنَى حِلَى
نُورٍ مُبِينٍ صَادِقٍ فَارِقٍ
أَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْحَيَا بِاسْمِهِ

مَاثِمِ الْفِعْلِ لَبِزُ الْمَقَالِ ^(١)
وَسِيلَةً لِي بِعُرَاهَا اتِّصَالَ
طَمَعْتُ فِي الْفَضْلِ بِلَا رَأْسِ مَالٍ
فَقَدْ يُجِلُّ الثَّوْرُ قَدَرُ الذُّبَالِ
مَوْثِقَةٌ مِمَّا نَوَى مِنْ نَوَالِ
حَبْلٍ اعْتِلَاقٍ أَوْ شِفَاءٍ اعْتِلَالِ
أَكْرَمِهِمْ مِنْ حَافٍ أَوْ ذَى انْتِعَالِ
هَادِيهِمْ فِي هَلَكَاتِ الضَّلَالِ
كَالِهِمْ ^(٤) فِي الْخَطْبِ إِذْ لَيْسَ كَالِ
مُقِيلِهِمْ إِذَا لَا عِثَارُ يُقَالِ
شَفِيعِهِمْ فِي عِمْرَصَاتِ السُّؤَالِ
مُؤْوِيهِمْ مِنْ جَاهِهِ فِي ظِلَالِ
أَصُولٍ مِنْ فِي الْحَقِّ بِالسَّيْفِ صَالِ
فِي كُلِّ مَا عَمِ الْمَدَى مِنْ خِصَالِ ^(٥)
وَحِكْمَةِ النُّطْقِ وَبِحَدِّ الْفِعَالِ
وَأَفٍ مِنَ الْحِلْمِ بِأَزْكَى خِلَالِ
مُبَشِّرٍ هَادٍ خَتَامِ كَمَالِ
كَهْفِ الْأَيَّامِ ، لِتَيْتَامِ نِمَالِ

(١) في ط : « الفعّال » .

(٢) تجرى : تجارقي .

(٣) في ت : « الفوادي » .

(٤) كالهم : كالهم ، أى حافظهم .

(٥) خصل المدي : إصابة الغاية .

الرحمة المهداة ضمن اختفاً
كم آية جلى لنا أو تلا
ذو العرش أسمى قدره فاسمه
وذكره رفع في ذكره
أعطاه دون الرُّسل خساً كفت
لم يبعث الرُّسل اشتالاً وفي
وقسمه الأنفال جلاً وما
والأرض طهراً ومصلى لأن
والنصر بالعرب لشهر مدى
والنعمه الكبرى التي نالها
وليلة المراج أسرى فما
جال وجبريل أنيس له
حتى انتهى من سيرة المنتهى
قال له الروح مقامى هنا
فقال : يا أنسى أفردتني
فقال : كلاً إنما الأنس ما
طاً حضرة القدس اتصالاً فما
فرجه في الثور زجاً رأى
شاهد ما شاهد مما ارتقى
فقال قوم بفؤاد رأى

والنعمه المُسداة خلف احتفال
وغاية جلى بها دون تال^(١)
في العرش مقرون مع اسم الجلال
حداً ليتلو مدحه كل تال
يد امتنان في العطايا الجزال
بعثته للثقلين اشتمال
من قبل كانت لنبي حلال
كان له كون بها واحتلال
ينازل الأعداء قبل النزال
شفاعة الأخرى ونم النال
أسرى وأسنى شرفاً في الليال
من السماوات العلى حيث جال
إلى مقام لم ينله مقال
وأنت فاصعد لمقام الوصال
حيث دهنتي^(٢) مذهشات الجلال
أنت موالٍ ولك الله وال
أبيع منها لسواك اتصال
وراءه للحق نور الجال
عن مبلغ العقل وورهم الخيال
وعالم بالعين والقلب قال -

[٧٨]

(١) جلى بها : أى فيها سابقاً .

(٢) فى ط : دهنتى .

وليس ذا وهو مُحَالٌ على حَالٌ مَقَامُ الحُبِّ مِمَّا يُحَالُ
 حيث تَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَذْنَى نَجِيًّا فِي ظِلَالِ الدَّلَالِ
 وبعد ما فِي النَجْمِ يُنْتَلَى عِلًّا ثُمَّ أَتَى وَالنَّجْمُ فِي الْأَفْقِ عَالِ
 وباحْتِمَالِ الجِسْمِ وَالرُّوحِ فِي مَسْرَاهِ صَحِّ الْقَوْلِ دُونَ احْتِمَالِ
 وبِانْشِقَاقِ الصَّدْرِ طِفْلاً فَقَسَّ لَهُ انْشِقَاقَ الْبَدْرِ عِنْدَ اكْتِمَالِ
 لنسبة بينهما فِي الْهَدَى وَالْحَسَنِ وَالْقُرْبِ وَبَعْدَ الْمُنَالِ
 فنور هذا كَمُ جَلَا مِنْ دُجَى وَنُورُ هَذَا كَمُ هَدَى مِنْ ضَلَالِ
 كَلَّا بَلِ الْأَنْوَارِ حَيْثُ انْجَلَتْ حِسًّا وَسَعَى مِنْهُ كُلًّا تُنَالِ
 وَلِانْشِقَاقِ الْبَدْرِ مِنْ نُورِهِ أَبْدَى انْشِقَاقًا وَهُوَ تَقْيِيرُ حَالِ
 شُقٌّ هَلَالَيْنِ عَلَى صَفْحَتِي ظَلَمَانِهِ فِي كُلِّ شِقِّ هَلَالِ
 وَالشُّطْرُ مِنْهُ لَاسْتِلَامِ التَّرَى بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسَّلَامِ اسْتِمَالِ
 بَلِ أَخْجَلَ الْبَدْرَ لِنَقْصَانِهِ فَانْحَطَّ مُنْشَقًا لِبَدْرِ الْكَمَالِ
 هُمْ سَأَلُوهَا آيَةً أَعْرَضُوا عَنْهَا وَقَدْ جَاءَتْ وَفَاقَ السُّؤَالَ
 قَالُوا وَقَدْ جَالُوا^(١) بِسِحْرِ أَتَى فَقَلْتُ هَذَا السَّحَرُ سِحْرُ حَلَالِ
 بَلِ عَجِبُوا مِنْ نَكْتَةِ الْكَوْنِ أَنْ أَعْطَاهُ رَبُّ الْكَوْنِ مَا مِنْهُ سَالِ
 وَهَجْرَةُ بَلٍ وَضَلَّةٌ لِلرِّضَا وَرَبِّمَا نِيلٌ^(٢) بِهِجْرٍ وَصَالِ
 ضِفَا لِحُجْبِ السَّتْرِ دُونَ الْعِدَا فِي الدَّارِ وَالْعَارِ عَلَيْهِ اسْتِدَالِ
 إِذْ عَارَ بِالْحِكْمَةِ نُورُ الْهَدَى فِي الْعَارِ مِنْ غَارَةِ حَزْبِ الضَّلَالِ
 وَمَا اخْتَقَى مِنْ خَيْفَةِ بَلٍ لِأَنْ تَظْهَرُ أَسْرَارُ مَعَانِي الْعَالِ^(٣)

[٧٩]

(١) كَذَا فِي تَوْفِي ط « حَالُوا » . وَلَمَلَّ كَلِمَتَاهُمَا مَصْحُفٌ عَنْ : « خَالُوا » .

(٢) فِي تَوْ : « نِيلٌ » .

(٣) الْمَالُ : أَيْ الْمَالِي .

حيث ثقي بعدُ عِنانَ الرَدَى سُرَاقَةُ عَمَّا سَرَى واستقال^(١)
هَيْلَ كَثِيبِ الطَّرْفِ حَسَفًا به عن كَتَبِ والصنع للطرف هال^(٢)
أَهْوَى كَمَا أَهْوَتْ بِمِيلَادِهِ من قصر كسرى الشُّرَفَاتِ العِوَالِ^(٣)
نِسْبَةِ حَالٍ كَانَ مِنْ سِرِّهَا أَنْ بِسِوَارِيهِ غَدَا وَهُوَ حَالِ^(٤)
هَنَّاكَ هَامَتْ بِالْحِمَامِ الْعِدَا فَحَامَ حَوْلِهِ حَمَامَ فَحَالِ^(٥)
فَاطَرْدَ الْكَسْرَ عَلَى جَعْمِهِم وَاطَرْدَ الْفَتْحُ لَهُ صَدَقَ قَالَ
وَالْعَنْكَبُوتَ اعْتَمَدُوا حُجَّةَ خَالُوا بِهَا الْغَيْلَ مِنَ اللَّيْثِ خَالِ
فَاعْجَبْ لَهُمُ بِالْوَاهِنِ اسْتَوْثِقُوا ظَنًّا وَلِلْبَرْهَانِ فَمِ فِي جِدَالِ
مَا أَصْدَقَ الصَّدِيقَ فِي قَوْلِهِ عَدْلٌ لَنَا فِي حُجَجِ الصَّدَقِ قَالَ
أَشْفَقَ لَا حَرَصًا عَلَى نَفْسِهِ بَلْ غَارَ مِنْ عِلْقِي نَفْسِي يُذَالِ
يَأْيَهَا الصَّدِيقُ بِشِرَاكِ لَا تَحْزَنُ^(٦) وَشِمٌ لِلنَّصْرِ أَمْضَى النَّصَالِ
فَحَكَمَ الْعِصْمَةَ إِحْرَازُهَا مَا بَيْنَ أَظْفَارِ الظُّبَى وَالْعِوَالِ
لِلَّهِ مَا أَشْرَفَهَا عِزَّةً لَيْسَ لغيرِ اللَّهِ مِنْهَا ابْتِهَالِ
نُبُوءَةٌ لَاحَتْ بِرَاهِنِهَا قَطْعِيَّةٌ تُرْغَمُ أَنْفُ الْجِدَالِ

- (١) سُرَاقَةُ : هو سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ الْكِنَانِيِّ الَّذِي تَبَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْهَجْرَةِ ، لِيُرِدَهُ إِلَى قَرِيَشٍ . (انظر خبره في كتب السيرة) .
(٢) يَشِيرُ بِهَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ إِلَى مَا رَوَى فِي كِتَابِ السَّيْرِ مِنْ أَنَّ سُرَاقَةَ لَمَّا أَرَادَ الْحَقَّ بِالرَّسُولِ ، وَكَادَ يَدْرِكُهُ ، غَاصَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ فِي الرَّمَالِ ، وَأَفْرَعَهُ مَا رَأَى مِنْ عَجْزِهِ عَنِ ادِّرَاكِ النَّبِيِّ أَوْ لِصَابَتِهِ بِسُوءِهِ ، حَتَّى اضْطُرَّ أَنْ يَبْعُدَ مِنْ حَيْثُ أَتَى .
(٣) يَرِيدُ أَنَّ فَرَسَ سُرَاقَةَ خَرَّ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا سَقَطَتْ شُرَفَاتُ قَصْرِ كَسْرَى عِنْدَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ لِإِرْهَاسِهِ لِنُبُوءَةِ .
(٤) يَشِيرُ إِلَى لَبْسِ سُرَاقَةَ لِسَوَارِي كَسْرَى أَيَّامَ عَمْرِهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ لِسُرَاقَةَ لَمَّا خَرَجَ فِي طَلَبِهِ فِي الْهَجْرَةِ : « كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سَوَارِي كَسْرَى ! » . (انظر شرح الواهب الدِّينِيَّة ج ١ ص ٣٤٨) .
(٥) يَرِيدُ : أَنَّ أَعْدَاءَ النَّبِيِّ يَوْمَ الْفَارِ أَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَحَالَ الْحَمَامُ دُونَ فَرَسِهِمْ بِعَمِيصَتِهِ قَوْفَهُ .
(٦) فِي ت : « تَحْزَنُ » .

وهل جدال في عُلَى أَوْجَبَتْ وهل جدال في عُلَى أَوْجَبَتْ
 وإذ بدت في وجهه غُرَّةٌ وإذ بدت في وجهه غُرَّةٌ
 ونوحٌ أذ نُجِّيَ في فُلْكَه ونوحٌ أذ نُجِّيَ في فُلْكَه
 كذا خليل الله في ناره كذا خليل الله في ناره
 إذ قال جبريل له سَلْ تَقُلْ إذ قال جبريل له سَلْ تَقُلْ
 ونال إسماعيلُ منه الفِدا ونال إسماعيلُ منه الفِدا
 وهوذٌ أَسْتَجَلِي لَدَيْهِ الْهُدَى وهوذٌ أَسْتَجَلِي لَدَيْهِ الْهُدَى
 وخِلْمَةٌ الْإِشْرَاقِ مِنْهَا اكْتَسَى وخِلْمَةٌ الْإِشْرَاقِ مِنْهَا اكْتَسَى
 وَالرُّوحُ رُوحُ اللَّهِ لَاقَى بِهَا وَالرُّوحُ رُوحُ اللَّهِ لَاقَى بِهَا
 فِيمَا لَهُ نَوْرٌ انْتَقَاءً بَدَا فِيمَا لَهُ نَوْرٌ انْتَقَاءً بَدَا
 وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مَعًا وَالضُّحَى وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مَعًا وَالضُّحَى
 وَنُورُهُ أَجْلَى ، وَبِرْهَانِهِ وَنُورُهُ أَجْلَى ، وَبِرْهَانِهِ
 تَفَجَّرَتْ أَنْفُلُهُ بِالْأَنْدَى تَفَجَّرَتْ أَنْفُلُهُ بِالْأَنْدَى
 وَأَنْطَقَ الطَّيْرُ بِتَصْدِيقِهِ وَأَنْطَقَ الطَّيْرُ بِتَصْدِيقِهِ
 وَسَبَّحَتْ فِي رَاحَتِهِ الْحَصَى وَسَبَّحَتْ فِي رَاحَتِهِ الْحَصَى
 وَالْجَذَعُ إِذْ عَوَّضَ مِنْ وَضْلِهِ وَالْجَذَعُ إِذْ عَوَّضَ مِنْ وَضْلِهِ
 وَهَلْ إِلَى آيَاتِهِ مُنْتَهَى وَهَلْ إِلَى آيَاتِهِ مُنْتَهَى
 فَمَا بَلِغَ بِالْعَمَّا وَصَفِهِ فَمَا بَلِغَ بِالْعَمَّا وَصَفِهِ
 وَبَعْدَ مَبْدَا (نُونٍ) أَوْ مُنْتَهَى وَبَعْدَ مَبْدَا (نُونٍ) أَوْ مُنْتَهَى

(١) في ط : « لا محال » . بدل : « بالزلال » .

(٢) آل : رجم عاجزا .

(٣) يشير إلى ثناء الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم في مفتتح سورة (نون) ومختتم سورة (براءة) .

ياسيد الكونين فضلا به
ياسابق الرسل اصطفاء ويا
ياملجأ الخلق ومنجسام
يامن به نال الحب الرضا
رُحماك فينا يا نبي الهدى
رُحماك في أوطاننا راعها
رُحماك في سلطاننا والهِ
رُحماك في غربتنا كن لها
رُحماك في كُربتنا حلها
رُحماك في عيلتنا أغنها
رُحماك في قِلتنا زكّها
صالت علينا بالوفور العدا
صالت بعددٍ واعتداد معاً
حَالَتْ بَأَنَا لَا غِيَاثُ لَنَا
وبالغنى اختالت وما إن لنا
فأنت للخلق ملاذ الورى
صلى عليك الله نور الهدى
قد ساد في الأولى ويوم المآل
خاتمهم جمعاً لمعنى الكمال
إذا بهم ضاق انفساح المجال
ويا شفيعاً في الذنوب الثقال
فلم تزل رحماك ذات انهمال
من لحظك الأحمى بعين ابتهاج
من نصرك الأمضى بأرضى نوال
أنسا فإن العهد بالأنس طال
منك بسرٍ ففى رهن اعتقال
إنا على رفدك طراً عيال
زكاة تكثير لجاء ومال
وهل على راجيك غوثاً يُصال
وما على ذاك الحمى يُستطال
حاشى غياث الخلق مما يُحال
فى غير أفياء غناك اختيال
والوزرُ الأحمى لَدَى ذى الجلال
أزكى صلاة قرنت^(١) باتصال

اتهمت القصيدة . ومن ذلك قوله رحمه الله :

لَكَ يَا فقيهُ وَضَعْتُ خَدَى فِي الثَّرَى
فَأَجَابَ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ لِأَنَّهُ
طمعاً بوصلي منك غير مؤجل
عندى رباً من باب ضَعُ وتعجل

وقوله :

لى سَيِّدُ زَارٍ وَمَا زَرْتُهُ فَنِيَّ النِّقْصُ وَمِنْهُ التَّامُ
إِنْ يَحْتَمِلُ سَهْوَى فِقْهٍ مَضَى لِأَنِّي الْمَأْمُومُ وَهُوَ الْإِمَامُ
[وَطَالَمَا زَارَ النَّعَامُ الثَّرَى وَلَمْ يَزِرْ قَطُّ الثَّرَى لِلْغَامِ]^(١)

وقوله رحمه الله ، وهو غاية في بابه :

بَعَثْتُ بِهَا ذِكْرِي عَلَى ثِقَةٍ إِلَى مُؤَمِّلٍ وَعَدَ مِنْ لِقَائِكَ^(٢) مَرْقُوبٍ
فَمَا زِلْتُ فَذًّا فِي رِءُوسِ ذَوِي الْعُلَى وَمَا وَعَدَ رَأْسٌ مِثْلَ مَوْعِدِ عُرْقُوبٍ
[وقوله :

عَابَ مِنِّي الْعُدَاةَ شَمْرًا وَثَغْرًا رُمِيَا فِي الصَّبَا بِشَيْبٍ وَشَيْنٍ
قُلْتُ : لَا عَيْبَ فِيَّ مَا دَامَ فَضْلُ فِي التَّهْمَى وَاللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ]^(١)
وقوله :

قُلْتُ لَمَّا جَبَرْتُ بِالْعَاجِ ثَغْرًا^(٣) وَلَقَدْ رُمْتُ بِالْمُحَالِ احْتِجَاجَا
صَاحٍ لَا بَأْسَ أَنْ يَعْوجَ شَبَابِي بِالتَّلَاقِ^(٤) أَمَّا تَرَى الثَّغْرَ عَاجَا
وقوله :

رَأَيْتُنِي أَحْوَطُ الثَّغْرَ رِبْطًا فَأُصْحَكُ وَتَاهَتْ بِثَغْرِ الْجَفُونِ يُحَاطُ
فَقُلْتُ لَخَوْفِ الْحَلِّ مِنْهُ^(٥) رِبْطُهُ أَيْنُكَرُ فِي الثَّغْرِ الْمَخُوفِ رِبَاطُ
وقوله :

إِلْهِى لَكَ الشُّكْوَى وَحَسْبِي رَحْمَةٌ نِدَاؤُكَ فِي شُكْوَى الْخَطُوبِ إِلْهِى

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « وفائك » .

(٣) في ط : « ثغرى » .

(٤) في ط : « بالتلاقى » .

(٥) في ت : « منك » .

وَحَقِّكَ مَا لِلَّهِ أَبَدَعْتَ خَلَقْتِي وَهَا أَنَا فِي غَيِّ الْبَطَالَةِ ^(١) لَاهِي
بِنَفْسِي وَشَيْطَانِي وَدُنْيَايَ وَالْهَوَى فَتُنْتُ وَلَكِنْ أَنْتَ حَسْبِي لَاهِي ^(٢)
وَلنَخْتَمَ مَا أَرَدْنَا جَلْبِهِ مِنْ نَظْمِهِ الَّذِي هُوَ بِحَرْ لَا سَاحِلَ لَهُ بِقَوْلِهِ :
يَا رَبِّ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الَّذِي أَحْكَمْتَ : إِنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَا
فَاخْتَمَ لِعَبْدِكَ بِالرَّضَا وَاحْكَمْ لَهُ بِالْأَسْتَرِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى مَعَا

[٨٢]

تعريف بالرئيس
ابن عاصم

وأما الرئيس أبو يحيى بن عاصم فهو الإمام العلامة، الوزير الرئيس، الكاتب
البلغ الجليل الخطيب الجامع الكامل، الشاعر المفلق النادر، الحجة، خاتمة
رؤساء الأندلس بالاستحقاق، القاضي محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن
عاصم القيسي الأندلسي القرناطي، قاضي الجماعة بها، كان رحمه الله تعالى من
أكابر ^(٣) فقهائها وعلمائها، أخذ عن الإمام المحقق أبي الحسن بن سمعة ^(٤)،
والإمام القاضي أبي القاسم بن سراج، والشيخ الراوية أبي عبد الله المنتوري،
والإمام أبي عبد الله البياني وغيرهم، وذكر في شرحه تحفة والده أنه وتلى القضاء
عام ثمان وثمانين وثمان مئة، وله عدة تأليف منها شرحه العجيب على تحفة والده
في الأحكام، وهو كتاب نافع، فيه فقه متين، ونقل صحيح، وكانت بينه
وبين عصره الإمام مفتي غرناطة أبي عبد الله السرقسطي، مراجعات
ومنازعات في مسائل فقهية. ومن تأليفه رحمه الله: كتاب جنة الرضى، في التسليم
لما قدر الله وقضى؛ وكتاب الرّوض الأريض، كأنه ذيل به إحاطة ابن الخطيب،

(١) في ت : « البلاغة » .

(٢) لاهي : أى يا إلهي .

(٣) في ط : « أكارم » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « سمعت » وهو تعريف .

وله غير ذلك ، وسند كرشيداً من كلامه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

ومن أغرب ما صدر عنه ، رضى الله عنه ، قصيدة ، تنفك منها قصيدتان أخريان بديعتان ، إحداهما من المكتوب بالأحمر ، والأخرى من المكتوب بالأخضر ، وكل واحدة من هاتين البنتين تلد موشحة ، كما ستراه ، وقد ألفتها بخط بعض أعلام سبته ، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن فرج ، وجده محمد بن فرج هو الذى نأتى بجملة من نظمه فى النعل النبوية ، عند ما نتعرض لذلك إن شاء الله تعالى ، فى محل هو أنسب من هذا الموضع ، وقد سقط من هذه القصيدة نحو ثلاثة أبيات ، فعوضتها بغيرها على ذلك السنن^(١) ، على أن بعض كلماتها لم تسقط إلى طرف^(٢) .

قصيدة له تلد
بنتين فوشحتين
فى مدح السلطان
أبى الحجاج

ونص ما كتبه السبكي المذكور من نظم السيد الأستاذ العلم الصدر المفتي القاضي رئيس الكتاب ، ومعدن الساحة ، ومنبع الآداب ، سيدى أبى يحيى ابن عاصم رحمه الله ، ورضى عنه ، يمدح السلطان العادل المقدس المنعم المرحوم المجاهد ، أبا الحجاج يوسف بن نصر ، قدس الله روحه ، ونضر ضريحه ، قال : ونقلتها من خط ناظمها رحمه الله . انتهى . وهذه هى القصيدة^(٣) :

أما والهوى « ما كنت » مذ بان عهدُه أهيـم بلقيـا من (تـنـأثر)^(٥) وُدُه
رعى الله من « لو أنصف » الصب فى الهوى لما فاض منه (الدمع) مذ^(٦) بان صدّه

(١) فى ط : « النسق » .

(٢) يريد أن الأبيات الثلاثة الساقطة قد ظهر منها بعض كلمات .

(٣) وضعنا ما كتب بالمداد الأحمر فى الأصل بين هذين القوسين « ، وما كتب بالأخضر بين هذين الهلالين () اقتداء بما فى نسخة ت .

(٤) فى ت : « إمام الهدى » .

(٥) فى ط : « تأثر » .

(٦) فى ط : « إذ » .

ولو جاد من « بعد المطال » بزورة
 كما خان صبرى يوم أصبح و « اصلى
 لذلك أسال الدمع (كالدّر) مدّمعى
 حكى لؤلؤاً (من سلكه) متناثرا
 ذخرتُ (الثمين) القدر منه بمقلتى
 ولا عجب (مُذْأعوز) القرب أن غدا
 أيلحق باللقيا أو (الوصل) من يغو
 وصير جسمى للصبابة (والتلا
 أقطع أنفاسى « عليه ك » آبة
 فمن شعره « الليل البهيم » ومن سنى
 (ب) حكم « الدلال » الجور حكم جوره
 له مَقْطِفٌ « مستحسن القد » ناعم
 رعى فى فؤادى جمرًا أ « ذكى » لهيبه
 فيعقب من نار الحيا عاطر « الشذا
 ويبسوا بأفاق ال (جمال ه) لاله
 كأن الظبى فى (مرتع) الطرف لحظه
 يروق (العيون) العطف منه فشبهت
 ويأينه « م وَرْدُ الخلد » لوجاز (٣) قطفه

لما شَبَّ أشواقى وقلبي زَنَدُهُ
 لظى « زاد ماء » (من جُفُونى) وَقَدُهُ
 من « الوجد » فاستولى على الجفن سُهْدُهُ
 و « إلا يَمِّ » قد تتابع مدّه
 ومازلت من خوف « الذكّال » أُعِدُّهُ
 و « كالقمر الزاهى » سَنَاه وبعده
 رُ « فى نوره » بدر السماء وجنّده
 فى مُيَتِّم قلبي إذ تمكّن وجده (١)
 ولله (من بدر) لغيرى (٢) سَعْدُهُ
 مُقَبِّلُهُ لـ (حُسْن) نُورٌ يُمِدُّهُ
 ومن شأنه أ (لا قرين) يَرُدُّهُ
 به (عَلِقَتْ فى الحب) بالرغم أُسْدُهُ
 به (ظى أنس) قد تلهب خُدُّهُ
 ك « أُنَى بِذاك الخال قد نَمَّ نَدُّهُ
 له « الليل فرعاو » الكواكب عقده
 كأن « القنا فى » اللين والفعل قَدُّهُ
 به قُضِبَ البان « اعتدال » لا وُمْلَدُهُ
 وطيب رحيق الثغر ل (وحل) وَرْدُهُ

(١) كذا فى ط . والشرط الثانى من هذا البيت غير مستقيم وزنًا . وروايته فى ت :

وصير جسمى للصبابة وابلى
 يتيم قلبي إذ تمكّن وجده
 ولا تتفق ألفاظ هذه الرواية مع ألفاظ الموشحة التى تخرج من هذه القصيدة .

(٢) فى ت : « لعمري » .

(٣) فى ت : « حان » .

يحول به ريق « شهبي » يحيلني
ويحمي المحييا و « المني » بلوا حظ
قله من ريم ضلوعي (كيناسه)
ويمنع منه المستهام (فما له)
وبالحسن منه (يستبجح) حمى النهى
ويؤلوي : (ديني) في الهوى وهو موسر
أفي العدل أن (يحكم) بتحريم ريقه
تخيلته لو نيل (بالنهب في) الكرى
فأجني كما شاء الوصال « رضابه »
ويشفي بذلك الميسم « العذب » ريقه
وحلو « الجني » مر الجفا باهر الس
بدا « في المثال » كالغزال محاسنا
والحب يده « ولحظه الأوطف » الوري
تملك رقي طرفه « مع سقمه »
وأظهر مكنون الهوى منذ جار (في أ
وقد كان تحت الكتم (عذري و) وجده
ويحسبه في (الحكم) بالجور « ك » الوري
إذا (بالظنون) الكاذبات يناله

إليه لظي (في القلب) قد شب وقده
(عن) الدنف المغري به ^(١) فتصدده
وروض يسقيه من الدمع عهده
و « في لثمه » لو جاد بالثم قصده
و « كل المني » واليمن يحويه برده
له در ثغر « لو ينال » وعقده
لأن « كان للشهد » الملل وزده
« وما ذقت » يشفي من السقم شهده
ويجني على قلبي هواه وصده
(فؤادي إذ) يشفي بلثمي خده
(نى له نهب ه) ذا القلب قسرا ^(٢) ورده
وتخشاه أبطال (العرين) وأسده ^(٣)
(أ) لا (هكذا) قلب المشوق أقده
و (الشرع) في حكم الغرام يرده
معتي (أ) ذى قد طال في الحب جهده ^(٤)
و « أسهر منه » ما اختفى قبل صده
وهل با « لسليم » القلب يحسب ضده
ينام فكم عم « الليال » ي سهده

(١) في ط : « بها » .

(٢) في ت : « سرا » .

(٣) هذا البيت ساقط في ت .

(٤) في ط : « جعده » .

يد «وح سن» ا «ه» للشوق وقربه
 وفي مجتلاه «الباهر» الحُسن والرؤا
 وأنعش بالإنصاف «مهما بدا» وإن
 ويديه نور الحسن وهنًا «لمتلى»
 يميل على المشتاق (بالهجر) حكمة
 فيا هاجرى (والصدّ) للصب قاتل
 أما (والفتون) البابلي وسحره
 ويا مقولى (مالى سوا) ك مؤازر
 فصغ لؤلؤا من (مدحى ابن) ملوكنا
 من أورثه الملك المؤصل (نصر) ه
 لباب العلى «قطب المعالى و» تاجها
 به قد غدا ثغر «الهدى» وهو باسم
 «و» أضحى «الكمال طود» ه فإن اعتدى [٨٥]
 ومهما عفا عاد «الحجا» وهو قاتل
 وبالشّم يُزرى عقله «الأرجح» الذى
 فعنى الحلى تهديه للقلب ذاته
 ومن كفه (غيث الندى) وغمامه
 إذا انهل منه (الواكف ال) أثر للورى

عليه حرام إذ (يحلل) بعده
 حياتى ، وشبه (القتل) للنفس فقد
 أرى (منه ظلمًا) عاود القلب وجده
 ويخفيه فرع فاحم الوصف جعده
 و «منه» استعار الميل عنى قد
 وروض «نعيه» فى رضاك وخلده
 ليقتنعنى هزل «الوصال» وجده
 و «خل الهوى وامدح» لمن حق حمده
 «إمام الورى» الباهى على الخلق رفده (١)
 وأكسبه الجسد المؤنل سعده
 و (بدر الهدى) وضاح فى الدهر (٢) سعده
 منير سناه (مشرق) الأفق سعده
 على البدر تقص و (الجبين) يمدّه
 ك (ذا الحلم والصفح) الذى أستعده
 لنح (و) (٣) المعالى والمجادة قصده
 و «سر العلى» يديه للعين مجده
 و «معنى السماح» السماح ورغده
 فصه «و الندى و» الجود قد لذورده (٤)

(١) فى ط : « الباهى على الخلق قد » .

(٢) فى ت : « فى البحر » .

(٣) فى ت : « له والمعالى » .

(٤) هذا البيت ساقط فى ط .

تخال (هَتُون) البذل منهم زائلا
 وكل « نوال ه » امل من بنانه
 وفيض نداه « يشرح » الحال إنه
 (و) في غيظه التَّجَاج « للمعنى » الغنى
 وللفضل والإحسان والبأس (سبة) ه
 وأفعاله عند استباق (الدا) شأت
 له مشرفى (دائم ال) قطع للطلا
 وبين (سكون) فى الندى من الحجا
 وزينته من (قصده الجمع) للعلا
 وحزم وعزم (بين بكر) وثيب
 فيوم الندى الإسلام يسعد دهره
 ومن بأسه « أضى الحام » تَمَنَّعًا
 وتُمشى عداه « كالحميم » شراهم
 ويغدو « الموالى » فى « سرور وغبطة
 قد اعتاد « ترك الكافر » ين وشأنهم
 فأبطلهم « رهن الفنا » ه « و » ما لهم
 ولم يبق إلا من حمى الحسن (للعطا)
 وأصبح فى العليا (كالبحر) كفه
 فصوب الحيا (فى جوده) برقه الظبى

يُكَيِّفه برق « الجلال » ورعده^(١)
 فأقصى صفات الجود (قد جاز) جوده
 يمد الحيا (فى السمع) إذ يستعده
 إذا : (الأيادى) منه يبدأ رِفده
 والملوك والإسلام والعلم عَضُّه
 و « فعل ظباه با » لكُما وجُرْدُه
 فكل كمي ل « لعدا في » ه فقهه
 (و) بين مضاء : « القتال » يُعده
 كما زَيْن ا « لسيف » الصقيل فِرِنده
 : « ه المرهف » الماضى يُفَلِّلُ حدُّه
 و « يوم الوغى » الإشرار يتعس جَدُّه
 و (للفخر) منه صارم يستعده
 وما شيدوا (فى دهره) فيهده^(٢)
 من البشر أباكرا (وعُون) تَوَدُّه
 لهيب (وشأن ه) امل الدمع وَرْدُه
 إلى (البذل) عقباه وبالسيف رَدُّه
 وشَفَّع فى أـ (يا) نه^(٣) . منه خَدَه
 كما « قد غدا مثل ال » جواهر رِفده
 يريك « هشيم » الكفر مما يقدُّه

(١) هذا البيت ساقط فى ط .

(٢) فى ت : « لم يهده » .

(٣) فى ط : « أحبابه » .

نَدَاهُ (المَعِين) الثَّرَّ قد نَمِ الهدى
وأَحَكَّ «م رفع» الملك إِذْ نصب العدا
أَيَا سَامِي «القدر» الذى جَلَّ ذكره
صَفَاتِكَ فى العُلِيَا «عزير» منالها
فَمَا شَتَّتَهُ مِنْ عِزَّةِ الْجَارِو «الحى»
وَأَبْعَدَتْ فى (وصف العلى) عَنْ مَسَابِقِ
وَجُودِكَ (فيه ذو) الرجا مَغْرَمٍ فَإِنْ
وَكَمْ مِنْ (فنون) يَسْتَمِدُّ بِهَا الضَّحَى
وَكَمْ بَاتَ يَتَلَا (وسور)ة الفتح عِزِّهِ
وَأَصْبَحَ بِاسْتِحْقَاقِهِ (الحمد من) أُولَى
بَعْدِلٍ وَإِحْسَانٍ قَدْ اخْتَلِيَهُمَا
وَبَأْسٍ وَبَطْشٍ يَحْمِيَانِ «حمى الهدى»
وَحِلْمٍ «وجودها» ت «ن» ومكارم
وكَيْفَ «ينال» المدح أَوْصَافَ مَا جَدَّ
يَمُّ بَعْدُ «و خص بال» ذَنْبٍ نَطَقَهُ
وَالسَّيْفُ نَصْرٌ يَا بَنَ «نصر على» العدا
وَالْمَلِكُ عِزٌّ أَوْ كَسْبُ الذِّلِّ «مَنْ بَغَى»
فَفِي ذِمَّةِ الْعُلِيَاءِ (تلك الخلا) العُلَى
أَنْزَلَتْ بِهَا مِنْ (فاحم ال) ظِلْمَ مَا دَجَا
فَزَالَتْ (دجون) الجور عَنْ مَطْلَعِ الْهُدَى
هُوَ «الملك» لَمْ تَغْبِطْهُ إِلَّا نِزَارُهُ

ويشقى به حزب «الضلال» وجندهُ
على حال ذل (نال من) ضل^(١) جهدهُ
ويا محرز (المجد) الذى عز نده
لها (كل طبع) أحرز الفضل فرده
«وقد» رسما فوق السماكين مجده
لها و «تداني» من نوالك رغدهُ
حمى «جوده» ذم المهلب أزددهُ
إذا ما تنأى «للمنال» ممددهُ
ويحكه «م مثل الأمل» النهى وجددهُ
مدالة فى «الأحكام قد» بان رشده
(حلاه) كما آخى المهند غدهُ
فحتى (لقد ت) لمتى مع السرح أسدهُ
ء (لاهن كل) الوصف عنها وجهده
يود العلاء (حين)ا وحينما توددهُ
و (تهدى إلى الرشد) اللبين ألددهُ
فساعة (إذ يجلى) جلى الكفر حدهُ
خافت به من مؤلم القهر نُكددهُ
و «لما بدت» للدين أنجز وعددهُ
جَلَّتْ «سعوده» ن الملك عضدهُ
فنور سنائه «فى اقتبال» وسعددهُ
بما ليس فى إه (كانها) ومعددهُ

[٨٦]

وفي منتهاك «الأشرف» الأصل للورى
 ويُمنّاك يوم الجود «ترّب الحيا» اغتدت
 لك المرهفُ السفاح بالفتح (مُنّي)
 وجمعت شتى الجود (في وتر) راحة
 فكم كامل (الأوصاف والذات ماجدٍ
 على (يمين قل) تها غير حاث
 فقد عز في الدنيا (له المثل) في العلى
 وأين المُسامى (والمُضاهى) مجادة
 كريم المسامى حافظ الدين و«الهدى
 ففي الفخر أضحى «الفضل والجد» طبعه
 ومحمد السامى «الكريم» نجاره
 فشتى «الخلال» الغرّ جُتمعن عنده
 ودونك يا مولاي حسناء غادة
 مُرنجة الأعطاف تلعب بالثهى
 هدية عبد مخلص لك قلبه
 فالفاظها تحكى جُمان دُموعه

قال جامع هذا التصنيف : أشار الرئيس أبو يحيى بهذا الشطر الأخير إلى
 الكاغد الأصفر الذى كانت فيه هذه القصيدة مكتوبة : ثم قال :

وأنقاسها من كل لون غريبها وترتيبها من ذاته يســــتتمده
 فأكحلها من مقلتي أستميحه وأحرها من أدمعى أستتمده

وأخضرها من طيب عيشى الذى مَضَى لديك وأرجو بالرضا تسترده^(١)
 وأعجب شئ أنها بكر فكرتى وما بلفت معشار شهر نعه
 وود ولدت بنتين ثنتين مثلها يروك من معناها ما توده
 وكتلتها قد جردت من نظامها موشحة كالسيف راق فرنده
 نخذها فيها للتواظر مسرح ومن مدحك^(٢) الحسن الذى تستمده
 بقيت كما تهواه ما هبت الصبا فمالت بها بان العذيب ورنده
 انتهت القصيدة الفريدة ، وهأنا أذكر البنيتين اللتين ولدت ، ثم أذكر
 ما ولدت كل واحدة منهما بحول الله وقوته .

فأما القصيدة الخارجة من المکتوب بالأخضر [فهذا نصها ، وتوشيحها
 ينتظم من المکتوب فيها بالأخضر]^(٣) وهى هذه :

(تنأثر الدمع) من جفونى (كالدر) من سلكه الثمين
 (مذ أعوز الوصل) والتلاقى (من بدر) حسن بلا قرين
 (علقت فى الحب) ظبى أنس (جماله) صرّع العيون
 (وخل فى القلب) عن كناس (فماله) يستبيح دينى
 (يحكم بالنهب) فى فؤادى (إذ ناله) نهبه العرين
 (أهكذا الشرع) فى المعنى (المذرى) والحكم بالظنون
 (يحلل القتل) منه ظلمة (بالحجر) والصّد والفتون
 (مالى سوى مدحى) ابن نصر (بدر الهدى) المشرق الجبين
 (ذا الحلم والصفح) والعالى (غيث الندى) الواكف الهتون

(١) فى ت : « نستمده » .

(٢) فى ط : « مدحها » .

(٣) زيادة عن ت .

[٨٨]

(قد جاز في السمع) وَالْأَيَادِي
(وقصده الجمع) بَيْنَ بَكْرٍ
(وشأنه البذل) لِلْعَطَايَا
(نال من المجد) كُلَّ طَبِيعٍ
(وسور الحمد) مِنْ حِلَاةٍ
(تهدى إلى الرشد) إِذْ تُجَلَّى
(كانها الشفع) فَهِيَ مَثْنَى
(قل لها المثل) وَالْمُضَاهِي
(سبق المدي) دَائِمَ السَّكُونِ
(للفخر) فِي دَهْرِهِ وَعُيُونِ
(كالبحر) فِي جُودِهِ الْمَعِينِ
(وصف العلا) فِيهِ ذُو فَنُونِ
(لقد تلا) هُنَّ كُلَّ حِينِ
(تلك الحلي) فَاحَمَ الدُّجُونِ
(في وتر) الْأَوْصَافِ وَالْيَمِينِ
(في الدهر) فِي رِفْعَةِ وَدِينِ

انتهت البنت الخضراء ، وهذا نص بنتها الموشحة ، المستخرجة من الأخضر :

الموشحة الأولى

تَنَاسَرَ الدَّمْعُ ، كَالدَّرِّ
عَلِقْتُ فِي الْحُبِّ
وَحَلَّ فِي الْقَلْبِ
يَحْكُمُ بِالنَّهْبِ
أَهَكَذَا الشَّرْعُ ، الْعُذْرِي
مَالِي سِوَى مَدْحِي
ذَا الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ
قَدْ جَازَ فِي السَّمْعِ
وَقَصْدُهُ الْجَمْعُ ، لِلْفَخْرِ
نَالَ مِنَ الْمَجْدِ
وَسُورَ الْحَمْدِ
تَهْدَى إِلَى الرُّشْدِ
كَأَنَّهَا الشَّفْعُ ، فِي وَتْرِ
مُذْ أَعْوَزَ الْوَصْلُ ، مِنْ بَدْرِ
جَمَعَهُ الْهَلْ
فَمَالَهُ
إِذَا نَمَالَهُ
يُحْلِلُ الْقَتْلَ ، بِالْهَجْرِ
بَدَرَ الْهُلْ
غَيْثُ النَّدَى
سَبَقَ الْمَدَى
وَشَأْنُهُ الْبَذْلُ ، كَالْبَحْرِ
وَصَفَ الْعَلَا
لَقَدْ تَلَا
تِلْكَ الْحَلَى
قَلَّ لَهَا الْمَثَلُ ، فِي الدَّهْرِ

[اتتهت .

ويمكن أن تستخرج باختصار هكذا] ^(١):

تنثر الدمعُ ، مُذْ أعوزَ الوصلُ
عَلِقْتُ فِي الْحَبِّ ، وَحَلَّ بِالْقَلْبِ ، يَحْكُمُ بِالنَّهْبِ
أَهْكَذَا الشَّرْعُ ، يُحَلِّلُ الْقَتْلُ ؟
مَالِي سِوَى مَدْحِي ، ذَا الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ ، قَدْ حَازَ فِي السَّمْحِ
وَقَصْدِهِ الْجَمْعُ ، وَشَأْنُهُ الْبَذْلُ
لَهُ مِنَ الْمَجْدِ ، وَسُورِ الْحَدِّ ، تَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
كَأَنَّهَا الشَّفْعُ ، قَلَّ لَهَا الْمَثَلُ

[٨٩]

انتتهت .

وأما البنت الحمراء فهي الخارجة من المكتوب بالأحمر ، وتوشيحها ينتظم من المكتوب فيها بالأحمر ، وهذا نصها :

« أَصْلَى لَطَى الْوَجْدِ الْأَلِيمِ » النكاح	« مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفَ » بعد المطال
« عَلَيْهِ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ » الدلال	« كَالْقَمَرِ الزَاهِي » فِي نُورِهِ
« كَاللَّيْلِ فَرْعًا وَالْقَنَا » فِي اعْتِدَالِ	« مُسْتَحْسِنِ الْقَدِّ » ذَكَى الشَّذَا
« فِي لَشْمِهِ كُلِّ الْمُنَى » لَوْ يُنَالُ	« مُورَدُ الْخَدِّ » شَهِيءُ اللَّمَى
« رِضَابُهُ الْعَذْبَ الْجَنَى » فِي الْمَثَالِ	« كَأَنَّ لِلشَّهْدِ » وَمَا ذُقْتُهُ
« أَسْمَرُ مِنْهُ كَالسَّلِيمِ » اللَّيَالِ	« وَلَحْظُهُ الْأَوْطَفُ » مَعَ سَقَمِهِ
« لِمَقْلَتِي مِنْهُ نَعِيمُ » الْوِصَالِ	« وَحُسْنُهُ الْبَاهِرُ » مَهْمَا بَدَا
« قُطْبُ الْمَعَالَى وَالْهُدَى » وَالْكَمَالِ	« خَلَّ الْهَوَى وَامْدَحَ » إِمَامُ الْوَرَى

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت .

« طَوَدَ الْحِجَا الْأَرْجَحَ » سرَّ العلى
 « نَوَالُهُ يَشْرَحُ » للمعتنى
 « لَسِيفُهُ الْمَرْهَفِ » يوم الوغى
 « فَيْتَرُكُ الْكَافِرُ » رَهْنُ الْفَنَّا
 « مُرْفَعُ الْقَدَرِ » غَزِيرُ الْحِمَى
 « مُمَثِّلُ الْأَمْرِ » وَالْأَحْكَامِ قَدْ
 « وَخُصَّ بِالنَّصْرِ » عَلَى مَنْ بَغَى
 « الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ » تَرَبُّ الْحَيَا
 « يَوْسُفُ النَّاصِرُ » دِينَ الْهُدَى
 « مَعْنَى السَّمَّاحِ وَالنَّدَى » وَالْجَلَالُ
 « فَعَلَ ظُبَاهُ بِالْعِدَا » فِي الْقِتَالِ
 « أَضْحَى الْحِمَامِ كَالْحِمَى » الْمَوَالِ
 « وَقَدْ غَدَا مِثْلَ الْهَشِيمِ » الضَّلَالِ
 « وَقَدْ تَدَاى جُودُهُ » لِلْمَنَالِ
 « حَمَى الْهُدَى وَجُودُهُ » أَنْ يُنَالِ
 « لَمَّا بَدَتْ سُعُودُهُ » فِي اقْتِبَالِ
 « غَيْثُ النَّدى الْهَامِ الْعَمِيمِ » النَّوَالِ
 « ذَوَالْفَضْلِ وَالْمَجْدِ الْكَرِيمِ » الْخِلَالِ
 انتهت البنت الحمراء .

وهذا نص مُوشَّحَتِهَا ، وهى بنتها ، الخارجة منها من المكتوب بالأحمر :

الموشحة الثانية

مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفُ أَصْلَى لَطَى الْوَجْدِ الْأَلَمِ
 كَالْقَمَرِ الزَاهِي عَلَيْهِ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ

مُسْتَحْسِنُ الْقَدِّ كَاللَّيْلِ فَرَعًا وَالْفَنَّا
 مُورَّدُ الْخَدِّ فِي لُثْمِ كُلِّ الْمَنَى
 كَأَنَّ لِلشَّهْدِ رِضَابَهُ الْعَذَبِ الْجَنَى

وَلَحَظَهُ الْأَوْطَفُ أَشْهَرُ مِنْهُ كَالسَّلِيمِ
 وَحُسْنُهُ الْبَاهِرُ لِمَقَاتِي مِنْهُ نَعِيمِ

خَلَّ الهوى وَاَمَدَحْ قطب المعالى والمهْدَى
طَوَدَ الحِجَا الأَرْجَحْ معنى السَّاحِ والنَّدَى
نَوَالُهُ يَشْرَحْ فَعَلَ ظُبَاهُ بِالْعَدَا

لَسِيْفُهُ المَرْهَفْ أَضْحَى الحِمَامِ كَالْحَمِيمِ
فِيْـتَرْكُ الكَافِرْ وَقَدْ غَدَا مِثْلُ المَهِشِمِ

مُرْفَعُ القَدْرِ وَقَدْ تَدَانَى جَوْدُهُ
مُمَثِّلُ الأَمْرِ حَمَى الهُدَى وَجُودُهُ
وُخْصَ بالنَصْرِ لَمَّا بَدَتْ سَعُودُهُ

الْمَلِكُ الأَشْرَفْ غِيْثُ النَّدَى الهَامِي العَمِيمِ
يُوسُفُ النَّاصِرْ ذُو الفَضْلِ والمَجْدِ الكَرِيمِ

ويمكن اختصارها أيضاً هكذا :

مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفْ ، كَالْقَمَرِ الزَّاهِرِ
مُسْتَحْسَنُ القَدِّ ، مُورِدُ الخُودِ ، كَأَنَّ الشَّهَدَ
وَلَخِظَهُ الأَوْطَفْ ، وَحُسْنُهُ البَاهِرُ
خَلَّ الهَوَى وَامَدَحْ ، طَوَدَ الحِجَا الأَرْجَحْ ، نَوَالُهُ يَشْرَحْ
لَسِيْفُهُ المَرْهَفْ ، فِيْـتَرْكُ الكَافِرْ
مُرْفَعُ القَدْرِ ، مُمَثِّلُ الأَمْرِ ، وَخْصَ بالنَصْرِ
الْمَلِكُ الأَشْرَفْ ، يُوسُفُ النَّاصِرْ

قلت : وإنما لم أجزم بهذه المختصرة لأجل أن الناظم صرح بأن كل واحدة من البنيتين الحمراء والخضراء لم تلد إلا موشحة واحدة من البنيتين ، ولو ولدت موشحتين لصرح بذلك ، ولا شك أن الموشحة غير المختصرة أتم معنى ، وأكمل مساقاً ، فالأصوب الاختصار عليها ، وإن كان يمكن استخراج أكثر منها لمن تأمل حق التأمل ، والله تعالى أعلم .

[٩١] وعلى كل حال فقد أبدع هذا الرئيس في هذه القصيدة ، وإن كان فيها بعض تكلف ، وقصده أبدع من قصد صاحب عنوان الشرف الشامي^(١) ، لأن هذا أخرج من الخارج شيئين^(٢) على ما لا يخفى ، غير أن صاحب عنوان الشرف أطال ، واستخرج أربعة علوم متباينة ، من أول وهلة ، وكلاهما قد أبدع رحمهما الله ؛ ولم أتحقق : هل وقف ابن عاصم على كتاب عنوان الشرف ، فاهتدى بأضوائه أم لا ؟ والله تعالى أعلم .

موازنة بين ابن عاصم وصاحب عنوان الشرف الشامي

ومن كتاب جنة الرضى له رحمه الله ما نصه^(٣) :

مختار من كتابه جنة الرضى

« الحمد لله الذى عَوَّضَ من الخلافِ وفاقاً ، وأعقب من الافتراق اجتماعاً واتفاقاً ، وهياً لأسواق الائتلاف برفع الخلاف^(٤) تفاقاً ، ويسر لوطن الجهاد^(٥) من توثير المهاد أرفاقاً ، وزينَ بأنجم المسعود من النصر الموعود آفاقاً ، وعقد على جمع الكلمة من الأمة المسلمة إجماعاً وإصفاقاً . نجمده سبحانه وهو الحمود بجميع اللغات ،

(١) كذا في الأصلين . واسم الكتاب : « عنوان الشرف الوافى ، في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافى » ، وهو لـشرف الدين بن المقرئ إسماعيل بن أبي بكر البني ، المتوفى سنة ٨٣٧ هـ . (انظر كشف الظنون) .

(٢) في ط : « أشياء آخر » .

(٣) العبارة « له رحمه الله ما نصه » : ساقطة في ت .

(٤) في ت : « الاختلاف » .

(٥) في ت : « الاجتهاد » .

ونشكره على ماسَّتْ من آمال على وَفَّقِ الأُمْنِيَّةَ مُبَلَّغَاتٍ ، وَنُثْنِي عليه بما أَسَدَى من عوارفِ مُخَوَّلَاتٍ ، ومواهبِ مُسَوَّغَاتٍ ؛ حمدا نستكثر من دُرره النفيسة إِنْفَاقًا ، وأمانته العظيمة فلا نأبى من سَحْلها إشفاقًا ؛ ونشهد أنه الله ^(١) لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الواحد الأحد ، الفرد الصَّمَد ، الذى لم يلد ولم يُولَدْ ولم يكن له كُفُوًا أحد ؛ شهادة نرفع لواءها المرنَّج ^(٢) العَذَبَات خَفَاقًا ، فلا لاقى بعد هذه الشهادة لمقاصد السعادة إخفاقًا ^(٣) ؛ ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، ونبيه المصطفى وخليفه ؛ نبى الرحمة ، ونور الظُّلُمه ، وشفيع الأُمَّه ، والمبعوث بالكتاب والحِكْمه ، والمجموع له بَيْنَ مزية السبق ومزية التتمه ؛ شهادة تستحفظ بقاع الأرض أَرْفَاقًا ، فلا تخشى معها القلوب ، وقد حصل منها الغرض المطلوب ، شكًّا ولا نِفَاقًا ؛ ونصلى على النبى الكريم ، المبعوث بالخلق العظيم ؛ صلاة نَحُلُّ بها من عُقَلَة الذكر وَثَاقًا ، ونؤكد بها القبول إذا عارض العمل المقبول مِثَاقًا ؛ ونَرْضَى عن آل محمد وصحبه ، وعشيرته وحزبه ، المختصين بقربه ، الفائزين بالرضا من ربه ؛ أكرم الناس أَعْرَاقًا ، وأعظمهم من خشية الله إِطْرَاقًا ، وأبهرهم فى مقامات الهداية إِشْرَاقًا ؛ ونستوهب منه التأييد والنصر ، والفتح الذى تفوت عجائبه الحضر ، والمنح الذى لا تعرف صَلَاته صَلَاته القَصْر ؛ لهذه الخِلافة الغالبية ، التى أطبقت على الإغضاء أحداقا ، وأظهرت من الحلم لما كان من مكنون العلم صَدَاقًا ؛ ونبتهل إلى الله فى دوام أيامها ، وإعلاء أعلامها ، وإمضاء ذابلها المارهب وحُسامها ؛ حتى يتنفس الإسلام خِنَاقًا ، وتسير بها الرِّفَاق ، وقد تهادتها الآفاق ، وَخَدَّاءَ وإِعْنَاقًا ، وتخضع لها الجبابرة ، والملوك القياصرة ، رقابا وأعْنَاقًا ؛ ونمد إليه

[٩٢]

(١) فى ط : « الذى » .

(٢) فى ط : « المرنَّج » .

(٣) هذه العبارة ، من قوله : « فلا لاقى » إلى قوله : « إخفاقا » ساقطة فى ت .

يَدَ الافتقار ، ونبسط كف الضراعة والاضطرار ؛ في كف الفتن ، عن هذا الوطن ؛
وكف الكفار ، عن هذه الديار ؛ وتيسير الفرج القريب ، لهذا القطر الغريب ؛
وتسهيل الصعب العسير ، لهذا الصقع النائي عن الولي والنصير ؛ فيجمع بين ^(١)
القلوب النافره ، والنفوس المتنافره ، افتراقا ؛ ويجعل دم العُداة بسيوف الحجة
الكلمة مُراقا ؛ ويُتخف بأنبائه المعجبه ، وأخباره المغربة المطربة ، شاما وعراقا .

أما بعد ، فإن الله على كل شيء قدير ، وإنه بعباده خبير بصير ، وهو لمن
أهل نيته ، وأخلص طويته ، نعم المولى ونعم النصير ؛ بيده الرفع والخفض ،
والبسط والقبض ؛ والرشد والغي ، والنشر والطي ؛ والمنح والمنع ، والضر والنفع ؛
والبطء والعجل ، والرزق والأجل ؛ والمسرّة والمساءه ، والإحسان والإساءه ؛ [٩٣]
والإدراك والقوت ، والحياة والموت ؛ فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ،
فهو الفاعل في ^(٢) الحقيقة ، وتعالى الله عما يقول الآفكون ، وهو الكفيل بأن
يُظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ؛ وإن في أحوال الوقت الداهية ،
لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وعبرة لمن تفهم قوله تعالى :
إن الله يفعل ما يشاء ، وإن الله يحكم ما يريد ؛ فبينما الدُستور عامره ، والولاية
آمره ؛ والفئة مجموعته ، والدعوة مسموعه ؛ والإمرة مُطاعه ، والأجوبة سمعها
وطاعه ؛ إذا بالنعمة قد كُفرت ، والذمة قد خُفرت .

ثم قال رحمه الله :

« والسعيد من اتعظ بغيره ، ولا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً ، جعلنا الله ممن
قضى بغيره ؛ وبينما الفرقة حاصله ، والقطيعة فاصله ، والمضرة واصله ؛ والحبل

(١) في ت : « من » .

(٢) في ط : « على » .

في انبتات ، والوطن في شتات ، والخلاف يمنع رَغَى مَتَات ^(١) ، والقلوب شَقَى من قوم أَشَتَات ؛ والطاغية يَتَمَطَّى لتَقْصُمِ الوَطَنَ وقَضَمَهُ ، ويلْحَظُهُ لَحَظًا الخائف على هَضْمِهِ والأخذ بكَظْمِهِ ، ويتوقع الحسرة ^(٢) إن يَأْذِنِ اللهُ بِمَجْمَعِ شَمْلِهِ ونَظْمِهِ ، على رَغَمِ الشَّيْطَانِ ورغمه ؛ إذا بالقلوب قد ائْتَلَفَتْ ، والمتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت ، والأفئدة بالألفة قد اقتربت إلى الله وازدلفت ، والمتضرعة إلى الله قد ابتهلت ، في إصلاح الحالة التي سلفت ؛ فألقت الحربُ أوزارها ، وأذنت الفرقة النافرة مَزَارَها ، وجَلَّتْ الألفة الدينية أنوارها ، وأوضحت العصمة الشرعية آثارها ، ورَفَعَتْ الوحشة الناشئة أظفارها أَعْذَارَها ، وأَرْضَتْ الخِلافةَ الفُلَانِيَّةَ ^(٣) أَنْصَارَها ، وَغَضَّتْ الفِتْنَةُ الْمُتَعَرِّضَةَ ^(٤) أَبْصَارَها ، وأصلح الله أسرارها ؛ فَتَجَمَّعَتْ الأوطان بالطاعة ، وَالتَزَمَتْ نصيحةَ الدين بأقصى الاستطاعة ، وتسابقت إلى لزوم السنة والجماعة ، وألقت إلى الإمامة ^(٥) الفُلَانِيَّةَ يَدَ التَّسْلِيمِ والضَّرَاعَ ؛ فَتَقَبَّلَتْ فَيئَاتِهِمْ ، وَأُحْمِدَتْ جَيِّثَاتِهِمْ ؛ وَأُسْعِدَتْ آمَالَهُمْ ، وَارْتَضِيَتْ أَعْمَالَهُمْ ؛ وَكُمَلَتْ ^(٦) مَطَالِبُهُمْ ، وَتَمَّتْ مَآرِبُهُمْ ؛ وَقَضِيَتْ حَاجَاتُهُمْ ، وَاسْتُغْنِيَتْ مَنَاجَاتُهُمْ ؛ وَالسِّتْنَةُ بالدعاء قد انطلقت ، وَوَجْهَتُهُمْ فِي الْخُلُوصِ قد صَدَقَتْ ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى جَمْعِ الْكَلِمَةِ قد اتَّفَقَتْ ، وَأَكْفَهُهُمْ بِهَذِهِ الْإِمَامَةِ الْفُلَانِيَّةِ قد اعتلقت ، وَكَانَتْ الْإِدَالَةُ في الوقتِ عَلَى عَدُوِّ الدِّينِ قد ظهرت وَبَرَّكَتْ .

[١٤]

(١) التات (يفتح الميم) : ما يتوسل به من حرمة أو قرابة أو نحو ذلك .

(٢) في ت : « المسرة » .

(٣) يريد خلافة الغالب بالله صاحب غرناطة ، وقد سبق التصريح بذلك .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « المعترضة » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأمانة » .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وقلت » .

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

[وَكَفَتْ^(١)، بقدرة ربه ، القدرة القاهرة^(٢) ، والعزة الباهرة ، من عدوان الطاغية غوائل ، بإعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل . ومعلوم بالضرورة أن الله لطيف بعباده حسبا شهد بذلك برهان الوجود ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها دليل على ما سَوَّغَ الكرم والجود ؛ وإن من أعظم نعمه التي يُعْجَزُ عن أداء شكرها ، وإن طالت آماد الأعمار ، ويُتَنَاقَى في الثناء عليه في أمرها ، فلا يبلغون من ذلك معشار المعشار ، وتتجارى الألسنة والأقلام في تقرير وصفها ، فلا تصل من ذلك إلى حد يُقْنَع ولا إلى مقدار ؛ وفي مثلها قال الله تعالى] ^(٣) : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار » . وما ذلك إِلَّا مِنَّةٌ قدرها عظيم ، وخطرُها جسيم ، وصراط العدل بها مستقيم ، وبها أمتن الله في قوله : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » إلى : « حكيم » . فهل يُستطاع شكر النعمة التي لا يكون إتفاق الأرض جميعا لها قيمه ، أو يختلف اثنان بوجه أو حال في كون هذه النعمة عظيمة ، أو يتماهى أحد في كون جمع الكلمة في هذا الوطن الغريب مِنَّةً كبيرة ومنحة كريمه !

ومن استقرأ التواريخ المنصوصه ، وأخبار الملوك المنصوصه ؛ علم أن النصارى دمرهم الله لم يدركوا في المسلمين ثارا ، ولم يرفعوا^(٤) عن أنفسهم عارا .

(١) كفت : صرفت ومنعت .

(٢) في نفع الطيب : « وكفت القدرة القاهرة » .

(٣) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٤) فيا مر من هذا الجزء (ص ٥٠) : « ولم يرفعوا » .

قال جامع الموضوع وفقه الله :

قد قدّمتُ هذا من كلام الرئيس ابن عاصم ، وهو قوله : « ومن استقرأ التواريخ المنصوصة » فراجعها فيما سبق ، إلى قوله هناك : « وروية وارتجال » .

ثم قال هنا بإثره ما نصه :

« إلى أن استقلتُ هذه الدولة الفلانية على قواعدها ، واستقرت بأحلامها الراجحة ، وأعلامها الشاخحة ؛ واستمرت على قوانين من السياسة كانت ضابطةً نشر الملكة عن الافتراق ، واستظهرت أبنائها الغرُّ من الوفاء بشيمٍ اعتلت بها أتم الاعتلاق ؛ حفظ الله الدولة الفلانية إلا في القُدْره ، ووقاها من ذلك الأمر الصعب بوقاية من الإكتساب ووقاية من القُدْره ؛ وتناولت الأيام ما بين مهادنة ومقاطعة » .

[٩٠]

وقال جامع الموضوع وفقه الله : راجع تمام هذا الكلام فيما قدمناه إلى قوله هنالك : « اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلك بنا سبيل المهتدين » .

وقال هنا بإثره ما نصه :

« وإِنما النعمة التي لا يُقدَّر قَدْرُها ، ولا يُوفَّى شُكرها ؛ هي التي تكفَّلَتْ بتبيينها تكمييفات [الأقدار ، وانجلى عن بيانها تدييرات الفاعل المختار ؛ فجمع الله بها القلوب ، وهياً ^(١) الغرض المطلوب ؛ وتتابعت بيعاتُ البلاد ، وتوافقت أهواء العباد ؛ وانتظم الملك جسماً واحداً له روح طاهر ، واستقل الإسلام رَسْماً ثابتاً حكْمُه نصٌّ وعدْلُه ظاهر ؛ وهدى الله المسلمين مع جمع الكلمة إلى القصد الشرعى ، ووقفهم إلى القيام بحكمه المحتوم وحَقُّه المرعى ؛ فاتخاذُ السلطان في [مثل] ^(١)

(١) زيادة عن ت .

هذه الأوطان واجب قياسا وسماعا ، وتعدُّرُ الخلاف في مثل هذه المسافة غير جائز إجماعا .
أيها الملأ المستعمل على الشرفاء الذين بتقديمهم [يُسْتَنْجَز من البركة
موعودُها ، والعلماء الذين هم حَفَظَةُ الشريعة الحنيفية ^(١)] أَنْ تُتَعَدَّى حدودُها ؛
والأشياخ الذين بجهادهم استقرَّ واجبها ^(٢) ، واستقام واجبها ، واستند عمودها ،
والقواد الذين بحجابتهم ^(٣) تقام أحكامها ، وتُحَاط أعلامُها ، وتُوَفَّى عهودُها ؛
والفرسان الذين هم حُمَاتُها وأنجَادُها ، وأنصارُها وجنودُها ؛ والخاصة الذين بهم
يرجع عملها ، وينجح أَمَلُها ، ويتم مقصودُها :

تعلمون حقاً أن هذا الوطن الغلاني كان قد تَعَيَّنَ للهلك ^(٤) ، بسبب هذا الخلاف ،
وتوقعت القلوب المُشْفِقَةُ حُدُوثَ الفارقة بسبب هذا الاختلاف ؛ وأن الشارع
صلواتُ الله وسلامه عليه يَمْنَعُ من كل ما يؤدي إلى الفُرْقَة بآتم الوجوه ، ويؤكد
التَرْغِيبَ والتَرْهيبَ بكل ما يخافه المؤمن ويرجوه ؛ وأن الفقه ^(٥) المذهبي ، إذا
[٩٦] حصلت البيعة في الأعناق ، وتحلت بها تحلَّى الحَمَامُ بالأطواق ، معروف ومعلوم ؛
وأن اشتداده في سدِّ باب الافتراق ، على العموم والإطلاق ، لازم محتوم ؛
والأقدار الإلهية قد هيأت قصد الألفه ، بلا كُلْفه ؛ ويسرت سبب الاتفاق ،
بحكم الوفاق ؛ فأقبلوها نعمة مُسْدَاه ، وتُحَفِّة مُهْدَاه ؛ وشُدُّوا عليها أيدي الضَّئِثَةِ ،
واعلموا ما فيها لله عليكم من المنَّة ؛ وتعاهدوا على ألا تُبْقُوا من الخلاف أثرا ،
واتفقوا على القصد الذي يَخْلُصُكم عند الله سمعاً ونظراً ؛ وفي هذا التيسير الذي
ساعدت به الألفافُ الخفية ، وساعفت به من قبل الربِّ الصنائعُ الحفية ؛ ما يتأكَّد

(١) في ت : « حفظ الشريعة الحنفية » . وظاهره أنه محرف عما أئبقناه .

(٢) استقر واجبها : سكن روعها بعد اضطراب .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) تعين ، أى تهلّل وتمزق ؛ مأخوذ من تعين السقاء ، وذلك إذا بلى ورقته منه مواضع .

(٥) في ط : « المقد » .

به الاعتبار ، ويرشد إلى أنه أراد الله نفوذه ^(١) ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .
ومما يستكمل هذا القصد الذى أشرنا إليه ويستوفيه ، قول تاج الدين رحمة الله
عليه : ما ترك من الجهل شيئاً مَنْ أراد أن يُظْهِرَ فى الوجود غير ما أراد الله أن
يُظْهِرَ فيه .

وفرض على كل إنسان فى نفسه ما طلبه [به] ^(٢) الشارع ، وعذبت فيه
بالتفويض لحكم الله ^(٣) المشارع . فالواجب علينا أن نجتمع ونألف ، ونتفق ولا
نختلف ؛ ونعتمد صريح الفقه أخذاً وتركاً ، وتبعية صحيح النقل الذى لا يدع ريباً
ولا شكاً ؛ ونسأل من الله الهداية إلى سبيل السلف الذين سَبَقُوا ، ونعزم العزم على
أمر الله فى قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

وإن أولى الناس فى ذلك بإرهاف العزيمة ، وتوخي السبيل المستقيمه ؛
والقيام بمضمون هذا الرسم المستقل ، والوفاء بتكميل قصد الكاتب فيه والمُمل ؛
لِخَوَاصِّ الدولة الفلانية الذين لحقهم التمهيص والاختبار ، ونحوَ لَتَمَّهم بأبلغ الموعظة
الأقضية والأقدار ؛ وهم الذين رجحت منهم فى هذه السوق التجاره ، والمقصودون
بالخطاب من باب إياك أعنى واسمعى يا جاره ؛ وهم الممنون عليهم باسترجاع
المغصوب المُستَحَقَّ ، والواقفون من انكسار القلوب ، والتنصل من الذنوب ،
موقف الأولى به والأحق ؛ والمُعْنِيُونَ بقوله : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » . ويختص منهم عماد الدولة ، وعميد الجمله ،
بالحظ الأوفر ، مما يتضمنه هذا التأنيب ؛ ويستمنح من الله عَقَبَ التذكرة ، بهذه
الموعظه : « وما يتذكر إلا من يُنِيب » .

[٩٧]

(١) فى ت : « لإنفاذ نفوذه » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) فى ت : « لحكمه » .

فإنا إذا نظرنا إلى ما كان قد طرّق من الابتلاء ، وشاهدنا ما كان مُعرّضا للوقوع من البلاء ؛ وراجعنا البصيرة في النعم التي كُنا عنها مَسْلُوبِينَ ^(١) ، والثَّربَة ^(٢) التي كُنا عليها مغلوبين ، والأبواب التي كُنا عنها مُحْجُوبِينَ ، والشَّرْذِمَة التي كُنا بها مَرْبُوبِينَ ، [والأنفال] ^(٣) التي كُنا في عَدَدٍ مِّنْ يُحْيِي رُسُومَهَا مُحْسُوبِينَ ؛ وقد سَلَطَ اللهُ عَلَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الظُّلْمَةِ الَّذِينَ أَعْتَاهُمْ ، فَعَسَدَ ذَلِكَ لَعْنَاهُمْ ، وَأَهَانَنَا الَّذِينَ كُنا أكرمناهم ، جزاء لما احترمناهم ؛ فَتَسَوَّنَا ، أحوَج ما كُنا إلى أن يذَكِّرُونَا ، وَخَذَلُونَا ، أَفْقَرَ ما كُنا إلى أن يَنْصُرُونَا ، وَأَسْلَمُونَا ، أَشَدَّ ما كُنا فَاقَةً إلى أن يُنْجِدُونَا ، وَتَرْكُونَا ، أَعْظَمَ ما كُنا حَاجَةً إلى أن يُسْعِدُونَا ؛ وَخَانُونَا ، أَظْهَرَ ما كُنا اضْطِرَارًا إلى وفائهم ، وَظَاهَرُوا عَلَيْنَا ، أَتَمَّ ما كُنا اِفتقارًا إلى غنائهم ؛ فَلَا شَكَّ أن المُواخِذَةَ كانت بسبب تلك الذنوب ، وأن الجناية هي التي أوجبت ما طَرَقَنَا مِنَ الخُطُوبِ ؛ فَازِفَ العَذَابُ ، وَعَادَ مِنْ أَعْدَى الأَعَادَى الأَحْبَابُ ، وَتَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسبابُ ؛ وَكَادَتْ الْعُقُوبَةُ الْعَظِيمَةُ أَنْ تَلْحَقَ ، وَالْأَخْذَةُ الرِّبَانِيَّةُ أَنْ تَمَحِّقَ ؛ لَوْلَا أَنَّ اللهَ تَدَارَكَنَا بِالْعَفْوِ ، وَتَجَاوَزَ عَنِ الْهَمِّ ؛ وَأَنَا لَكُمُ مِنَ الإِدَالَةِ مَا كُنْتُمْ تَوُمِّلُونَ ، وَاسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ لَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ . فَلْنَجْعَلْ مَا وَعَظَنَا اللهُ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَرْزَامَاتِ نُصْبُ الْأَعْيُنِ ، وَلِنَتَّخِذْ حَمْدَهُ عَلَى مَا مَنَحَنَا مِنَ الْإِنَالَةِ ^(٤) هَجِيرِ الْأَلْسُنِ ^(٥) ؛ وَلِنَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ التَّمَحْيِصَ إِنَّمَا كَانَ تَنْبِيْهًا مِنَ اللهِ عَلَى مَا عَطَلْنَا مِنْ حُدُودِهِ ، وَإِيقَاطًا مِنَ الْغَفْلَةِ عَنِ الْقِيَامِ بِمَحْقُوقِهِ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ ؛ وَلِنَتَحَقَّقَ أَنَّ مَا مَنَّ اللهُ بِهِ مِنْ جَبْرِ الْأَحْوَالِ ، وَخَلْفِ

(١) في ط : « مَسْلُوبِينَ » .

(٢) في ط : « الرتبة » .

(٣) زيادة عن ت :

(٤) في ط : « الإقالة » .

(٥) هجير الألسن ، أي دأبها وشأنها .

الأموال ؛ واستقبال العزْغَضَاً جديداً ، وصرف الهُون وقد كان عذاباً شديداً ؛ إنما هو إبلاغ في الحجة علينا ، وإعذار بالموعظة إلينا ؛ وربما عاهدنا الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين ، ولننزعن عما ارتكبناه من جرائر العاصين وجرائم الطالحين ؛ فالوفاء الوفاء حتماً [إن أردنا] ^(١) أن نكون من المفلحين . وقلنا ^(٢) أَرِفَ العذاب فرُفِعَ إلا عن كان من المصلحين ، « فلولا كانت قرية آمنت » إلى قوله : « إلى حين » ؛ فلنقدّر [قدر] ^(٣) هذا التدارك ، الذي أخذ بأيدينا من مَهاوِي الانتقام ، ولنتأمل موقع هذا البلاء الذي أحلنا من تجديد النعمة بأسنى مقام ؛ ولنحذر نسيان ما ذُكرنا به ، فلم نذكر تلك الشدائد بل نسيناها ، ولا نفرح بما أوتينا [فرح] ^(٤) الفرور الذي لا يترجع ولا يتناهى ؛ فإن في ذلك أَمَلَ الشيطان وسؤله ، ولَعَنَ الله ومَقَتَهُ ، قال الله تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء » إلى قوله : « بغته » .
اللهم هل بلغت ، وبالغت في النصيح وأبلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد .
[٩٩] و « يا قوم إن كان كَبُرَ عليكم مَقَامِي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت » ، وإليه أبرأ من حولى وتقصيري عما فيه قَصَرْتُ ، وعما عنه نَكَلْتُ » .
ثم قال رحمه الله :

« وإن مولانا السلطان الملك الفاضل التالى الذاكِر ، العفيف الطاهر ، المسترجع الصابر ، المجاهد المصابر ، الرابط المُشَاغِر ^(١) ؛ أمير المسلمين ابن نصر الخزرجي نسباً ، السَّعْدِي ^(٢) منشأ ، النصريّ جداً وأباً ؛ أيده الله على أعداء الدين ، وجعله

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « وربما » .

(٣) المشاعر ، من الشغار ، وهو (هنا) : المعاونة في الحرب .

(٤) السعدي : نسبة إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وإليه ينتهى لسب بني الأحمر ملوك غرناطة .

من الأئمة المهتدين ؛ ممن إذا جُنِيَ عليه غُفِر ، لِعِلْمنا به أنه حلِيم والله آخِذٌ بِيده
كَلِمًا عَثَرَ ؛ فأرشدنا بذلك إلى أنه كريم ؛ ومَن تَطَرَّقَ الخطوب ، وهو بالألطف
مصحوب ، وتُحَدِّقُ إليه النوائب وهو من نظرها الشَّرُّر محجوب ؛ ومَن جمع له
الناس على أن يخشاهم فزاده إيماناً ، وقال : حسبى الله ونعم الوكيل ، فانقلب بفضل
من الله ونعمه ، وممن صبر واسترجع في نقص الأموال والأنفس والثمرات ،
[فَبَشِّرْ] ^(١) بصلوات من ربه ورحمه ؛ فقبالات على أذيتِه أصناف من الناس
في سرّات متعدده ، وآناء من الدهر متجدده ؛ فاتمس الله جدودهم ، وأضرع إليه
خدودهم ، وأرغم بحوْلِه وقُوَّتِه أنوفهم ، وردَّ عنه بسيف ^(٢) من الأقدار رماحهم
وسيوفهم ، وأدنى لهم بأسباب مختلفة الأنواع حُتُوفهم : فَمِنَ آمِنٍ أُخِذَ من مَأْمَنِهِ
الذى كان يستند إليه ، وَمِنَ خَائِفٍ قد أدهشه الرُّوعُ فهو يحسب كل صيحة
عليه ؛ فكأنَّ السنة الأقدار تتهام عن منازعة الإرادة ، وكأنَّ واعظ الاعتبار
يحذِّرهم من شقائهم الكفيل له بالسعادة ؛ وكأنَّ شاهد الحال يقول هذه إرادة
الله قضاها ، وسنَّته السابقة أنفذها وأمضاها ؛ فَمِنَ المنازعُ فيما حكم الله به وقضى ،
[١٠٠] وَمِنَ الساخط في المحل الذي يطلب فيه من الله الرضا ؟ ولو كان استيلاؤه على
الملك بقوة عصبِيَّة ، وإهلاك مناوئته عن طبيعة غضبيَّة ؛ لارتاب في ذلك الناظر ،
ووجد السبيلَ إلى الاحتجاجِ المناظر ؛ ولكنه طالما عُورِضَ في الملك فكَبَّا معارضه
لِفِيهِ ، وأتيحت له النُّصرة من محلٍّ لم يحسبها فيه ؛ وشَدَّ ما احتال على نصرته
غير واحد ، فانعكست عليه حيلته ؛ وتوسَّلَ إلى مكروهه ، فطاحت في قلب
الاتقلاب عليه وسيلته ؛ ويُعْنَى عليه غيرَ ما مرَّه فنصره الله على من بنى عليه ،

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « بدافع » .

(١) وابتغى بالسوء فردّه الله على من سعى به إليه ؛ ولعل ذلك لغيب عن العيان مكتوم ، وحُكم من الحكيم العليم محتوم ؛ وألّاثر من الاختصاص قد علمه الله وليس لنا بمعلوم ، أو لأمر قد تقاصرت عنه مدارك العقول ، وكَلَّتْ دونه رواجح الحُلوم ؛ ولهذا المعاني المقرّرة ، والمقاصد المحرّرة ، والمذاهب المفسّرة ، والقوائد المسطرّة ، وغرائب أحاديثها المشتهرة ، خصّ الملأ المقصود فيه بالتذكّر ، المعتمد منه بالإيقاظ والتبصرة ؛ من أعضاء الدولة ، وسيوف الصّولة ؛ وأولياء الخُلوص الزكي الشيمة ، وموالى النعمة الفلانية ، وهم الذين خولتهم موعظتُه الحسنة ، وأعجبتهم أغراضه المتعددة ، ومقاصده المستحسنة ؛ وعلموا أنه الحق ، فسألوا من الله التوفيق إليه ، والإرشاد إلى الاتصاف به والعمل عليه ، والهداية إلى التماس رضا الله لديه ؛ ووقفوا على ما هو لهم في هذا الكتاب منصوص ، وأن سلطانهم بمزية الدفاع عنه مخصوص ، وأنه قد تطابقت على إثارة نصوص ، واستوى (٢) في تسليم الطاعة له عموم وخصوص ؛ فجَدّدوا له البيعة الوثيقة ، على ما أوجب في ذلك الحكم المشروع ، وأعطوه على ذلك العهد الأكيد حسَبًا اتفقت عليه أصول وفروع ؛ وعقدوا له مضمونها عقدا صحيحا ، وعهدوا (٣) على ما تقتضيه السّنة صريحا ؛ وشهدوا له فيه على أنفسهم أنهم بالوفاء بها قائمون ، ولشروطها المرعية حافظون ، وعلى أحكامها الشرعية محافظون ؛ وعلى ما يُوبع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، وإحاطض النصيحة جُهد الاستطاعة ؛ فأيديهم في السّلم والحرب مصروفة (٤) في مرضاته ، ونيتهم صادقة في مسنونات الوفاء ومفترضاته ؛ ولقد شاهدوا الفرقة وما جَنَّتْه ، والفتنة وما فتنته ، والألفة وما سنَّته ، والهدنة

(١) في ت : « وسمى » .

(٢) في ت : « واستولى في تسليم » . وفي ط : « واستو في تسليم » . وظاهر أن كليهما محرف عما أبتناه .

(٣) في ط : « وعهدا » .

(٤) في ت : « معروفة » .

وما قرّبت من إصلاح وأذنته ؛ فليفتبطوا بها عهدا كريما ، وعقدا قد تضمّن فضلا [عظيما بل] ^(١) عَمِيما ، واستنزم إنعاما جسيما ، وليوفوا بها الوفاء الذي يُؤْلِيهم بها نعيما مقبيا ، ويدفع عنهم عذابا أليما ، فإنه عز وجل يقول : « فمن نكث » إلى قوله : « عظيما » . وقد بسطوا أكَفَّهُم إلى الله ضارعين ، وفي رحمته طامعين ، ولعظمته خاضعين ، ومن هيئته خاشعين ، وخليفته طائعين ، وفي الخيرات مسارعين ؛ يَدْعُونَهُ رَغْبًا وَرَهْبًا مستنزلين لرحمته بالإخلاص والإجابة ، واقفين على قدم الرجاء بباب الذي أسرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ؛ ويسألونه خير ما قدره وقضاه ، والسلوك على ما فيه رضاه .

اللَّهُمَّ بِأَبْكَ قَصَدْنَا ، وَقَبُولَكَ أَرَدْنَا ، وَعَلَى فَضْلِكَ اعْتَمَدْنَا ، وَإِلَى عِزَّتِكَ اسْتَعْدَدْنَا ، وَفِي مَرَضَاتِكَ اجْتَهِدْنَا ، وَبِهِدَايَتِكَ اسْتَرْشَدْنَا ؛ فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرَفَةَ عَيْنٍ ، وَأُصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ ؛ اللَّهُمَّ إِنَّا بِكَ مُسْتَنْصِرُونَ ، وَبِعِزَّتِكَ مُسْتَظْهِرُونَ ، وَلِغِنَاكَ مُفْتَخِرُونَ ، وَمِنْ تَقْصِيرِنَا مُسْتَعِيدُونَ ، وَمِنْ ذُنُوبِنَا مُسْتَغْفِرُونَ ، وَلِشَامِلِ ^(٢) [١٠٢] عَفْوِكَ مُنْتَظَرُونَ ، وَفِي خَفَى أَلْفَاظِكَ مُسْتَبْصِرُونَ ، وَلِعَظِيمِ انتِقَامِكَ مُسْتَحْضِرُونَ ، وَلِعَمِيمِ صَفْحِكَ مُسْتَشْعِرُونَ ؛ فَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .
اللَّهُمَّ انصُرْ مَنْ بَايَعَنَاهُ سُلْطَانًا ، وَمَهَّدْ بِهِ بِلَادًا وَأَوْطَانًا ، وَأَرْغِمْ بِتَوْخِيهِ لِلْحَقِّ طَاغِيَةَ وَشَيْطَانًا ، وَآتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . اللَّهُمَّ اعْمُرْ بِالْمَسْرَةِ نَادِيَهُ ، وَكَافِ ^(٣) عَنَا أَيَادِيهِ ، وَاكْبِتِ اللَّهُمَّ أَعَادِيهِ ؛ وَكُنْ لَنَا وَلِيًّا وَنَصِيرًا ، فَأَنْتَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ . وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، الْقُرْشِيِّ الْهَاشِمِيِّ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ، فَأَنْتَ اللَّطِيفُ وَأَنْتَ الْخَبِيرُ .

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ت : « لشمول » .

(٣) الأصل : كافٍ . سهل الهمة ، ثم عامل الفعل معاملة الناقص .

اتتهى ما أردت نقله من جنة الرضا للرئيس أبي يحيى بن عاصم رحمة الله عليه .
ورأيت بخط الوادى آشى ناقلا من كتابه المسمى «بالروض الأريض» مانصه :
ابن فتوح إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي ، يكنى أبا إسحاق ، العالم
المتفنن ، صاحبنا ، محقق نظار ، وأستاذ فوائد تدرسه لجين ونصار ؛ كلا بل
جواهر ويواقيت ، ومناسك هدى لها من السعادة مواقيت ؛ فحسب الطالب
الموثوق بفهمه ، المصروف للتحصيل مطالع مواقع سهمه ^(١) ، أن يلزم حلقة تعليمه ،
وأن يشد يد الضنة بما يلقي من محصول تفهيمه ؛ فأكسير الإفادة ، إنما حصّله
الوافدون ، من جابر ^(٢) صنعته ؛ وكيمياء السعادة ، إنما يلقاها ^(٣) الظافرون في نضرة
روضه المخلص ونبعته ؛ وقرض الشعر مما يمكن دخوله تحت فرعه ، ويندرج
تحت قدرة تصرفه بجنسه ونوعه ؛ إلا أنه لِمَا يَصْدُرُ مِنْهُ عن قريحته كاتم ، وسالك
من البخل به على طرف النقيض مما سلكه حاتم .

فما علق بحفظى منه خطبة أرجوزة صنّفا في النجوم :

سبحان رافع السماء سقفا ناصبها دلالة لا تخفى
مُبدعها فلا ترى فُرجا مُودعها الأفلاك والبروجا

[١٠٣]

اتتهى . وإنما ذكرته لتعلم اصطلاحه في كتاب الروض الأريض . وقد
نقلت كلاماً آخر منه فيما سبق فراجعه ؛ ولو تتبعته ما حصل لدى من نظمه
ونثره لطال الكتاب جدا .

(١) كذا وردت هذه العبارة في ط . وفي ت : « المصروف للتحصيل مطالع... الخ » .
وكلتاها غامضة .

(٢) يورى باسم جابر بن حيان الصوفى من كبار الكيمائيين وتلميذ خالد بن يزيد بن
معاوية بن أبى سفيان .

(٣) في ط : « بتلفنها » .

شئ من كلام
ابن عاصم عن
ابن فتوح

منشور سلطان
جولي ابن عاصم
القضاء

وقد وقفت بتلسان المحروسة^(١) على ظهير منشور سلطاني أصدر للرئيس أبي يحيى بن عاصم المذكور ، بتقدمه للنظر في أمور القضاء وغيره ، ونصه :
هذا ظهير كريم إليه أنهيت^(٢) الظواهر ، شرفاً علياً ؛ وبه تقررت المآثر ، برهاناً جلياً ؛ وراقت المفاخر ، قلانداً وحلياً ؛ وتميزت الأكابر ، الذين افتخرت بهم الأقلام والمحابر ، اختصاصاً مولولياً^(٣) . فهو وإن تكاثرت الرسومات وتعددت ، وتواتت المنشورات وتجددت ، أكبر مرسوم تتم في الاعتقاد نظراً خطيراً ، وأحكم في التفويض أمراً كبيراً ، وأبرم في الاستخلاص^(٤) عزماً أتبياً ؛ اعتمد بمسطوره العزيز ، واختص بمنشوره الذي تلقاه اليمين بالتعزيز ، من لم يزل بالتعظيم حقيقاً ، وبالإكبار خليقاً ، وبالإجلال حريّاً ؛ فهو شهير لم يزل في الشهرة سابقاً ، هادٍ لم يزل بالهدى ناطقاً ، بليغ لم يزل بالبلاغة دريّاً ؛ عظيم لم يزل في النفوس معظماً ، عالم^(٥) لم يزل في الأعلام مقدماً ، كريم لم يزل في الكرام سنياً ؛ اشتملت منه محافل الملك على [العقد]^(٦) الثمين ، وحأت به المشورة في الكنف المحوط والحرّم الأمين ، فكان في مشكاة الأمور هادياً ، وفي ميدان المآثر^(٧) جريّاً ؛ فإلى مقاماته تبلغ مقامات الإخلاص ، وإلى مرتبته تنتهي مراتب الاختصاص ؛ فيمن حاز فضلاً ، وزين فقلاً^(٨) ، وشرف ندياً ؛ واستكمل هما ، واستعمل قلماً ، واستخدم مشرفياً ؛ فله ! ما أعلى قدر هذا الشرف ، الجامع بين المتلذ والمطرف ، السابق في الفضل أمداً قصياً ؛ الحال من [١٠٤]

(١) الكلام من ابتداء هذه الكلمة إلى آخر نص الظهير ساقط من ت .

(٢) في نفع الطيب (ج ٣ ص ٤٨٩ طبعة الأزهرية) : « انتهت » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « قولياً » .

(٤) في نفع الطيب : « الاختصاص » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « عالم » .

(٦) زيادة عن نفع الطيب .

(٧) في نفع الطيب : « المرشد » .

(٨) في نفع الطيب : « حاز خصلاً ، وزين حفلاً » .

الاصطفاء مظهرًا ، الفارع من القلاء منبرا ، الصاعد من العز كرميًا ؛ حاز
الفضل إرثًا وتعصيبًا ، واستوفى الكمال حظًا ونصيبًا ؛ ثناء أَرْجِه كالروض لو لم
يكن الروض ذابلًا ، وهدياً نوره كالبدر لو لم يكن البدر آفلا ، ومجداً علوه
كالشها لو لم يكن الشها خفياً ؛ فما أشرفَ الملك الذي اصطفاه ، وكتل له حق
التقريب ووفاه ، وأحلّه قرارة التمكين ، ومَنَّ باختصاصه بالمكان المكين ،
فسبق في ميدان التفويض وسمًا ، ورأى من الأنظار الحميدة ما رأى ، صادقاً
بالحق إماماً علماً ، موضحاً من الدين نهجاً أمّماً ، هادياً من الواجب صراطاً سويّاً ؛
بانيّاً للمجد صرحاً مُشَيِّداً ، مشهراً للعدل قولاً مؤيِّداً ، مُبرِّمًا للخير سبباً قويّاً ؛
فالله تعالى يصل لمقام هذا ^(١) الملك الذي أطلع في سمائه بدرّاً دونه البدور ، وصدرًا
تلوذ به الصدور ، سعداً لا تماطله ^(٢) الأيام في تقاضيه ، ونصرًا يَغْضَى به نَصْلُ
الجهاد فلا يزال ماضيه ، على الفتح مَبْنِيّاً ؛ ويُوَالِي له عزّاً يذود عن حرم الدين ،
ويَمْنَحُه تأييداً يُصْبِحُ في أعناق الكفر حديث سيفه قَطْعِيّاً ؛ أمر به مرسومًا
عزيرًا لا تبلغ المرسومات إلى مداه ، ولا تُبْدَى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه ،
عبدُ الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله ، ابن الأمير المقدس فلان أيَّد الله تعالى
مقامه ، ونصر أعلامه ، وشكر إنعامه ، ويسر مرامه ؛ لإمام الأئمة ، وعلم
الأعلام ، وعماد ذوى العقول والأحلام ، وبركة حملة السيوف والأقلام ، وقُدوة
رجال الدين وعلماء الإسلام ؛ الشيخ الفقيه أبي يحيى ابن كبير العلماء ، شهير
العلماء ؛ حجة الأكابر والأعيان ، مصباح البلاغة والبيان ؛ قاضى القضاة
وإمامهم ، أوحد الجِلَّة وطُود شَمَاهم ، الشيخ الفقيه أبى بكر بن عاصم ، أبقاه الله
تعالى ؛ ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ، ومواهب الملك به معهودة الإحسان ،

(١) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « يصل لهذا » .

(٢) في نفح الطيب : « لا تملّه » .

وقلائد الأيادي منه مُتَلَدَةٌ^(١) بحيد كل إنسان ؛ قد تقرر والفاخر لا تنسب إلا
لبنها ، والفضائل لا تعتبر إلا بمن يشيد أركانها ويبنها ؛ والكمال لا يصفى [١٠٠]
شربه ، إلا لمن يُؤَمِّن سِرِّه ؛ وإن هذا العلم الكبير ، الذي لا ينى بوصفه
التعبير ؛ علم بآثاره يقتدى ، وبأنظاره يهتدى ؛ وبإشارته يُستشهد ، وبإرادته
يسترشد ؛ إذ لا أمد علو إلا وقد تخطاه ، ولا مَرَكَب فضل إلا وقد تمطّاه ؛
ولا شارقة هدى إلا وقد جَلَّاهَا ، ولا لَبَّة نحر إلا وقد حَلَّاهَا ؛ ولا نعمة إلا
وقد أسداها ، ولا سُومة^(٢) إلا وقد أبداهَا ؛ لما له في دار الملك من الخصوصية
العظمى ، والمكانة التي تسوغ النعمى ؛ والرتب التي تسمو العيون إلى مرتقاتها ،
وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها ؛ حيث سر الملك مكتوم ، وقرطاسه مختم ،
وأمره محتوم ؛ والأقلام قد رَوَّضت الطروس وهى ذاويه ، وقسمت الأرزاق
وهى طاويه ؛ شُقَّت ألسنتها فنطقت ، وقُطِّت أرجلها فسبقت ؛ ويست فأنمرت
إنعاما ، ونُكِّست فأظهرت قواما ؛ وخَطَّت فأعطت ، وكتبت فوهبت ، ومُشِّت
فدَفَّقَتْ^(٣) ، وأبْرَمَتْ فأنعمت ؛ فكُم يَسَّرَت الجبر ، وعقرت الهزبر ؛ وشَتَّقَتْ
السامع ، وكَيَّفَتْ المطامع ؛ وأقَلَّت فيما ارتفع من الموضع ، وأحَلَّت لما امتنع
من المراضع ؛ فهى تنجز النعم ، وتحجز النقم ؛ وتبث المذاهب ، وتحث المواهب ؛
وتروض المرَّاد ، وتُنْهَضُ المُوَادَّ^(٤) ؛ وتحرس الأكناف ، وتغرس الأشراف ؛
مُصَيِّخَةٌ لنداء هذا العباد الأعلى ، طامحة لمكانه الذى سما واستعلى ؛ فيما يملى عليها
من البيان ، الذى يقر له بالتفضيل ، الملك الضليل^(٥) ؛ ويشهد له بالإحسان ،

(١) فى نفح الطيب : « متلدة » .

(٢) كذا فى نفح الطيب . والسومة (فى الأصل) : العلامة . وفى الأصلين : « حرفة » .

(٣) فى نفح الطيب : « فرفقت » .

(٤) فى ط ونفح الطيب : « المراد » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٥) الملك الضليل : لقب امرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر المعروف .

لسان حسان ؛ ويحكم له بيزى القوس ، حبيب بن أوس ؛ ويهيم بما من الأساليب عنده ، شاعر كنده^(١) ؛ ويستمطر سحبه الثَّره ، فصيح المعرة^(٢) ؛ إلى منشور تزيل الفقر فقره ، وتَدِر الرزق دِرْزه ؛ لو انْهَى إلى قُسّ إِياد لشكر فى الصنِعة أياديّه ، واستمطر سُحبه وغواديه ؛ أو بلغ إلى سَحْبَان لَسَحَره ، وما فارقه عشيتّه ولا سَحَرَه ؛ ولو رآه الصابى لأبدى إليه من صَبْوته ما أبدى ؛ أو سمعه ابنُ عباد ، لكان له عبدا ؛ أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه ، واستنزر بضائعه ؛ أو أُتَحِف به البُسْتى لاتخذهُ بستاناً ، أو عُرِض على عبد الحميد لأحمد من صَوِّبه هَتَاناً ؛ فأعْظِم به من عالٍ لا تُرْفى ثنيتّه ، ولا تُحاز مزيّته ؛ ولا يُرْجَم أفعه ، ولا يُكْتَم حقه ؛ ولا يَنَام له عن^(٣) اكتساب الحمد ناظر ، ولا ينقاس به فى الفضل مناظر ؛ وهل تقاس الأجادل بالبُعْاث ، أو الحقائق بالأضْغاث ؛ ألا وإنَّ بيته هو البيت الذى طلع فى أفعه كلُّ كوكب وقاد ، ممّن رَسَخ^(٤) به للعلوم اتقاء واتقاد ، وتراعى^(٥) به للمدارك ذكاء وانتقاد ؛ فأعْظِم بهم أعلاما وصدورا ، وأهله وبدورا ؛ خلّدت ذكرهم الدواوين المسطّره ، وسرت فى محامدهم الأنفاسُ المعطّره ، إلى أن نشأ فى سماءهم هذا الأوحد ، الذى شهرة فضله لا تُجحد ؛ فكان قرّهم الأزهر ، ونيرهم الأظهر ؛ ووسيلة عِقدَم الأنفس ، ونتيجة مُجْدَم الأفعس ؛ فأبعد فى المناقب آمادَه ، ورفع الفخر وأقام عِمادَه ؛ وبني^(٦) على تلك الأساس المشيّد ، وجرى لإدراك تلك الغايات البعيدة ؛ فسبق وجلّى ، وشَنَف بذكره المسامع وحلّى ؛ ورفع

(١) شاعر كنده : أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى لأنه ولد بمحلة كنده بالكوفة

(٢) فصيح المعرة : أبو العلاء المعرى .

(٣) كذا فى نفع الطيب . وفى ط : « على » .

(٤) فى نفع الطيب : « وشج » .

(٥) فى نفع الطيب : « وتراعى » .

(٦) كذا فى نفع الطيب . وفى ط : « وبناء » .

المشكل ببيانه ، وحرّر الملتبس ببرهانه ؛ إلى أن أحله قضاء الجماعة ذروة أفعه الأصعد ، وبوأه عزيز ذلك المقعد ؛ فشرّف الخطّ ، وأخذ على الأيدى المشتطه ؛ لا يراقب إلا ربه ، ولا يضمر إلا العدل وحبّه ؛ والمجلس السلطاني أعلاه ^(١) الله تعالى يختصّه بنفسه ، ويفرغ عليه من خلل الاصطفاء ولبّسه ؛ ويستمطر فوائده ، ويجرى ^(٢) بأنظاره حقوق الملك وعوائده ؛ فكان بين يديه حكماً مُقسّطاً ، ومقسّماً لحظوظ الإنعام مقسّطاً ، إلى أن خصّه بالكتابة المولوية ، ورأى له في ذلك حق الأولوية ؛ إذ كان والده المقدّس تَمَّ الله ثراه ، ومنحه السعادة في أخراه ؛ مُشرّف ذلك الديوان ، ومُعَلّي ذلك الإيوان ؛ يُحجّر رفاع ^(٣) الملك فتروق ، وتلوح كالشمس عند الشروق ؛ غلّ ابنه هذا الكبيرُ شرفاً ، الشهير سلفاً ؛ مرتبته التي سَمّت ، وافترّت به عن السعد وابتسمت ؛ فسحبت به للشرف مطارف ، وأحرزت به من الفخر التالد والطارف ؛ فهو اليوم في وجهها غرّه ، وفي عَيْنها قرّره ؛ والله هو في مُلاحظة الحقائق ورّعيتها ، وسمّع الحُجج ووَعيتها ؛ فلقد فضل بذلك أهل الاختصاص ، وسبقهم في تبين ما يُشكل منه وما يعتاص ؛ إذ المشكلة معه جليّة الأغراض ، والآراء لديه آمنة من مأخذ الاعتراض ؛ فكم رتبة عمرها بذويها ، فأكسبها تشريقاً وتنويعاً ^(٤) ؛ وعلى ذلك فأعلام قضاة الوطن ، ومن عبّر منهم وقطن ؛ مع أقدارهم الساميه ، ومعاليم التي هي للزهر مُساميه ؛ إنما رقتهم ^(٥) وساطته التي أحسنت ، وزينت بهم المجالس وحسنت ؛ فيه أمضوا

[١٠٧] مرتبته التي سَمّت ، وافترّت به عن السعد وابتسمت ؛ فسحبت به للشرف مطارف ،

(١) في نفع الطيب : « أسماء » .

(٢) في نفع الطيب : « يجرب » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وقائع » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « تنزيها » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « راقهم » .

أَحْكَامَهُمْ ، وَأَعْلَوْا فِي الْأَبَاطِيلِ احْتِكَامَهُمْ ؛ وَكَتَبُوا الرُّسُومَ ، وَكَبَتُوا الْخُصُومَ ؛ وَحَلَّوْا دَسْتَ الْقَضَاءِ ، وَسَلَّوْا سَيْفَ الْمَضَاءِ ؛ وَفِي زَمَانِهِ تَخَرَّجُوا ، وَفِي بُسْتَانِهِ تَأَرَّجُوا ؛ وَمَنْ خُلِقَ اكْتَسَبُوا ، وَإِلَى طُرُقِهِ انْتَسَبُوا ؛ وَعَلَى مَوَارِدِهِ حَامُوا ، وَحَوْلَ فَرَائِدِهِ ^(١) قَامُوا ؛ وَبِتَعْرِيفِهِ عُرِفُوا ، وَبِتَشْرِيفِهِ شُرِفُوا ^(٢) ؛ وَبِصِفَاتِهِ كَلِفُوا ، وَبِعِرْفَانِهِ وَقَفُوا ؛ فَأَمِنُوا مَعَ انْسِكَابِ سُحْبِ إِفَادَتِهِ مِنَ الْجَذْبِ ، وَقَامُوا بِذَلِكَ الْغَرَضِ بِسَبَبِ ذَلِكَ النَّدْبِ ؛ وَهَلِ الْعُلَمَاءُ وَإِنْ عَمَّتْ فَوَائِدُهُمْ ، وَانْتَضَمَتْ بِحِيَادِ الْأَذْهَانِ فَرَائِدُهُمْ ؛ إِلَّا مِنْ أَنْوَارِهِ مُسْتَمِدُّونَ ، وَإِلَى الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ أَنْظَارِهِ مِمْتَدُّونَ ، وَبِزَكَاتِهِ مَعْتَدُّونَ ، وَبِأَسْبَابِهِ مُشْتَدُّونَ ؛ فِيهِ اجْتَنِيتَ مِنْ أَفْنَانِ الْمَنَابِرِ ثَمَرَاتَهُمْ ، وَتَأَرَّجْتَ فِي رَوْضَاتِ الْمَعَارِفِ زَهْرَاتَهُمْ ؛ وَبِهِ عَمَّرُوا الْحَلَقَ ، وَاثْتَلَقَ مِنْ أَنْوَارِهِمْ مَا اثْتَلَقَ ؛ إِذْ كُلٌّ مِنْ اصْطِنَاعِهِ مُحْسُوبٌ ، وَإِلَى بَرَكَتِهِ مَنْسُوبٌ ؛ فَهُوَ بَذَرُهُمُ الْأَهْدَى ، وَغَيْشُهُمُ الْأَجْدَى ؛ وَعِقْدُهُمُ الْمُقْتَنَى ، وَرَوْضُهُمُ الْمُجْتَنَى ؛ وَبَدْرُ مَنَازِلِهِمْ ، وَصَدْرُ مَحَافِلِهِمْ ؛ وَعَلَى مَا أَعْلَى الْمَقَامِ الْمَوْلُودِ مِنْ مَكَانِهِ ، وَقَضَى بِهِ مِنْ اسْتِمْكَانِهِ ؛ وَاعْتَمَدَ مِنْ إِبْرَامِهِ ، وَأَبْرَزَ مِنْ اعْتِمَادِهِ ، وَهَدَّ مِنْ إِكْرَامِهِ ، وَأَكْرَمَ مِنْ مَهَادِهِ ؛ وَاخْتَصَّ مِنْ عُلاهِ ، وَأَعْلَى مِنْ اخْتِصَاصِهِ ، وَاسْتَخْلَصَ مِنْ حُلَاهِ ، وَحَلَى مِنْ اسْتَخْلَاصِهِ ؛ وَوَفَّى مِنْ تَكْرَمِهِ ، وَكَرَّمَ مِنْ وَفَائِهِ ، وَاصْطَفَى مِنْ تَجَدُّهِ ، وَتَجَدَّ مِنْ اصْطِفَائِهِ ؛ وَقَدَّمَ مِنْ بَرَاعَتِهِ ، وَحَكَّمَ مِنْ يَرَاعَتِهِ ^(٣) ؛ وَشَقَّقَ ^(٤) مِنْ كِتَابَتِهِ ، وَأَنْطَقَ مِنْ خَطَابَتِهِ ؛ وَسَجَّلَ مِنْ أَنْظَارِهِ ، وَعَدَّلَ ^(٥) مِنْ اخْتِيَارِهِ ؛ فَذَكَازْ كَرُّهُ ،

[١٠٨]

(١) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ : « فَوَائِدُهُ » .

(٢) فِي ط : « أَلْفُوا » .

(٣) فِي ط : « بَدَاعَتِهِ » .

(٤) شَقَّقَ ، يَرِيدُ : اقْنَنَ . مَاخُذُ مِنْ شَقِّقِ الرَّجُلِ الْكَلَامَ ، وَذَلِكَ إِذَا أَخْرَجَهُ

أَحْسَنَ مَخْرَجٍ .

(٥) فِي ط : « مَجَّلَ » .

وسطاً سَطَرُهُ ؛ وأمن مَغْنَاهُ ، وأغنى مَغْنَاهُ . أشار أَيْدَهُ اللهُ تعالى باستئناف
خُصُوصِيَّتِهِ وتجديدها ، وإثبات مقاماته وتحديدها ؛ لَتُعَرَفَ تلك الحدود فلا
تُتَخَطَى ، وتُكَبِّرَ تلك المراتب فلا تُسْتَغَطَى ؛ فأصدره — شكر الله تعالى إصداره ،
وعَمَّرَ بالنصر دارَه — هذا المنشورَ الذي تَأَرَّجَ بِمُحَامِدِهِ نَشْرُهُ ، وتضمَّنَ من مناقبه
البدیعِ قَرَّاقِ طِيَّهِ ونَشْرِهِ ؛ وغداً وفرائدُ المآثرِ لديه مُوجدةٌ مكوَّنةٌ ، وأصبح
للمفاخر مالِكاً لما أتى به مُدَوَّنُهُ ؛ وخَصَّهُ فيه بالنظر المطلق الشروط ، الملازم
للتفويض ملازمةً الشرط للمشروط ؛ المستكمل الفروع والأصول ، المُستوفى
الأجناس والفصول ؛ في الأمور التي تختصُّ بأعلام القضاة الأكابر ، وكتاب
القضاة ذوى الأقاليم والمحابر ، وشيوخ العلم وخطباء المنابر ، وسائر أرباب الأقاليم
القاطن منهم والغابر ؛ بالحضرة العلّية ، وجميع البلاد النضرية ؛ تولى الله جميعَ
ذلك بمجهود سَتْرِهِ ، ووصلَ له ^(١) ما تعود من شَفْعِ اللطف ووتره ؛ يحوط مراتبهم
التي قَطَّفت من روضاتها ثمراتُ الحكم وجُنَيْت ، ويُراعى أمورهم التي أقيمت
على القواعد ^(٢) وُبُنِيَتْ ، وحقوقهم التي حُفِظَتْ لهم في المجالس السلطانية
ورُعِيَتْ ؛ ويحلُّ كل واحد منهم في منزلته التي تليق ، وسرّيته التي هو بها خَلِيق ؛
على مُقْتَضَى ما يعلم من أدواتهم ، ويَخْبُرُ من تباين ذواتهم ؛ ويُرْشَحُ كل واحد
إلى ما استحقَّه ، ويؤتَى كل ذى حق حَقُّهُ ، اعتماداً على أغراضه التي عدَّتْ ،
وصدَّحت على أفنانها من الأفواه طيورُ الشكر وهَدَلَتْ ؛ واستناداً في ذلك إلى
آرائه ، وتفويضاً له في هذا الشأن بين خُلَصَاءِ الملك وظُهرائه ؛ وذلك لمُقْتَضَى
ما كان عليه أعلامُ الرياسة الذين سبقوا ، واتهضوا بِهِمَّهم واستبقوا ؛ كالشيخ

(١) في نفع الطيب : « لديه » .

(٢) في نفع الطيب : « العوائد » .

الرئيس الصالح أبي الحسن بن الجيّاب ، والشيخ ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب ، رحمهما الله تعالى .

[١٠٩] فليقم — أبقاه الله تعالى — بهذه الأعمال التي سَمَتَ واعتَزَت ، ومالت بها أعطاف العدل واهتزت ؛ وسار بها الخبر حيث سرى ^(١) ، وصار بها الحقُّ مَشْدُودَ العُرَى ؛ وعلى جميع القضاة الأصفياء ، والعلماء الأَرْضِيَاء ، والخطباء الأولياء ، والمقرئين الأذكىاء ، وحملة الأقلام الأخطياء ؛ أن يعتمدوا على هذا الوليِّ العِمَاد في كل ما يرجع إلى عوائدهم ، ويختص في دار الملك من مرتباتهم وفوائدهم ؛ وما يتعلق بولاياتهم [وأمنياتهم] ^(٢) ، ويليق بمقاصدهم ونتياتهم ^(٣) ؛ فهو الذي يُسوِّغهم المَشَارِب ، ويُبلِّغهم المَآرِب ؛ ويستقبل العلىَّ بالعلى ، والعاطل بالحقلي ، والمُسْكِل بالجلي ؛ والمُفَرِّق بالتاج ، والمقدمة بالإنتاج ؛ وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرم على ولايتهم ^(٤) وأبقاهم ، ولقاهم من حفظ المراتب ما رقام ؛ فليجروا على ما هم بسبيله ، وليهتدوا برُشد ^(٥) هذا الاعتناء ودليله .

وكتب في صفر عام سبعة وخمسين وثمان مئة . انتهى .

وإنما كتبت برؤمته لتعلم به مِصداق ما قدمناه من تمكّن ابن عاصم المذكور من مراتب الاصطفاء والاحتفاء ^(٦) .

ولنختم ترجمته ، رحمه الله ، بتخميس عجيب من نظمه :

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ الْأَنْوَارَ وَاحْتَجَبَا وَكُلَّ حَمْدٍ وَتَمْجِيدٍ لَهُ وَجَبَا

(١) في نفح الطيب : « ... الخبر حيث السرى » .

(٢) زيادة عن نفح الطيب .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « وأفضياتهم » .

(٤) في نفح الطيب : « ولاياتهم » .

(٥) في نفح الطيب : « بمرشد » .

(٦) إلى هنا ينتهي الساقط من نسخة ت .

إذا ابتغى العقلُ في إدراكه سبباً جاء الحجابُ فالتقى دونه الحُجبُ
حتى إذا ما تَلَّشَى عندها ظَهراً

سُبْحانَ مَنْ كانَ والأَكوانُ لم تَكُنْ في غيرِ أينَ ولا وَقْت ولا زَمَنٍ^(٢)
حتى أتى الجودُ بالإيجادِ والمِلَنِ وكان ما^(١) قد رَسَمناه بما وَمَنٍ^(٣)
وأظهر الشمسَ ذاتَ النُّورِ والقَمَرَ

سُبْحانَ مَنْ حَجَبَ الأبصارَ فاحتجبتْ وكَم أراد مُريدُ نيلِها فأبَتْ
مَنْ حَدَّثته أمانيه فقد كَذَبَتْ حَقِيقَةُ ذاتِها عن ذاتِها وَجَبَتْ
لا يُدركُ العقلُ من أخبارِها خَبَرًا

سُبْحانَ مَنْ شَأْنه في شَأْنه عَجْبُ يَخْفَى فيظهُرُ أو يبدو فيحتجبُ [١١٠]
يأيها العاكفون السادة النجبُ هل فيكم مَنْ سعى سَعْيًا كما يَجِبُ
فماز بالعرض المَطْلُوب أو ظَفِرًا

سُبْحانَ مَنْ لم يزل بالعلم مُنفردًا . من تعالى عن الأشباه فأتحدًا
سبحانه وتعالى واحداً صَمَدًا تبارك الله لم يولد ولم يلدًا^(٤)
نَزَّهَ اللهُ عَمَّا يَلْحَقُ البَشَرًا

سبحان من أخرج المَوْجودَ من عَدَمٍ رَسَمًا برى كَوْنَه في غيرِ مُرْتَسِمٍ
فلا حَلَّ سِوَى كُنْهِهِ مِنَ الكَلَمِ ولم يَزَلْ هو في دَيْمومة القِدَمِ
مُؤَثِّرًا يَخْلُقُ التَّائِيِدَ والأَثَرًا

سبحان من خلق الأشياءَ أجمعها فمن رآها رأى أفعالها معها

(١) الأبن : الإعياء .

(٢) في ط : « من » .

(٣) بما ومن : يريد ما خلق الله مما لا يعقل ومن يعقل .

(٤) في ط : « وما ولدا » .

وكان أُنْقَمَها صُنْعاً وأَبْدَعَهَا نَفْسٌ إلى العالمِ المُلوَّى رَفَعَهَا
وخصَّها من معاليه بما بِهِرًا

سُبْحان من عَمَّ بالإِنعام ما خَلَقَا وشَفَعَ المَدَلَّ بالإحسان فاتَّفَقَا
وزاد بالذِّكر في قلب التَّقَى تَقَى فاستكمل الدينَ والإيمانَ والخُلُقَا
وكان مدرُّهُ الصديقَ أو عُمرًا

سُبْحان من سَبَّحْتَهُ كُلُّ سابِجَةٍ وكلُّ عائمةٍ في الماءِ سابِجَةٍ
وكلُّ غاديةٍ تَغْدُو ورائِحَةٍ وسَبَّحْتَهُ خَفَايا كُلُّ جانِحَةٍ
لم تعرف السرَّ حتى جاورت صُورًا

سُبْحان من حمدته ألسُنُ البَشَرِ في السرِّ والجهرِ والآصالِ والبُكَرِ
وفي دُجَى تَشْدُو نصفَ الليلِ والسَّحَرِ بالشُّكرِ والذِّكرِ والآياتِ والسُّورِ
تُؤَلِّيه حَمْدًا وتتلو بعده سُورًا

سُبْحان من نَزَهَتْهُ ألسُنُ عَرَفَتْ عَنْ كُلِّ ما يُوهِمُ التَّشْبِيهِ إِذْ وَصَفَتْ
صَفًا لها مَوْرِدَ التحقيقِ حينَ صَفَتْ فلم تُفَارِقْهُ حتى أَثْبَتَتْ وَنَفَتْ
ولم تَدْعَ شُبُهَةً تُؤْذِي ولا ضَرَرًا

سُبْحان مَنْ شُكْرُهُ في الدينِ مُفْتَرَضٌ وليس يُشْبِهُه جِسْمٌ ولا عَرَضٌ
يَنْهَى وَيَأْمُرُ ما في ذا وَذا غَرَضٌ فَادْكُرْ لِنِعْمائِهِ ذِكْرًا ليس يَنْقُضُ
فمن تَحَدَّثَ بِالنِّعْمِ فَقَدْ شَكَرًا

سُبْحان من خَضَعَ السَّبْعُ الطَّباقَ لَهُ وَأَعْظَمَتِ قُلُوبُ حَشَوُها وَلَهُ
تَريدُ أَنْ تَعْلَمَ الأَبْنَى وَتَقْلَهُ طُوبَى لِمَنْ أَمَلَ الأَبْنَى وَأَمَّ لَهُ (١)
واستكثر الزاد لما آنَسَ السَّفَرَا

[١١١]

(١) ورد هذا البيت محرفًا هكذا في ت :

تريد تعلم ما تقي وتعلمه طوبى لمن أمل الأتقى وأم له

سُبْحَانَ مَنْ زَيْنَ الْأَفْلَاكَ بِالشُّهُبِ وَيَبِينُ الدِّينَ بِالْآيَاتِ^(١) وَالْكِتَابِ
وَلَمْ يَدْعُنَا لَدَى لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ^(٢) لَكِنْ نَهَانَا وَأَتَانَا عَلَى الرُّتَبِ
حَتَّى اتَّهَيْنَا وَأَذَعَنَا لِمَا أَمَرَا

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْأَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ فَتَارَةً تَتَنَاسَى ثُمَّ تَأْتِلُفُ
هَذَا الظَّلَامَ بِنُورِ^(٣) الصُّبْحِ يَنْصَرِفُ كَمَا الضَّلَالُ لِنُورِ الْعِلْمِ لَا يَقِفُ
فَسَلَهُ نُورًا يُبَيِّرُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْأَخْلَاقَ وَالْخَلِيقَ وَالشَّمْسَ وَالْبَدْرَ وَالظُّلُمَاءَ وَالْفَسَقَ
يَرُوقُ الْكُلُّ مَجْمُوعًا وَمُفْتَرَقًا وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاسْلُكْ نَحْوَهُ طُرُقًا
فَأَسْعِدِ النَّاسَ مَنْ فِي نَفْسِهِ نَظَرًا

سُبْحَانَ مَنْزِلِ مَاءِ الْمُرْنِ فِي الْمَطَرِ يُرْوِي النَّبَاتَ وَيَسْقِي يَارِيعَ الثَّمَرِ
كَأَنَّمَا الزُّهْرُ تُهْدِيهِ إِلَى الزَّهْرِ إِذَا رَأَيْتَ تَلَاقِيهَا عَلَى قَدَرٍ
رَأَيْتَ صُنْعَ قَدِيرٍ أَحْكَمَ الْقَدَرَا

سُبْحَانَ مَنْ قَدَرَ الْأَقْوَاتَ وَالْأَجَلَ وَتَابَعَ الْوَحْيَ وَاسْتَقْبَلَ بِهِ الرُّسُلَا
فَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ الْفَوْقِ قِيلَ غَلَا وَمَنْ تَجَوَّزَ مُنْحَطًا فَقَدْ سَفَلَا
وَمَنْ تَخَطَّى خُطُوطَ الْمُنتَهَى كَفَرَا

سُبْحَانَ مَنْ فَجَّرَ الْأَنْهَارَ فَانْفَجَرَتْ وَقَدَرَ الْخَيْرَ فِي إِجْرَائِهَا فَجَبَرَتْ
فَزِينَةُ الْأَرْضِ بِالْأَزْهَارِ قَدْ ظَهَرَتْ وَلِلْبَصِيرَةِ عَيْنٌ كُلَّمَا نَظَرَتْ^(٤)
رَأَتْ جَمَالًا وَإِجْمَالًا وَمُعْتَبَرًا

(١) في ط : « في الآيات » .

(٢) في ت : « ولا لعب » .

(٣) في ت : « بضوء » .

(٤) في ت : « بصرت » .

سبحانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَأَعْقَبَ اللَّيْلَةَ اللَّيْلَاءُ بِالْفَسَقِ
يَاهِجَّةَ الشَّمْسِ دُونِي عُدْتُ^(١) مِنْ فَلَقٍ^(٢) وَيَا سَنَا الْبَدْرَ عَارِضَ مُحْمَرَةٍ الشَّفَقِ
حَتَّى تُعِيدَ لَنَا مِنْ لَيْلِنَا سَحَرًا

سُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ وَسَلَّطَ الِهْمَّ وَالْبَلَوَى عَلَى الِهْمِ
فَقَاوَمَهَا جُنُودُ الصَّبْرِ وَالْكِرَمِ ثُمَّ ابْتَلَى قَلْبَ غَيْرِ الْعَارِفِ الْفَهْمِ
فَمَا أَطَاعَ وَلَا أَوْفَى وَلَا صَبَّرَا

[١١٢] سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ فَلَيْسَ يَتَمَشَّى إِلَى شَيْءٍ عَلَى مَهَلٍ
وَلَا يَقُولُ سِوَى هَذَا وَذَلِكَ لِي مُقَسَّمُ الْحَالِ بَيْنَ الْحِرْصِ وَالْحَيْلِ
فَلَيْسَ تَلْقَاهُ إِلَّا ضَارِعًا حَذَرًا

سُبْحَانَ مَنْ زَانَهُ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَبِالْفَضَائِلِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّلَبِ
فَلَا يَزَالُ حَلِيفَ الْفِكْرِ وَالتَّعَبِ رَامَ الْكَمَالِ فَلَمْ يَبْتَلُغْ وَلَمْ يَنْجِبْ
وَلَمْ يَرِدْ بَعْدُ فِي رِيٍّ وَلَا صَدْرًا

سُبْحَانَ مَنْ شَانَهُ بِالْكِبَرِ وَالْأَشْرِ يُنْسَى وَيُصْبَحُ فِي غَيٍّ وَفِي بَطَرٍ
مُرْدَدَ الْعَزْمِ بَيْنَ الْجَبَنِ وَالْخَوَرِ لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الشَّكْوَى إِلَى الْبَشَرِ
وَلَا يُرْخِزِحُ عَنْ ظُلْمٍ إِذَا قَدَّرَا

سُبْحَانَ مُحَرِّقِهِ فِي وَقْدَةِ الْحَسَدِ فَلَا يَزَالُ أَخَا غَيْظٍ وَفِي نَكَدٍ
كَالْبَحْرِ يَرْمِي إِلَى الْعَيْنِينَ بِالزَّبَدِ إِذَا رَأَى أَثَرَ النُّقْمَى عَلَى أَحَدٍ
يَوَدُّ لَوْ كَانَ أَعْمَى لَا يَرَى ضَجْرًا

(١) في ت : « النفس » .

(٢) في ت : « عدت » بالبدال المهملة .

سُبْحَانَ مَنْ أَمَرَ الْأَرْوَاحَ فَأَتَمَّتْ ثُمَّ اسْتُدِّيمَتْ فَلَمْ تَتَهَضَّ بِمَا أَمَرَتْ
وَكُلُّ نَفْسٍ إِذَا سَاحَتْهَا جَفَرَتْ فَلَا تَصِلُهَا إِذَا خَانَتْكَ أَوْ غَدَرَتْ
وَاقْطَعْ عِلَاقَتَكَ مَنْ قَدْ خَانَ أَوْ غَدَرَ

سُبْحَانَ مَنْ بَسَطَ التَّعْلِيمَ ثُمَّ طَوَى فَأَغْبَى الْقَلْبَ وَجَدًّا دَائِمًا وَهَوَى
وَذَابَ^(١) فِي مُلْتَظَى أَشْوَاقِهِ وَذَوَى وَكَانَ أَزْمَعَ وَاسْتَوْفَى الثَّمَنِي وَنَوَى
حَبًّا فَلَمَّا أَتَى مِيقَاتَهُ حُصِرَا

سُبْحَانَ مَنْ فِي بِسَاطِ الْعَدْلِ أَجْلَسَنَا وَبِاغْتِفَارِ عَظِيمِ الذَّنْبِ آسَنَا
وَزَانَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا فَكَانَ أَعْظَمَنَا قَدْرًا وَأَنْفُسَنَا
مَنْ أَتَمَّى أَوْ نَهَى أَوْ خَافَ فَازْدَجَرَ

سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ بِالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا وَخَافَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ أَنْفُسَنَا
لَوْلَاهُ لَمْ نَعْرِفِ الْمَعْرُوفَ^(٢) وَالْحَسَنَا وَلَا اسْتَفَدْنَا لِسَانًا نَاطِقًا لِسِنَا
وَلَا دَرَيْنَا : أَبَاحَ الشَّرْعُ أَوْ حَظَرَ

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ وَالْحُشْرَ وَالنَّشْرَ مَنَاجَاةً مِنَ الضَّرَرِ
فَلَا خُلُودَ مَعَ الْإِيمَانِ فِي سَقَرٍ وَلَا وُصُولَ إِلَى أَمْنٍ بِلَا خَذَرٍ
حَتَّى تَكُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتِمِرًا

[١١٣] سُبْحَانَ مَنْ إِنْ يَشَاءُ أَعْطَاكَ أَوْ مَنَعَا وَمَنْ إِذَا شَاءَ أَمَرَ حَادِثًا وَقَعَا
وَتَارَةً يَخْفِضُ الْأَمْرَ الَّذِي رَفَعَا يَوْمَا يَفْرُقُ لِلْإِنْسَانِ مَا جَمَعَا
وَلَا يُبَالِي بَيْنَ أَثَرِي وَمَنْ خَسِرَا
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ يَوْمَ الْفَصْلِ يَجْمَعُنَا وَلِلنَّعِيمِ بِفَضْلٍ مِنْهُ يَرْفَعُنَا

(١) في ط : « وزاد » .

(٢) في ت : « المسنون » .

مِنْ بَعْدِ رُؤْيَا أَهْوَالٍ تُرَوِّعُنَا يُرَى لَهَا وَالْمَا هَيَّانَ أَوْرَعُنَا
 حَيْرَانَ عُرْيَانَ يُبْدِي كُلَّ مَا سُرَّتْهَا
 سُبْحَانَ مَنْ شَاءَ فِي الدُّنْيَا سَعَادَتَنَا بَطَاعَةً أَحْسَنَتْ مِنَّا إِرَادَتَنَا
 وَيَبْتَلِينَا وَيَسْتَحْلِي عِبَادَتَنَا حَتَّى إِذَا شَاءَ فِي الْآخِرَى إِعَادَتَنَا
 أَعَادَنَا مِثْلَ مَا كُنَّا كَمَا ذَكَرْنَا
 سُبْحَانَ مَنْ يَحْشُرُ الْإِنْسَانَ مُكْتَتِبًا خَوْفَ الْجَزَاءِ وَيَجْزِيهِ بِمَا كَسَبَا
 وَيَحْكُمُ الْحُكْمَ يُخْصِيهِ كَمَا وَجَبَا فَالْقَاسِطُونَ إِلَى نِيرَانِهِ عُصَبَا^(١)
 وَالْمُقْسِطُونَ إِلَى جَنَانِهِ زُمَرَا
 سُبْحَانَ مَنْ فَضَّلَ الْإِسْلَامَ فِي الْأُمَمِ بِالطَّيِّبِ الطَّاهِرِ الْمُبْعُوثِ فِي الْحَرَمِ
 مُحَمَّدٍ خَيْرٍ مَنْ يَنْشَى عَلَى قَدَمِ إِذَا عَدَدَتْ بِيوتَ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
 فَتَنَهُ حَتَّى إِلَى عَدْنَانَ أَوْ مُضَرَ
 سُبْحَانَ مَنْ خَتَمَ الْأَدْيَانَ فِي الْأَزَلِ بِالْمِلَّةِ السَّامِعَةِ الْبَيْضَاءِ فِي اللَّيْلِ
 أَنَّى بِهَا خَيْرٌ مَأْمُورٌ وَمُمْتَنِلٌ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ السَّادَاتِ وَالرُّسُلِ
 وَخَيْرٌ مِنْ حَجِّ بَيْتِ اللَّهِ وَاعْتَمَرَا
 إِذَا وَصَفْنَا فَبِالْتَقْصِيرِ نَعْتَرُفُ فَكُلُّ لَفْظٍ بَلِيغٍ دُونَهُ يَقِفُ
 هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي فِي ذِكْرِهِ شَرَفُ فَإِنْ طَلَبْتَ رِضَاهُ بِالَّذِي تَصِفُ
 فَكُنْ عَلَى وَصْفِهِ فِي الذِّكْرِ مُقْتَصِرَا
 صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْهِ مَا بَدَأَ قُرُ وَمَا سَرَّتْ فِي الدِّيَاجِي أَنْجَمُ زُهْرُ
 وَمَا تَبَايَنَتِ الْأَشْكَالُ وَالْأُصُورُ وَمَا تُدَوِّرُ سَتِ الْآيَاتِ وَالشُّورُ
 وَمَا قَضَى مُؤْمِنٌ مِنْ حَاجَةٍ وَطَرَا

وبالجملة فابنُ عاصمٍ أبو يحيى كان يسميه أهلُ زمانه ابنَ الخطيب الثاني ،
حسبنا قاله الوادى آشئ وغيره .

تعريف
باب الخطيب

[١١٤] ولا بد أن نلّم نبذة من أخبار ابن الخطيب [السلماني الوزير] ^(١) : إذ هو
لسان الدين ، ونفر الإسلام بالأندلس في عصره ، فنقول : هو محمد بن عبد الله
ابن سعيد [بن عبد الله بن سعيد] ^(٢) بن علي بن أحمد السلماني ، قرطبي الأصل ،
ثم لوشية ^(٣) ، يُكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرفة بلسان الدين ،
الوزير الشهير ، الطائر الصيت ، المثل المضروب في الكتابة والشعر والمعرفة
بالعلوم على اختلاف أنواعها ، رحمه الله .

أوليته :

أوليته ونسبه

قال ابن الأحرر ^(٤) في ثمر فرائد الجوان في حقه ما نصه : « ذو الوزارتين الفقيه
الكاتب ، أبو عبد الله محمد ، ابن الرئيس الفقيه الكاتب المفتي ^(٥) ببلدة لوشة ،
عبد الله ، ابن الفقيه القائد الكاتب سعيد بن عبد الله ، ابن الفقيه الصالح
ولى الله الخطيب سعيد السلماني اللوشية ، المعروف بابن الخطيب » . انتهى .
وقال غيره : إن بيتهم يُعرف في القديم بينى الوزير ^(٥) ، ثم في الحديث

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) لوشية : نسبة إلى لوشة (بفتح فسكون) : مدينة بالأندلس غربى ألبيرة قبل قرطبة ،
منحرفة يسيرا ، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا ، وبينها وبين غرناطة عشرة
فراسخ . (عن معجم البلدان) .

(٣) ابن الأحرر : هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن السلطان القائم بأمر الله محمد
ابن الأحرر .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « المتزى » . يريد المنتسب إلى بلدة لوشة . إلا أن هذا
الفعل يتعدى بإلى . وفي نفع الطيب المطبوع والمخطوط : « المتزى » :

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وزير » . وفي ت : « وزيد » .

بني الخطيب . وسعيد جدّه الأعلى أول من تلقّب بالخطيب ، وكان من أهل العلم والدين والخير ، وكذلك سعيد جده الأقرب كان على خلال حميدة ، من خَطِّ ، وتلاوة ، وفقه ، وحساب ، وأدب ، خيراً ، صَدْرًا ، تُوفِّيَ عام ثلاثة وثمانين وست مئة ؛ وأبوه عبدُ الله كان من أهل العلم بالأدب والطب ، وقرأ على أبي الحسن البلوطي ، وأبي جعفر بن الوزير ^(١) ، وغيرها ^(٢) ، وأجازه طائفة من أهل المشرق ، وتُوفِّيَ بطريف عام واحد وأربعين وسبع مئة شهيداً يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى من العام مفقوداً ^(٣) ثابت الجأش ، شكر الله فعله .

قال ابنه لسان الدين صاحب الترجمة : أنشدتُ والدي أبياتاً من شعري ،

فسرّ وتَهَلَّل ، وارْتَجَلَ رحمه الله تعالى :

الطَّبُّ والشَّعْرُ والكِتَابَةُ سِمَاتُنَا فِي بَنِي النَّجَابَةِ
هِيَ ^(٤) ثَلَاثٌ مُبْلَغَات مَرَاتِبًا بَعْضُهَا الْحِجَابَةِ

[١١٥]

اتمى .

نشأته :

ونشأ لسان الدين على حالة حسنة سالكا سنن أسلافه ، فقرأ القرآن على المَكْتَبِ ، الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولى العوّاد ، تَكْتَبًا ، ثم حفظا ، ثم تجويدا ؛ ثم قرأ القرآن أيضاً على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي ، وقرأ عليه العربية ، وهو أول من انتفع به ؛ وقرأ على الخطيب أبي القاسم بن جَزَى ؛

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « زير » .

(٢) كذا في ت ونفع الطيب . والذى في ط : « وقرأ على أبي الحسن البلوطي ، وأبي

إسحاق بن زروال ، » وغيرها .

(٣) كذا في الأصلين ونفع الطيب .

(٤) في نفع الطيب : « هن » .

ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام أبي عبد الله بن الفخار البيري ، شيخ النحويين لعده ؛ وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر ؛ وتأدب بالرئيس أبي الحسن بن الجيّاب ؛ وروى عن كثير من الأعيان ، كالحديث شمس الدين بن جابر ، وأخيه أبي جعفر ، والقاضي أبي البركات بن الحاج ، والشيخ أبي محمد بن سلمون ، وأخيه أبي القاسم بن سلمون ، وأبي عمرو بن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وله رواية عالية ، والأستاذ اللغوي أبي عبد الله بن بيش^(١) ؛ والحديث الكاتب أبي الحسن التلمساني المسين ، والقائد الكاتب أبي بكر بن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم ، والقاضي الحديث أبي بكر ابن شيرين^(٢) ، والشيخ أبي عبد الله ابن الفقيه القاضي أبي عبد الله بن عبد الملك ، والخطيب أبي جعفر الطنجالي ، والقاضي أبي بكر بن منظور ، والرواية أبي عبد الله بن حزب الله ، وعن أشهر أسلافنا المتأخرين القاضي أبي عبد الله محمد المقرئ القرشي ، التلمساني المولد والمنشأ والمقبر ، قاضي الجماعة بفاس ، وعن [١١٦] الشريف أبي علي حسن بن يوسف ، وعن الخطيب الرئيس الراوية أبي عبد الله ابن مرزوق ، وعن الحديث الفاضل الحسيب أبي العباس بن يربوع السبتي ، والرئيس الكاتب أبي محمد بن عبد المهيمن الحضرمي السبتي ، والشيخ المقرئ أبي محمد بن أيوب الملقى ، آخر الرواة عن^(٣) ابن أبي الأحوص ، وعن أبي عثمان ابن ليون من أهل المرية ، وعن القاضي أبي الحجّاج المنتشافي^(٤) ، من أهل رُنْدَة ، إلى غيرهم ممن يطول ذكره من أهل الأندلس ، والعُدوة الغربية ،

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « بيش » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « بشرين » .

(٣) في ت : « علي » .

(٤) كذا في نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٢٣ ، ٣٩٥ طبعة بلاق) . وفي ط : « المنتشافي » .

وفي ت : « المنتشافي » .

والمشرق وإفريقية بالإجازة ؛ وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن هذيل ، ولازمه .

تأليفه :

قال ابن الأحرار رحمه الله : « [لابن الخطيب ^(١)] الأوضاع المصنفات ، التي آذَانُ إحسانها هي المقرّطات المصنّفات ، منها في التصوف الذي أكثر أهل الحقائق إليه نظر التشوّف : روضة التعريف بالحب الشريف » . انتهى .

ثم سرد غيرها من كتبه ، ومنها : الإحاطة ، في تاريخ غرناطة ، في خمسة عشر سِفْراً ؛ واللّوحة البدرية في الدولة النّصْرية ؛ والحُلل المرقومة ؛ ومثلي الطريقة ، في ذم الوثيقة ؛ والسحر والشعر ^(٢) ؛ وريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب ، في أسفار ؛ والصيّب والجهام ، والماضي والكهام ، في مجموع شعره ؛ ومِغيار الاختيار ^(٣) ؛ ومفاضلة مألّقة وسلا ؛ ورسالة الطاعون ؛ والمسائل الطبية ، في سِفْر ؛ والرّجَز في عمل التّرياق ؛ واليُوسُفي في الطب ، في سفرين ؛ والتّاجُ الحليّ في مساجلة القُدْح المُعلّى ؛ والكتيبة الكامنة ، في أدباء ^(٤) المئة الثامنة ؛ ونفاضة الجِرَاب ، في أربعة أسفار ، وهي من أحسن تأليفه ، ولم أزل أكثر البحث في هذا التاريخ عنها ، فلم أقف منها على عين ولا أثر ، إلا عدة أوراق متفرقة ، وقد كنت قبل هذا التاريخ رأيت بعضها . والبيزرة ، في سِفْر ؛ والبيطرة ، في سفر جامع ، لما يرجع إليه من محاسن الخيل وغيره ؛ ورسالة تَكُونُ الجنين ؛ والوصول لحفظ الصحة في الفصول ؛ ورجز الطب ؛ ورجز الأغذية ؛ ورجز السياسة ؛

(١) زيادة عن نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٢) .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٤) . وفي ت : « والشعر » .

(٣) في نفح الطيب : « الأخبار » .

(٤) كذا في نفح الطيب . وفي ت : « في شعراء » . وفي ط : « في آداب » .

[١١٧] وكتاب الوزارة ؛ ومقامة السياسة ؛ والغيرة على أهل الحيرة ؛ وحمل الجمهور على السِّنِّ المشهور ؛ والزُّبْدَةُ الممخوضة ؛ والرد على أهل الإباحة ؛ وسد الذريعة ؛ في تفضيل الشريعة ؛ وخطرة الطيف ؛ ورحلة الشتاء والصيف ؛ وطرفة العصر في دولة بني نصر ، في ثلاثة أسفار ؛ وتقرير الشبه ؛ وتحجير الشبه ؛ واستنزال اللطف الموجود في سر الوجود ؛ وبستان الدول ، وهو غريب في معناه ، في فنون السياسة ، في ثلاثين جزءاً ، ولم يكمل ؛ وأبيات الأبيات ، فيما اختاره رحمه الله من مطالع ماله من الشعر ؛ ورَقَمَ الحُلُلَ في نظم الدول ، في غاية من الحلاوة والعذوبة والجزالة ؛ وقُتَاتِ الخوان ، ولَقَطُ الصوان ، في سفر يتضمن المقطوعات ؛ وعائِدُ^(١) الصَّلَّةِ ، في سفرين ، وصل به صلة الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبَيْرِ ؛ وتخليص^(٢) الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات ؛ وجيش التوشيح ؛ ورجز في أصول الفقه ، شرحه ولي الدين بن خلدون ، صاحب التاريخ المشهور ؛ والإكليل الزاهر^(٣) ؛ وكُنَاسَةُ الدُّكَّانِ بعد انتقال السُّكَّانِ ؛ وعمل مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ ؛ والدرر^(٤) الفاخره ، واللَّجَجُ الزاخره ، جمع فيه نظم بن صفوان ؛ والمباخر الطَّيِّبِيه في المفاخر الخطيبية ؛ وخلع الرِّسَنِ في أمر القاضي ابن الحسن ؛ وأعمال الأعلام ، فيمن^(٥) بويج من ملوك الإسلام ، قبل الاحتلام^(٦) . وألَّفَ أيضاً في الموسيقى ، ومصنفاته زادت على الخمسين ، وقد ذكرنا نحو الخمسين^(٧)

(١) في ط : « غاية » .

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « تلخيص الذهب ... الخ » .

(٣) اسم الكتاب كاملاً كما في نفح الطيب : « الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر » .

(٤) كذا في نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٥) . وفي الأصلين : « والدره » .

(٥) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « بمن » .

(٦) اسم الكتاب كما في نفح الطيب : « لأعمال الأعلام فيمن بويج قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، وما يمر ذلك من شجون الكلام » .

(٧) تختلف مؤلفات ابن الخطيب المذكورة في نفح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٣ - ٦٥٥) عنها هاهنا زيادة ونقصانا .

رأى ابن الأحمر
فـ

قاله :

قال ابن الأحمر :

« هو شاعر الدنيا ، وعلم المفرد والثنيا ؛ وكاتب الأرض ، إلى يوم العرض ؛ لا يدافع مدحه في الكتب ، ولا يجنح فيه إلى العتب ؛ آخر من تقدّم في الماضي ، وسيف مقولة ليس بالكهام إذ هو الماضي ؛ وإلا فانظر [١١٨] كلام الكتاب الأول من العُصبة ، كيف كان فيهم بالإفادة صاحب القصبه ؛ للبراعه ، بالبراعه ؛ وبه أسكت صائلهم ، وما أحدث بكرهم وأصائلهم ؛ المشوبة ^(١) بالخلّاه ، الممكنة من مفاصل الطّلاه ؛ وهو نفيس العُدتين ، ورئيس الدولتين ؛ بالاطلاع على العلوم العقلية ، والإمتاع بالفهوم النّقلية ؛ لكنّ صلّ لسانه في الهجاء لّسع ، ونجاد نطقه في ذلك اتسع ؛ حتى صدمني ، وعلى القول فيه أقدمني ؛ بسبب هجوه في ابن عمي ملك الصّقع الأندلسي ، سلطان ذلك الوطن في النفر الجنسي ، المعظم في الملوك بالقول الجني والإنسي ؛ ثم صفحت عنه صفحة القادر ، الوارد من مياه الظفر غير الصادر ؛ لأن مثلي لا يليق به إظهار العورات ، ولا يجمل به تتبّع العثرات ؛ اتباعاً للشرع في تحريم الغيبه ، وضرباً عن الكريهة ، وإثباتاً لحظوظ النّقيبة الرّغيبه ؛ فما ضرّه لو اشتغل بذنوبه ، وتأسف على ما شرب من ماء الهجو بذنوبه . وقد قال بعض الناس : من تعرض للأعراض ، أرمى عرضّه هدفاً لسهام الأغراض » . انتهى كلام ابن الأحمر .

وقال غيره :

تقلد ^(٢) الكتابة أيام السلطان أبي الحجاج ، في أخريات دولته ، بعد

(١) في ت : « المشربة » .

(٢) أبو الهجاج : هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر الأنصاري الخزرجي ، من أمراء المسلمين بالأندلس .

شيخه ابن الجيّاب .

قال ابن الصباغ العقيلي : « كان أبو الحسن بن الجياب رئيس كتاب الأندلس ، وهم رؤساء غيرهم ، واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصاً تاماً ، وأورثه رتبته من بعده ، وعهد بها إليه ، مشيراً بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور^(١) عمره . وتدرّب بذلك ، حتى استحق أزمتته ، فأنسى بحسن سياسته شيخه المذكور ، ونال التي لا فوقها من الحظوة ، وبعد الصيت ، وسعادة البخت .

كلام لابن الصباغ عنه وعن قوة بديته

اتفق له يوماً بعد ما عزم النصراني على ورود البلاد^(٢) ، وضائق به الصدور ، [١١٩] فأنشد ابن الجياب بديهاً بمحضر الكتاب :

هذا العدو قد طغى وقد تعدّى وبغى
[وقال لابن الخطيب : أجز أبا عبد الله ، فأنشده بديهاً]^(٣) :
وأظهر السلم وقد أسرّ حسواً في أرتغا
فبلغ الرحمن سيف النصر فيه ما ابتغى^(٤)
ورده ردّ ثمود والفصيل قد رغا
حتى يرى وليمة لكل مرهوب الثغا^(٥)

(١) في ت : « ظهور » .

(٢) في ت : « البلد » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

فأبلغ الرمح بسيف النصر فيه ما ابتغى

(٥) الثغاء (ممدوداً وقصر للشر) : صوت الشاء والمزوما شاكلها ، ويريد به صوت المفترس من الحيوان ، أو صوت الرماح والسيوف .

فقال ابن الجيّاب : هكذا وإلا فلا ، وعجب الحاضرون من هذه البديهة .
اتمى كلام ابن الصباغ .

أيام ابن الخطيب
مع السلطان
أبي عبد الله

ولما توفى أبو الحجاج ازدادت ^(١) منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبي عبد الله ،
إلى أن كانت عليه الدائرة ، فقبض على ابن الخطيب وعلى أملاكه ، ثم تخلص
منها نكبة مضمخية ^(٢) بشفاعة السلطان المستعين بالله أبي سالم إبراهيم ابن السلطان
الشهير الكبير أبي الحسن المريني ، صاحب المغرب ، وكان ^(٣) تحريك غرائم
السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعاية الغالب على دولته الحاجب الرئيس الخطيب
الرحال أبي عبد الله بن مرزوق . ولما تخلص ابن الخطيب من هذه الأنشطة
لحق بسلطانه أبي عبد الله ، كما ذكره قريبا ، وورد صُحْبَتُهُ المغرب ، واستقر
أبو عبد الله بن الخطيب بسلاّ تحت الجِزَاية التامة ، متكلّفا خدمة ضريح الملوك
من بني مرّين ، ليُمَتَّ بذلك إلى صاحب الملّك من بينهم ، كيما يقضى له ما بقي
من مآربه ^(٤) بالأندلس ، بشفاعة غير مردودة ؛ وفي أثناء هذه المدة كان
يتطوف ببلاد المغرب مثل مراکش وأنظارها ^(٥) . ثم لما رجع مخدومه لغرناطة
عادهو في محبة أولاده ، فالتقى إليه مقاليد رياسته ، وأزمة سياسته ، ورقاه إلى الذروة

(١) في ت : « زادت » .

(٢) مصحفية : نسبة إلى المصحف جعفر بن عثمان الحاجب . ويشير إلى نكبته على يد ابن
أبي عامر التي انتهت بسجنه في المطبق ثم موته . وإلى هذه النكبة يشير ابن
الخطيب بيته :

تخلصت منها نكبة مصحفية للفقداني المنصور من آل عامر

(انظر نفع الطيب ج ٢ ص ٥٩ — ٦٤ طبعة أوربا ، ج ٣ ص ٤٢ طبعة بلاق)
(٣) نص هذه العبارة في ت : « وكان من تحريك السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعاية
الغالب على دولة أبي سالم الحاجب .. الخ » .

(٤) في ط : « أغراضه » :

(٥) هذه العبارة من قوله « وفي أثناء » إلى قوله « وأنظارها » ساقطة في ت .

[١٢٠] التي لا فوقها ؛ ثم سَمَّ الخدمة ، وتسَخَط النِّعمة ، وأضمر الفرار عند ما سمع بأن المَلِك استوثق للسلطان أبي فارس بن أبي الحسن المَرِينِي ، وأنه مَلَك بِلِيسَان ، فأظهر الذهاب إلى تَقَدُّ أحوال بعض الثغور ، فكان آخرَ عهد الأندلس به ، وخرج بِلِيسَان ، واهتزَّت دولة السلطان أبي فارس لِقُدومه ، ثم كان من أمره ما سَنَد كره .

تفصيل لشكبة
السلطان أبي عبد
الله وذهابه إلى
فاس

ولنُورِد بعض تفصيل لما سبق الإلمام به ، وما لم يسبق ، فنقول :
قال في كتابه المسمى بِاللِّمحة البدرية ، في الدولة النصرية ، عند ذكره خلع السلطان أبي عبد الله ، وقيام الأمير إسماعيل عليه ، وذلك في شهر رمضان المعظَّم من عام ستين وسبع مئة ، ما نصه :

« وكان السلطان أبو عبد الله عند تَصَيُّر الأمر إليه قد أُلْزم أخاه إسماعيلَ قَصْرًا من قصور أبيه بجوار داره ، مُرْفَهَا ^(١) عليه ، مَتَمَّةً وظائفة له ، وأسكن معه أمه وأخواته منها ، وقد أَسْتَأْثرت يومَ وفاة والده بمالٍ جَمٍّ من خزائنه الكائنة في بيتها ، فوجدت السبيلَ إلى السعي لولدها ، فجعلت تُواصل زيارة ابنتها التي عقد لها الوالد مع ابن عمِّه الرئيس أبي عبد الله ابن الرئيس أبي ^(٢) الوليد ، ابن الرئيس أبي عبد الله الملباع له بأنْدَرَش ، ابن الرئيس أبي السعيد جَدِّهم الذي تجمعهم جُرثومتهم ، وشَمَر الصَّهْر المذكور عن مساعد عَزْمه وجِدِّه ، وهو [على] ^(٣) ما هو من الإقدام ومُدَاخلة ذُؤْبَان الرجال ، وأَسْتَعَان بمن آسَفته ^(٤) الدولة ، وهَفَّت به الأطماع ، فتألَّف منهم زُهاء مئة قَصَدوا جهة

(١) كذا في ط ونفع الطيب (ج ٣ ص ٤٥) . وفي ت : « صرفها » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « ابن » .

(٣) زيادة عن نفع الطيب .

(٤) آسَفته : أغضبته .

من جهات القلعة مُتَسَنِّمين شَفَا صَعَبَ المُرْتَقى ، واتخذوا آلة تُدْرِك ذروته
لصعود^(١) [بِنْيَة]^(٢) كانت به عن التمام ، وكبسوا حَرَسِيًّا بأعلاه بما اقتضى
صُمَاتِه^(٣) ، فاستَوَوْا به ، ونزلوا إلى القلعة سَحَر^(٤) الليلة الثامنة والعشرين من شهر
رمضان عام ستين وسبع مئة ، فاستظفروا بالمشاعل والصُّرَاخ ، وعالجوا دار
الحاجب رِضْوَان ، فَفَضُّوا أَغْلَاقَهَا ودخلوها ، فقتلوه بين أهله وولده ، وانهبوا
ما اشتملت عليه داره ، وأسرعت طائفة مع الرئيس ، فاستخرجت الأمير المَعْتَقَل
إسماعيل وأركبته ، وقُرِعَت الطبول ، ونُودِيَ بدعوته ، وقد كان أخوه السلطان
مُتَحَوِّلًا بولده إلى سُكْنَى الجَنَّة المنسوبة للعريف ، لِصُقِّ داره ، وهى المثل
المضروب فى الظلِّ الممدود ، والماء المسكوب ، والنسيم البليل ، يفصل بينها وبين
مَعْقَل الملك السُّور المنيع ، والخَنْدَق المصنوع ؛ فمأراعه إلا النداء والعجيج ،
وأصوات الطبول ، وَهَبَ^(٥) إلى الدخول إلى القلعة ، فألقاها قد أُخِذَتْ دونه
شِعَائُهَا كُلُّهَا ونقابها ، وقذفته الحِرَاب ، ورشقتها السَّهَام ، فرَجَعَ أدرأجه ،
وسدَّه الله فى محل الحَيِّرة ، ودمس له عِرْق الفحول من قومه ، فامتطى صَهْوَة
فرس كان مرتبطًا عنده ، وصار لوجهه فأعيا المتبع ، وصَبَّح مدينة وادى آش ،
ولم يشعر حافظ قصبتها إلا به ، وقد تَوَلَّجَ عليها ، فالتفت به أهلها ، وأعطوه
صَفَقَتَهُم بالذَّب عنه ، فكان أملكَ بها ؛ وتجهزت الحشود إلى منازلته ، وقد جدَّد

(١) كذا فى النسخة الخطية من نفع الطيب (المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٠ تاريخ). وفى ط والنسخة المطبوعة فى بلاق من نفع الطيب : « لفعود . وفى ت : « لفعود » .

(٢) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٣) الصمات (بالضم) : الصمت والسكرت . ولعله يريد : موته .

(٤) فى الأصلين ونفع الطيب : « سحور » .

(٥) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « وذهب » .

أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة ، باحتياجه إلى سلم المسلمين ،
 لجراء فتنة بينه وبين البرجلونيين من أمته ؛ واغتنب به أهل المدينة ، فذبوا
 عنه ، ورضوا بهلاك نعمتهم دونه ، واستمرت الحال إلى يوم عيد النحر من عام
 التاريخ ، ووصله رسول صاحب المغرب ^(١) [مستنزلا منها ^(٢)] ، ومستدعياً إلى حضرته
 لما عجز عن إمساكها . وراسل ^(٣) ملك الروم ^(٤) فلم يجد عنده من موعول ،
 فانصرف ثاني يوم عيد النحر المذكور ، وتبعه الجمع الوافر من أهل المدينة خيلاً
 ورجلاً إلى مربلة من ساحل إجازته . وكان وصوله إلى مدينة فاس ، مُصحباً من
 البر والكرامة بما لا مزيد عليه ، في السادس من شهر محرم ، فاتح عام واحد
 وستين وسبع مئة ، وركب السلطان للقائه ، ونزل إليه عند ما سلم عليه ، وبالغ [١٢٢]
 في الحفاية به .

وكنت قد لحقت به مُفْلِتاً من شَرَكِ النكبة التي استأصلت المال ، وأوهمت
 سوء الحال ، بشفاعة السلطان أبي سالم قدس الله روحه ، فقامت بين يديه
 في المحفل المشهود حينئذ ، وأنشدته :

قصيدة
 ابن الخطيب بين
 يدي السلطان أبي
 سالم يستصرخه
 لمولاه

سَلَا هَلْ لَدَيْهَا مِنْ مُخْبَرَةٍ ذِكْرُ
 وهل أعشب الوادي ونَمَّ به الزَّهْرُ
 وهل باكر الوسمي داراً على اللوى
 عَفَتْ آيُهَا إِلَّا التَّوَهُّمُ والذَّكْرُ
 بلادی التي عايطت مشموله الهوى
 بأكنافها والعيشُ فينانُ مُحْضَرُ
 وجَوِّي الذي رَبَّى جَنَاحِي وَكُرُهُ
 فها أنا ذا مالى جَنَاحَ ولا وَكُرُ

(١) هو السلطان المولى أبو سالم ، كما سيأتي قريباً .

(٢) كذا في النسخة الخطية من نفح الطيب . وفي ت والنسخة المطبوعة : « عنها » .

يريد : من وادي آش ، أو عن وادي آش .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي ت : « وأرسل » .

(٤) ما بين القوسين زيادة عن ت ونفح الطيب .

نَبَتْ بِي لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ وَلَا نَسَخَ الْوَصَلَ الْهَنَىٰ بِهَا هَجْرُ
ولسكنها الدنيا قليلٌ متاعها ولذاتها دأبا تزور وتزورُ
فمن لى بقرب العهد منها ودوننا مَدَى طَال حتى يومه عندنا شهر
ولله عَيْنَا من رَأَا وللأسمى ضِرَام له فى كل جارحة جَر
وقد بددت دُرَّ الدموع يدُ النوى ^(١) وللشوق أشجان يضيق لها الصَّدْر
بكينا على النَّهر الشُّروب عَشِيَّةً فعاد أجاجا بعدنا ذلك النَّهر
أقول لأظعاني وقد غالها الشَّرَى وآنسها الحادى وأوحشها الزَّجَر
رويدك بعد العُسر يُسر أن أبشِرِ بإنجاز وَعْد الله قد ذهب العُسر
ولله فينا سرٌّ غَيْب ورُبما أتى النِّفعُ من حال أريد بها الصَّر
وإن تَخَنَ الأيامُ لم تَخَنِ النَّهَى وإن يَخْذُلِ الأَقْوَامُ لم يَخْذُلِ الصِّبر
وإن عَرَكَتْ مَنَى الحُطوبُ مَجْرَبًا نِقَابًا تَسَاوَى عنده الخُلُو والمُر ^(٢)
فقد عَجَمَتْ عودًا صَليبا على الردى ^(٣) وعَزَمًا ^(٤) كما تَمْضَى المَهْدَةُ البُتْر
إذا أنتَ بالبيضاء قَرَرْتَ ^(٥) مَنزِلَى فلا اللحم حِلٌّ ما حَيِيتُ ولا الظَّهْر
زَجَرْنَا بِإِبْرَاهِيمَ بُرْء ^(٦) مُهُومَنَا فلما رأينا وَجْهَهُ صَدَقَ الزَّجَر
بِمُنْتَخَبٍ من آل يعقوبَ كُلَّمَا دجا الخَطْبُ لم يَكْذِبْ لِعَزَمَتِهِ فَجَر
تناقلت الرُّكبانُ طِيبَ حَدِيثِهِ فلما رَأَتْهُ صَدَّقَ الخَبَرَ الخُبْر
نَدَى لو حواه البحرُ لَذَّ مَذَاقُهُ ولم يَتَعَقَّبْ مَدَّةً أَبَدًا جَزْر

(١) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « الهوى » .

(٢) النِقَاب : الفطن العالم بالأشياء .

(٣) كذا فى نفع الطيب . وفى ط : « النوى » . وفى ت : « الندى » .

(٤) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « وعرفا » .

(٥) كذا فى النسخة الخطية والمطبوعة من نفع الطيب . وفى الأصلين : « قدوت » .

(٦) كذا فى ت ونفع الطيب . وفى ط : « جل » .

وَبَأْسُ غَدَا يَرْتَاعُ مِنْ خَوْفِهِ الرَّدَى
أَطَاعَتْهُ حَتَّى الْعُضْمُ فِي قُنْنِ الرُّبَا
قَصَدْنَاكَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَلَى النَّوَى
كَفَفْنَا بِكَ الْأَيَّامَ عَنْ غُلُوثِهَا
وَعُدْنَا بِذَلِكَ الْمَجْدَ فَانصَرَمَ الرَّدَى
وَلَمَّا أَتَيْنَا الْبَحْرَ يَرْهَبُ مَوْجُهُ
خِلَافَتُكَ الْعُظْمَى وَمَنْ لَمْ يَدِنْ بِهَا
وَوَصَفَكَ يَهْدِي الْمَدْحَ قَصَدَ صَوَابِهِ
دَعَتْكَ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْلَصَتْ
وَمُدَّتْ إِلَى اللَّهِ الْأَكُفَّ ضَرَاعَةً
وَأَلْبَسَهَا التَّعْمَى بِيَبْعَتِكَ الَّتِي
فَأَصْبَحَ ثَغْرُ الثَّغْرِ يَبْسِمُ ضَاحِكًا
وَأَمْنَتْ بِالسَّلَامِ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
وَقَدْ كَانَ مَوْلَانَا أَبُوكَ مُصَرِّحًا ^(١) [
وَكُنْتَ خَلِيقًا بِالْإِمَارَةِ بَعْدَهُ
وَأَوْحَشْتَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ هَالَةً
فَرَدَّ عَلَيْكَ اللَّهُ حَقَّكَ إِذْ قَضَى
وَقَادَ إِلَيْكَ الْمُلْكَ رِقْقًا بَخْلَقَهُ

وَتَرَفَّلَ فِي أَثْوَابِهِ الْفَتَكَةُ الْبَكْرُ
وَهَشَّتْ إِلَى تَأْمِيلِهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
لَتُنْصِفْنَا مِمَّا جَنَى عَبْدُكَ الدَّهْرُ
وَقَدْ رَابَنَا مِنْهَا التَّعَسُّفُ وَالْكِبَرُ
وَلَدُنَا بِذَلِكَ الْعِزُّ [فَانْهَزَمَ الدُّعْرُ
ذَكَرْنَا نَذَاكَ الْعَمْرُ ^(٢)] فَاحْتَقَرَ الْبَحْرُ
فَأَيْمَانُهُ لَعَوٌ وَعِرْفَانُهُ نُسْكُ
إِذَا ضَلَّ فِي أَوْصَافٍ مَنْ دُونَكَ الشَّعْرُ
وَقَدْ طَابَ مِنْهَا السَّرُّ لِلَّهِ وَالْجَهْرُ
فَقَالَ لَهُنَّ اللَّهُ قَدْ قَضَى الْأَمْرُ
لَهَا الطَّائِرُ التَّمِيمُونَ وَالْمَحْتَدُ الْحَرُّ
[وَقَدْ كَانَ مِمَّا نَابَهُ لَيْسَ يَفْتَرُ
فَلَا ظُبَّةٌ تَعْرِى وَلَا رَوْعَةٌ تَعْرِى
بَأْنِكَ فِي أَبْنَائِهِ الْوَلَدُ الْبَرُّ
عَلَى الْفَوْرِ لَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ قَدَرُ
أَقَامَتْ زَمَانًا لَا يُلُوحُ بِهَا ^(٣) الْبَدْرُ
بَأْنُ تَشْمَلِ النَّعْمَى وَيَنْسُدِلُ السَّتْرُ
وَقَدْ عَدِمُوا رَكْنَ الْإِمَامَةِ وَاضْطَرُّوا

(١) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٣) كذا في ط ونجح الطيب (ج ٣ من ٤٧ طبعة بلاق) . وفي ت : « لها » .

وزادك بالتمحيص عناء ورفسة
وأنت الذى تدعى إذا دهم الردى
وأنت إذا جار الزمان مُحَكِّمٌ
وهذا ابنُ نصرٍ قد أتى وجناحه
غريب يُرَجِّى منك ما أنت أهله
فَقُرْ يا أمير المسلمين ^(٢) ببيعة ^(٣)
ومثلك من يَرَعَى الدَّخِيلَ ومن دعا
وخذ يا إمامَ الحقِّ ^(٤) بالحق ثأره
وأنت لها ياناصرَ الحق فلتقم
فإن قيل مالٌ مالُك الدهرَ وافرٌ
يُكفُّ بك العادى ويحمي بك الهدى
أَعِدْهُ إلى أوطانه عنك راضياً
وعاجل قلوبَ الناس فيه بجبرها
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة
مرامك سهل لا تؤودك كلفة
وما العمر إلا زينة مُستعارة
ومن باع ما يَفْنَى بباقي مَخْلَد

وأجراً ولولا السَّبْكُ ما عُرِفَ ^(١) التَّبر
وأنت الذى تُرَجِّى إذا أَخْلَفَ القَطْرُ
لك النقص والإبرام والنهى والأمر
مَهِيضٌ ومن عُلْيَاك يُلْتَمَسُ الجبر
فإن كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
مُوَثَّقَةٌ قد حلَّ عُرْوَتها الفدر
ببنا لمرين جاءه العِزُّ والنصر
ففى ضمن ما أتى به العِزُّ والأجر
بحق فما زيدٌ يُرَجِّى ولا عمرو
وإن قيل جيشٌ عندك العسكر المجر
ويبنى بك الإسلام ما هدم الكفر
وطوقه نَعْمَاك التى مالها حصر
فقد صدم عنه التغلب والقهر
تُحاولها يُمنَّاك ما بعدها خسر
سوى عَرَضٍ ما إن له فى العُلا خطر
تُرَدُّ ولكنَّ الثناء هو العُمر
فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر

[١٢٤]

(١) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « لم يعرف » .

(٢) فى ط : « المؤمنين » .

(٣) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « لبيعه » .

(٤) كذا فى ت ونفع الطيب . وفى ط : « الخلق » .

وَمِنْ دُونِ مَا تَبَغِيهِ يَا مَلِكَ الْهُدَى
وَرَادُّ وَشَقَرٌ وَاضْحَاتِ شَيَاتِهَا
وَشُهْبٌ إِذَا مَا ضُمِّرَتْ يَوْمَ غَارَةٍ
وَأُسْدُ رَجَالٍ مِنْ مَرَيْنٍ مُخِيفَةٍ
عَلَيْهَا مِنَ الْمَاضِي كُلِّ مُفَاضَةٍ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ هَبُّوا لَكَشَفَ مُلْتَمَةٍ
إِذَا سُلُّوا أَعْطَوْا وَإِنْ نُوزِعُوا سَطُّوا
وَإِنْ مُدِحُوا اهْتَزُّوا ارْتِيحًا كَأَنَّهُمْ
وَإِنْ سَمِعُوا الْقَوَاءَ فَرُّوا بِأَنْفُسِ
وَتَبَسُّمٍ مَا بَيْنَ الْوَشِيحِ نَعُورُهُمْ
أَمْوَالِي غَاضَتْ فِكْرَتِي وَتَبَلَّدَتْ
وَلَوْ لَا حَنَانٌ مِنْكَ دَارَكْتَنِي بِهِ
فَأَوْجَدْتَ مِنِّي فَائِزًا أَيْ فَائِتَ
بَدَأْتَ بِفَضْلٍ لَمْ أَكُنْ لِعَظِيمِهِ
وَطَوَّقْتَنِي النُّعْمَى الْمَاضِعَةَ الَّتِي
وَأَنْتَ بِنَتْمِ الصَّنَائِعِ كَافِلٌ
جَزَاكَ الَّذِي أَسْنَى مَقَامَكَ عِصْمَةً
إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِمِدْحَةٍ
وَلَكِنَّا نَأْتِي بِمَا نَسْتَطِيعُهُ

جِيَادُ الدَّيَاكِي وَالْمُحَجَّلَةُ الْغُرُ
فَأَجْسَامُهَا تَبَرُّ وَأَرْجُلُهَا دُرٌّ
مَطْلَمَةٌ غَارَتْ بِهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
عَمَامَتَا بَيْضٌ وَأَسَالِمَا سُمُرُ
تَدَافِعُ فِي أَعْطَافِهَا اللَّجْجُ الْخَضِرُ
فَلَا الْمُلتَقَى صَعْبٌ وَلَا الْمُتَرَقَّى وَغَرُ
وَإِنْ وَاعِدُوا وَقُوا وَإِنْ عَاهَدُوا بَرُّوا
نَشَاوَى تَمَشَّتْ فِي مَعَاطِفِهِمْ خَمْرُ
حَرَامٌ عَلَى هِمَاتِهَا فِي الْوَعَى الْقَرَّ (١)
وَمَا بَيْنَ قُضْبِ الدَّوْحِ يَبْتَسِمُ الزُّهْرُ (٢)
طِيَاعِي فَلَا طَبْعٌ يُعِينُ وَلَا فِكْرُ
وَأَحْيَيْتَنِي لَمْ تَبْقَ عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
وَأَنْشَرْتَ مَيِّتًا ضَمَّ أَشْلَاهُ قَبْرُ
بَاهِلٍ فَجَلَّ اللَّطْفُ وَانْفَرَجَ الصَّدْرُ
يَقِلُّ عَلَيْهَا مِنِّي الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
إِلَى أَنْ يَعُودَ الْجَاهُ وَالْعِزُّ وَالْوَفَرُ
يُفَكُّ بِهَا عَانَ وَيُنْعَشُ مُضْطَرُّ
فَهَبَّاتٍ يُحْصِي الرَّمْلَ أَوْ يُحْصِرُ الْقَطْرُ
وَمَنْ بَذَلَ الْمَجْهُودَ حَقَّ لَهُ الْعُذْرُ

(١) الموراء : الكلمة القبيحة .

(٢) الوشيح : الرماح .

فلا تسأل عن امتعاض وانتقاض^(١)، وسداد أنحاء في التأثر لنا وأغراض،
والله غالب على أمره .

انصراف
السلطان
أبي عبد الله
إلى الأندلس

[١٢٠] وفي صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين
وسبع مئة كان انصرافه إلى الأندلس ، وقد أُلح صاحب قشتالة في طلبه ،
وترجَّح الرأي على قصده ، ففعد السلطان بقبة العرَض من جنة المصارة ، وبرز
الناس وقد أسمعهم البُريح^(٢) ، واستحضرت البُنود ، والطبول والآلة ، وألبس خِلعة
الملك ، وقيدت له مراكبه فاستقلَّ ، وقد التف عليه كل من جلا عن الأندلس
من لدُن الكائنة في جملة كثيفة ، ورئى من رقة الناس وإجهاشهم وعلو
أصواتهم بالدعاء ما قدم به العهد ، إذ كان مَظنة ذلك سكونا وعطافا^(٣) وقربا ،
قد ظلله الله برواق الرحمة ، وعطف عليه وشائج المحبة ، إلى كونه مظلوم العقد ،
منتزع الحق ، فتبعته الخواطر ، وحِيت عليه الأنفس ، وانصرف لوجهته ؛ وهو
الآن برُودة مستقل بها وبجهاتها ، ومقتنع برسم [سلطنتها^(٤)] وقد قام له برسم
الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن علي بن يوسف بن كمّاشة الحضرمي ، وبكتابته
الفقيه أبو عبد الله بن زَمْرَك ، وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتيقظ
للأمور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا يُنكر ، كان الله له ولنا بفضلُه .
اتهى كلام ابن الخطيب في الملحّة البدرية .

- (١) كذا في نفع الطيب المطبوع والمخطوط . وفي الأصلين : « وانتقاض » .
(٢) البريح (كلمة دخيلة وهي كما في دوزي) : بمعنى الصريح ، أو إعلان الحرب ، أو
التهافت بالتعبئة .
(٣) كذا في النسخة الخطية من نفع الطيب . وفي الطبوعة والأصلين : « وعطافا » .
(٤) زيادة عن نفع الطيب . ومكان هذه الكلمة في ط : « الوزارة » .

وقد عرفت أنه في ذلك التاريخ لم يكن دخل السلطان غرناطة ، ولم يلحق به ابن الخطيب حتى دخلها .

وقد ذكر ولي الدين بن خلدون هذه الواقعة في تاريخه الكبير ، وأحسن سردها ، فقال في ترجمة أيام السلطان أبي سالم مانصه :

خبر هذه القصة
كما رواها ابن
خلدون

الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة
ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان

لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين [وسبع مئة^(١)] ونصب ابنه محمد للأمر ، واستبد عليه رضوان مولى أبيه ، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته ، فلما عدلوا بالأمر عنه حجبوه ببعض قصورهم ، وكان له صهر من ابن عمه محمد بن إسماعيل بن الرئيس أبي سعيد ، فكان يدعوه سرًا إلى القيام بأمره ، حتى أمكنته فرصة في الدولة بخروج السلطان إلى بعض مُتَنَزَّهاته برياضه ، فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في [بعض]^(٢) أو شاب جمعهم من الطغام لثورته ، وعمد إلى دار الحاجب رضوان ، فاقتحم عليه الدار ، وقتله بين حرمة وبناته ، وقرَّبوا إلى إسماعيل فرسه فركب ، فأدخلوه القصر ، وأعلنوا بيعته ، وقرعوا طبولهم بسور الحمراء ، وفر السلطان من مكانه بمتنزهه ، فلحق بوادي آش ، وغدا^(٣) الخاصة والعامة على إسماعيل فبايعوه ، واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه ، فخلعه لأشهر^(٤) من بيعته ، واستقل

(١) زيادة عن نفح الطيب .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٠٦ طبعة بلاق) .

(٣) الكلام من قوله «وغدا» إلى قوله «بوادي آش» ساقط في تاريخ ابن خلدون .

(٤) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : «خلعه لشميرين» .

بسلطان الأندلس . ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادي آش ، بعد مقتل حاجبه رضوان ، واتصل الخبرُ بالسلطان المولى أبي سالم ، امتنع لمهلك رضوان ، وخلع السلطان رَعْيَا لما سلف له في جوارهم ، وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجاسه لاستقدمه ، فوصل إلى الأندلس ، وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخلوع من وادي آش إلى المغرب ، وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله ابن الخطيب ، كانوا اعتقالوه لأول أمرهم ، لما كان رديفا للحاجب رضوان ، ورُكِّنا لدولة المخلوع ، فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه فأطلقوه ؛ ولحق مع الرسول أبي القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادي آش للإجازة إلى المغرب ، وأجازَ لَدَى القعدة من سنته ، وقَدِمَ على السلطان بفاس ، وأَجَلَ قَدُومَه ، وركب للقائه ، ودخل به إلى مجلس ملكه ، وقد احتفل ترتيبه وغُصَّ بالمشيخة والعِلية ، ووقف وزيره ابن الخطيب ، فأنشد السلطان قصيدته الرائية يَسْتَضِرُّهُ لسلطانه ، ويستجثُّ لظاهرتِه على أمره ، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس ، شفقة له ورحمة .

[١٢٧] ثم مَرَدَ وليُّ الدين بن خلدون القصيدة التي قدمنا ذكرها إلى آخرها ، قال ^(١) : ثم انقض المجلس ، وانصرف ابن الأحمر إلى منزله ^(٢) وقد فُرِشت له القصور ، وقُرِّبَت الجياد بالمرابك الذهبية ، وبُعِثَ إليه بالكُسى الفاخرة ، ورُبَّت الجرايات له ولمواليه من المغلوجي ^(٣) ، وبطانته من الصنائع ، وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل ، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلا الآلة ^(٤) ،

(١) في ت : « ثم قام ثم انقضى ... الخ » .

(٢) كذا في ت ونفع الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفي ط : « منزله » .

(٣) يريد المغلوجين ، أي الموالى من النصارى . (عن تكملة المعجمات لدوزي) .

(٤) في تاريخ ابن خلدون : « الأداة » .

أدبا مع السلطان ، واستقر في ثجلته إلى أن كان من لحاقه بالأندلس ، وارتجاع
ملكه سنة ثلاث وستين ، ما نحن نذكره .

اتهى كلام ابن خلدون ، وفيه بعض مخالفة يسيرة لكلام ابن الخطيب في
اللمحة البدرية .

ولا بد أن نسرّد كلام ابن خلدون في شأن ابن الخطيب ، إذ ذكره في ترجمة
السلطان أبي فارس ابن السلطان أبي الحسن المريني بما نصه :
رواه ابن خلدون

الخبر عن قدوم الوزير ابن الخطيب على السلطان بتلمسان
نازعا إليه عن سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس

أصل هذا الرجل من لوشة ، على مرحلة من غرناطة ، في الشمال من البسيط
الذي فيه ساحتها ، المسمى بالمرّج ، على وادي شنجيل ، ويقال شنبيل ^(١) ، المحترق ^(٢)
في ذلك البسيط من الجنوب إلى الشمال ، كان له بها سلفٌ معدود في وزرائها ،
وانتقل أبوه عبدُ الله إلى غرناطة ، [واستُخدمَ للملكِ بنى الأحمر ، واستعمل على
مخازن الطعام ، ونشأ ابنه محمد بقرناطة ^(٣)] قرأ وتادّب على مشيختها ، واختصّ
بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هُذَيْل ، وأخذ عنه العلوم الفلسفية ، وبرّز في
الطب ، وانتحل الأدب ، وأخذ عن أشياخه ، وامتلاّ حوض ^(٤) السلطان من نظمه

(١) كذا في الأصلين وابن خلدون . وظاهر أن الكلمتين محرفتان عن « شنبيل »
وهو اسم نهر غرناطة الشهير ، وقد ولع الشعراء بوصف هذا الوادي وتفضيئه على
النيل بزيادة الشين ، وهي ألف من العدد ، أي أنه يفضل النيل بألف ضعف .
(راجع نفع الطيب ج ١ ص ٩٤ طبعة أوروبا والإحاطة ج ١ ص ٢٦) .

(٢) في تاريخ ابن خلدون : « المنحرف » .

(٣) هذه العبارة ساقطة في ط .

(٤) كذا في تاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين ونفع الطيب : « وامتلاّ من حول
السلطان نظمه » .

ونثره ، مع انتقاء الجيد منه ، ونبغ في الشعر والترسيل ، بحيث لا يجارى فيهما ، وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره ^(١) ، وملأ الدنيا بمدائحهم ، وانتشرت في الآفاق ، فرقاه السلطان إلى خدمته ، وأثبتته في ديوان الكتاب بيباه ، مرءوسا بأبي الحسن بن الجتياب ، شيخ العُدوتين في النظم والنثر ، وسائر العلوم الأدبية ، وكاتب السلطان بقرناطة من لدن أيام محمد الخلوع من سلفه ، عند ما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه ، كما مرّ في أخبارهم . فاستبد [ابن الجياب برياسة الكتاب من يومئذ إلى أن هلك في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فولّى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد] ^(٢) ابن الخطيب رياسة الكتاب ^(٣) بيباه ، مُثَنِّاة بالوزارة ، ولقبه بها ، فاستقل بذلك ، وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العُدوة ، ثم داخله السلطان في تولية العمال على يده بالمشارطات ، فجمع له بها أموالا ، وبلغ به في المخالطة ^(٤) إلى حيث لم يبلغ بأحد من قبله ؛ وسفر عنه إلى السلطان أبي عنان ملك بني مرّين بالعُدوة ، معزيا بأبيه السلطان أبي الحسن ، فجلى في أغراض سفارته . ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ، عدا عليه بعض الزعانف [يوم الفطر بالمسجد] ^(٥) في سجوده للصلاة ، وطعنه فأشواه ، وفاظ لوقته ^(٦) وتعاورت سيوف الموالى المملوحيّ هذا القتال ، فزقه أشلاء ،

[١٢٨]

(١) هذه الكلمة : « لعصره » . ساقطة في ت وتاريخ ابن خلدون .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الكتابة » .

(٤) كذا في ت والنسخة الخطية من نفع الطيب . وفي ط وابن خلدون والنسخة

المطبوعة من نفع الطيب : « في المخالصة » .

(٥) هذه العبارة : « وفاظ لوقته » ساقطة في ت . وفاظ : مات .

(٦) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

وبويع ابنه محمد [بالأمر] ^(١) لوقتته ، وقام بأمره مولاہم رضوان ، الراسخ القدم في قيادة عساكرهم ، وكفالة الأصاغر من ملوكهم ، واستبد بالدولة ، وأفرد ابن الخطيب بوزارته . كما كان لأبيه ، [واتخذ لكتابته غيره] ^(٢) وجعل ابن الخطيب رديفا له في أمره ^(٣) ، ومشاركا في استبداده معه ، تجرت الدولة على أحسن حال ، وأقوم طريقة ، ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا إلى السلطان أبي عنان ، مستمدين له على عدوهم الطاغية ، على عاداتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه ، تقدم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس وفقهائها ، واستأذنه في إنشاد شعر ^(٤) قدّمه بين يدي نجواه ، فأذن له ، وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجى قر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرّا بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الأمر أنه وطن في غير عليك ما له وطر ^(٥)
ومن به مذ ^(٥) وصلت جبلهم ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهنتهم بأنفسهم فوجهوني إليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له في الجلوس ، وقال له قبل أن يجلس :

- (١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .
(٢) كذا في ط وتاريخ ابن خلدون . وفي ت ونفع الطيب : « رديفا لرضوان في أمره » .
(٣) في تاريخ ابن خلدون : « شيء من الشعر » .
(٤) هذا البيت ساقط في تاريخ ابن خلدون .
(٥) كذا في نفع الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين : « قد » .

ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم ، ثم أثقل كاهلهم بالإحسان ، وردّهم بجميع ما طلبوه . وقال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف ، وكان معه في ذلك الوفد : لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا .

ومكثت دولتهم هذه بالأندلس خمس سنين ، ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان ، شرّكه في جدّه الرئيس أبي سعيد ، وتحيّن خروج السلطان إلى منزله خارج الحمراء ، وتسوروا دار الملّك المعروفة بالحمراء ، وكبس رضوان في بيته ، فقتله ونصب للملّك إسماعيل بن السلطان أبي الحجاج ، بما كان صهره على شقيقته ، وكان معتقلاً بالحمراء ، فأخرجه ، وبايع له ، وقام بأمره مستبداً عليه ، وأحسن السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالستان ، فركب ناجياً إلى وادي آش ، وضبطها ، وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملّك آبائه بالمغرب ، وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس ، واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب ، وضيق عليه في محبسه ، وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحسنت أيام مقامه بالأندلس ، وكان غالباً على هوى السلطان أبي سالم ، فزین له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش ، يعده زبوناً^(١) على أهل الأندلس ، ويكفّ به عادية القرابة المرشحين هنالك ، متى^(٢) طمحووا إلى ملك المغرب ، فقبل ذلك منه ، وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه ، وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التليساني ، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب ، وحلّ مُعتقله ، فأطلق ؛ وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش ، وسار في ركاب سلطانه ، وقدموا على

[١٣٠]

(١) زبوناً ، أى حرباً وقوة . (انظر تكملة المعجمات لدوزي مادة زن) .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « كما » . وفي ت : « بمن » .

السلطان أبي سالم ، فاهتزَّ لقُدوم ابن الأحمر ، وركب في الموكب لتلقيه ، وأجلسه إزاء كرسيه ، وأنشد ابن الخطيب قصيدته كما مر ، يستصرخ السلطان لنصره ، فوعده ، وكان يوماً مشهوداً ، وقد مر ذكره ، ثم أكرم مثواه ، وأرغد نُزُلَه ، ووفرَّ أرزاق القادمين في ركابه ، وأرغد عيش ابن الخطيب في الجِراية والإقطاع . ثم استأنس^(١) واستأذن السلطان في التجوال بمجبات^(٢) مراكش ، والوقوف على آثار الملك بها ، فأذن له وكتب إلى العمَّال بإتحافه ، فتباروا^(٣) في ذلك ، وحصلَ منه على حظ . وعندما مر بسلا إثر قُفوله من سفره ، دخل مقبرة الملوك يشالة ، ووقف على قبر السلطان أبي الحسن ، وأنشد قصيدة على روى الراي [الموصولة]^(٤) ، يرثيه ويستجيره به في استرجاع ضياعه بفرناطة ، مطلعها :

إنَّ بان منزله وشطَّت دارُهُ قامت مقامَ عِيانه أخبارُهُ
قسَمَ زمانك عِبْرَةً أَوْ عِبْرَةً هذا ثِراء وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة ، فشفعوه ، واستقر هو بسلا ، مُنتبذاً عن سُلْطانه طول مُقامه بالعدوة . ثم عاد السلطان محمد المخلوع إلى ملكه بالأندلس سنة ثلاث وستين ، وبعث عن مُخلَّفه بفاس من الأهل والولد ، والقائم بالدولة يومئذ عمرُ بن عبد الله بن علي ، فاستقدم ابن الخطيب من سلا ، وبعثهم لنظره ، فسُرَّ السلطان بقدومه ، وردَّه إلى منزلته ، كما كان معَ رضوان كافله ، وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الفُزاة وابن أسياعهم قد لحق بالطاغية في ركاب أبيه ، عندما أحسَّ بالشرِّ من الرئيس

(١) في ط ونفع الطيب : « استيأس » .

(٢) في تاريخ ابن خلدون : « في التحول إلى جهات . . . الخ » .

(٣) في تاريخ ابن خلدون : « فتبادروا » .

(٤) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

صاحب غرناطة ، وأجاز يحيى من هنالك إلى المدونة ، وأقام عثمان بدار الحرب ، فصحب السلطان [فى مشوى اغترابه هنالك ، وتقلب فى [مذاهب] ^(١) خدمته ، وانحرفوا عن الطاغية بعد ^(٢) ما ينسوا من الفتح على يده ، فتحولوا عنه إلى ثغور بلادهم ، وخاطبوا [الوزير] ^(٣) عمر بن عبد الله فى أن يملكهم من بعض الثغور الغربية ^(٤) التى لطاغيهم بالأندلس ، يرتقبون منها الفتح ، وخاطبني السلطان الخلوع فى ذلك ؛ وكانت بينى وبين عمر بن عبد الله أذمة مرعية ، وخاصة متأكدة ، فوفيت ^(٥) للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله ، وحملته على أن يرد عليه مدينة رندة ، إذ هى من تراث سلفه ، فقبل إشارتى فى ذلك ، وتسوغها السلطان الخلوع ، ونزل بها وعثمان بن يحيى فى جملته ، وهو المقدم فى بطانته ، ثم غزوا منها مائة ، فكانت ركابا للفتح ، وملكها السلطان ، واستولى بعدها على دار ملكه بقرناطة ؛ وعثمان بن يحيى متقدم القوم فى الدولة ، عريق فى الخالصة ، وله على السلطان دالة ، واستبداد على هواه . فلما وصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده ، وأعادته إلى مكانه فى الدولة ، من علو يده ، وقبل إشارته ، أدركته الفجرة من عثمان ، ونكر على السلطان الاستكفاء به ، و [أراه] ^(٦) التخوف من هؤلاء الأعياض ^(٧) على ملكه ، فحذره السلطان ، وأخذ فى التدبير عليه ، حتى نكبه وأباه وإخوته فى رمضان سنة أربع وستين ، وأودعهم ^(٧) المطبق ، ثم غرّ بهم بعد ذلك ، وخلا لابن الخطيب

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) كذا فى تاريخ ابن خلدون . وفى الأصلين : « عند » .

(٣) كذا فى نفع الطيب وابن خلدون . وفى الأصلين : « الغربية » .

(٤) فى تاريخ ابن خلدون . « أطاعتهم » .

(٥) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٦) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « الأعيان » .

(٧) فى ط : « وأودعهم » .

الجو ، وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير الدولة ، وخطط بينه بُندُمائه وأهل خَلوته ، وانفرد ابن الخطيب بالحلّ والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، [١٣٢] وعَلِقَتْ به الآمال ، وَغَشِيَ بابَه الخاصة والكافة ، وَغَصَّتْ به بَطانة السلطان وحاشيته ، ففطنوا^(١) في السَّعَايات فيه ، وقد صُمَّ السلطان عن قَبُولها ؛ ونَمَى الخبر بذلك إلى ابن الخطيب ، فشمَّر عن ساعده في التفويض ، واستُخْدِم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ، ملك العُدوة يومئذ ، في القبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبي يَفْلُوسن ابن السلطان أبي عليّ ، كانوا قد نَصَبوه شيخاً على الغزاة بالأندلس ، لما أجاز من العُدوة بعد ما جاسَ خلالها ، لطلب الملك ، وأُضْرم بها نار الفتنة في كل ناحية ، وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله ، القائم حينئذ بدولة بني مرين ، فاضطرَّ إلى الإجازة إلى الأندلس ، فأجاز هو ووزيره مسعود بن ماساي ، ونزلوا على السلطان المخلوع عام سبعة وستين ، فأكرم ثُرُكُهُمْ ، وتَوَفَّى عليّ بن بدر الدين شيخ الغزاة ، فقدم عبد الرحمن مكانه . وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله ، ففصَّ بما فعله السلطان المخلوع من ذلك ، وتوقع انتقاض أمره منهم ، ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسرَّ بها في بني مرين ، فجزع لذلك ، ودخله ابن الخطيب في اعتقال ابن يَفْلُوسن وابن ماساي ، وإراحة نفسه من شغبهم ، على أن يكون له المكان من دولته متى نزع إليه ، فأجابه إلى ذلك ، وكتب له العهد بخطه ، على يد سفيره إلى الأندلس وكتبه أبي يحيى بن أبي مدين^(٢) ؛ وأغرى [١٣٣] ابن الخطيب سُلْطانه بالقبض على ابن يفلوسن وابن ماساي ، فقبض عليهم واعتقلهم ، وفي خلال ذلك استحكمت نُفْرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة ،

(١) في تاريخ ابن خلدون : « فتوافقوا على ... الخ » .

(٢) العبارة من قوله : « فجزع » إلى هنا ساقطة في تاريخ ابن خلدون .

من القدح فيه والسعاية ، وربما تخيل أن السلطان مال إلى قبورها ، وأنهم قد أحفظوه عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان في تفقد الثغور [الغريبة] ^(١) ، وسار إليها في لُمة من فرُسانه ، ومعه ابنه على الذي كان خالصة للسلطان ، وذهب لِطِيتَه ، فلما حاذى جبلَ الفتح ، فرضةَ المجاز إلى العدو ، مال إليه ، وسرح إذنه بين يديه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه . [وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك ، وجهاز له الأسطول من حينه ، فأجاز إلى سَبْتَة ، وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة ، وامثال المراسم ، ثم سار لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين ، بمقامه تِلْسان ، فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطانُ خاصَّته لتلقيه] ^(٢) ، وأحلّه من مجلسه بِمَحَلِّ الأمن والغبطة ، ومن دولته بِمَكَان التنويه والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة ، ثم أكثر ^(٣) المنافسون له في شأنه ، وأغروا سلطانه بتتبع عَثَراته ، وإبداء ما كان كامناً في نفسه من سقطاته ، وإحصاء معايبه ، وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزَّندقة ، أحصوها عليه ونسبوها [إليه] ^(٤) ، ورُفِعَت إلى قاضى الحضرة أبي الحسن بن الحسن فاسترعاها ، وسَجَّلَ عليه بالزَّندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث القاضى ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السَّجَلَات ، وإمضاء حكم الله فيه ، فصمَّ عن ذلك ، وأَنِفَ لَذَمِّهِ أَنْ تُخَفَّرَ ، ولجواره أَنْ يُرَدَّ ، وقال لهم : هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأتم علمون بما كان عليه ! وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جواري ؛ ثم وفرَّ

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٢) زيادة عن ت وابن خلدون ونفع الطيب .

(٣) في ابن خلدون : « لفظ » .

الجراية والإقطاع له ولبنيه ، ولمن جاء من أهل الأندلس في جملته . فلما هلك
السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ، ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا
تلمسان ، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي ، القائم بالدولة ، فنزل
بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنق في بناء المساكن ، واغتراس
الجنان ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى ،
واتصلت حاله على ذلك ، إلى أن كان ما نذكره .

انتهى كلام ابن خلدون وأكثره بلفظه .

قلت : وقد وقفت على كتاب للقاضي أبي الحسن بن الحسن المذكور يخاطب
به ابن الخطيب ويعظه ، ويشير إلى ما اشتغل به من البنیان ، وفيه ما يبين كلام
ابن خلدون السابق وزيادة ، وما يدل على ما ذكره ابن خلدون من أنه سَجَّلَ
عليه بأمر منكرة ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وقد أسقطت بعضه اختصارا ،
ونص ما تعلق به الغرض قوله يخاطب الوزير ابن الخطيب :

كتاب القاضي
أبي الحسن إلى
ابن الخطيب

فشرعتم في الشراء ، وتشديد البناء ؛ وتركتم الاستعداد لهادم الذات ،
هيئات هيئات ؛ تبنون مالا تسكنون ، وتدخرون مالا تأكلون ، وتؤملون مالا
تدركون ؛ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مُشَيَّدة ، فأين المهرب
مما هو كائن ! ونحن إنما نتقلب في قدرة الطالب ، شَرَقْتُمْ أو غَرَبْتُمْ ، [والأيام
تتقاضى الدَّين ، وتنادى بالنفس الفرارة إلى أين إلى أين ! وترك الكلام مع
الناقد] ^(١) فيما ارتكبه من تركيته نفسه ، وعدَّ ما جل به من مناقبه ، ما عدا ما هَدَّدَ
به من حديد لسانه ، خشية اندراجها في نَمَطٍ من قال فيه رسول الله صلى الله عليه

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت ونفع الطيب .

وسلم : « إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فُحْشه »^(١) . ولا غيبة فيمن ألقى جلباب الحياء عن وجهه ؛ ونزحه على ما أبداه وأهداه من العيوب التي نسبها لأخيه ، واستراح على قوله بها فيه ، ونذكره على طريقة نصيحة الدين ، بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : [١٣٥] « أتدرون من المُفْلِس ؟ قالوا : المُفْلِس فينا من لا درهم له ولا متاع ! فقال : إن المُفْلِس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعْطَى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فُتِنَتْ حسناته قبل أن يُقْضَى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم ، فطُرِحَتْ عليه ، ثم طرح في النار » . ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق ، هو الذي حملني على نصحكم ومُراجعتكم في كثير من الأمور ، منها الإشارة عليكم بإذهاب عين ما كتبتم به في التارخج وأمثاله ، فإنكم نفعتم بما وقعتم فيه من الغيبة المحرمة أحياء وأمواتاً ، لغير شيء حصل بيدكم ، وضررتم أنفسكم بما رتبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة قبلكم ، والرضا بهذه الصفقة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل . وقد قلت لكم غير ما مرّة عن أطراسكم المسوذة ، بما دعوتهم إليه من البدعة ، والتلاعب بالشريعة : إن حقها التخريق والتحريق ، وإن من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدعكم ، والله الشهيد بأنّي نصحتكم وما غششتكم ، وليس هذا القول وإن كان ثقيلاً عليكم ، بمُخَالَفِ كُلِّ الخالفة لما ذنبتم^(٢) به من تقدم المواجهة بالملاطفة ، والمعاملة بالمكارمة ، فليست المداراة بقادحة في الدين ، بل هي محمودة

(١) الحديث كما في الجامع الصغير للسيوطي (ج ١ ص ٢٢٨) : « إن من شر الناس منزلة

عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فُحْشه » .

(٢) كذا في الأصلين ونفع الطيب . ولعلها محرفة عن « زنتم به » ، أي ظننتم به .

في بعض الأحوال ، مستحسنة على ما بينه العلماء ، إذ هي مقارنة ^(١) في الكلام ، أو مجاملة بأسباب الدنيا ، لصلاحها أو صلاح الدين ، وإنما المذموم المداهنة ، وهي بذل الدين لمجرد الدنيا ، والمصانعة به لتحصيلها ؛ ومن خالط للضرورة مثلكم وزايله بأخلاقه ، ونصحته مخاطبة ومكاتبة ، واستدل له بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته ، فقد سَلِمَ والحمد لله من مدهنته ، وقام لله [١٣٦] بما يجب عليه في حكم من التحذير والإنكار ، مع الإشفاق والوجل . وأكثرتكم في كتابكم من المنّ بما ذكرتم أنكم صنعتكم ، وعلى تقدير الموافقة لكم ، ليتكم فعلتم فسلمنا من المعرة وسلمتم ، وجلّ القائل سبحانه : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم » . ولما شاركتكم أنتم في شيء إلا بأعراض حاصلة في يديكم ، أو لأغراض دينوية خاصة بكم ، فاللّام إذاً في الحقيقة إنما هو متوجه إليكم . وأما ما أظهرتم بمقتضى حرّكانكم وكلامكم ، من التندم ^(٢) على فراق محلّكم ، والتعلل بأخبار قطركم وأهلكم ، فتناقض منكم ، وإن كنتم فيه بغدركم ^(٣) : أتبكي على لبي وأنت تركتها فكنت كآتٍ حَتَفَه ^(٤) وهو طائع وما كل ما منتك نفسك خالياً ^(٥) تُلاقِي ولا كلّ الهوى أنت تابع فلا تبكين في إثر شيء ندامة إذا نزعته من يديك النوازع ^(٦)

(١) في النسخة الخطية من نفح الطيب . « مقارنة » .

(٢) كذا في ط ونفح الطيب . وفي ت : « الشؤم » .

(٣) كذا في نفح الطيب المطبوع والخطي . وفي الأصلين : « بغدركم » .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٩ ص ٢١٧ طبعة دار الكتب) . وفي الأصلين ونفح

الطيب : « غيه » .

(٥) كذا في الأغاني . وفي الأصلين ونفح الطيب : « مخليا » .

(٦) البيت كما في الأغاني :

فلا تبكين في إثر لبي ندامة وقد نزعته من يديك النوازع

وهذه الأبيات من شعر لقيس بن ذريح في زوجته لبي بنت الحباب الكمية .

وعلى أن تأسفكم^(١) لما وقستم فيه من الغدر لسلطانكم ، والخروج للضرورة غالبية عن أوطانكم ، من الواجب بكل اعتبار عليكم ، سيما وقد مددتم إلى التمتع لغيرها عينكم . ولو لم يكن لهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة إلا ما خصت به من بركة الرباط ، ورحمة الجهاد ، لكفاها غمراً على ما يجاورها من سائر البلاد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه » ، وقال عليه السلام : « الرُّوحَةُ يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها » . وعلى كل تقدير فإذا لم يكن يا أخى فرارك من الأندلس إلى الله وحده بالتوبة المكتملة والاستغفار ، مع الانقطاع في أحد المواطن المكرمة المعظمة بالإجماع ، وهى طيبة أو مكة أو بيت المقدس ، فقد خسرتم صفقة رحلتكم ، وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم ؛ اللهم إلا إن كنتم قد لاحظتم مسألة الرجل الذى قتل مئة نفس ، وسأل أعلم أهل الأرض ، فأشار عليه بعد إزماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب ، واكتسب بها العيوب ؛ فأمره آخر ، مع أن كلام العلماء فى هذا الحديث معروف^(٢) ؛ ويقال لكم من الجواب الخاص بكم : فعليكم إذا بترك القيل والقال ، وكسر حربة الجدال والقتال ، وقصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصالح الأعمال . ووقعت فى مكتوبكم كلمات أوردها النقد فى قالب الاستهزاء والازدراء ، والجهالة بمقادير الأشياء ، منها : ربح صرصر ، وهو لغة القرآن ، وقاع قرقر ، وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم . ثبت فى الصحيح فى باب التغليظ فيمن لا يؤدى زكاة ماله ، « قيل : يا رسول الله ، والبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم

(١) فى ت : « أسفكم » .

(٢) انظر القرطبي (ج ٦ ص ١٥٣ طبعة دار الكتب) عند تفسير قوله تعالى :

« أو ينفوا من الأرض » .

لا يؤدى منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة يُطَحَّ لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ، تنطحه بقرونها ، وتطوّه بأظلافها^(١) . الحديث الشهير . قال صاحب العلم^(٢) :
 يُطَحَّ لها بقاع قرقر ، أى ألقى على وجهه ، والقاع : المستوى من الأرض ،
 والقرقر : كذلك ؛ هذا ما حضر من الجواب . وبقي في مكتوبكم حشو كثير من
 كلام الإقذاع ، وفحش بعيد من الحشمة والحياء ، رأيت أن من الصواب
 الإضراب عن ذكره ، وصون اليد عن الاستعمال فيه ، والظاهر أنه إنما صدر
 عنكم وأتم بحال مَرَضٍ ، فلا حرج فيه عليكم إن شاء الله ، أجلكم ، ومكّن
 أمنكم ، وسكن وجلكم ، ومنه جلّ اسمه^(٣) نسأل لى ولكم حسن الخاتمة ،
 والفوز بالسعادة الدائمة ، والسلام الأتم يعتمدكم ، والرحمات والبركات من كاتبه
 على بن عبد الله بن الحسن ، وفقه الله .

وذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وسبع مئة .

وقيد رحمه الله فى مُدرَج طى هذا الكتاب مانصه :

[١٣٨] يا أخى ، أصلحنى الله وإياكم ، بقى من الحديث شىء ، الصواب الخروج
 عنه لكم ، إذ هذا أوانه ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه ، وليكن
 البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله ، وحاصله :

أنكم عددتم ما شاركتكم فيه بحسب الأوقات ، وقطعتم بنسبة الأمور
 كلها لنفسكم^(٤) ، وأنها إنما صدرت عن أمركم وبإذنكم ، من غير مشاركة
 فى شىء منها لكم ، ثم منتقم بها المنّ القبيح ، البطل لعمل برّكم ، على تقدير

(١) ارجع إلى مسلم والبخارى فى باب الزكاة فى لفظ الحديث روايات .

(٢) لعله يريد : المعلم بفوائد مسلم ، وهو شرح على صحيح مسلم للإمام أبى عبد الله محمد التيمى .

(٣) فى النسخة الخطية من نفح الطيب : « ومنه سبحانه نسأل . . . الخ » .

(٤) فى نفح الطيب : « إلى أنفسكم » .

التسليم في فعله لكم ، ورميتم غيركم بالتقصير في حاله كله ، طريقة من يبصر القذى في عين أخيه ويدع الجذع في عينه ، وأقصى ما تسقى للمحب أيام كونكم بالأندلس ، تقلد كلفة قضاء الجماعة ، وما كان إلا أن وليتها بقضاء الله وقدره ، فقد تبين لكل ذى عقل سليم أنه لا موجد إلا الله ، وإذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلًا بإيجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه ، من غير عاضد له على تحصيل مراده ولا معين ، ولكنه ، جلت قدرته ، وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه ، وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه ، وكأني بكم تضحكون من تقرير هذه المقدمة ، وما أحوجكم إلى تأملها بعين اليقين ، فكابدت أيام تلك الولاية النكد^(١) من النكابة ، باستحقاقكم للقضايا الشرعية ، وتهاونكم بالأمر الديني ، ما يعظم الله به الأجر ، وذلك في جملة مسائل ، منها مسألة ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقصّي موجهاته ، على كره منكم ؛ ومنها مسألة ابن أبي العيش المثقف^(٢) في السجن على آرائه المضلة ، التي كان منها دخوله على زوجه إثر تطليقه إياها بالثلاث ، وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها ، فحلمت أحد ناسكم تناول إخراجها من الثقاف^(٣) ، من غير مُبالاة بأحد ؛ ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه مطالبة بدم قتيل ، وسبق المدعى عليه للذبح^(٤) بغير سكين ، فما وسعني بمقتضى الدين إلا حبسه على ما أحكمته السنة ، فأنقمت لذلك ، وسجنتم الطالب^(٥) ولي الدم ، وسرحتم الفتى المطلوب على الفور ، إلى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ، ولا يحمل بي ولا بكم

[١٣٩]

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « النكرة » .

(٢) المثقف : المسجون . (عن تكملة المعجمات لدوزي) .

(٣) الثقاف : الحبس والسجن . (عن دوزي) .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الذبيح » .

(٥) في النسخة الخطية من نفع الطيب : « الطالب » .

ذكره . والمسألة الأخرى أتم توليتم كبرها ، حتى جرى فيها القدر بما جرى من الاتصال ، والحمد لله على كل حال . وأما الرمي بكذا وكذا بما لا علم لنا بسببه ، ولا عذر لكم من الحق في التكلم به ، فشيء قلما يقع مثله من البهتان ، ممن كان يرجو لقاء ربه ، وكلامكم في المدح والمجوب هو عندي من قبيل اللغو الذي نمر به كراما ، والحمد لله فكثروا^(١) أو أقلوا من أى نوع شئتم ، أتم وما ترضونه لنفسكم^(٢) ، وما فُهِتْ لكم بما فُهِتْ من الكلام ، إلا على جهة الإعلام ، لا على جهة الانفعال ، لما صدر أو يصدر عنكم من الأقوال والأفعال ، فذهبي غير مذهبكم ، وعندي ما ليس عندكم .

وكذلك رأيتم تكثرون في مخاطبتكم من لفظ الرقية في معرض الإنكار لوجود نفعها ، والرمي بالمنقصة والحق لمستعملها ، ولو كنتم قد نظرتُم في شيء من كتب السنة ، وسير الأمة المسلمة ، نظر مصدق ، لما وسِعكم إنكارُ ما أنكرتم ، وكفبه بخط يديكم ، فهو قادح كبير في عقيدة دينكم ، فقد ثبت بالإجماع في سورة الفلق أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بها هو وآحاد أمته ؛ وفي أهات الإسلام الخمس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى رقا جبريل ، فقال : بسم الله يُبريك^(٣) ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شرّ حاسد إذا حسد ، [١٤٠] ومن شر كل ذي عين . وفي الصحيح أيضاً أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سَفَر ، فمروا بحَيٍّ من أحياء العرب ، فاستضافوهم فلم يضيفوهم ، فقالوا : هل فيكم راق ؟ فإن سيد الحَيِّ لديغ أو مصاب ؛ فقال رجل من القوم : نعم ، فأتاه فرقا بفاحة الكتاب ، فبرئ الرجل ، فأعطى قطيعا من

(١) في النسخة الخطية من نفع الطيب : « أكثروا أو قللوا » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « لأنفسكم » .

(٣) يريد : « يبرئك » فسهل .

غنم ، الحديث الشهير . قال أهل العلم : فيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الرقبة والطب وتعليم القرآن ، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي ثور وجماعة من السلف ، وفيه جواز المقارضة ، وإن كان ضد ذلك أحسن ، وفي هذا القدر كفاية . وما رقيت قط أحداً على الوجه الذي ذكرتم ، ولا استرقيت ، والحمد لله ، وما حملني على تبين ما بينته الآن لكم في المسألة ، إلا إرادة الخير التام لجهتكم ، والطمع في إصلاح باطنكم وظاهركم ، فإني أخاف عليكم من الإفصاح بالطمع في الشريعة ، ورمي علمائها بالمنقصة ، على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم ، منكر علم الجزئيات ، القائل بعدم قدرة الرب على جميع الممكنات ؛ وأنتم قد انتقلتم إلى جوار أناس أعلام ، قلما تجوز عليهم ، حَفِظَهُمُ اللهُ ، المغالطات ، فتأسركم شهادة العدول التي لا مدفع لكم فيها ، وتقع الفضيحة ، والدين النصيحة ، أعاذنا الله من ذلك الشقاء ، وشماتة الأعداء ، وجهد البلاء .

وكذلك أخطركم من الوقوع بما لا ينبغي في الجنب الرفيع ، جناب سيد المرسلين ، وقائد القُرَّ المحجَّلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه نقل عنكم في هذا الباب أشياء منكورة ، يكبر في النفوس التكلم بها ، أتم تعلمونها ، وهي التي زرعت في القلوب ما زرعت من بغضكم ، وإيثار بعدكم ، مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ، ولولا أنكم سافرتم قبل تقلص ظل السلطنة عنكم ، لكانت الأمة المسلعة ، امتعاضاً لديها ودنياها ، قد برزت بهذه الجهات ، لطلب الحق منكم ، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خُدَّام الدول ما صدر عنكم ، من العبث في الأبدان والأموال ، وهتك الأعراض ، وإفشاء الأسرار ، وكشف الأستار ، واستعمال السكر والحيل والغدر في غالب^(١) الأحوال ، للشريف والمشروف ، والخديم والمخدوم ، ولو لم يكن في الوجود من الدلائل على صحة ما رضىتم به لنفسكم ، من

(١) في ط : « في سائر » .

الاتسام بسوء العهد ، والتجاوز الحض ، وكفران النعم ، والركون إلى ما تحصل من
الخطام الزائل^(١) ، إلا عملكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم ، أيده الله بنصره ،
وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه ، وفي الكثير من أهل قطره ، لكفاكم وصمة
لا يغسل دَنَسها البحر ، ولا ينسى عازها الدهر ، فإنكم تركتموه أولاً بالمغرب عند
تلون الزمان ، وذهبت للكديه^(٢) ، والأخذ بمتنقى المقامة الساسانية ، إلى أن استدعاه
الملك ، وتخلصت له بعد الجهد الأندلس ، فسقطتم عليه سقوط الذباب على الحلاوة ،
وضربتم وجوه رجاله بعضاً ببعض ، حتى خلا لكم الجو ، وتمكن الأمر وانهمى ،
فهمزتم ولمزتم ، وجمعتم من المال ما جمعتم ، ثم ورَّيتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء ،
مكرراً منكم ، فلما بلغت أرض الجبل انحرقت عن الجادة ، وهربت بأثقالكم الهروب
الذي أنكره عليكم كل من بلغه حديثكم أو يبلغه إلى آخر الدهر في العُدوتين ،
من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة بتصرفاتكم
حازم ، أو يثق بكم في قول أو فعل صالح أو طالح . ولو كان قد بقي لكم من العقل [١٤٢]
ما تفكرون به في الكيفية التي ختمتم بها عملكم بالأندلس ، من الزيادة
في المغموم وغير ذلك ، مما لكم وزر ووزر من عمل به بعدكم إلى يوم القيامة ، حسبما
ثبت في الصحيح لحملكم على مواصلة الحزن ، وملازمة الأسف والندم على
ما أوقفتم فيه نفسكم الأمانة ، من التورط والتنسب في أشطان الآمال ، ودسائس
الشیطان ، ونعوذ بالله من شرور الأنفس ، وسينئات الأعمال .

وأما قولكم عن فلان : إنه كان حشرة في قشور^(٣) اللوز ، وإن فلاناً كان

(١) كنا في نصح الطيب . وفي الأصلين : « الخطام باليد » .

(٢) كنا في نصح الطيب المطبوع . وفي النسخة الخطية : « للكذبة » . وفي

الأصلين : « للكيدة » .

(٣) في نصح الطيب : « في قلوب » .

بُرْغوثًا في تراب الخول ، فكلام سَفَسَاف ، يقال لكم من الجواب عليه : وأتم
يا هذا ، أين كنتم منذ خمسين سنة مثلاً ؟ خلق الله الخلق لا استظهاراً بهم ولا
استكثاراً ، وأنشأهم كما قدر أحوالاً وأطواراً ، واستخلفهم في الأرض بعد أمة
أُمَمَّا ، وبعد عصر أعصاراً ، وكَلَّفَهُمْ شرائع وأحكامه ، ولم يتركهم هملاً ، وأمرهم
ونهاهم ، ليلبثوا أيُّهم أحسن عملاً ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وبكل اعتبار
فلا نعلم في نَمَطِ الطلبة تدريجاً كان أسمع في تدريجكم ، ونبدأ من كذا ، فإنه
كان كذا وكذا ، وأكثر أهل زمانه تخملاً وتقللاً في نفسه بالنسبة إلى منصبه ،
كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب ، ولكنه حين علم رحمه الله من نشأتكم ؛
وحالتكم ما علم ، نبذ مصاهرتكم ، وصرف عليكم صداقكم وكذلك فعلت بنت
جَزَيَّ زوج الرهيصي معكم ، حسباً هو مشهور في بلدكم ، وذكرتم أنكم ما زلتم
من أهل الغنى حيث تقرتم بذكر القرض [وهو بفتح العين والراء : حُطَام
الدنيا ، على ما حكى أبو عبيد ، قال أبو زيد : هو بسكون الراء : المال الذي
لا ذهب فيه ولا فضة] ، وأى مال خالص يعلم لكم أو لأبيكم بعد الخروج
من التقاف^(١) ، على ما كان قد تبقى عنده من مجبى قرية مترايل ،
ثم من العدد الذي برز قبلكم ، أيام كانت أشغال الطعام بيدكم ، على ما شهد به
الجمهور من أصحابكم ؛ وأما الفلاحة التي أشرتم إليها ، فلا حق لكم فيها ، إذ هي
في الحقيقة لبית مال المسلمين ، مع ما بيدكم ، على ما تقر في الفقهيات ، والمعدوم
شريعاً كالمعدوم حساً ، ولو قبل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سَفَطاتكم
في القال والقال ، ولم يُصْرَف إلى دفع معرفتها عنكم وجه التأويل ، لكأنتم مسألتكم
ثانية لمسألة أبي الخير بل أبي الشر ، الحادثة أيام خلافة الحكم ، المسطورة في نوازل

[١٤٣]

(١) يريد : الحبس والسجن . (انظر تكملة المعجمات لدوزي) .

وغير سوسلت له نفسه وشيكله من التباين في حال جنده في نوازل
وسيفه عليه سورة ورواية
وغير سوسلت له نفسه وشيكله من التباين في حال جنده في نوازل
وسيفه عليه سورة ورواية

أبى الأصنع بن سهل ، فاعلموا ذلك ، ولا تهملوا إشارتي عليكم قديماً وحديثاً بلزوم الصلوات ، وحضور الجماعات ، وفعل الخيرات والعمل على التخلص من التبعات ، إنَّ وعد الله حق ، فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرَّنكم بالله الغرور .

وقلتم في كتابكم : أين الخطط المتوارثة عن الآباء والأجداد ؟ وقد أذهب الله عنا بركة الملة المحمدية غيبة الجاهلية ، في التفاخر بالآباء ، ولكنني أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم : إن كانت الإشارة إلى الجيب هذا ، فمن المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الأصالة أحد أمائل قطره . قال القاضي أبو عبد الله ابن عسكر : وقد ذكر في كتابه من سلكني فلان بن فلان ما نصه : وبينته بيت قضاء وعلم وجلالة ، لم يزالوا يرثون ذلك كابراً عن كابر ، استقصى جده المنصور ابن أبي عامر . وقال غيره وغيره ، ويبدى من عهود الخلفاء ، وصُكوك الأمراء المكتتة بخطوط أيديهم ، من لدن فتح جزيرة الأندلس إلى هذا العهد القريب ، [١٤٤] ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد ، والمئة لله وحده . وإن كانت الإشارة إلى الغير^(١) من الأصحاب في الوقت ، حفظهم الله ، فكل واحد منهم إذا نُظر إليه بعين الحق ، وُجد أقرب منكم نسباً للخطط المعتبرة ، وأولى بميراثها بالفرض والتعصيب ، أو مساوياً على فرض المسامحة لكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، حرام دمه وماله وعرضه .

ونرجع إلى طريقة أخرى فنقول : من كان يافلان من قومكم في عمود نسبكم فقيهاً مشهوراً ، أو كاتباً قبلكم معروفاً ، أو شاعراً مطبوعاً ، أو رجلاً نبيهاً مذكوراً ، ولو كان يالوشى وكان ، لكان من الواجب الرجوع إلى التناصف

(١) في النسخة المطبوعة من نفع الطب : « للغير » .

والتواصل والتواضع ، وترك التحاسد والتباغض والتقاطع ، إن الله لا ينظر إلى صُوركم وأبدانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

وكذلك العَجَب كل العجب من تسميتكم الخَرِبَات التي شرعتم في بنائها بدار السلامة ، وهيئات هيئات ، المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجَلَاء ، وعَنَاء وفناء ، ولو لم يكن من الموعظة الواقعة بتلك الدار في الوقت إلا موت سعيدكم عند دخولها ، لأغناكم عن العلم اليقيني بآلها ، وأظهرتم سروراً كثيراً بما قلتم إنكم نلتُم حيث أتم من الشهوات التي ذكّرتُم أن منها الإكثار من الأكل والحرق ، والقعود بإزاء جارية الماء على نِطْع الجلد ، والإمساك أولى بالجواب على هذا الفصل ، فلا خفاء بما فيه من الخِسة والخبائث والخبث ، وبالجملة ، فسرور العاقل إنما ينبغى أن يكون بما يجعل تقديمه من زاد التقوى للدار الباقية ، فما العيش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا عيش الآخرة ، فقدموا إن قبلتم وصاة الحبيب أو البغيض [١٤٠] بَعْضاً ، عسى أن يكون لكم ، ولا تخلفوا كيلاً^(١) يكون عليكم ، هذا الذي قلته لكم وإن كان لدى من يقف عليه من نمط^(٢) الكثير ، فهو في اعتبار المكان ، وما مر من الزمان في حيزٍ اليسير ، وهو في نفسه قول حق وصدق ، ومُستندٌ أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبيائه ، فاحمدوا الله العلي العظيم على تذكيركم به ، إذ هو مجرى النصيحة الصريحة ، يترقى الله وإياكم لليسرى ، وجعلنا ممن ذُكِّر فانتفع بالذكى ، والسلام . انتهى كلام القاضي ابن الحسن النبأى رحمه الله .

قلت : ولعل هذا الكلام وأشباهه هو الحامل لابن الخطيب على هجو القاضي

(١) كذا في ط . وفي ت وفتح الطيب : « كلا » .

(٢) في النسخة الخطية من فتح الطيب : « وغط » .

ابن الحسن المذكور في السكتيبة الكامنة ، حيث ذكره ولقبه بـ **بُجُوس** ^(١) ، ووصفه بما لا يليق ذكره ، ثم أُلِفَ في ذلك تأليفاً مستقلاً ، سماه **بُخْلَع الرِّسَن** ، في وصف القاضي ابن الحسن ، حسبما أُلِفَت ذلك بخط شيخ شيخنا القاضي سيدي عبد الواحد الوائش ربي رحمه الله ، ولا يخلو كلام كل واحد منهما من تحامل على صاحبه ، والله يسمح لنا ولها بجاه النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ولي الدين بن خلدون في تاريخه ، في موضع آخر ما نصه :

كان محمد بن الأحمر المخلوع قد رجع من رُتْدَةٍ إلى ملكه بفرناطة ، في جهادى من سنة ثلاث وستين ، وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزى على ملكهم ، حين هرب من غرناطة إليه ، وفاءً بعهد المخلوع ، واستوى على كرسيه ، واستقل بملكه ، ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب ، فاستخلصه ، وعقد له على وزارته ، وفوض إليه في القيام بملكه ، فاستولى عليه ، [١٤٦] وملك هواه ، وكانت عينه ممتدة إلى المغرب وسكناه إلى إن نزلت به آفة في رياسته ، فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه ، وكان لأبناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرةً من ^(٢) ولد عمهم السلطان أبي علي ، ويخشونهم على أمرهم ، ولما لحق الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوس بالأندلس ، اصطفاه ابن الخطيب ، واستخلصه لنجواه ، ورفع في الدولة رتبته ، وأعلى منزلته ، وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة ، مكان بنى عمه من الأعياض ^(٣) ، فكانت له آثار في الاضطلاع بها ، ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره ، واستقل بملكه ، وكان ابن الخطيب ساعياً في مرضاته عند سلطانه ، فُدِسَ ^(٤) إليه باعتقال عبد الرحمن

(١) الجوسوس : القصير الدميم .

(٢) في تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٣٧ طبعة بلاق) : « علي » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأعياس » .

(٤) كذا في ط وتاريخ ابن خلدون ونفع الطيب . وفي ت : « فأسر » .

ابن أبي يفلوسن ، ووزيره [المطاردة به] ^(١) مسعود بن ماساي ؛ وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره ، وحمل السلطان عليهما ، إلى أن سطا بهما ابن الأحمر ، واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز ؛ وتغير الجو بين ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم ، وتنكر له ، فنزع عنه إلى عبد العزيز ^(٢) سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين ، لما قدم من الوسائل ، وهب من السوابق ؛ فقبله السلطان ، وأحلّه من مجلسه محل الاصطفاء والقرب ، وخاطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فبعثهم إليه ، واستقر في جملة السلطان . ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الأحمر ، فرغب السلطان [عبد العزيز] ^(٣) في ملك الأندلس ، وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تليسان إلى المغرب ؛ ونمى ذلك إلى ابن الأحمر ، فبعث إلى السلطان [عبد العزيز] ^(٤) بهدية لم يُسمع بمثلا ، انتقى فيها من متاع الأندلس وماعونها ، وبغالها الفاراهة ومعلوجي ^(٥) السبي وجواريه ، وأوفد بها رسله ، يطلب إسلام وزيره ابن الخطيب إليه ، فأبى السلطان من ذلك ونكره . ولما هلك واستبد الوزير ابن غازي بالأمر ، تميز إليه ابن الخطيب وداخله ، وخاطبه ابن الأحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان [عبد العزيز] ^(٦) ، فلج واستنكف عن ذلك وأقبح الرد ، وانصرف رسوله إليه وقد رهب سطوته ؛ فأطلق ابن الأحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، وأركبه الأسطول وقذف به إلى ساحل بطوية ^(٧) ، ومعه الوزير مسعود بن ماساي ، ونهض — [يعني ابن الأحمر] — ^(٨) إلى جبل القبيح ، فنازله بعساكره ، ونزل عبد الرحمن ببطوية .

(١) زيادة عن ابن خلدون .

(٢) العبارة من قوله « وتغير الجو » إلى قوله « عبد العزيز » ساقطة في تاريخ ابن خلدون .

(٣) زيادة عن فتح الطيب .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٥) بطوية : من حصون ورباطات سفاقر ، وهي على البحر وبها منار مفرط في الارتفاع .

(٦) عن المغرب للبكري .

ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا، تركته لطوله، وملخصه: أن الوزير أبو بكر ابن غازي، الذي كان معه ^(١) ابن الخطيب، ولَّى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة، خوفا عليها من ابن الأحمر، ونهض هو، أعني الوزير، إلى منازلة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ببطوية، إذ كانوا قد بايعوه، فامتنع عليه، وقاله أيا ما، ثم رجع إلى تازا ^(٢)، ثم إلى فاس، واستولى عبد الرحمن على تازا، وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبر الرأي، إذ وصله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم، وهو المعروف بذي الدولتين، وهذه هي دولته الأولى، وذلك أن ابن عم الوزير، وهو محمد بن عثمان، لما تولى سبتة، كان ابن الأحمر قد طاول حصار جبل الفتح، وأخذ بمخنقه، وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب، فاستعتب له، وقبح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازي، من الاستغلاظ له في شأن ابن الخطيب وغيره، فوجد ابن الأحمر بذلك السبيل إلى غرضه، وداخله في [١٤٨] البيعة لابن السلطان أبي سالم، من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة، وأن يقيمه للمسلمين سلطانا، ولا يتركهم فوضى وهملات تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ، ولا تصح ولايته شرعا، وهو السعيد بن أبي فارس، الذي بايعه الوزير أبو بكر بن غازي بتلمسان حين مات أبوه، واستبد عليه، واختص ابن الأحمر أحمد ابن أبي سالم من بين أولئك الأبناء، لما سبق بينه وبين أبيه أبي سالم من الموالاة. وكان ابن الأحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا، منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح، الذي هو محاصر له، وأن يبعثوا إليه جميع أبناء الملوك من بني مرين، ليكونوا تحت حوطته، وأن يبعثوا إليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا

(١) في نفع الطيب: «الذي كان تحيز إليه ابن الخطيب».

(٢) تازا: موضع من أعمال بني العافية، في جبل منه الذهب. (عن المغرب للبكري).

عليه ؛ فانقعد أمرهم على ذلك ، وتقبل محمد بن عثمان شروطه ، وركب من سبتة إلى طنجة ، واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله ، فبايعه ، وحمل الناس على طاعته ، واستقدم أهل سبتة للبيعة وكتابتها ، فقدموا وبايعوا ، وخاطب أهل جبل الفتوح ، فبايعوا ، وأفرج ابن الأحمر عنهم . وبعث إليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتوح ، وخاطب أهله بالرجوع إلى طاعته ؛ فارتحل ابن الأحمر من مالقة إليه ، ودخله ، ومحاذوة بني مرين ، مما وراء البحر ، وأهدى للسلطان أبي العباس ، وأمدّه بعسكر من غزاة الأندلس ، وحمل إليه مالاً للإعانة على أمره . ولما وصل الخبر بهذا كله إلى الوزير أبي بكر بن غازي ، قامت عليه القيامة ، وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب إليه يُؤوّه بأن هذا عن أمره ، فتهرباً من ذلك ، ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الأمر ، فاعتل له [١٤٩] بانعقاد البيعة لأبي العباس . وبينما الوزير أبو بكر ينتظر إجابة ابن عمه إلى مارامه منه ، بلغه الخبر بأنه أشخص الأبناء المعتقلين كلهم للأندلس ، وحصلوا تحت كفالة ابن الأحمر ، فوجم وأعرض عن ابن عمه ، ونهض إلى تازا المحاصرة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، فاهتبل ^(١) في غيبة ابن عمه محمد بن عثمان مُلْكَ المغرب ، ووصله مدد السلطان ابن الأحمر من رجال الأندلس الناشبة ^(٢) نحو ستمائة ، وعسكر آخر من الغزاة . وبعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان أحمد ، ومظاهرتة ، واجتماعهما على مُلْك فاس ، وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه ، فتراضيا . وزحف محمد بن عثمان وسلطانه إلى فاس ، وبلغ الخبر إلى الوزير أبي بكر بمكانه من

(١) اهتبل : غم .

(٢) الناشبة ، يريد : الرماة .

تازا ، فانقضّ معسكره ، ورجع إلى فاس ، ونزل بكُدْيَة العرائس ؛ واتّهى
السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون^(١) ، فصمد إليه الوزير بعساكره ، فاقتل
مَصَافَه ، ورجع على عقبه مفلولا ، واتّهب عسكره ، ودخل البلد الجديد البيضاء ،
وجأجأ^(٢) بالعرب أولاد حسين ، فمكروا بالزيتون ظاهر فاس ، فنهض إليهم
الأمير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الأجلاف ، وشرّدم إلى
الصحراء ، وشارف السلطان أبو العباس أحمد بمجموعة من العرب وزناته ،
وبعثوا إلى وليّ دولتهم وزمار بن عريف ، بمكانه من قصره الذي اختطه
بمَلْوِيَة^(٣) ، فجاءهم وأطلعوه على كامن أسرارهم ، فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق ،
فاجتمعوا بوادي النجا ، وتحالفوا ، ثم ارتحلوا إلى كُدْيَة العرائس في ذى القعدة
من سنة خمس وسبعين ، وبرز إليهم الوزير بعساكره ، فانهزمت جموعه ، [١٥٠]
وأحيط به ، وخلص إلى البلد الجديد بعد غص الريق . واضطرب معسكر
السلطان أبي العباس بكُدْيَة العرائس ، ونزل الأمير عبد الرحمن بإزائه ، وضربوا
على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار ، وأنزلوا بها أنواع القتال والإرهاب ؛
ووصلهم مدد السلطان ابن الأحمر ، فأحكموا الحصار ، وتحكموا في ضياع ابن
الخطيب بفاس ، فهدموها ، وعانوا فيها . ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل
محمد بن عثمان ابن عمّه الوزير أبا بكر في النزول عن البلد الجديد ، والبيعة للسلطان ،
لكون الحصار قد اشتد به ويئس ، وأعجزه المال ، فأجاب ، واشترط عليهم الأمير

(١) الذي في المغرب للبكري : « زرهونة » .

(٢) كذا في ت ونفع الطيب : وجأجأ : أهاب ودعا . وفي ط : « وجاء » .

(٣) ملوية : نهر كبير مشهور في المغرب الأقصى ويصب إلى نهر سبلماسة ويصيران
نهر واحد يصب في بحر الروم في شرق سبتة وجنوبها على ثلاث مئة وعشرة
أميال . (عن تقويم البلدان) .

عبد الرحمن التجاني له عن أعمال مراکش بدل سجلماسة ، فمقدوا له على كره ، وطوّوا على المكر ، وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان أبي العباس وبايعه ، واقتضى عهده بالأمان وتخليفة سبيله من الوزارة ، ودخل السلطان أبو العباس إلى البلد الجديد سابغ المحرم ، وارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مراکش ، واستولى عليها .

نكته ووفاته

محنة ابن الخطيب ووفاته :

ثم ذكر ابن خلدون الخبر عن مقتل ابن الخطيب فقال :

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه [فاتح] ^(١) سنة ست وسبعين ، استقلّ بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ، وسليمان بن داود بن أعراب كبير بني عسكر رديف له ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما بويغ بطنجة على نكبة ابن الخطيب ، وإسلامه إليه ، لما نعى إليه عنه أنه كان يغرى السلطان عبد العزيز المريني ^(٢) بملك الأندلس ، فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ، ولقيه أبو بكر بن غازي بساحة البلد الجديد ، فهزمه السلطان ، ولازمه بالحِصار ، أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد ، خوفا على نفسه . فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه ، فقبضوا عليه ، وأودعوه السجن ، وطَيّروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر ؛ وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب ، لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مشيخة

[١٥١]

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في ت ونفع الطيب .

الغزاة بالأندلس ، متى أعاده الله إلى ملكه ، فلما استقر له سلطانه ، أجاز له سليمان سفيرا عن [الوزير] ^(١) عمر بن عبد الله ، ومقتضيا عهده من السلطان ، فصدده ابن الخطيب عن ذلك ، [محتجا] ^(٢) بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياض الملك من بني عبد الحق ، لأنهم يعسوب زَنَاته ؛ فرجع سليمان ، وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاوز الأندلس لحل إمارته من جَبَل الفَتْح ، فكانت تقعُ بَيْنَهُ وبينَ ابنِ الخطيبِ مُكَاتِبَاتٌ ، يشير ^(٣) كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه بما يُحْفِظُهُ ، مما كَمَنَ في صدورهما . وحينَ بلغَ خبرُ القبضِ على ابنِ الخطيبِ إلى السلطانِ ابنِ الأحمرِ بعثَ كاتبه ووزيره بعد ابنِ الخطيبِ ، وهو أبو عبد الله ابن زَمْرُك ، فقدمَ على السلطانِ أبي العباس ، وأحضر ابنَ الخطيبِ بالمشور ^(٤) في مجلسِ الخاصة ، وعرض عليه بعضَ كلماتٍ وقعت له في كتابه في الحجة ^(٥) ، فعظمُ التَّسْكِيرِ فيها ، فوُجِّحَ ونكِّلَ ، وامْتَحِنَ بالعذابِ بمشهدِ ذلكِ المَلَأِ ، ثم نُقِلَ ^(٦) إلى محبسه ، واشتوروا في قتله بمقتضى تلكِ المَقَالَاتِ السَّجَّلَةِ عليه ، وأفتى بعضُ الفقهاء فيه ، ودسَّ سليمانُ بنُ داودَ لبعضِ الأوغادِ من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجنَ ليلا ، ومعهم زعانفة جاءوا في لَيفِ الخدمِ ، مع سفراءِ السلطانِ ابنِ الأحمرِ ، وقتلوه خَنَقًا في محبسه ، وأُخرجَ شِلوهُ من الغدِّ ، فدُفِنَ في مقبرة بابِ المحروقِ ، [١٠٢] ثم أصبحَ من الغدِّ على شَافَةِ ^(٧) قبره طريحا ، وقد جمعت له أعواد ، وأضرمت

(١) زيادة عن نفح الطيب .

(٢) في نفح الطيب : « ينفث » .

(٣) كذا في ت ونفح الطيب . والمشور : يريد مجلس المشورة . (راجع تكملة المعجمات لدوزي) . وفي ط : « بالمشور » .

(٤) في ت : « بالحجة » .

(٥) كذا في ط ونفح الطيب المطبوع . وفي ت والنسخة الخطية من نفح الطيب « ثل » .

(٦) كذا في الأصلين . وفي نفح الطيب المطبوع والخطي : « سافة » . وفي الإحاطة :

« سافة » . ولعل الكلمة محرفة عن : « حافة » .

عليه نار، فاحترق شعره، واسودَّ بشره، فأعيد إلى حفرة، وكان في ذلك انتهاء محنته. وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان، واعتدوها من هناته، وعظم التكبير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته، والله الفعال لما يريد.

وكان، عفا الله عنه، أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت، فتجهش هوائه بالشعر، يبكي نفسه، ومما قال في ذلك :

بَعْدُنَا وَإِنْ جَاوَرَتْنَا الْبُيُوتُ وَجُنَّا بَوَّعُظْ وَنَحْنُ صُمُوتُ
وَأَنْفَاسُنَا سَكَتَ دَفْعَةً كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهِ الْقُنُوتُ
وَكُنَّا عِظَامًا فِصْرْنَا عِظَامَا وَكُنَّا نَقُوتُ فَهَذَا نَحْنُ قُوتُ
وَكُنَّا شُمُوسَ سَمَاءِ الْعَالَا غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْنَا السَّمُوتُ^(١)
فَكَمْ خَذَلَتْ ذَا الْحُسَامِ الطُّبَا وَذُو الْبُخْتِ كَمْ جَدَّلَتْهُ الْبُخُوتُ
وَكَمْ سَيَقَ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ فَتَى مُلِثَتْ مِنْ كُسَاهِ التُّخُوتِ
فَقُلْ لِلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَفَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
وَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ فَقُلْ : يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ
اتمى كلام ابن خلدون في ديوان العبر.

ورأيت تخميسا لبعض بني الصباغ على هذه القطعة، لكنه زاد فيها بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون، وها أنا أثبتته تيمنا للفائدة، وهو :

أَيَا جَاهِلًا غَرَّهَ مَا يَفُوتُ وَأَلْهَاهُ حَالُ قَلِيلِ الثَّبُوتِ
تَأْمَلْ لِمَنْ بَعْدَ أَنْسِي يَصُوتُ^(٢) بَعْدُنَا وَإِنْ جَاوَرَتْنَا الْبُيُوتُ
وَجُنَّا بَوَّعُظْ وَنَحْنُ صُمُوتُ

(١) السموت : الطرق ؛ الواحد : سمت . ولعله يريد : مدارات النجوم .

(٢) في ط ونفع الطيب : « يفوت » .

لَقَدْ نِلْتُ مِنْ دَهْرِنَا رِفْعَةً تَقَضَّتْ كَبْرَقُ مَضَى سُرْعَةٍ
فَهِيَاهُ تَرْجُو لَهَا رَجْعَةً وَأَصْوَاتُنَا^(١) سَكَتَتْ دَفْعَةً
كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تِلَاةِ الْقُنُوتِ

بَدَأَ لِي مِنَ الْعِزِّ وَجْهٌ شَبَابُ يُؤَمِّلُ سَيْبِي وَبَأْسَى يُهُابُ^(٢) [١٠٣]
فَسَرَّعَانَ مَرْقُ ذَاكَ الْإِهَابُ وَمَدَّتْ وَقَدْ أَنْكَرْتَنَا الثِّيَابُ
عَلَيْنَا^(٣) نَسَائِجُهَا الْعَنْكَبُوتُ

فَأَها لِعِزِّي تَقْضَى مَنَامًا مُنَحْنًا بِهِ الْجَاهُ دَوْمًا^(٤) كِرَامًا
وَكُنَّا نَسُوسُ أُمُورًا عِظَامًا وَكُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا
وَكُنَّا نَقُوتُ فَهَا نَحْنُ قُوتُ

وَكُنَّا لَذَا الْمُلْكِ حَلَى الطَّلَا فَأَها عَلَيْهِ زَمَانًا خَلَا
نُعَوِّضُ مِنْ جِدَّةِ الْبَلَى وَكُنَّا شُمُوسَ سَمَاءِ الْمَلَا
غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْنَا السُّمُوتُ

تَعَوَّذْتُ بِالرَّغْمِ صَرْفَ اللَّيَالِي وَحَمَلْتُ نَقِصِي فَوْقَ احْتِمَالِي
وَأَيْقَنْتُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي ارْتِحَالِي وَمَنْ كَانَ مُنْتَظَرًا لِلزَّوَالِ
فَكَيْفَ يُؤَمِّلُ مِنْهُ الثَّبُوتُ

(١) فَيَا سِرَّ : « وَأَنْفَاسَنَا » .

(٢) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيْبِ . وَالسَّيْبُ : الْعَطَاءُ . وَفِي ت : « يُؤْمِنُ سَيْبِي » . وَفِي ط :
« يُؤْمِنُ سَيْبِي وَسَيْبِي .. الخ » .

(٣) فِي ط : « عَلَيْهَا » .

(٤) كَذَا فِي ت . وَفِي ط : « قَدَمَا » . وَفِي نَفْحِ الطَّيْبِ : « قَوْمًا » .

هو الموت يا ما له من نَبَا^(١) يَجُوزُ الْحِجَابَ إِلَى مَنْ أَبِي
ويألف^(٢) أَخَذَ سَنَى الْحَبَا^(٣) فكم أَسْلَمَتْ ذَا الْحُسَامِ الطُّبَا
وذا البخت كم جَدَّلَتْهُ الْبُخُوتُ

هو الموتُ أَفْصَحَ مِنْ مُجْمَةٍ وَأَيَقَظَ بِالْوَعْظِ مِنْ نَوْمَةٍ
وسلَّى عن الحزن ذَا حُرْقَةٍ فكم سِيقَ لِلْقَبْرِ^(٤) فِي خِرْقَةٍ
فَتَى مُلِئَتْ مِنْ كُسَاهِ التُّخُوتِ

تَقْضَى زَمَانِي بَعِيثٍ خَصِيبٍ وَعِنْدِي لَذْنِي انْكَسَارُ الْمُئِيبِ
وها الموتُ قَدْ صُبَّتْ مِنْهُ نَصِيبِ^(٥) قَلَّ لِلْعَدَا ذَهَبُ ابْنِ الْخَطِيبِ
وفات ومن ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ

مَضَى ابْنُ الْخَطِيبِ كَمَنْ قَبْلَهُ وَمَنْ بَعْدَهُ يَقْتَنِي سُبُلَهُ
وهذا الرَّدَى نَاثِرٌ شَمْلُهُ^(٦) فَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ
قَلَّ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مِنْ لَا يَمُوتُ

(١) يريد : « نَبَأ » فسهل الشعر .

(٢) كذا في نفع الطيب المطبوع . وفي الأصلين والنسخة الخطية من نفع الطيب :
« ويألف » .

(٣) كذا في النسخة الخطية من نفع الطيب ، يريد : الحباء ، وقصره للشعر . ويريد
بسنى الحباء : الشريف العزيز المتع في خبائه . وفي الأصلين ونفع الطيب
المطبوع : « الحبا » .

(٤) في ت (هنا) : « الموت » .

(٥) كذا في نفع الطيب المطبوع والمخطوط . وفي ت : « قد ضمت منه نصيب » .
وفي ط : « قد ضمت منه نصيب » .

(٦) موضع هذا الشطر في الأصلين بياض . وقد زدناه عن نفع الطيب .

هو الموتُ عَمَّ فما لِلْعَدَا يُسْرُونَ بِي حِينَ^(١) ذُقْتُ الرَدَى
ومن فاته اليومُ يَأْتِي غَدَا سَيَبْلِي الْجَدِيدُ إِذَا مَا الْمَدَى
تتابع آحادُه والسُّبُوتُ

[١٠٤]

أَخَى تَوْخٍ طَرِيقَ النِّجَاةِ وَقَدَّمَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَاتِ
وَشَقَرٌ بِجِدِّ لِمَا هُوَ آتِي وَلَا تَغْتَرِزْ بِسَرَابِ الْحَيَاةِ
فَإِنَّكَ عَمَّا قَرِيبٍ تَمُوتُ

انتهى . وقد تذكرت بقوله :

سَيَبْلِي الْجَدِيدُ إِذَا مَا الْمَدَى تتابع آحادُه والسُّبُوتُ
قول الآخر :

نَطَوِي سُبُوتًا وَأَحَادًا وَنَنْشُرُهَا وَنَحْنُ فِي الطَّيِّ بَيْنَ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ
فَعَدَّ مَا شَتَّتَ مِنْ سَبْتٍ وَمِنْ أَحَدٍ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الْمَطْوِيُّ فِي الْعَدَدِ

شعره :

مرابن الخطيب

قال بعض الأعلام : شعر ابن الخطيب ما بعده مطمع لطامع ، ولا مُعَرَّج
على شاعر بعده للأذان والمسامع ؛ فمن ذلك قوله سامحه الله :

عَسَى حَظْرَةٌ بِالرَّكْبِ يَا حَادِي الْعَيْسِ^(٢) عَلَى الْهَضْبَةِ الثَّمَاءِ مِنْ قَصْرِ بَادِيسٍ^(٣)

(١) في ت : « حيث » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب (ج ٤ ص ٥٨٤) . وفي ت : « نظرة » .

(٣) باديس : فرسة بينها وبين سبتة مئة ميل ، ويقابلها من الأندلس مالقة . (عن
تقويم البلدان) .

- لَنظْفَرُ مِنْ ذَاكَ الزُّلَالِ بَعْلَةً وَنَنَمُ فِي تِلْكَ الظَّلَالِ بِتَعْمِيرِيسٍ^(١)
 حَبَسْتُ بِهَا رَكْبِي فَوَاقًا وَإِنَّمَا عَقَدْتُ عَلَى قَلْبِي لَهَا عَقْدَ تَخْيِيسٍ^(٢)
 لَقَدْ رَسَخْتُ آيُ الْجَوَا فِي جَوَانِحِي كَمَا رَسَخَ الْإِنْجِيلُ فِي قَلْبِ قَيْسِيسٍ
 بِمَيْدَانٍ جَفَنِي لِلْسَّهَادِ كَتِيبَةٌ تُغَيِّرُ عَلَى سَرَّحِ الْكَرَى فِي كِرَادِيسٍ^(٣)
 وَمَا بَنَى إِلَّا نَفْحَةَ حَاجِرِيَّةٍ سَرَّتْ وَالِدَجَى مَا بَيْنَ وَهْنٍ وَتَغْلِيسٍ^(٤)
 أَلَا نَفْسٌ يَارِيحُ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى تُنَفِّسُ مِنْ نَارِ الْجَوَى بَعْضَ تَنْفِيسٍ
 وَيَا قَلْبَ لَا تُتْلِقِ السَّلَاحَ فَرِمًا تَعْذَرُ فِي الدَّهْرِ اطِّرَادُ الْمَقَايِيسِ
 وَقَدْ تُعْتَبِ الْأَيَّامُ بَعْدَ عِتَابِهَا وَقَدْ يُعْقِبُ اللَّهُ النِّعَمَ مِنَ الْبُوسِ
 وَلَا تَخْشَى لُجَّ الدَّمْعِ يَا خَطَرَةَ الْكَرَى إِلَى الْجَفْنِ بَلْ قَيْسَى عَلَى صَرْحِ بَلْقَيْسٍ^(٥)
 تَقُولُ سُلَيْمَى : مَا لِحَسَمِكَ شَاحِبًا مَقَالَةً تَأْنِيبُ يُشَابُ بِتَأْنِيسٍ
 وَقَدْ كُنْتَ تَعْطُو كُلَّاهِ بَتِ الصَّبَا بَرِيَّانَ فِي مَاءِ الشَّبِيبَةِ مَغْمُوسِ
 وَمَنْ رَاحَ الْأَيَّامُ يَا بَنْتَ عَامِرٍ يَجُوبُ الْفَلَاحَ رَاحَتُ يَدَاهُ بِتَغْلِيسٍ^(٦)

(١) التعريس : التزول للاستراحة آخر الليل .

(٢) الفواق (بالضم والفتح) : ما بين الحلتين من الوقت ؛ أو ما بين فتح يدك

وقبضها على الضرع . يريد : وقتنا قصيرا .

(٣) الكراديس : القطع العظيمة من الجبل . يريد : جيوش للسهاد .

(٤) حاجرية : نسبة إلى حاجر . وهو منزل من منازل الحاج . والوهن : نحو من

نصف الليل أو بعد ساعة منه . والتغليس : آخره .

(٥) لا تخش : الصواب فيه فتح الشين وإسكان الباء ، إلا أن الوزن لا يستقيم

بهذا الضبط . ويشير بصرح بلقيس إلى الآية الكريمة : « قيل لها ادخلي

الصرح » .

(٦) راجع الأيام : غالبها ، يرجو أن ترجع كفته .

فلا تحسبي والصدق خير^(١) سجيّة
وقفـراء أما ركبها فمُضَلَّل
سَنَحْنُهَا^(٢) بها من هَضْبَةٍ لِقَرَارَةٍ
إذا ما نهضنا عن^(٣) مَقِيلٍ غَزَالَةٍ
أدركنا بها كأساً دِهَاقاً من الشَّرَى
وَحَانَةِ سَحَّارٍ هَدَانَا لِقَصْدِهَا
تَطَّلَعَ رَبَّانِيَّهَا مِنْ جِـداره
بَكَرْنَا وَقُلْنَا إِذْ نَزَلْنَا بِسَاحَةِ
أَيَا عَابِدِ النَّاسُوتِ إِنَّا عِصَابَةٌ
وما قَصَدْنَا إِلَّا الْمَقَامَ بِحَانَةِ
فَأَنْزَلْنَا قَوَارِءَ فِي جَنَابَتِهَا^(٤)
بَدَرْنَا بِهَا طِينَ الْخِتَامِ بِسَجْدَةٍ
وَدَارِ الْعَذَارَى بِالْمُدَامِ كَأَنَّهَا
وَصَارَفْنَا فِيهَا نُضَارًا بِمِثْلِهِ

ظُهُورَ النَّوَى إِلَّا بَطُونِ النُّوَامِيسِ^(٥)
وَمَرَبَعَهَا مِنْ آتَسٍ غَيْرُ مَا نُوسِ^(٦)
ضَلَالًا وَمِلْنَا مِنْ كِنَاسٍ إِلَى خَيْسِ^(٧)
نَزَلْنَا فَعَرَسْنَا بِسَاحَةِ عَرِيسِ^(٨) [١٠٥]
أَمَلْنَا بِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ مِنَ الرُّوسِ
كُتِمِ الْحُمَيَّا وَاصْطَكَكَ النَّوَاقِيسِ
يُهَيِّمُ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ بِتَقْدِيسِ
عَنِ الصَّافِنَاتِ الْجُرْدِ وَالضَّمَرِ الْعِيسِ
أَتَيْنَا لَتَثْلِيثِ بَلَى وَلِتَسْدِيسِ
وَكَمْ أَلِيسَ الْحَقُّ الْبَيْنُ بِتَلْبِيسِ
مَحَارِبِ شَقَى لِاخْتِلَافِ النُّوَامِيسِ
أَرَدْنَا بِهَا تَجْدِيدَ حَسْرَةِ إِبْلِيسِ
قَطًّا تَهَادَى فِي رِيَاشِ الطَّوَاوِيسِ
كَأَنَّهَا مَلَأْنَا الْكَأْسَ لَيْلًا مِنَ الْكِيسِ

(١) في ت : « غير » . وهو تحريف .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَفَحَ الطَّيْبُ الْمَخْطُوطُ وَالْمَطْبُوعُ . وَلَمَلَهَا مَحْرَفَةٌ عَنْ « النَّوَامِيسِ »
بِمَعْنَى الْقُبُورِ .

(٣) الرِّبْعُ : الْمَوْضِعُ الَّذِي يَرْتَبِعُ فِيهِ فِي الرِّبْعِ .

(٤) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ : « سَجِينَا » .

(٥) الْكَنَاسُ : بَيْتُ الطَّيِّ . وَالْخَيْسُ : مَوْضِعُ الْأَسَدِ .

(٦) فِي ت : « مِنْ » .

(٧) الْعَرِيسُ : مَأْوَى الْأَسَدِ .

(٨) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ الْمَخْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ : « فَأَنْزَلْنَا فَوْرًا عَلَى جَنَابَتِهَا » .

وَقُنَّا نَشَاوَى عِنْدَمَا ^(١) مَتَعَ الضُّحَى كَمَا نَهَضَتْ غُلْبَ الْأَسُودِ مِنَ الْخَيْسِ ^(٢)
 قَقَالَ : لِبَيْسِ الْمُسْلِمُونَ ضِيُوفُنَا أَمَا وَأَبِيكَ الْحَبْرُ ^(٣) مَا نَحْنُ بِالْبَيْسِ ^(٤)
 وَهَلْ فِي بَنِي مَثَوَاكَ إِلَّا مُبَرِّزٌ بِحَلْبَةِ شُورَى أَوْ بِحَلْقَةِ تَدْرِيسٍ
 إِذَا هَزَّ عَسَالَ الْيَرَاعَةِ فَانْكَأَ أَسَالَ نَجِيعِ الْحَبْرِ فَوْقَ الْقَرَاطِيسِ
 يَقْلَبُ تَحْتَ النَّعَقِ مُقْلَةً ضَا حَكْ إِذَا التَفَتَ الْأَبْطَالُ عَنْ مُقْلِ شُوسِ ^(٥)
 سَبِينَا عُقَارُ الرُّومِ فِي عُقْرِ خَانِنَا ^(٦) بِحِمْلَةٍ ^(٧) تَمُويِهِ وَخُدْعَةِ تَذْلِيسِ
 لَنَنْ أَنْكَرْتَ شَكْلِي فَفَضْلِي وَاضِحٌ وَهَلْ جَائِزٌ فِي الْعَقْلِ إِنْكَارُ مُحْسُوسِ !
 رَسَبْتُ بِأَقْصَى الْغَرْبِ ذُخْرَ مَضْنَةٍ ^(٨) وَكَمْ دُرَّةٌ عَلِيَاءُ فِي قَاعِ قَامُوسِ
 وَأَغْرَيْتِ سُومِي ^(٩) بِالْعُذِيبِ وَبَارِقِ عَلَى وَطَنِ دَانِي الْجَوَارِ مِنَ الشُّوسِ ^(١٠)

ومن ذلك قوله رحمه الله في الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام
 يمدح مخدومه أبا عبد الله المحلوع :

ما على القلب بعدكم من جناح أن يرى طائراً بقير جناح

قصيدة
 لابن الخطيب
 في المولد النبوي

- (١) في ت : « بعدما » .
- (٢) متع الضحى : بلغ آخر غايته .
- (٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « الحبر » .
- (٤) باليس : يريد : بالبئس ، أى لسانا بمن يقال لهم : بئس المسلمون .
- (٥) شوس ، أى تنتظر بمؤخر العيون غضبا .
- (٦) في نفع الطيب : « دارها » .
- (٧) في ط ونفع الطيب : « بحملة » .
- (٨) في نفع الطيب : « ثمر مضلة » .
- (٩) كذا في الأصلين ونفع الطيب المطبوع . والسوس (هنا) : السجبة والطبع . وفي
 النسخة الخطية من نفع الطيب : « موسى » .
- (١٠) العذيب وبارق : موضعان بالكوفة وفيهما يقول أبو الطيب :
 تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا وبحرى السوابق
 والسوس : كورة بالمغرب مدينتها طنجة .

وعلى الشوق أن يُشَبَّ إذا هَبَّ بأنفاسكم نسيمُ الصباحِ
جيرةً الحى والحديث شُجون والليالى تلينُ بعد الجُمُاحِ
أترَوْنَ السَّلَوَّ خامرَ قلبي بعدكم ؟ لا ، وفالقِ الإصباحِ
ولو أنى أُعْطِيَ اقتراحى على الأَيَّامِ ما كان بُعْدُكم باقتراحى
ضايقتنى فيكمُ صروفُ الليالى واستدارت عَلى دَوْر الوُشاحِ^(١)
وسَقَتْنى كأسُ الفراقِ دِهاقاً فى اغتباقِ مُواصلِ واضطباحِ^(٢)
واستباحَت من جدَّتى وفَتَّائى حَرَمًا لَمْ أَخْلُهُ بالمُسْتَبَاحِ
ومنها :

يأتُرَى والنفوسُ أُشْرِى أمانى ما لها من^(٣) وَثاقها من سَراحِ
هل يُباحُ الورودُ بعدَ ذِيادِ أو يُباحُ اللِّقاءُ بعدَ انتزاحِ
وإذا أعوذَ الجسومَ التلاقي نابَ عنه تعارفُ الأرواحِ

وهى طويلة ، ولم يحضرنى منها فى هذا التاريخ سوى ما كتبتة . قلت : وأظن
أن الفقيه الكاتب أبا زكريا يحيى بن خلدون كاتب الإنشاء بـتِلْسانِ المحروسة ،
أيام السلطان أبى حمو^(٤) موسى بن يوسف الزَّيَّاتى رحمه الله نسج على منوال
هذه القصيدة فى قصيدة بديعة له ، ورفعها إلى السلطان أبى حمو فى مولد سنة

قصيدة
لأبى زكريا
بن خلدون
يحاكى بها
قصيدة
ابن الخطيب

(١) الوشاح (بالضم والكسر) : أديم مريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها
وكشحتها .

(٢) الاغتباق : شرب الفُبوق ، وهو شراب العشى . والاضطباح : شرب الصبوح ،
وهو شراب الصبح .

(٣) كذا فى ط ونفع الطيب (ج ٤ ص ٦٠٢) . وفى ت : « عن » .

(٤) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين هنا : « حم » .

ثمان وسبعين وسبع مئة . وهذا ابن خلدون أخو ولي الدين صاحب التاريخ
المشهور ، ونص القصيدة :

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاحِ	أَنْ يُرَى حِلْفَ عَبْرَةٍ وافتضح
وإذا ما المَحِبُّ عَيْلَ اصْطَبَارَا	كيف يُضَيِّعُ إِلَى نصيحة لَاحِي
يَا رَعَى اللهَ بِالْمُحَصَّبِ رَبِّعَا	أَذْنَتْ عَهْدَهُ النَّوَى بِاتِّزَاحِ ^(١)
كَمْ أَدْرْنَا كَأَنَّ الهوى فيه مَزْجَا	رُبَّ جِدٍّ مِنَ الْجَوَى فِي المَزَاحِ
هَلْ إِلَى رَسْمِهِ الْمُحِيلِ سَبِيلِ	يَا حُدَاةَ المَطَى تَلَكِ الطَّلَاحِ ^(٢)
نَسْأَلُ الدَّارَ بِالْخَلِيطِ وَنَسْقِي	ذَلِكَ الرِّيعَ بِالدُّمُوعِ السَّفَاحِ
أَيَّ شَجْوٍ عَابَتْ بَعْدَ نَوَاهَا	مَنْ أَسَى لَازِمَ وَصْنِ مَزَاحِ ^(٣)
أَهْلَ وَدَى إِنْ رَابَكُمْ بَرْحٌ وَجَدَى	مَنْ صَبَا بَارِحَ وَبَرَقَ لِيَاحِ
فَاسْأَلُوا البرقَ عَنْ خُفُوقِ فَوَادَى	وَالصَّبَا عَنْ سَقَامِ جِسْمِي المُتَاحِ
يَا أَهْيَلِ الحِمَى نَدَاهُ مَشُوقِ	مَا لَهُ عَنِ هَوَى الدُّمَى مِنْ بَرَّاحِ
طَلَمَا اسْتَعَذَبَ التَّدَامِعَ وَزْدَا	فِي هَوَاكُم عَنْ كُلِّ عَذَبِ قَرَّاحِ
عَادَهُ بِالطُّلُولِ لِلشَّوْقِ عَيْدُ	مَنْ حَمَامٍ بَدَوُحَهُنَّ صِدَاحِ
مَنْ لِقَلْبٍ مِنَ الْجَوَى فِي ضِرَامِ	وَلَجَنٍّ مِنَ البُّكََا فِي جِرَاحِ
وَلَصَبٍ يَهْيِجُهُ الذِّكْرُ شَوْقَا	فَهُوَ سُكْرًا يَرْتَاحُ مِنْ غَيْرِ رَاحِ
وَلَيَالٍ قَضَيْتُ لِلَّهِ فِيهِمَا	وَطَرَا وَالشَّبَابَ ضَافِي الْجَنَاحِ

[١٥٧]

(١) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب . (عن معجم البلدان) -

(٢) الطلاح : الإبل التي أعباها السفر وأضناها .

(٣) مزاح : بعيد .

راكباً في الهوى ذلول تصاب^(١) ساجباً في الغرام ذيل مراح
ونجوم الثنى تنير إلى أن روع الشنب سربها بالصباح
أنى مسرى حدث لم أخل^(٢) منه بسوى حسرة وطول افتضاح
وأخسارى يوم القيامة إن لم يغفر الله زلتى واجترأ
لم أقدم وسيلة فيه إلا حب خير الورى الشفيع الماحى
سيد العالمين دنيا وأخرى أشرف الخلق فى العلا والسماح
سيد الكون من سماء وأرض سره بين غاية وافتتاح
زهرة الغيب مظهر الوخى معنى النور كنه المشكاة والمصباح
آية المكرمات قطب المعالى مصطفى الله من قرش البطاح
أول الأنبياء تخصيص زلتى آخر المرسلين بعث نجاح
صفوة الخلق أرفع الرسل قدرا وسراج الهدى وشمس الفلاح
من ميلاده بمكة ضاءت من قرى قيصر جميع الضواحي
وخبث نار فارس وتداعت من مشيد الإيوان كل النواحي
من رقى فى السماء سبعا طباقا ورأى آى ربه فى انضاح
ودنا منه قاب قوسين قرأ ظافراً فى العلى بكل اقتراح
من هدى الخلق بين حمر وسود وجلا ليل غيهم بالصباح
من يجير الورى غدا يوم يجزى كل عاص وطائع باجترأ

(١) فى نفع الطيب : « تقاب » .

(٢) كذا فى ط ونفع الطيب الخطى والمطبوع . وفى ت : « لم أنل » .

مَنْ إِلَى حَوْضِهِ وَظِلُّ لَوَاهُ (١)
أَحْمَدَ الْجَنَّتِي حَبِيبًا وَأَتَى
فِي أَنَاجِيهِ الْمَسِيحُ تَلَاهُ
وَلَكَمْ حُجَّةٌ وَبِرْهَانٍ صَدَقَ
إِنَّ فِي النَّجْمِ وَالنَّبَاتِ لَآيَا
مُعْجَزَاتٍ فَتَنَ الْمَدَارِكُ وَضَفَا
يَا رُؤَاةَ الْقَرِيضِ وَالشَّعْرِ عَجْزًا
إِنَّمَا حَسَبْنَا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ [١٥٨]
يَا إِلَهِي بِحَقِّ أَحْمَدَ عَفْوًا
وَأَدِمْ دَوْلَةَ الْخَلِيفَةِ مُوسَى
مُفَخَّرُ الْمُلُوكِ مُسْتَقَرُّ الْمَزَايَا
نَاصِرُ الْحَقِّ خَازِلُ الْجَوْرِ عَدْلًا
يَتَلَقَّى النَّسْدَى بِوَجْهِ حَيِّي
وَلَهُ الْمَكْرُمَاتُ إِرثًا وَلُبْسًا (٢)
مِنْ عُلَا بَاذِخٍ وَفَخْرٍ صَمِيمٍ
وَأَحَادِيثَ فِي الْمَعَالِي حِسَانٍ
عَاقِدَ صِفَّةِ الْمَلَا كُلِّ حِينٍ

يَلْجَأُ النَّاسُ بَيْنَ ظَاهِرٍ وَضَاحِي (٣)
فَوْقَ عِزِّ الْحَبِيبِ مَسْمُومِي طِلَاحٍ
بِاسْمِهِ وَالْكَلِيمُ فِي الْأَلْوَحِ
فِي سَمَاعٍ أَتَى بِهَا وَالنِّاحِ
بَهَرَتْ وَالْجَمَادِ وَالْأَرْوَاحِ
وَحِسَابَا كَالزُّهْرِ أَوْ كَالصَّبَاحِ
مَا عَسَى تُذَكِّرُونَ بِالْأَمْدَاحِ
وَهِيَ لِلْفَوْزِ آيَةٌ أَسْتَفْتَحُ
عَنْ (٤) ذُنُوبٍ جَنَيْنَةٍ قَبَاحِ
ذِي الْمَعَالِي اللَّيْبِنَةِ الْأَوْضَاحِ
مَظْهَرُ اللَّطْفِ ذُو التَّقَى وَالصَّلَاحِ
مَلْجَأُ الْخَائِفِينَ بِحَرِّ السَّمَاحِ
وَيُلَاقِي الْعِدَا بِيَأْسٍ صِفَاحِ
حَازَ خَمْدًا بِهَا مُعَلَّى الْقِدَاحِ
وَكُلَّ بِحْتٍ وَتَجْدٍ صُرَاحِ
رُويَتْ عَنْهُ فِي الْعَوَالِي الصَّحَاحِ
فَازَ فِيهِ سَعْيُهُ بِالرَّيْبَاحِ

(١) كَذَا فِي تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَفِي ط : « حَاه » .

(٢) الضَّاحِي : الَّذِي يَبْرُزُ لِلشَّمْسِ وَيَصِلُ حَرُّهَا .

(٣) كَذَا فِي تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مِنْ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَتَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَلَمَلَهَا : « كَسَا » .

لَهْدَى وَهْدَى بِرُوحٍ وَيَقْدُو أَيَّ مَعْدَى إِلَى الْعَلَا وَمَرَّاحٍ
 مَلِكٍ تُشْرِقُ الْأَسِيرَةَ مِنْهُ فِي سَمَاءِ السَّرِيرِ نُورٌ صَبَاحٍ
 وَإِذَا مَا عَلَا بِعَالِيِ الْعَوَالِيِ صَهْوَةَ الْجُرُودِ فَهَوَ لَيْثُ الْكِفَاحِ
 لَيْسَ الدَّهْرُ مِنْهُ حُلَّةٌ حُسْنٍ وَتَنَى لِلشُّرُورِ عِطْفَ مِرَّاحٍ
 وَعَلَا عَاتِقَ الْخِلَافَةِ مِنْهُ طِرْزُ فَخْرِ سَبِيِ النَّهْيِ بِالتَّحَاكِ
 وَرِثَ الْمُلْكَ شَاغِحًا عَنْ سَرَاةٍ شَتَدُوا رُكْنَهُ بِأَيْدِيِ الصَّفَاحِ
 مِنْ بَنِي الْقَاسِمِ الَّذِينَ تَحَلَّوْا بِالْمَعَالِيِ وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَلَاحِ
 فَرَعَوْا هَضْبَةَ الْخِلَافَةِ تَجَدَّدًا رَفَعُوا سَقْفَهُ عَلَى الْأَرْمَاحِ
 نَشَرُوا رَايَةَ الْمَفَاخِرِ حَمْدًا خَافَقَ النُّورَ بِالرُّبَا وَالْبِطَاحِ
 يَا إِمَامَا بَدَّ الْمُلُوكَ جَلَالًا وَجَمَّالًا فُذِّتَ بِالْأَرْوَاحِ
 أَنْتَ شَمْسُ الْكَمَالِ دُمْتَ عَلِيًّا فِي اغْتِبَاقٍ مِنَ الْمُنَى وَاضْطِجَبَاحِ
 وَبَنُوكَ الْأَعْلُونَ أَنْجُمٌ سَعْدٍ زَاهِرَاتٌ بِنُورِكَ الْوَضَّاحِ
 وَأَبُو تَاشَفِينَ بِدَرٍّ مُنِيرٍ زَانَهُ اللهُ بِالْخِلَالِ الصَّبَّاحِ
 أَكْمَلَ الْعَالَمِينَ خَلْقًا وَخُلُقًا أَشْرَفَ النَّاسَ فِي النَّدَى وَالْكِفَاحِ
 وَبِكُمْ زُيِّنَتْ سَمَاءُ الْمَعَالِيِ وَاهْتَدَى النَّاسُ فِي الدُّجَى وَالصَّبَّاحِ
 قُلْتُ : قَوْلُهُ :

أَكْمَلَ الْعَالَمِينَ خَلْقًا وَخُلُقًا أَشْرَفَ النَّاسَ فِي النَّدَى وَالْكِفَاحِ

لا يخلو من قلة تحفظ ، ومثل هذا في الحقيقة إنما يطلق على رسول صلى الله عليه [١٥٩]
 وسلم ، وإن كان المتكلم أراد أهل عصره .

وصف ليل
مولد النبي
أيام السلطان
أبي حو

وكان السلطان أبو حو^(١) موسى بن يوسف المدوح في هذه القصيدة يحتفل
لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب
والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك ، ولا يقع منهم فيه إغفال ؛
وقد تقدم أن العزفي صاحب سبته هو الذي سنّ ذلك في بلاد المغرب ، وأتى
بزُني تدينه إلى الله وتُرب ؛ واقتنى الناس سنّته ، وتقلدوا مِنّته ؛ تعظيما للجناب
الذي [وَجِب] له السموة والعلو ، على أن بعضهم قد خرج في ذلك إلى حد الإسراف
والغلو ؛ وكل يعمل على شاكلته .

ومن جملة احتفال السلطان أبي حو^(١) المذكور ما قاله صاحب راح
الأرواح^(٢) : « إنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ،
بمشورة من تلمسان المحروسة ، مدعاة حفيلة ، يحشُر فيها الناس خاصة وعامة ،
فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزراري مبشوثه ؛ وبُسُط مُوشَّاه ، ووسائد بالذهب
مُغَشَّاه ؛ وشمع كالأسطوانات ، وموائد كالمالات ؛ ومباخر صُفُر منصوبة كالتقباب ،
يخالها المبصر من تَبَر [مذاب]^(٣) ؛ ويُفاض على الجميع أنواع الأَطعمه ، كأنها
أزهار الربيع النمنمة ؛ تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ، ويخالط حُسن رِيّاها^(٤)
الأرواح ويُحَامر ؛ رُتّب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد علت
الجميع أُبّهة الوقار والإجلال ؛ وبعقب ذلك يحتفل المُسمِعون بأمداح المصطفى
عليه الصلاة والسلام ، ومُكفّرات ترغّب في الإقلاع عن الآثام ؛ يخرجون فيها
من فن إلى فن ، ومن أسلوب إلى أسلوب ؛ ويأتون من ذلك بما^(٥) تطرب له

[١٦٠]

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « أبو حم » .

(٢) صاحب راح الأرواح هو أبو عبد الله التنسي ثم التلساني .

(٣) التكملة عن نفع الطيب .

(٤) في ط : « رؤياها » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « ما » .

النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب ؛ وبالقرب من السلطان ، رضوان الله عليه ،
خزانة [المنجاة]^(١) ، قد زُخِرَتْ كأنها حُلَّةٌ يمانية ، لها أبواب مُرْتَبِجَةٌ^(٢) ، على
عدد ساعات [٣] الليل الزمانيه ؛ فهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ،
وفتح عند ذلك باب من أبوابها ؛ وبرزت منه جارية صُورَتْ في أحسن صوره ،
في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطوره ؛ فتضعها
بين يدي السلطان بلطافه ، ويُسراها على فيها كاللؤدية بالبايعة حق الخلافة ؛
هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح ، ونداء المنادي حتى على الفلاح .
اتمى كلام صاحب راح الأرواح .

وقال^(٤) في نظم الدرر والعقيان في هذا المعنى ما نصه :

« وكان ، يعنى السلطان أبا حمو ، يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ،
ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم ، يُقيم مدعاة ، يحشر لها الأشراف والشوكة ،
فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة ، وشمع كالأسطوانات ، وأعيان
الحضرة على مراتبهم ، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخبز الملون ، وبأيديهم
مباخر ومرشات ، ينال كل منها بحظه ، وخزانة المنجاة ذات تماثيل الجُين
محكمة الصنعة ، بأعلاها أيبكة تحمل طائرا ، قرّاه تحت جناحيه ، ويختله
فيهما^(٥) أرقم ، خارج من كوة بمجذرا الأيبكة صُعدا^(٦) ، وبصَدْرَها أبواب مُرْتَبِجَةٌ

(١) المنجاة : آلة لرصد الوقت . (انظر تكملة المعجمات لدوزي) .

(٢) كذا في النسخة الخطية من نفح الطيب وفيما سيأتى في الأصلين . وفي الأصاين هنا
ونفح الطيب المطبوع : « موجفة » .

(٣) التكملة عن ت ونفح الطيب .

(٤) يريد أبا عبد الله التلسماني ثم التنسي صاحب راح الأرواح .

(٥) في نفح الطيب : « فيها » .

(٦) في نفح الطيب : « صاعدا » .

بعدد ساعات الله الزمانية ، يصاقب طَرَفِها بابان كبيران ، وفوق جميعها دُورُن
رأس الخِزانة ، قرأ كل ، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك ، ويُسامت
أول كل ساعة بأبها المرتج ، فينقُضُ من البابين الكبيرين عُقَابان ، بِنِي^(١) كل
واحد منهما صَنْجَة صُفْر ، يلقيها إلى طُسْت من الصُفْر مجوّف ، بوسطه ثقب يفضى
بها إلى داخل الخِزانة فيرن ، وينهش الأرقم أحد الفَرخين ، فيصفِر له أبواه ، فهنا
يفتح باب الساعة الزاهية ، وتبرز منه جارية محتزِمة ، كأظرف ما أنت راء ،
بينها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ، ويُسراها موضوعة على فيها ، كالمبايعة
بالخلافة ، والمُسْمِع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهلات دَوْرًا ،
والرياض نَوْرًا ؛ قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشتهيها الأنفس ،
وتستحسنها الأعين ، وتلذّ بسماع أسمائها الأذن ، ويشره مُبصرها للقرب منها
والتناول وإن كان ليس بفرّثان ؛ والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه
فيه ، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع ، حتى يصلّى هنالك صلاة الصبح .

على هذا الأسلوب تمضي ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أيام
دولته ، أعلى الله مقامه في عليين ، وشكر له في ذلك صنمه الجميل ، آمين .

وما من ليلة مولد مرت في أيامه إلا ونظم فيها [قصيدا]^(٢) في مدح المصطفى
صلى الله عليه وسلم أول ما يتبدى المُسْمِع في ذلك الحفل العظيم بإنشاده ، ثم يتلوه
إنشاد مَن رفع إلى مقامه العلى في تلك الليلة نظما .

اتهى كلام صاحب نظم الدرر والمقيان ، وهو أتم مساقا من كلامه في
راح الأرواح .

(١) في نفع الطيب : « في يد » .

(٢) زيادة عن ت ونفع الطيب .

مر لأبي زكريا
بن خلدون
في المنجاة

أقول : ولا بد أن نذكر جملة من القطع التي أنشأها الكاتب أبو زكريا
يحيى بن خلدون كاتب السلطان أبي حمو المذكور ، على لسان جارية المنجاة ،
مخاطبة بما مر من الليل ، وكانت الجارية تأتي بها في يدها اليمنى ، كما ذكرناه ؛
فمن ذلك [قوله رحمه الله في مضي ساعتين من الليل :

أخليفة الرحمن والملك الذي تعنو لعزّ علاه أملاك البشر
لله مجلسك الذي يحكي عُلا بك ما لي أفاق السماء لمن نظر
أو ما ترى فيه النجوم زواهرها وجه الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قد انقضت تُثنى عليك ثنا الرياض على المطر
لا زال هذا الملك منصوراً بكم وبلغت مما ترتجي أسنى الوطر

[١٦٢] و [قوله رحمه الله في انقضاء ثلاث ساعات من الليل :

أمولاي يا ابن الملوك الألى لهم في المعالي سني الرتب
تولت ثلاث من الليل أبقت لك الفخر في عُجمها والعرب
فدُم حجة الله في أرضه تنال الذي شئت من أرب

وقوله رحمه الله في مضي ست ساعات :

يا ماجدا وهو فرد تخاله في عساكر
ست من الليل ولت ما إن لها من نظائر
دامت لياليك حتى إلى المعاد نواضر

وقوله رحمه الله في مضي ثمان ساعات :

يا أكرم الخلق ذاتا وأشرف الناس أشره
مرت ثمان وأبقت في القلب مني حشره

فَإِنْ كَانَ شَبَابِي أَخَا نَعِيمٍ وَنَفْسِهِ
وَلَىٰ بِهَا الدَّهْرُ عَنِّي تُرَىٰ لَهَا بَعْدُ كَرَّهٍ
فَاللَّهُ يُبْقِيكَ مَوْتِي يُطِيلُ فِي السَّعْدِ عُمْرَهُ

وقوله رحمه الله في مضي عشر ساعات :

يَا مَالِكَ الْخَيْرِ وَالْخَيْرِ الَّتِي حَكَمْتُ لَهُ بَعِزٌّ عَلَى الْأَيَّامِ مُقْتَبِلُ
هَذَا الصَّبَاحِ وَقَدْ لَاحَتْ بِشَائِرُهُ وَاللَّيْلُ وَدَعْنَا تَوْدِيعَ مَرْتَحِلُ
لِلَّهِ عَشْرٌ مِنَ السَّاعَاتِ بَاهِرَةٌ مَضَيْنَ لَا عَنْ قَلْبِي مِنَّا وَلَا مَلَلُ
كَذَا تَمَرُّ لَيْلِي الْعُمْرِ رَاحِلَةٌ عَنَّا وَنَحْنُ مَعَ الْأَمَالِ فِي شُغْلُ
نُفْسِي وَنُضْبِجُ فِي لَهَوٍ نُسَرُّ بِهِ جَهْلًا وَذَلِكَ يُذْنِبُنَا مِنَ الْأَجَلُ
وَالْعُمْرُ يَمْضِي وَلَا نَدْرِي فَوَا أَسَفًا عَلَيْهِ إِذْ مَرَّ فِي الْآثَامِ وَالزَّلَلُ
يَا لَيْتَ شَعْرِي غَدًا كَيْفَ الْخِلَاصُ بِهِ وَلَمْ نُقَدِّمْ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْعَمَلِ
يَا رَبِّ عَفْوِكَ عَمَّا قَدْ جَنَّتْهُ يَدِي فَلَيْسَ لِي بِجِزَاءِ الذَّنْبِ مِنْ قَبْلِ
يَا رَبِّ وَانْصِرْ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ أَبَا حَمُو الرِّضَا وَأَنَّ لَهُ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَأَبْقِ فِي الْعِزِّ وَالتَّمَكُّنِ مَدَّتَهُ وَأَعْلِ دَوْلَتَهُ الْفَرَا عَلَى الدُّوَلِ

[١٦٣]

ومن الموشحات التي خطب بها السلطان أبو حور رحمه الله في مولد سنة سبع وستين وسبع مئة ، قول طبيب دولته أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الشهير بالتلايلسي ، رحمه الله تعالى :

لِي مَدْمَعٌ هَتَّانَ يَنْهَلُ مِثْلَ الدَّرَزِ
قَدْ صَيَّرَ الْأَجْفَانُ مَا إِنْ لَهَا مِنْ أُنْزِ

(١) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « ياليت أن غدا » . وفي ت « ياليت غدا » .
وما ظاهرنا التحريف .

حَقُّ لَه يَجْرِي دَمًا عَلَى طُول الدَوَامِ
مُذْ جَدَّ فِي السَّيْرِ نَاسٌ إِلَى خَيْرِ الْأَنَامِ
وَعَاقِبَتِي وَزَرَى يَا صَاحِرَ عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ
وَسَارَتِ الْأَظْعَانُ يُحْدِي بِهَا فِي السَّحَرِ
فَاسْتَبْشِرِ الرِّكْبَانَ بِقَرَبِ نَيْلِ الْوَطَرِ

يَا سَمْعَهُ مَنْ زَاوَى قَبْرَ النَّبِيِّ الْمِصْطَفَى
مُحَمَّدَ الْمُخْتَارَ قُطْبَ الْمَعَالِي وَالْوَفَا
فِي مَدْحِهِ قَدْ حَازَ الْخَلْقُ طُرًّا وَكُفَى
فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ وَشَرَحِهِ وَالسَّيْرِ
فَضْلَهُ الرَّحْمَنِ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ

يَا حَادِيَ الرِّكْبِ بِاللَّهِ إِنْ جِئْتَ الْبَقِيعَ
نَجْمَةً الصَّابِ بَلَّغْ إِلَى الْمَهَادِي الشَّفِيعَ
عُرْبْتُ بِالْقَرَبِ عَنْ ذَلِكَ الْمُغْنَى الرَّفِيعَ
وَلَيْسَ لِي إِمْكَانٌ يُنْهَضُنِي لِلْسَفَرِ
إِلَّا مِنَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ

مَنْ لَمْ يَزَلْ يَسْمُو إِلَى الْمَعَالِي كُلِّ حِينِ
ذَاكَ أَبُو حَمُو الْمَوْلَى أَمِيرُ السُّلَمِينِ
طَاعَتُهُ غُنِمٌ نَلْنَا بِهَا دُنْيَا وَدِينِ
أُظْهِرَ فِي الْبُلْدَانِ مِنْ عَدْلِهِ الْمُشْتَهَرِ
وَعَمَّ بِالْإِحْسَانِ لِلْبُدُونِ ثُمَّ الْحَضَرِ

قَابِلَهُ إِسْعَادُ تَكَلَّ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ
قَبِيلُ عَبْدِ الْوَادِ^(١) بِهِ غَدَتِ فِي سُلْطَنِهِ
أَيَّامُهُ أَعْيَادُ يَا لَيْتَهَا أَلْفَا سَنَةً
مُلْكُ بَنِي زَيْيَانُ بِالْمَشْرِقِ الذِّكْرُ
أَحْيَاهُ إِذْ قَدْ كَانَ لَيْسَ لَهُ مِنْ خَيْرِ
تَاهَتْ تِلْكَ سَانُ بَمَلِكِهِ عَلَى الْبِلَادِ
صَارَ لَهَا شَانُ وَسَعْدُهَا حِلْفُ ازْدِيَادِ
قَدْ ضَلَّ إِنْسَانُ قَالَ بِهَا يَشْكُو الشَّهَادُ
لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانُ وَالْحَبِّ تَرْبُ السَّهَرِ
وَالصَّبْرُ لِي خَوَانُ وَالنُّومُ مِنْ^(٢) عَيْنِي بَرَى^(٣)

شيء عن
السلطان
أبي حو

وكان هذا السلطان أبو حو رحمه الله يقرض الشعر ، ويحب أهله ، وله
رحمة الله تأليف حسن في السياسة ، نلخص فيه « سُؤْلَانُ الْمُطَاع » لابن ظَفَر ،
وزاد عليه فوائد ، وأورد فيه جملة من نظمه ، وأمورا جرت له مع معاصريه من
ملوك بني مَرَيْن وغيرهم ، وصنّفه برسم ولي عهده أبي تاشَفِين ، وسمّاه « نظم
السلوك ، في سياسة الملوك » .

وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب المذكور آنفا كثيرا
ما يوجّه إليه بالأمداح ، ومن أحسن ما وجّه له^(٤) قصيدة سينية فائقة ، وذلك
عند ما أحسن بتغيير سلطانه عليه ، فجعلها مقدمة بين يدي نجواه ، لتمتد له مشواه ؛

[١٦٥]

(١) في ط : « الجواد » .

(٢) كذا في ط . وفي ت : « عن » .

(٣) برى : يريد : « برى » . فسهل للشعر .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب (ج ٤ س ٢٧ طبعة بلاغ) . وفي ت : « إليه » .

قصيدة
ابن الخطيب
السلطان أبي حو
يستفيد به

وتحصل له المستقرّ ، إذا أُلْجِأَ الأمر إلى المفَرِّ ؛ فلم تساعده الأيام ، كما هو شأنها في أكثر الأعلام ؛ وهي هذه :

أُطْلِقْنَ فِي سُدْفِ الْفُرُوعِ شُمُوسًا ضَحِكَ الظَّلَامُ لَهَا وَكَانَ عُبُوسًا
وَعَطَفْنَ قُضْبًا لِلْقُدُودِ نَوَاعِمًا بُوْنُنْ أَدْوَاهِ النِّعَمِ غُرُوسًا
وَعَدَلْنَ عَنْ جَهْرِ السَّلَامِ خَافَةَ الْوِشَى فَجِئْنَ بِلَفْظِهِ مَهْمُوسًا
وَسَقَرْنَ مِنْ دَهَشِ الْوَدَاعِ وَقَوْمِهِنَّ إِلَى التَّرَحُّلِ قَدْ أَنَاخُوا الْعِيسَا
وَخَلَسْنَ مِنْ خَلَلِ الْحِجَالِ إِشَارَةً فَتَرَكْنَ كُلَّ حِجَالِهَا مَخْلُوسًا
لَمْ أَنْسَهَا مِنْ وَخْشَةٍ وَالْحَيُّ قَدْ زَجَرَ الْحَوْلَ وَآثَرَ التَّغْلِيسَا
لَا الْمُلْتَقَى مِنْ بَعْدِهَا كَتَبُ^(١) وَلَا عُوجُ الرِّكَابِ تَسَامُ التَّخْيِيسَا^(٢)
فَوَقَفْتُ وَقْفَةً هَائِمٌ بِرُحَاوَةٍ وَقَفْتُ عَلَيْهِ وَحُبَسْتُ تَحْيِيسَا
وَدَعَوْتُ عَيْنِي عَاتِبًا وَعُيُونَهَا بَعَا النَّوَى قَدْ بُجَسْتُ تَبْحِيسَا
تَأَفَّسْتُ يَا عَيْنِي دُرَّ دُمُوعِهِمْ فَعَرَضْتُ دُرًّا لِلدُّمُوعِ نَفِيسَا
مَا لِلْحِمَى بَعْدَ الْأَحْبَةِ مُوحِشًا وَلَكَمْ تَرَاءَى أَهْلًا مَأْنُوسًا
وَلِمِزْبِهِ حَوْلُ الْحِمَى نَافِرًا عَمَّنْ يُحْسِنُ بِهِ وَكَانَ أَنْيسَا
وَلِظَلِّهِ الْمُرُودِ غَمْرٌ قَلْبِيهِ لَا يَقْتَضِي وَرْدًا وَلَا تَعْرِيسَا^(٣)
حَيِّثُهُ فَأَجَابَنِي رَجْعُ الصَّدَى لَا فَرَقَ بَيْنَهُمَا إِذَا مَا قِيسَا
مَا إِنْ يَزِيدُ عَلَى الْإِعَادَةِ صَوْتُهُ حَرَفًا فَيُشْفِي بِالْمَزِيدِ نَسِيسَا^(٤)

(١) كَتَبُ ، أَي قَرِيبُ .

(٢) كَذَا فِي ط . وَالتَّخْيِيسُ : أَنْ تَدُلَّ الدَّابَّةُ وَتَرَاوِضَ بِالرَّكُوبِ . وَفِي ت وَتَفْجِ الطَّيْبُ : « التَّجْنِيسَا » .

(٣) التَّغْلِيبُ : الْبُتْرُ . وَغَمْرُهُ : أَي مَأْوَاهُ الْغَامِرُ . وَالتَّعْرِيسُ : الزَّوْلُ آخِرَ اللَّيْلِ .

(٤) النَّسِيسُ : غَايَةُ جَهْدِ الْإِنْسَانِ .

نَضَبَ المَعِينِ وَقَلَصَ الظِّلُّ الَّذِي ظَلَلْنَا وَوَقُوفًا عِنْدَهُ وَجُلُوسًا
 نتواعد الرُّجْعَى وَنَفْتَنِمُ اللَّقَا وَنُدِيرُ مِنْ شَكْوَى الْغَرَامِ كُؤُوسًا
 فَإِذَا سَأَلْتَ فَلَا تَسْأَلِ مَخِيرًا وَإِذَا سَمِعْتَ فَلَا تُحَسِّسْ حَسِيرًا
 عَهْدِي بِهِ وَالْدَهْرُ يُتَحَفُّ بِالْمَنَى وَقَدْ اقْتَضَتْ نُهُامُ أَنْ لَا يُوسَا^(١)
 والعيش غَضُّ الرِّيعِ وَالْذُّنْيَا قَدِ اجْتَلَيْتْ بِمَغْنَاهُ^(٢) عَلَى عَرُوسَا
 أَتَرَى يُعِيدُ الدَّهْرُ عَهْدًا لِلصَّبَا دَرَسَتْ مَعَانِي الْأَنْسِ فِيهِ دُرُوسَا
 [أَوَطَانٍ أَوَطَارٍ تَعَوَّضَ أَفْقَهَا مِنْ رَوْتِ الْبِشْرِ الْبَهِيِّ عُبُوسَا]^(٣)
 هِيَا لَا تُفْنِي لَقْلَ وَلَا عَمَى فِي مِثْلِهَا إِلَّا لَآيَةَ عَيْسَى
 وَالْدَهْرُ فِي دَسْتِ الْقَضَاءِ مُدَّرِّسٌ فَإِذَا قَضَى يَسْتَأْنِفُ التَّدْرِيسَا
 تَفْتَنُ فِي جُمَلِ الْوَرَى أَبْحَانَهُ لَا سِيَّامًا فِي بَابِ رِغَمٍ وَبَيْسَا
 وَسَجِيَّةُ الْإِنْسَانِ لَيْسَ بِنَاصِلٍ مِنْ صَبْنِهَا حَتَّى يُرَى مَرْمُوسَا
 يَفْتَرُّ مَهْمَا سَاعَدَتْ أَمَالُهُ فَإِذَا عَرَا الْخَطْبُ كَانَ يُؤُوسَا
 فَلَوْ أَنَّ نَفْسًا مُكَنَّتْ مِنْ رُشْدِهَا يَوْمًا وَقَدَّسَهَا الْهُدَى تَقْدِيسَا
 لَمْ تَسْتَغْفِرْ رِسْوَحَهَا الثُّغْمَى وَلَا هَلَعَتْ إِذَا كَثُرَتْ^(٤) إِلَيْهَا الْبُؤْسَا
 قُلْ لِلزَّمَانِ إِلَيْكَ عَنْ مَتَدَمٍّ^(٥) بَضْمَانٍ عِزٍّ لَمْ يَكُنْ لِيَخِيسَا^(٦)

[١٦٦]

(١) لَا يَوْسَا : لَا يَوْسَا ، فَسْهَل .

(٢) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مَغْنَاهُ » .

(٣) التَّكَلُّمَةُ عَنْ تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ .

(٤) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي تَوْفِيقِ : « كَثُرَتْ » . وَكَلَامًا تَحْرِيفٌ .

(٥) التَّذَمُّمُ : الْمُسْتَكْفُفُ .

(٦) كَذَا فِي تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَفِي تَوْفِيقِ : « نَخِيسَا » .

فإذا استحرَّ جِلادُهُ فأنا الذي اسْتَفْشَبْتُ مِنْ مَرَدٍّ^(١) اليقين لَبُوساً^(٢)
 وإذا طفا فِرْعُونُهُ فأنا الذي مِنْ ضُرِّهِ وأذاهُ عُدْتُ بِمُوسَى
 أنا ذا أَبُومَثْوَاهُ^(٣) مِنْ يَحْمَى الْحِمَى لَيْثاً وَيُعْلِمُ بِالزَّيْرِ الْحِيسَا
 بِحِمَى أَبِي حَمُو حَطَطْتُ رِكَائِي لَمَّا اخْتَبَرْتُ اللَّيْثَ وَالْعَرِيسَا
 أَسَدَ الْهِيَاكِ إِذَا خَطَا قَدُماً سَطَا فَيُخَلِّفُ الْأَسَدَ الْهَزْبَرُ فَرِيسَا
 بَذَرُ الْهُدَى يَأْتِي الظَّلَالُ ضِيَاؤُهُ أبدأً فَيَجْلُو الظُّلْمَةَ الْحَنْدِيسَا^(٤)
 جَبَلُ الْوَقَارِ رَسَا وَأَشْرَفَ وَاعْتَلَى وَسَمَا فَطَانُطَاتِ الْجِبَالُ رُومَا
 غَيْثُ النِّوَالِ إِذَا الْغَمَامُ حَلُوبَةٌ مَثَلْتُ بِأَيْدِي الْحَالِبِينَ بَسُومَا^(٥)
 تَلْقَاهُ يَوْمَ الْأَنْسِ رَوْضًا نَاعِمًا وَتَرَاهُ بَأْسًا فِي الْهِيَاكِ بَثِيسَا
 كَمْ غَمْرَةٍ جَلَّى وَكَمْ خُطْبٍ كَفَى إِنْ أَوْطَأَ الْجُرْدُ الْعِتَاقَ وَطِيسَا
 كَمْ حِكْمَةٍ أَبْدَى وَكَمْ قَصْدٍ هَدَى لِلْسَالِكِينَ أَبَانَ مِنْهُ دَرِيسَا^(٦)
 أَعْلَى بَنَى زَيَّانَ وَالْقَذَّ الَّذِي لَيْسَ الْكَمَالُ فَزَيْنَ الْمَلْبُوسَا
 جَمَعَ النَّدى وَالْبَاسَ وَالشِّيمَ الْمَلَا وَالشُّودَدَ الْمُتَوَاتَرَ الْقَدُمُوسَا^(٧)
 وَالْحَلْمَ لَيْسَ يُبَايِنُ الْخُلُقُ الرُّضَا وَالْعِلْمَ لَيْسَ يِعَارِضُ النَّامُوسَا

(١) سرد اليقين : أى درع من اليقين .

(٢) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « البوسا » .

(٣) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « مثواى » .

(٤) الجنديس : الشديد الظلمة .

(٥) البسوس : الناقة التى لا تدر إلا على الإبل ، أى التلطف ، بأن يقال لها : بس بس ، تمكينا لها .

(٦) الدريس : الطريق الحق .

(٧) القدموس : القديم .

والسعد ينفى حكمه عن نصبة تستخيرُ التريبع والتسديسا
 كم راض صعباً لا يراضُ مُعاصيا كم خاض حرباً لا يخاض ضرُوسا
 بلغ التي لا فوقها متمهلاً وعلاً الشها واستسفلَ البرجيسا^(١)
 يا خيرَ مَنْ خفقت عليه سحابة للنصر تُمطره أجشٌ بجيسا^(٢)
 وأجلَ مَنْ حَمَلَتْهُ صهوةُ ساج إن كرهَ ضعيف كرهه الكرُدوسا^(٣)
 قدماً بمن رفع السماء بغير ما عمدٍ ورفَّع فوقها إدريسا
 ودحا البسيطة فوق لُججٍ مُزِيد ما إن يزال على القوار حيسا
 حتى يهيب بأهله الوعد الذي حشرَ الرئيسَ إليه والمرهوسا
 ما أنت إلا ذخِرُ دهرٍ دُمْتُ في الصَّوْن الحريزِ مُمتعا محروسا
 لو ساومته الأرضُ فيك بما حوت لَرَأك مُستاماً بها مَبْخُوسا
 حلف^(٤) البرور بها أليَّةَ صادقٍ ويمينُ مَنْ عقد اليمين غمُوسا^(٥)
 مَنْ قاسَ ذاتَكَ بالذواتِ فإنه جهلَ الوزان وأخطأَ التقييسا
 لا تستوى الأعيانُ فضلَ مزيةٍ وطبيعة فطرَ الإله وسُوسا^(٦)
 لعناية التخصيص سرٌّ غامض من قبلِ ذرء الخلقِ خصَّ نفوسا
 مَنْ أنكرَ الفضل الذي أُوتيته جحدَ العيان وأنكرَ المحسوسا

[١٦٧]

(١) البرجيس (بالكسر) : نجم ، أو هو المشتري .

(٢) بجيسا : غزيرا .

(٣) الكرُدوس : القطعة العظيمة من الحيل .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « كلف » .

(٥) يمين : بكذب . واليمين الغموس : التي تنفس صاحبها في الإثم ثم في النار ، وهي

الكاذبة التي يتعمدها صاحبها عالماً بأن الأمر بخلافه .

(٦) السوس : الطيبة والسجدة .

من دَانَ بالإخلاص فيكَ فمَقْدَهُ لا يَقْبَلُ التَّوْبَةَ والتَّوْبَةَ
 والْمُنْتَمَى الْعَلَوِيُّ عَيْصُكَ لَمْ تَكُنْ لَتَرَى دَخِيلًا فِي بَنِيهِ دَسِيسًا^(١)
 بَيْتَ الْبَتُولِ وَمُنْتَمَى الشَّرَفِ الَّذِي تَخِمِي الْمَلَائِكُ دَوْحَهُ الْمَفْرُوسَا
 أَمَّا سِيَاسَتُكَ الَّتِي أَخْكَمْتَهَا فَرَمَيْتَ بِالتَّقْصِيرِ أَسْطَالِيسَا
 فَلَوْ أَنَّ كِسْرَى الْفَرَسِ أَبْصَرَ بَعْضَهَا مَا كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يُعْدَّ سَوْوَسَا^(٢)
 لَوْ سَارَ عَدْلُكَ فِي السَّنِينَ لَمَا اشْتَكَتْ بَخْسًا وَلَمْ يَكُ بَعْضُهُنَّ كَبِيسَا
 وَلَوْ الْجَوَارَى الْخُنُسُ انْتَسَبَتْ إِلَى أَقْوَامٍ عَزَّكَ مَا خَنَّسْنَ خُنُوسَا^(٣)
 قُدَّتِ الصَّعَابُ فَكُلَّ صَغْبٍ سَامِعُ لَكَ بِالْقِيَادِ وَكَانَ قَبْلُ شَمُوسَا
 تَلَقَّى اللَّيْثُ وَلِلْقَتَامِ نَعْمَامَةٌ قَدَحَ الصَّفِيحُ وَمِيفْهَا الْمَقْبُوسَا
 وَكَانَتْهَا تَحْتَ الدَّرُوعِ أَرَاقِمُ يَنْظُرُونَ مِنْ خَلَلِ الْمَغَاوِرِ شُوسَا^(٤)
 مَا لَبَنَ مَامَةً فِي الْقَدِيمِ وَحَاتِمُ ضَرَبَ الزَّمَانَ بِجُودِهِمْ نَاقُوسَا^(٥)
 مِنْ جَاءَ مِنْهُمْ مِثْلَ جُودِكَ كَلَمَا حَسِبُوا الْمَكَارِمَ كُسُوةَ أَوْ كَبِيسَا
 أَنْتَ الَّذِي افْتَكَّ السَّفِينِ وَأَهْلَهُ إِذْ أَوْسَعْتَ سُبُلَ الْخِلَاصِ طُمُوسَا
 أَنْتَ الَّذِي أَمَدَدْتَ ثَغْرَ اللَّهِ بِالصَّ دَقَاتِ تَبْلُسُ كَرَّةً إِبْلِيسَا
 وَأَعْنَتْ أُنْدُلُسَا بِكُلِّ سَبِيكَةٍ مَوْسُومَةٍ لَا تَعْرِفُ التَّدْلِيسَا

(١) العيس : الأصل .

(٢) في نفع الطيب المطبوع والمخطوط : « بسوسا » .

(٣) الجوارى الخنس : منها زحل والمريخ والمشتري وعطارد والزهرة ؛ وخنوسها : اخفاؤها .

(٤) شوسا : ناظرة بمؤخر العين غضبا .

(٥) ابن مامة : هو كعب ، وهو من أجواد العرب .

وَشَحْنَتْهُ بِالْبُرِّ فِي سُبُلِ الرِّضَا وَالْبُرِّ قَارِبَ قَاعِهَا الْقَامُوسَا
 إِنْ لَمْ تَجِزْ بِهَا الْخَمِيسَ فَطَالَمَا جَهَّزَتْ فِيهَا لِلنَّوَالِ خَمِيسَا
 وَمَلَأَتْ أَيْدِيَهَا وَقَدْ كَادَتْ عَلَى حُكْمِ الْقَضَاءِ تُشَابِهَ التَّغْلِيصَا
 صَدَقَتْ لِلآمَالِ صَنْعَةُ جَابِرٍ^(١) وَكَفَيْتَهَا التَّشْمِيعَ وَالتَّشْمِيسَا^(٢)
 وَالْحَلَّ وَالتَّقْطِيرَ وَالتَّصْعِيدَ وَالْثَّ خَمِيرَ وَالتَّصْوِيلَ وَالتَّكْلِيسَا^(٣)
 فَسَبَكَتْ مِنْ آمَالِهَا مَالًا وَمِنْ أَوْرَاقِهَا وَرَقًا وَكُنَّ طُرُوسَا
 يَهْتَوُوا فَلَمَّا اسْتَخْبَرُوا لَمْ يُنْكِرُوا وَزَنَا وَلَا تَوْنَا وَلَا مَلُوسَا
 تَذِيرَ مَنْ قَلَبَ السُّطُورَ سَبَائِكَا مِنْهَا وَمَنْ طَبَعَ الْحُرُوفَ فَلُوسَا
 وَنَحَوْتَ نَحْوَ الْفَضْلِ تَعَصَّدُ مِنْهُ بِالْمَسْمُوعِ مَا أَلْفَيْتَ مِنْهُ مَقِيسَا
 وَجَبَرَتْ بَعْدَ الْكُسْرِ قَوْمَكَ جَاهِدَا تُغْنِي الْقَدِيمَ وَتُطْلِقُ الْمَخْبُوسَا
 وَنَشَرْتَ رَايَةَ عِزِّهِمْ مِنْ بَعْدِمَا دَالَ الزَّمَانُ فَسَاهَا تَنْكِيسَا
 أَحْكَمْتَ حِيلَةَ بُرْهَانِهِمْ بِلَطَافَةٍ قَدْ أَعْجَزَتْ فِي الطَّبِّ جَالِينُوسَا
 وَقَلَّتْ مِنْ حَدِّ الزَّمَانِ وَإِنِّهِ أَوْحَى وَأَمْضَى مِنْ غِرَارِ الْمُوسَى
 وَشَحَذْتَ حَدًّا كَانَ قَبْلُ مُثْلَمَا وَنَعَشْتَ جَدًّا كَانَ قَبْلُ تَعِيسَا

[١٦٨]

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء) .

(٢) التشميع : تليين الشيء وتعميره كالشمع . (عن مفاتيح العلوم للخوارزمي) .

(٣) الحل : أن تجعل المنقذات مثل الماء . والتقطير : مثل صنعة ماء الورد ، وهو أن يوضع الشيء في الفرج ويوقد تحته ، فيصعد ماؤه إلى الأنبيق ، وينزل إلى القابلة ، ويجمع فيه . والتصعيد : شبيه بالتقطير ، إلا أن أكثر ما يستعمل في الأشياء اليابسة . والتصويل : أن يجعل الشيء الذي يرسب في الرطوبات طافيا ، وذلك أن يصير مثل الهباء حتى يصول على الماء . والتكليس : أن يجعل جسد في كيزان مطبنة ويجعل في النار حتى يصير مثل الدقيق . والشيء يكلس ثم يصول . (عن مفاتيح العلوم) .

لم تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ فِي شِدَّةٍ تُكْفَى وَجُرْحُ يُوسَى
 قَدِمْتَ صُبْحًا فَاسْتَضَتْ بَنُورُهُ وَوَجَدْتَ عِنْدَ الشِّدَّةِ التَّنْفِيسَا
 مَا أَنْتَ إِلَّا فَالِحٌ ^(١) مُتَيَقِّنٌ بِالنُّجْحِ تَعْمُرُ ثَمَرًا وَيَبْسَا
 وَمُتَأَجِّرٌ جَعَلَ الْأَرِيكَةَ صَهْوَةً عَرَبِيَّةً وَالتَّكَا الْقَرَبُوسَا ^(٢)
 مَا إِنْ تَبَايَعَ أَوْ تَشَارَى ^(٣) وَانْقَا بِالرَّيْحِ إِلَّا الْمَالِكَ الْقُدُوسَا
 وَالْعَزْمُ يَفْتَرِعُ النُّجُومَ بِنَاوَهُ مِنْهَا أَقَامَ عَلَى الثَّقَى تَأْسِيسَا
 وَمَقَامَ صَبْرِكَ وَاتَّكَالَكَ مُذْ كَرُّهُ بِحَدِيثِهِ الشُّبْلِيِّ أَوْ طَاوُوسَا ^(٤)
 وَمَنْ ارْتِضَاهُ اللَّهُ وَفَّقَ سَعْيُهُ فَرَأَى الْعَظِيمَ مِنَ الْحُظُوظِ خَسِيسَا
 مَا أَزْدَدْتَ بِالْتِمَحِيصِ إِلَّا جِدَّةً وَنَضُوتَ مِنْ خِلْعِ الزَّمَانِ لَبِيسَا
 وَلِظَالِمَا طَرَقَ الْخُسُوفُ أَهْلَةً وَلِظَالِمَا اعْتَرَضَ الْكُسُوفُ شُمُوسَا
 ثُمَّ انْجَلَتْ نَسَائِمُهَا عَنْ مَشْرِقِ لِلسَّعْدِ لَيْسَ بِحَاذِرٍ تَتَعِيسَا
 خُذْهَا إِلَيْكَ عَلَى النَّوَى سَيْنِيَّةٍ تَرْضَى الطَّبَاقَ وَتَشْكُرُ التَّجْنِيسَا
 إِنْ طُوِلَتْ ^(٥) بِالْذَّمِّ مِنْ حَوْلِ الطُّلَى يَوْمًا تَشَكَّتْ حَظُّهَا الْمَوْكُوسَا
 لَوْلَاكَ مَا أَضَعْتَ لِحِطْبَةِ خَاطِبٍ وَلَعَنَّسَتْ فِي يَدَيْهَا تَعْنِيسَا
 قَصَدْتَ سَلِيمَانَ الزَّمَانِ وَقَارِبْتَ فِي الْخَطُوطِ تَحْسِبُ نَفْسَهَا بَلْقِيسَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « وَالْج » .

(٢) الْفَرَبُوسُ : حَنُ الْمَرْج .

(٣) كَذَا فِي نَفَحِ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مَا إِنْ يَبَايَعَ أَوْ يَشَارَى » .

(٤) الشُّبْلِيُّ : هُوَ أَبُو بَكْرٍ دَلْفُ بْنُ جَعْدَرِ الصُّوفِيِّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٣٣٤ هـ .

وَطَاوُوسٌ : هُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَحْمَدَ أَبُو سَعِيدٍ الْمَالِينِيُّ الصُّوفِيُّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٤١٢ هـ .

(٥) كَذَا فِي ط وَنَفَحِ الطَّيْبِ . وَفِي ت : « طُولُ » .

لى فيك ودّ لم أكن من بعدما أعطيت صفقة عهده لأخيسا
 كم لى بصحة عقده من شاهد لا يحذر التجريح والتدليس
 ينفو الشهادة باليمين وإنه لمؤمن من أن يعد فسيسا^(١)
 لا يستقر قرار أفكارى إلى أن أستقر لدى علاك جليسا
 وأرى نجاحك مستقيم السير للقصد الذى أعملته معكوسا [١٦٩]
 هى دين أياى فإن سمحت به لم يبق من شىء عليه يؤسى
 لا زال صنع الله مجنوبا إلى مئواك يهدى البشر والتأنيسا
 متتابعا كتتابع الأيام لا يذر التعاقب جمعة وخميسا
 فلو أنصفتك بإالة الملك التى رضى الزمان لها وكان شريسا
 قرنت بذكرك والدعاء لك الذى تختاره التسبيح والتقديسا
 القلب أنت لها رئيس حياتها لم تعتبر مهما صلحت رئيسا
 قال الحافظ أبو عبد الله التنسي، رحمه الله ورضى عنه : هذا ابن الخطيب
 فى هذه السينية حذو أبى تمام فى قصيدته التى أولها :

أقشيب ربهم أراك دريسا تقرى ضيوفك لوعة ورسيسا
 واختلس كثيرا من ألفاظها ومعانيها . انتهى .

ووصل ابن الخطيب هذه السينية بنثر بارع يخاطب به السلطان أبا حمو
 المذكور ، ونصه :

(١) الفيس : الأحمق الضعيف الغل . وفى ت : « قسيسا » بالقاف بدل الفاء ،
 وهو تصحيف .

« هذه القصيدة ، أبقى الله أيام المثابة المولوية الموسوية متمعة بالشمل المجموع ،
والثناء المسموع ، والملك المنصور الجموع ؛ نَفْثَةُ من باح بسرّ هواه ، ولَبَّى دعوة
الشوق العايب بلبه^(١) وقد ظفر بمن يهدى خبر جواه إلى محل هَوَاه ؛ ويختلس
بعث تَحِيَّته ، إلى مُثِير أريحيته ؛ وهي بالنسبة إلى ما يعتقد من ذلك الكمال ، الشاذّ
عن الآمال ؛ عُنوان من كتاب ، وذَوَاق من أوقار ذات أقتاب ؛ وإلا فن يفوم
بحق تلك المثابة لسانه ، أو يكافئ إحسانها إحسانه ؛ أو يستقل بوصفها يراعه ،
أو تهض بأيسر وظيفها ذراعه ؛ ولا مكابرة بعد الاعتراف ، والبحر لا ينفد
بالاغتراف ؛ لا سيما وذاتكم اليوم والله يُبقيها ، ومن المكاره يقيها ، وفي معارج
القرب من حضرة القدس يُرقيها ، ياقوتة اختارها واعتبرها ، ثم بلاها بالتمحيص [١٧٠]
في سبيل التخصيص واختبرها ، وسبيكة خلصها وسجّرها ، نخلصها بسجّره
من الشوب ، وأبرزها من لباب الذّوب^(٢) ؛ وقصرت عن هذه الأثمان ، وسرّ
بصدق دعواه^(٣) البهرمان^(٤) ؛ ليفاضل بين الجهام والصيّب ، ويميز الله الخبيث
من الطيّب ؛ فأراكم أن لا جدوى للعديد ولا للعُدّه ، وعرفكم بنفسه في حال
الشّدّه ، ثم فسّح لكم بعد ذلك في المُدّه ؛ لتعرفوه إذا دال الرّخاء ، وهبّت بعد
تلك الزعازع الرّيح الرّخاء ؛ وملاكم من التجارب ، وأوردكم من أطفافه أعذب
المشارب ؛ ونقلكم بين إصرار الزمان وإحلاله ، ولم يسلبكم إلا حقيرا عند أوليائه ؛

(١) وردت هذه العبارة محرفة في ت هكذا : « ودعوة الشوق الثابت بلبه » .

(٢) وردت هذه العبارة في الأصلين هكذا : « وسبيكة خلصها وشعرها نخلصها
الشعيرة من الشوب وأبرزتها من ... الخ » . وفي نفع الطيب : وسبيكة خلصها
وسخرها ، نخلصها لتسخره من الشوب ... الخ » . والعبارة في كل ذلك قلقة ،
ولعل ما أبتناه أقرب إلى المعنى المراد . والسجّر : مصدر سجر التنور ونحوه ،
إذا أحماه .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « دموعه » . وفي ط : « دعوته » .

(٤) البهرمان : المصفر ، وهو دون الأرجوان شدة حمرة .

وأعادكم المعاد المطهر ، وألبسكم من أثواب اختصاصه المعلم المشهر ؛ فأنتم اليوم
 بعين العناية ، بالإفصاح والكناية ، قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف
 بالجنایة ؛ فإن كان الملك اليوم علماً يُدرّس ، وقوانين في قوة الحفظ تُفَرَس ،
 وبضاعة برصد التجارب تُحرَس ؛ فأنتم مالك دار هجرته المحسوبه ، وأضمع
 شعوبه المنسوبه ؛ إلى ما حُرِّم من أشتات الكمال ، المُرَّية على الآمال ؛ فالبیت
 علوی المنتسب ، والملك بين الموروث والمكتسب ؛ والجود يترف به الوجود ،
 والدين يشهد به الركوع والسجود ؛ والبأس تعرفه التهامم والتجود ، والخلق
 يحسده الروض المجود ؛ والشعر يغترف من عذب نير ، ويصدق من قال
 بُدِيْ بِأَمِيرٍ وَخُيِّمَ بِأَمِيرٍ ؛ وإن مملوكم حوّم من بآبكم على العذب البرود ،
 فعاقه الدهر عن الورود ؛ واستقبل أفعه ليحقق الرصد ، ولكنه أخطأ القصد ؛
 ومن أخطأ الغرض أعاد ، ورجا من الزمان الإيساع ؛ فربما خبي نصيب ، أو كان
 مع الخواطي سهم مُصيب ؛ وكان يؤمل صحة ركاب الحجاز ، فانتقلت الحقيقة
 منه إلى الحجاز ؛ وقطعت القواطع التي لم يتلها الحساب ، ومنعت الموانع التي خلص
 منها إلى الفتنة الانتساب ؛ ومن طلب الأيام أن تجرّ على اقتراحه ، وجب
 العمل على أطراحه ؛ فإنما هي البحر الزاخر ، الذي لا يُدرك منه الآخر ؛ والرياح
 متغايرة ، والسفينة الحائره ؛ فتارة يتعذر من المُرْسَى الصّرف ، وتارة تقطع المسافة
 البعيدة قبل أن يرتد الطرف ؛ هذا إن سالها عطبها ، وأغنى من الوقود حطبها ؛
 ولقد علم الله جلّ جلاله أن لقاء ذلك المقام الكريم عند المملوك تمام المطلوب ،
 ممن ^(١) يجبر كسر القلوب ؛ فإنه مما انعقد على كماله الإجماع ، وصح في عوالم
 معاليه السماع ، وارتفعت في وجود مثاله الأطلع ؛ أخلاقاً هذبها الكرم الوضاح ،

[١٧١]

(١) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « فن » .

وسجية كَلَفَ بها السكّال الفضّاح ؛ وحِرْصا على الذّكر الجميل ، وما يتنافس فيه
إلا من سمّت هممه ، وكرّمت ذممه ، وألّفت الخلد رِمْمه ؛ إذ الوجود سراب ، وما
فوق التراب تراب ؛ ولا يبقى إلا عمل راق ، أو ذكر بالجميل يُسَطَّر في أوراق^(١) ؛
حسبما قلت من قصيدة كتبها على ظهر [مكتوب]^(٢) موضوع ، أشار به من
كانت له طاعة ، فوفت بمقترحه استطاعه :

يمضي الزمان فكلّ فإنّ ذاهبٌ إلا جميل الذّكر فهو الباقي
لم يبق من إيوان كسرى بعد ذا لك الحفل إلا الذّكر في الأوراق
هل كان للسفاح والمنصور والـمهدى من ذِكر على الإطلاق
أو للرشيّد وللأمين وصنوه لولا شـماعة يراعة الوراق
رجع التراب إلى التراب بما اقتضت في كلّ خلق حكمة الخلاق
إلا الثناء الخالد العطر الشذا يهْدِي حديث مكارم الأخلاق

[١٧٧]

والرغبة من مقامكم الرفيع الجناب ، أن يمكنها من حُسن المثاب^(٣) ؛ فتحظى
بحلول ساحته ، ثم بلثم راحتته ؛ ثم بالإصغاء ، ولا مزيد للابتغاء ؛ إلى أن ترتفع
الوساطة ، وتغنى عن التركيب البساطه ؛ ويُنسى الأثر بالعين ، ويُحسّن الدهر
قضاء الدين ؛ ونسأل الذي أغرى بها القريحه ، ولم يجعل الباعث إلا المحبة الصريحه ؛
أن يُبقى تلك المثابة زينا للزمان ، وذُخرا مكنوفا باليمن والأمان ، مظلالا برحمة
الرحمن ، بفضلته وكرمه . انتهى .

ومن مقطوعاته ، أي ابن الخطيب ، البديعة في مخاطبة هذا السلطان أبي تحّو
صاحب تلمسان ، قوله يشكره على ما كان أعان به أهل الأندلس :

بعض مقطوعات
لابن الخطيب
في السلطان
أبي حو

(١) في ط : « أو ذكر جميل » .

(٢) زيادة عن نفع الطيب .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « المثاب » .

لقد زارَ الجزيرة منك بحرٌ يُمدّ فليس تعرف منه جزراً
أعدتَ لها بعهدك عهد موسى سميكٌ فهي تتلو منه ذِكراً
أقتَ جدارها وأفدتَ كنزاً ولو شئتَ اتخذتَ عليه أجراً

وقوله :

وقالوا الجزيرة قد صوّحتُ فقلت : غمامَ الندى تنتظرُ
إذا وكفتُ كفُّ موسى بها غماما يعود الجنبُ الخضِرُ
ومخاطبات الوزير ابن الخطيب للسلطان أبي حو كثيرة جداً ، ولتقتصر منها
على ما ذكرناه .

ومن نظم ابن الخطيب رحمه الله :

يا إمام الهدى وأى إمام أوضَحَ الحقَّ بعد إخفاء رُشْمه
أنتَ عبدُ الحليم حلمك نرجو فالسمي له نصيبٌ من اسمه

[وله يخاطب عبد الواحد بن زكرياء بن أحمد اللحياني أبا مالك ابن سلطان
شعر له يودع به عبد الواحد ابن سلطان لإفريقية مؤدعاً :

أبا مالك أنتَ نجلُ الملوكِ غيوثِ الندى وليوثِ النزالِ
ومثلكَ يرتاحُ للمكرُماتِ ومالكَ بين الورى من مثالِ
عزيرِ بأنفسنا أن نرى ركابك مؤذنةً بارتحالِ
وقد خبّرتُ منك خلقاً كريماً أناف على درجاتِ الكمالِ
وفازتُ^(١) لديك بساعاتِ أنسٍ كما زار في الليل طيفُ الخيالِ
ولولا تعلُّنا أننا نزورك^(٢) فوق بساطِ الجلالِ

(١) كذا في نفع الطيب (ج ٤ ص ١٧٦) . وفي الأصلين : « ورازت » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « بزورك » .

ونبلغ فيك الذي نبتغي وذاك على الله سهل المنال
لما فترت أنفُس من أمي ولا برحت أدمع في انهمال
تلقتك حيث احتلت السعود وكان لك الله في كل حال
وتوفى أبو مالك المحاطب بهذا ببلد الجريد سنة خمسين وسبع مئة^(١)
ومن أبدع ما وقع لابن الخطيب لاميته التي أولها :
* الحق يعلو والأباطل تسفل *

قال ابن حجة في شرح بديعته ، الذي سماه بتقديم أبي بكر ، مانسه :
« ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الأعداء ، براعة الاستهلال للعلامة إمام
المغرب ، ذى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، وهى :

من قصيدة
« المنح الغريب »
له

الحق يعلو والأباطل تسفل والله^(٢) عن أحكامه لا يسأل [١٧٣]
فإنه قال : نظمت للسلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سلا ، لما انفصل
طالباً حقه بالأندلس ، قصيدة كان صنع الله براعة استهلالها^(٣) ، ووجهت بها إليه
إلى رُنْدَة قبل الفتح ، ثم لما قَدِمْتُ أنشدتها [بين يديه]^(٤) بعد الفتح وفاء
بنذرى ، وسَمَّيْتُها : « المنح الغريب ، فى الفتح القريب » ، منها قوله رحمه الله :
وإذا استحال حالة وتبدلت فالله عز وجل لا يتبدل
واليسر بعد العسر موعود به والصبر بالفرج القريب مؤكل
والمستعد لما يؤمل ظافر وكفاك شاهد « قيدوا وتوكلوا »

(١) فى نفع الطيب : سنة ٧٤٠ .

(٢) فى شرح بديعة ابن حجة : « والحق » .

(٣) فى شرح البديعة المذكور : « كان صنع الله مطابقاً لاستهلالها » .

(٤) الزيادة عن شرح البديعة لابن حجة .

أحمد والحمد منك سجية بحُلِيَّتِها دون^(١) الورى تتَجَمَّلُ
أما سُعودك فهو دون مُنازع عَقْدَ بأحكام القضاء مُسَجَّلُ
ولك السجايا الغُرَّ والشِّيمَ التي بغريهما يَتَمَثَّلُ المُتَمَثِّلُ
ولك الوقار إذا تَرَزَّلَتِ الرُّبا وهَفَّتْ من الرُّوعِ الهِضابُ المُثَلُّ
عوذ كمالك ما استطعتَ فإنه قد تنقصُ الأشياءُ مما تكملُ
تاب الزمان إليك مما قد جَنَى والله يَأْمُرُ بالمتاب وَيَقْبَلُ
إن كان ماضٍ من زمانك قد مضى بإساءةٍ قد سَرَّكَ المُسْتَقْبَلُ
هذا بذاك فشفع الثاني^(٢) الذي أرضاك^(٣) فيما قد جناه الأولُ
والله قد وُلَاكَ أمرَ عباده لما ارتضاك ولايةً لا تُعْزَلُ
وإذا تَغَمَّدَكَ الإلهُ بنصره وقضى لك الحُسنى فمن ذا يَخْذُلُ
وظنعت عن أوطان ملكك راكبا مَتْنُ^(٤) العُباب فأى صبر يَجْمَلُ ؟
والبحرُ قد حُنِيَّتْ^(٥) عليك ضلوعه والريح تقطع للزفير^(٦) وترُسِلُ
ولك الجوارى المنشآت قد اغتدت تحتالُ في بُرْدِ الشباب وترُفَلُ
جوفاء يحملها ومن حملت به من يعلم الأثنى وماذا تحملُ
صَبَّحَتْهُمْ غُرَرُ الحِيادِ كأنما سَدَّ^(٧) الثنية عارضٌ مهلَلُ

(١) في شرح البديعية : « بين » .

(٢) كذا في البديعية . وفي الأصلين : « الجاني » .

(٣) كذا في ط . وفي ت : « ارتضاك » .

(٤) كذا في البديعية . وفي الأصلين : « بين » .

(٥) كذا في نفح الطيب ، وفي ط : « خفت » وفي ت : « خفت عليه » .

(٦) في البديعية : « تبتلع الزفير » .

(٧) كذا في البديعية . وفي ت : « كأنها بيد الثنية » أى بطريق الثنية . وفي ط :

« كأنها أسد الثنية » وهي معرفة عما أُنبتاه في صلب الكتاب .

مِنْ كُلِّ مَنْجَرِدٍ أَغْرَ مُحَجَّلٌ يَرْمِي الْجِيَادَ^(١) بِهِ أَغْرَ مُحَجَّلٌ
زَجَلَ الْجَنَاحَ إِذَا أَجَدَ لُغَارَهُ^(٢) وَإِذَا تَغَنَّى لِلصَّهِيلِ قُبْلُبُلٌ
جِيدٌ كَمَا التَفَتَ الظَّلِيمُ وَفَوْقَهُ أَذُنٌ مَشْقَّةٌ وَطَرْفٌ أَكْحَلُ
ومنها :

[١٧٤]

وخليج هندٍ راقٍ حسنُ صفائه حتى يكاد يعوم^(٣) فيه الصيقل
غرقت بصفحته النِّمَالُ وأوشكت تبغى النجاة فأوثقتها الأرجل
فالصرح منه ممرّد، والصفح منه مؤرّد، والشطّ منه مُصنَدَل^(٤)
وبكل أزرق إن شكت الحاظله مرّة العيون فبالعجاجة يُكْحَل^(٥)
مُتَأَوِّدٌ أَعْطَاهُ فِي نَشْوَةِ مِمَّا يُعَلِّقُ مِنَ الدِّمَاءِ وَيُنْهَلُ
عَجِبًا لَهُ أَنْ النَجِيعَ بِطَرْفِهِ رَمَدٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مُقْتَلٌ
لله موقفك الذي وثباته وثباته مَثَلٌ بِهِ يُتِمَّلُ
والنَّضْلُ خَطٌّ، وَالْمَجَالُ صَحِيفَةٌ وَالسَّرُّ تَنْقُطُ، وَالصَّوَارِمُ تَشْكُلُ
وَالْبَيْضُ قَدْ كُسِرَتْ حُرُوفُ جُفُونِهَا وَعَوَامِلُ الْأَسَلِ الْمُثَقَّفِ تَعْمَلُ

وهي طويلة ، وجميعها فراند ؛ ولم أكثر منها إلا لعلمي أن كلام لسان الدين
ابن الخطيب غريب في هذه البلاد . انتهى كلام ابن حجة رحمه الله .

ومن هذه بعد قوله « وطرف أكحل » :

فكأنما هو صورة في هيكل من لطفه وكأنما هو هيكل

(١) كذا في البديعية . وفي الأصلين : « الجلاد » .

(٢) في ت والبديعية : « لغاية » .

(٣) في البديعية . « يقول » .

(٤) في ط والبديعية ونفع الطيب : « مهدل » .

(٥) مره العيون : خلوها من الكحل ، أو فسادها لتركه .

ومنها ، بعد قوله : « والبيض قد كسرت » البيت ، قوله :

لله قومك عند مُسْتَجَرِّ القَنَا إِذْ تَوَبَّ الدَّاعِي المُهَيَّبُ وَأَقْبَلُوا
قوم إذا لَفَحَ الهَجِيرُ وَجُوهَهُمْ حَجَبُوا بِرَايَاتِ الجِهَادِ وَظَلَّلُوا

ومن مقطوعات ابن الخطيب قوله لما أشرف على مراکش :

ماذا أُحْدِثُ عَنْ بَحْرِ سَبَّحْتَ بِهِ مِنْ البَحَارِ فَلَا إِيْمَ وَلَا حَرَجُ
دَحَاهُ مُبْتَدِعُ الْأَشْيَاءِ مُسْتَوِيَا مَا إِنْ بِهِ دَرَكٌ كَلَّا وَلَا دَرَجُ
حَتَّى إِذَا مَا لِلنَّارِ الْفَرْدُ لَاحَ لَنَا صَحَّتْ أَبْشَرِي بِأَمْطَايَا^(١) جَاءَكَ الْفَرْجُ
قَرُبْتُ مِنْ عَامِرٍ دَارًا وَمَنْزَلَةً وَالشَّاهِدُ الْعَدْلُ هَذَا الطَّيِّبُ وَالْأَرْجُ
وقال رحمه الله :

كَأَنَّا بِتَامِسِنَا نَجْمُوسُ خِلَالَهَا وَمَمْدُودَهَا فِي سِيرِنَا لَيْسَ يُقْصَرُ
مِرَاكِبُ فِي الْبَحْرِ الْحَمِيْطِ تَحْبَطُ وَلَا جِهَةٌ تَدْرِي وَلَا الْبَرُّ يُبْصَرُ

قال ابن الخطيب : ولما قضى الله عز وجل بالإدالة ، ورجعنا إلى أوطاننا من العدو ، واشتهر عنى ما اشتهر من الانتقاض عن الخدمة ، والتَّيَّه على السلطان ، والدَّالَّة^(٢) والتَّكْبَرُ على أعلى رُتَبِ الخدمة ، وتطارحتُ على السلطان في استنجاز وَعَدِ الرحلة ، ورغبت في تَبْرِئَةِ^(٣) الزَّيْمَةِ ، ونفرت عن الأندلس بالجملة ، خاطبني ، يعني أبا جعفر بن خاتمة ، بعد صدر بلغ من حسن الإشارة ، وبراعة الاستهلال الغاية ، بقوله :

[١٧٥]

كتاب ابن خاتمة
إلى ابن الخطيب

(١) هذه الكلمة ساقطة في ت .

(٢) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « والدولة » .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي ت : « تهمية » وفي ط : « تفويت » .

« وإلى هذا يا سيدى ومحل تعظيمى وإجلالى ، أمتع الله تعالى بطول بقائكم ، وضاعف فى المزدرجات ارتقائكم ^(١) ؛ فإنه من الأمر الذى لم ينب عن رأى العقول ، ولا اختلف فيه أرباب العقول ؛ أنكم بهذه الجزيرة شمس أقمها ، وتاج مفرقها ؛ وواسطة سلكها ، وطراز ملكها ؛ وقلادة نحرها ، وفريدة دُرّها ^(٢) ، وعقد جيدها [المنصوص] ^(٣) ، وكال زينها ^(٤) على العموم والخصوص ؛ ثم أنتم مدار أفلاكها ، وسر سياسة أملاكها ؛ وترجمان بيانها ، ولسان إحسانها ، وطبيب ^(٥) مازستانها ؛ والذى عليه عقد إدارتها ، وبه قوام إمارتها ؛ فلذلك يُحلّ المشكل ، وإليه يلتجأ فى الأمر المضل ؛ فلا غرو أن تنقيد بكم الأسماع والأبصار ، وتحقق نحوكم الأذهان والأفكار ؛ ويُزجر عنكم السائح والبارح ، ويُستنبأ ما تطرّف عنه العين وتختلج الجوارح ؛ استقراء لمرامكم ، واستطلاعا لطالع اعتزامكم ، واستكشافا عن سراي سهامكم ؛ لا سيما مع إقامتكم على جناح خُفوق ، وظهوركم فى مُلتَمَع بُروق ، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشرق ؛ حتى تستقر بكم الديار ، ويلقى عصاه التسيار ؛ ولها العذر فى ذلك ، إذ صدّعها بفراقكم لم يندمل ، وسرورها ببقائكم لم يكتمل ؛ فلم يَبْرَ بَعْدُ جناحها المهيض ، ولا جَمَ ماؤها المغيض ، ولا تميزت من داجيها ليالها البيض ؛ ولا استوى نهارها ، ولا تألقت أنوارها ؛ ولا اشتملت نعاؤها ، ونسيت غماؤها ؛ بل هى كالناقه ، والحديث العهد بالكاره ، تستشمر نفس العافيه ، وتمسح منكم باليد الشافيه ؛ فبحنانكم عليها ، وعظيم

(١) فى ط : « ارتفاعكم » .

(٢) فى ط : « دهرها » .

(٣) التكلة عن نفع الطيب .

(٤) فى نفع الطيب : « وتام زينتها » .

(٥) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « وطب » .

حرمتم على من لديها ؛ لا تشوبوا لها عذب المُجَاج بالأجَاج ، وتقطعوها عما
 عُوِّدَت من طيب المزاج ؛ فما لدائها — وحياء قريبكم — غير طِبِّكم من علاج ؛ وإني
 ليخطرُ بخاطري محبة فيكم ، وعناية بما يغنيكم ، ما نال جانبكم — صانه الله — بهذا
 الوطن من الجفاء ، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء ؛ وأن الوطن
 إحدى الحواضن الأظنار ، التي يحق لها جميل الاحتفاء ، وما يتعلق بكم من حرمة
 أولياء القرباة وأوداء الصفاء ؛ فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنح ، وبحق
 نفسكم عن حق أوليائكم أسمع ، ولتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسبح .
 وهب أن الدُرَّ لا يحتاج في الإثبات ، إلى شهادة النحور واللِّبَّات ؛ والياقوت
 غنى المكان ، عن مظاهرة القلائد والتيجان ، أليس أنه أعلى للعِيان ، وأبعد
 عن مكابرة البُزْهان ، تألقها في تاج الملك أنوشِروان ؛ فالشمس وإن كانت أم
 الأنوار ، وجلاء الأبصار ، مهما أغشى مكانها من الأفق قيل : أليل هو أم نهار ؛
 وكما في علمكم ما فارق ذوو الأرحام ، وأولو الأحلام ؛ مواطن استقرارهم ، وأما كن
 قرارهم ، إلا برغمهم واضطرارهم ، واستبدال دار خير من دارهم ؛ ومتى توازن
 الأندلس بالمغرب ، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب ؟ ما تحت أديمها أشلاء
 أولياء وعُباد ، وما فوقه سرابط جهاد ، ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب [١٧٧]
 أوتاد ؛ ثم يُبَوِّئ ولده مُبَوِّأ أجداده ، ويجمع له بين طارفه وتلاده ؛ أعيد
 أنظارك المسددة من رأى فائل ، وسَمَى طويل لم يحل منه بطائل ، فحسبكم من
 هذا الإياب السعيد ، والعود الحميد . وهي طويلة .

قال ابن الخطيب : فأجبت به بقولي :

لَمْ فِي الْهَوَى الْعُذْرَى أَوْ لَا تَلَمْ فَاَلْمَذْلُ لَا يَدْخُلُ أَسْمَاعِي
 شَأْنُكَ تَعْنِينِي وَشَأْنِي الْهَوَى كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي

أهلاً بتُحَفِّة القادِم ، وَرِيحانة المُنادِم ، وَذِكْرى الهوى المتقدِّم ؛ لا يُصْفِرُ^(١) الله
مَسْراك ، بما أَمْسراك ؛ لَقَدْ جُبْتُ^(٢) إلى من هموى ليلاً ، وَجِست رَجَلاً وَخَيْلاً ،
وَوَفَّيت من صاع الوفاء كَيْلاً ، وَظَنَنْتُ بى الأَسف على ما فات فاعلَتِ الالتفاتَ
لَكَيْلاً ؛ فَأَقْسَم لو أنْ أَمسى اليوم بِيدي ، أو كانت اللَّمة السوداء من عُدْدِي ؛
ما أَفَلْتُ شِراكى النِّصوبة لأمثالك ، حول المِياه وَبَيْن المسالك ، ولا علِمْتُ
ما هُنالك ؛ لَكِنَّكَ طَرَقْتَ حِمى كَسَعَتْهُ الفارَةُ الشَّعواء ، وَغَيَّرَتْ رُبْعَهُ الأَنْواء ؛
نَحْمَدُ بعد ارتِجاجِهِ ، وَسَكَتِ أَذِينُ دَجَاجِهِ ، وَتَلَاعَبْتَ الرِّياحُ الهُوجَ فوق فِجَاجِهِ ؛
وَطال عَهْدُهُ بِالزَّمانِ الأوَّل ، وَهَلْ عِنْدَ رِسمِ دارسٍ من مُعَوَّل ؛ وَحَيَّا الله نَذْباً
إلى زيارَتى نَدَبَكَ ، وَبآدابه الحَكْمية أَدَبَكَ :

فَكَانَ وَقَدْ أَفادَ بِكَ الأمانى كُنْ أَهْدى الشِّفاءِ إلى العليل

وهِى شِيمَةُ بوركْتَ مِنْ شِيمِهِ ، وَهَبَهُ اللهُ قِبَلَهُ مِنْ لَدُنْ الشِّيمِهِ ، وَمِنْ مِثْلِهِ
فِي صِلَةِ رَعَى ، وَفَضْلِ سَعَى ، وَقَوْلِ وَوَعَى ؟

قسماً بالكواكب الزُّهَر والزُّهَر عاتمه

[١٧٨]

إنما الفضل مِلة ختمت بآبِ خاتمه

كَسَانِي حُلَّةَ فَضْلِهِ ، وَقَدْ ذَهَبَ زَمَانُ التَّجَمُّلِ ، وَحَمَلْنِي شُكْرُهُ وَكَتَدَى وَاهٍ عَنِ
التَّحَمُّلِ ، وَنَظَرْنِي بِالْعَيْنِ الكَلِيلَةِ عَنِ الْعَيْبِ فَهَلَا أَجَادُ التَّأَمُّلِ ، وَاسْتَطْلَعَ طَلْعُ
نَقْيٍ ، وَوَالَى فِي مَبْرَكِ المَعْجَزَةِ حَقِّي ، إِنَّمَا أَشْكُو بَقْيٍ :

* وَلَوْ تُرِكَ القَطَا لَيْلًا لَنَامَا *

(١) فِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ : « لا يَصْفِرُ » .

(٢) كَذَا فِي نَفَحَ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « جُبْتُ » .

وما حال شَمْلٍ وَتَدُهُ مفروق ، وقاعدته فَرُوق ، وصُواعُ بنى أبيه
مسروق ؛ وقلبٍ قَرَحُهُ من عضة الدهر دام ، وجمرة حَسْرته ذات احتدام ؛ هذا
وقد صارت الصغرى ، التى كانت الكبرى ؛ لمُشيب^(١) لم يدع أن هم لما
نجم ، ثم تهلل عارضه وانسجم :

لا تجمعى هَجْرًا على غُرْبَةٍ فالهجر فى تَلَفٍ الغريب سريع
نظرتُ فإذا الجنب ناب ، والنفس فريسة ظُفر وناب ، والمال أِكيلة أتهاب ،
والعمر رَهْنٌ ذهاب ، واليد صِفْرٌ من كل اكتساب ، وسوق المَعاد مترامية
والله سريع الحساب :

ولو نُعْطِيَ الخِيَارَ لما افترقنا ولكن لا خيارَ مع الزَّمانِ
وهب أن العمر^(٢) جديد ، وظل الأمن مديد ، ورأى الاغتياب بالوطن شديد ،
فما الحُجَّةُ لنفسى إذا مرت بمطارح جفوتها ، وملاعب هفوتها ؛ ومثاقف قناتها ،
ومظاهر عُرْأها ومَنَاتها ؛ والزمان ولود ، وزناد الكون غير صُلُود !

وإذا امرؤ لَدَغَتْهُ ألقى مرة تركته حين يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَقُ
ثم إن المرغَبُ قد ذهب ، والدهر قد استرجع ماوَهَب ، والعارض قد اشتب ؛
وآراء الاكتساب مرجوحة^(٣) مرفوضة ، وأسماؤه على الجوار مخفوضة ، والنية
مع الله على الزهد فيما بأيدي الناس معقوده ، والتوبة بفضل الله عز وجل منقوده ،
غير معترضة ولا منقوده^(٤) ؛ والمعاملة سامرية ، ودروع الصبر سابرية ؛ والاقتصاد

[١٧٩]

(١) كذا فى فتح الطب . وفى الأصلين : « لمسب » وهو تصحيف .

(٢) فى ط : « الأمر » .

(٣) فى ط : « مرجومة » .

(٤) منقودة (الأولى) : من قد الثمن ، وهو تعجيله . و(الثانية) : من النقد ، وهو

تمييز ما فى القىء من حسن وقبح .

قد قرت العين بصحبته ، والله قد عوض حب الدنيا بمحبته ؛ فإذا راجعها مثلى
من بعد الفراق ، وقد رقى لدغتها ألف راق ؛ وجمعتني بها الحجرة ، فما الذى تكون
الأجره ؟ جل شانى ، وإن رضى الوامق^(١) وسخط الشانى ؛ إني إلى الله هاجر ،
وللعرض الأدنى هاجر ، ولأظعان الشرى زاجر ، لتجدي إن شاء الله تعالى أوحاجر ؛
لكن دعائى للهوى ، إلى هذا المولى المنم هوى ؛ خلعت نعلى الوجود وما خلعت ،
وشوقى أمرنى فأطعته ، وغالب صبرى والله فما استطعته ؛ والحال أغلب ، وعسى
ألا يخيّب الطلب ؛ فإن يسر رضاه فأمل كمل ، وراحل احتمال ، وحاد أشجى
الناقة والجل ؛ وإن كان خلاف ذلك ، فالزمان جم العوائق ، والتسليم بمقامى لائق ؛

ما بين غمضة عين وانتباهتها يصرف الأمر من حال إلى حال
وأما تفضيله هذا الوطن على غيره ، لئمن طيره ، وعموم خيره ؛ وبركة جهاده ،
وعمران ربه ووهاده . بأشلاء عباده وزهاده ؛ حتى لا يفضل إلا أحد الحرمين ،
فحق برى من المين ؛ لكننى للحرمين جنحت ، وفى جو الشوق إليهما سنحت ؛
فقد أفضت إلى طريق قصدى محجته ، ونصرتنى والمنة لله حجته ؛ وقصد سيدى
أستنى قصد توخاه الحمد والشكر ، ومعروف عرف به التكر ؛ والآمال من فضل
الله بعد تمتاز ، والله يخلق ما يشاء ويختار ؛ ودعاؤه بظهر الغيب مدد ، وعدة
وعدد ، وبره حالى الظعن والإقامة معتمل ومعتمد ، ومجال المعرفة بفضل لا يحصره
أمد . والسلام . انتهى .

وقال فى الإحاطة فى ترجمة السلطان أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى ،
بعد كلام كثير ، ما نصه :

من رثاء السلطان
أبى سالم

(١) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « الموافق » .

[١٨٠] « فلقد كان بقيّة البيت ، وآخر القوم دَمَانة وحياء ، وبعداً عن الشر ، وركونا للعافية ، وأنشدت على قبره الذى وُوريت به جُثته بالقلة من ظاهر المدينة ، قصيدة أدبت فيها بعض حقه ، وهى :

بنى الدنيا بِنَى لَمَعَ السَّرَابِ لِدُوا للموت وابنوا للخرابِ

اتهى المقصود منه .

شعره فى
الرجبة إلى الله

ومن نظم ابن الخطيب فى الرغبة إلى الله تعالى :

إِلَهَىّ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَالْمَسْعَى وَجَمَعَ إِذَا مَا الْخَلْقُ قَدْ نَزَلُوا جَمْعَا
وَبِالْمَوْقِفِ الْمَشْهُودِ يَا رَبِّ فِى مَنَى إِذَا مَا أَسْأَلَ النَّاسُ مِنْ خَوْفِكَ الدَّمْعَا
وَبِالْمُصْطَفَى وَالصَّحْبِ عَجَلْ إِقَالْتِ وَأَحْجِجْ دُعَاى فَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ يُدْعَى
صَدَعْتُ وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ جَنَابِهِ أَقِلْ عَثْرَتِى يَا مَأْمُلِى وَاجْبُرِ الصَّدْعَا

شعره
بعد عودته
من الرحلة
المراكشية

وقال رحمه الله عقب الإياب من الرحلة المراكشية :

أَفَادَتْ وَجْهَتِى بِنِدَاكَ مَا لَا قَضَى دِينِى وَأَصْلَحَ بَعْضَ حَالِى
وَمَتَّعْتُ الْخَوَاطِرَ بِإِنْشَاحِ وَأَطْرَفْتُ النَّوَاطِرَ بِإِكْتِحَالِى
وَأَبْتُ خَفِيفَ ظَهْرِى وَالْمَطَايَا بِجَاهِكَ تَشْتَكِى ثِقَلِ الرَّحَالِ
وَشَانِى لِلْعَالَمِ غَيْرِ شَانِى وَحَالِى بِالْمَكَارِمِ جِدُّ حَالِى
فَحُبُّ غُلَاكَ إِيْمَانِى وَعَقْدِى وَشَكَرُ نِدَاكَ دِينِى وَانْتِحَالِى
كَأَنَّ قَدْ صَحَّ اللَّهُ انْقِطَاعِى بِتَأْمِيْلِى جَنَابَكَ وَارْتِحَالِى
وَمَا يَبْقَى سِوَى فِعْلِ جَمِيلِ وَحَالُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى بِحَالِى
وَكُلُّ بَدَايَةٍ فَآلِى اتِهَاءِ وَكُلُّ إِقَامَةٍ فَآلِى ارْتِحَالِى
وَمَنْ سَامَ الزَّمَانَ دَوَامِ أَمْرِ فَقَدْ وَقَفَ الرَّجَاءَ عَلَى الْمُحَالِ

وقال رحمه الله في الضراعة إلى مولاه :

مولاي إن أذنبت ، يُنكَرْ أن يُرَى منك الكلالُ ومنى النقصان ؟
والعفو عن سبب الذنوب مُسَبَّب لولا الحِنَاية لم يَكُنْ عُفْران
[وقال سألحه الله مما كُتِبَ في حيطان المدرسة التي بناها السلطان أبو الحجاج :

وله في مدرسة

ألا هكذا بُنِيَ المدارس لِلْعِلْمِ وتبقى عهود المجد ثابتة الرِّسْمِ
وَيُقصد وجه الله بالعمل الرِّضَا وتُجَنَّى ثمار العز من شجر العزم
تقاخر منى حضرة الملك كَلَا تقدّم خصم في الفخار إلى خصم
فأجْدَى إذا ضن النعماء من الحيا وأهدى إذا جَنَّ الظلام من النجم
فيا ظاعناً لِلْعِلْمِ يطلب رِحْلَةً كَفَيْتَ اعْتِراضَ البِيداءِ ولُجْجِ اليَمِّ
بِإِبْنِ حُطَّ الرِّحْلِ لا تنو وجهه فقد فزت في حال الإقامة بالغنم
فكم من شهاب في سماءي نَاقِب ومن هالة دارت على قمر تيمِّم
يُفِيضون من نور مبين إلى هُدَى ومن حكمة تجلو القلوب إلى حُكْمِ
جرى الله عني يُوسِّفُ خيراً ما جَزَى ملوك بني نصر عن الدين والعلم

وقال ابن الخطيب مررت يوماً مع شيخنا أبي البركات ببعض مسالك
غُرَناطة ، فأنشد من نظمه :

وله في غرناطة

« غُرَناطة ما مثلها حَضْرَةٌ الماء والبهجة والخَضْرَةٌ
واستجازني رحمه الله تعالى ، فقلت » (١) :

مكناها قد أُسْكِنُوا جَنَّةً فَهَمُّ يُلْقَوْنَ بها نَضْرَةٌ (٢)

وكتب رحمه الله عن سلطانه أبي عبد الله بن نصر يخاطب الضريح المقصود ،
والنهل المورود ، والمرعى المنتجع ، والخِوان الذي يكفي الغرثي ، ويمرّض المرضى ،

وله يخاطب قبر
الولي السبق

(١) ما بين هذين القوسين « من نفع الطيب وهو ساقط من ت .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

[١٨١] ويقولون الزمى ، ويتعدام إلى أهل الجدة زعموا والغنى ، قبرولى الله سيدى
أبى العباس السبى^(١) ، نفعا الله به وجبر جالنا ببركاته النعم ، ودفع علينا النعم :

يا ولى الإله أنت جواد وقصدنا إلى حماك المنيع
راعنا الدهر بالخطوب نجينا نرجى من علاك حسن الصنيع
فددنا لك الأكف نرجى عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة تترك الزا كى وزلنى إلى العلم السميع
كم غريب أسرى اليك فوافى رضاً عاجلٍ وخير سريع

يا ولى الله الذى جعل جاهه سبباً لقضاء الحاجات ، ورفع الأزمات ،
وتصرفه نافعاً بعد المات ، وصدق نقل الحكايات ظهور الآيات ؛ نفعا الله
بنيتى فى بركة تترك ، وأظهر على أثر توسلى بك إلى الله ربك ؛ مرق شلى ،
وفرق بينى وبين أهلى ؛ وتعدى على ، وصرفت وجوه^(٢) المكاييد إلى ؛ حتى^(٣)
أخرجت من وطنى وبلدى ، ومالى وولدى ؛ ومحل جهادى ، وحق الذى صارلى
خلوعاً عن آبائى وأجدادى ؛ عن بيعة لم يحل عقدتها الدين ، ولا ثبوت جريمة
تشن ؛ وأنا قد قرعت باب الله بتأميلك ، فالتمس لى قبوله بقبولك ؛ ورذنى إلى
وطنى على أفضل حال ، وأظهر على كرامتك التى تشد إليها ظهور الرجال ؛ فقد
جعلت وسيلتى إليك رسول الحق ، إلى جميع الخلق ؛ والسلام عليك أيها الولى
الكريم ، الذى يأمن به الخائف وينتصف الغريم ، ورحمة الله .

(١) أبو العباس السبى هو الولى الصالح الشيخ أحمد بن جعفر السبى الخزرجى ، وهو غير
أبى العباس الشريف السبى الذى تقدم ذكره فى هذا الجزء فى صفحة ٣٢ وما بعدها .

(٢) فى ت : « وجهة » .

(٣) فى ت : « حين » .

وقال ساعه الله في معنى التورية الطبية ، بالدواء المسمى بدم الأخوين ،
في شأن سلطان الأندلس القائم عليهم وأخيه ، وشأن ذلك الدواء النفع من الجراح :

وله يورى
بدم الأخوين

باسماعيل ثم أخيه قيس تأذن هم ليلى بانبلج
دم الأخوين داوى جرح قلبي وعالجني وحسبك من علاج
وقال مقتبساً في غير ذلك :

وله في اقتباس

يا من بأكناف فؤادى ربيع^(١) قد ضاق بي في حبك المتسع
ما فيك لي جدوى ولا أروعى شح مطاع وهوى متبع
وقال في التورية بالطب :

شعر له في
التورية بالطب

إني وإن كنتُ ذا اعتلال رثَّ القوى بين الهزال
في «عارض التيس» لي شفاء فكيف في عارض الفزال

وقال يخاطب الحاجب الفقيه الخطيب ، سيدي أبا عبد الله بن مرزوق ،

وقال يخاطب
ابن مرزوق

وطفا على بيت المشاركة في العذار :

[١٨٢]

أما والذي تُبلى لديه السرائرُ لما كنتُ أرضى الخسف لولا الصرائرُ
غدوتُ لضمِّم ابن الرَّيب فريسةً أما ثار من قومي لنصرى ثائر^(٢)
إذا التمسْتُ كفى لديه جِرايتي كأنِّي جانٍ^(٣) أوبقته الجرائرُ
وما كان ظنى أن أنال جِراية يحكم من جرأها في جائرُ
متى جاد بالدينار أخضر زائفاً ودارته دارت عليها الدوائرُ
وقد أخرج التعنيتُ كيسَ مرارتي ورقَّت لبِلْواي النفوسُ الأخائرُ

(١) ربيع : أقام وسكن .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « ناصر » .

(٣) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « جار » وهو تحريف .

تذكرت بيتاً في العذار لبعضهم له مثل بالحسن في الأرض سائر:
 « وما اخضر ذلك الخد نبثا وإنما لكثرة ما شئت عليه المرائر »^(١)
 وجاء ابن مرزوق لدى ذخيرة وللشدة العظمى تعدد الذخائر
 ولو كان يدري مدهاني لساء وأنكر ما صارت إليه المصار
 وكان ابن الريب هذا من خدام السلطان أبي سالم ، وكانت جارية
 ابن الخطيب وغيره ممن قدم من أعيان الأندلس على يده ، فكان لا يوفى بحقوقهم ،
 فاشتكى ابن الخطيب به إلى الحاجب ابن مرزوق بهذا النظم المذكور ، وإلى الله
 ترجع الأمور .

شعر له في مخاطب
 أحد الصرقات

وقال رحمه الله يخاطب أحد الشرفاء الكرام :

أعيا اللقاء على إلا لحة في جملة لا تقبل التفصيل
 فجعلت بابك عن يمينك نائباً أهديه عند زيارتي تقيلاً
 فإذا وجدتُك نلتُ ما أملتُه أ ولم أجذك فقد^(٢) شفت غليلاً

وقال يشكر
 السلطان أبا ساد
 على تخليصه إياه

وقال في مخاطبة السلطان أبي سالم رحمه الله في سبيل الشكر ، عند ما خلصه
 من الورطة بشفاعته التي قدمنا ذكرها :

[١٨٣]

سمي خليل الله أحييت مهجتي وعاجلني منك الصريح على بعد
 فإن عشت أبلغ فيك نفس عذرها وإن لم أعش فالله يجزيك من بعدى
 قال : وقلت في التنزل ، وما أبعد عني في الوقت ، والحمد لله :

وله في التنزل

(١) هذا البيت لميسى بن سنجر المعروف بالحاجري المتوفى سنة ٦٣٢ هـ من قصيدة مطلعها :

على دمع عيني من فرائك ناظر يرفقه إن لم ترفقه المهاجر

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « فنا » .

أصبح الخلد منك جنة عدن مُجْتَلَى أعينٍ وشَمٍّ أنوفٍ
ظَلَّتْهَا من الجُفُونِ سُيُوفٌ جَنَّةُ الخُلْدِ تحت ظِلِّ السُّيُوفِ
وخطب صاحب الأشغالِ أبا عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين يهنئته
بتقليد الخطبة من رسالة :

من رسالة له
في تهنئة ابن أبي
مدين بتقليد الخطبة

تَعُودُ الأمانى بعد انصراف ويعتدل الشيء بعد انحرافٍ
فإن كان دهرُك يوماً جَنَى فقد جاء ذا خَجَلٍ واعترافٍ
طلع البشير ، أبقاك الله ، بقبول الخلافة المرينية ، والإمامة السنية (١) ،
خصها الله بنيل الأمنية ؛ على تلك الذات التي طابت أرومتها وزكت ، وتأنوّهت
العلياء لتذكر عهدا وبكت ، وكاد السرور ينقطع لولا أنها تركت منك الوارث
الذي تركت ؛ فلولوا العذر الذي تأكدت ضرورته ، والمانع الذي ربما تفرّرت
لديكم صورته ؛ لكنت أول مُشافه بالهناء ، ومُصارف لهذا الاعتناء ، الوثيق البناء ،
فنتقول والحمد لله والثناء . وهي طويلة .

وقال يخاطب السلطان أبا سالم عند انقطاعه بضريح والده بشالة سلا ، حيث
مدفنُ ملوك بني مرين :

رسالته إلى
السلطان
أبي سالم
مستعينا به

عن باب والدك الرضا لا أبرحُ يأسو الزمان لأجل ذاك ويَجرحُ (٢)
ضُرِبَتْ خيامي في حِماه فصِيبَتِي تَجِنِّي الحِجْمُ (٣) به وبهيمى تشرح
حتى يراعى وجهه في وجهي بعناية تشفي الصدور وتشرح
أيسوغ عن مثواه مسيرى خائبا ومنابر الدنيا بذكرك تصدح

(١) في ط : « السرية » .

(٢) في ط : « لأجل ذا أو يجرح » .

(٣) كذا في الأصلين والسلاوى ، ولعلها مصحفة عن « الحِجْم » وهو النبت الكثير .
يريد أنهم في بسطة من العيش .

أنا في حماه وأنت أبصر بالذى يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
 في مثلها سيف الحمية يُنتضى في مثلها زُند الحفيظة يُقدح
 وعسى الذى بدأ الجميل يُعيدَه وعسى الذى سد المذاهب يفتح
 ومما كتب به إلى السلطان أبي سالم من مدينة سلا ، بعد عودته من
 مرّاكش .

[١٨٤]

مولاي المرجو لإتمام الصنيعة ، وصلة النعمة ، وإحراز الفخر ، أبقاكم الله
 تُضرب بكم الأمثال في البر والرضا ، وعلو الهمة ، ورغى الوسيلة .
 مقبل موطنى قدمكم ، المنقطع إلى ثربة المولى والدكم ابن الخطيب ، من
 الضريح المقدس بشالة ، وقد حطّ رحل الرجاء في القبة المقدسة ، وتيمّم^(١) بالتربة
 الزكية ، وقعد بإزاء لحد المولى أبيكم ، ساعة إيايه من الوجهة المباركة ، وزيارة الرُّبُط
 المقصودة ، والترّب المعظمة ، وقد غزم ألاّ يبرح طوعاً من هذا الجوار الكريم ،
 والدخيل المرعى ، حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى ،
 العزيز على أهل الأرض ثم عليكم ، والتماس شفاعته في أمر سهل عليكم ، لا يجر
 إنفاذ^(٢) مال ، ولا اقتحام خطر ، إنما هو إعمال^(٣) لسان ، وخط بنان ، وصرف
 غزم ، وإحراز غفر وأجر ، وإطابة ذكر ، وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم ،
 أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدس بلسان المقال ، ما يحضر مما يفتح الله فيه ،
 ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ، ما يتلقى عنه من الجواب . وقال لى صدر
 دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم ، سيدى الخطيب ، سقى الله أمله ، من

(١) كذا في السلاوى (ج ٢ ص ١١٥) . وفي الأصلين : « وتدم » .

(٢) في السلاوى : « إنفاذ » .

(٣) في ت : « عمل » .

سعادة مقامكم ، وطول عُمركم : يا فلان ، أنت والحمد لله ممن لا يُنكر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البشر والقبول والإنعام ما صدر ، جزاكم الله جزاء المحسنين . وقد تقدم تعريف مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم ، حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الآن يعرض عليكم الجواب ، وهو أنى لما فرغت من مخاطبته بمراى من الملاء الكبير ، والجم الغفير ، أكتب على اللحد الكريم ، داعياً ومخاطباً ، وأصغيت [١٨٥] بأذنى نحو^(١) قبره ، وجعل فؤادى يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله ، فكأنى به يقول لى : قل لمولاك : يا ولدى ، وقرة عيني ، الخصوص برضاي وبرى ، الذى ستر حريمي ، ورد ملكي ، وصان أهلي ، وأكرم صنائي ، ووصل على ، أسلم عليك ، وأسأل الله أن يرضى عنك ، ويُقبل عليك ؛ الدنيا دار غرور ، والآخرة خير لمن اتقى ، وما الناس إلا هالك وابن هالك ، ولا تجد إلا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة ، أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ، ومثلك من ذُكر فتذكر ، وعُرف فما أنكر ؛ وهذا ابن الخطيب [قد^(٢)] وقف على قبري ، وتهتم بي ، وسبق الناس إلى رثائي ، وأنشدني ومجّدي ، وبكاني ودعا لى ، وهنأني بمصير أمرى إليك ، وعقر وجهه فى تربى ، وأملنى لما انقطعت منى آمال الناس ، فلو كنت يا ولدى حياً لما وسعنى أن أعمل معه إلا ما يليق بي ، وأن أستقل فيه الكثير ، وأحترق العظيم ، لكن لما عجّزت عن جزائه ، وكنّته إليك ، وأحلتته يا حبيب قلبي عليك ، وقد أخبرني أنه سلب المال ، كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر فى عدم^(٣) نشاطه أثر السن ، وأمل أن ينقطع بجوارى ، ويستتر بدخلى

(١) كذا فى السلاوى . وفى الأصلين : « عند »

(٢) التكهة عن السلاوى .

(٣) فى ط : « فى عظيم » .

وخدمتى ، وِرْدٌ عليه حقُّ بحرمتى ، ووجهى ووجه من ضاجعنى من سلقى ،
ويعبد الله تحت حرمتك وحرمتى ، وقد كنت تشوفت إلى استخدامه فى الحياة ،
حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة ، أبو عبد الله
ابن مرزوق ، فسله يذكرك ، واستخبره يخبرك ، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا
الرجل خديمى بعد المات ، إلى أن نلحق جميعاً برضوان الله ورحمته التى وسعت [١٨٦]
كل شىء ، وله يا ولدى ولد نجيب يخدم ببابك ، وينوب عنه فى ملازمة بيت
كُتَّابك ، وقد استقر بدارك قراره ، وتعين بأمرك مَرْتَبُهُ وِدْنَارُهُ ، فيكون
الشيخ خديم الشيخ ، والشاب خديم الشاب ، هذه رغبتى منك ، وحاجتى
إليك . واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكر ويُتَحَدَّثَ به فى الدنيا ، وبين
أيدى الملوك والكبراء ، فاعمل ما يبقى لك نغره ، ويتخذ ذكره ، وقد أقام
مجاوراً ضريحى ، تالياً كتاب الله على ، منتظراً ما يصله منك ، ويقرؤه على ،
من السعى فى خلاص ماله ، والاحتجاج بهذه الوسيلة فى جبره ، وإجراء ما يليق
بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فالله الله يا إبراهيم ، اعمل ما يُسْمَعُ عنى
وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال . [انتهى] (١) .

والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ،
ولتعلموا وتتحققوا أنى لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الأموال ، وسفكت الدماء ،
وأخذت حسانف (٢) الملوك الأعزّة ممن وراء النهر من التتر ، وخلف البحر من
الروم ، ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله منى من غير عهد ، بعد أن
بلغهم تدمى بهذا الدخيل ، ومقامى بين هذه القبور الكريمة ، ما وسع أحداً
منهم من حيث الحياء والحشمة من الأممات والأحياء ، وإيجاب الحقوق ، التى

(١) التكلة عن السلاوى .

(٢) الحسانف : العداوات ، جمع حسيقة .

لا يغفلها الكبار للكبار ، إلا الجود الذي لا يتعقبه البخل ، والعفو الذي لا تفسده
المؤاخذه ، فضلا عن سلطان الأندلس ، أسعده الله بموالائكم ، فهو فاضل ، وابن
ملوك أفاضل ، وحوله أكياس ، ما فيهم من يجمل قدركم وقدر سلفكم ، لاسيما مولاي
والدكم ، الذي أتوسل به إليكم وإلهم ، فقد كان يتبنّى مولاي أبا الحجاج ، ويشمله
بكنفه ، وصارّخه بنفسه ، وأمده بأمواله ، ثم صير الله ملكه إليكم ، وأنتم من [١٨٧]
أتم ذاتا وقبيلا ، فقد قرّت يا مولاي عين العبد بما رأت في هذا الوطن المراكشي ،
من وفور حشودكم ، وكثرة جنودكم ، وترادف أموالكم وعددكم ، زادكم الله من
فضله . ولا شك عند عاقل ، أنكم إن انحلت عمروة تأميلكم ، وأعرضتم عن ذلك
الوطن ، استولت عليه يد عدوه ، وقد علّم تطارحي بين الملوك الكرام ، الذين
خضعت لهم التيجان ، وتعلّق بثوب الملك الصالح ، والد الملوك [الكرام] ^(١) ،
مولاي والدكم ، وشهرة حرمة شالة معروفة ، حاش الله أن يضيعها أهل الأندلس ،
وما تؤسّل إليهم قطّ بها إلا الآن ، وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة ،
وأملى منكم أن يتعين من بين أيديكم خديم ، بكتاب كريم ، يتضمن الشفاعة
في رد ما أخذ لي ، ويخبر بمشواى متراميا على قبر والدكم ، ويقرر ما لزمكم بسبب
هذا الترامى ، من الضرورة المهمة ، والوظيفة الكبيرة ، عليكم وعلى قبيلكم حيث
كانوا ، وتطلبون منهم عادة المكارمة بحل هذه العقدة ، ومن المعلوم أنى لو طلبت
بهذه الوسائل من طيب ^(٢) ما لم ، ما وسعهم بالنظر العقلى إلا حفظ هذا الوجه مع
هذا القبيل وهذا الوطن ، فالحياء والحشمة يأتيان العذر عن هذا في كل ملة ونحلة ،
وإذا تم هذا الفرض ، ولا شك في إتمامه بالله ، تقع صدقتكم على القبر الكريم

(١) التكلّة عن السلاوى .

(٢) في ت : « صلب » .

بى ، وتعينوننى لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقدته ، ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المولد فى جواره ، وبين يديه ، وهو غرض غريب مناسب لبركم به ، إلى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعيا مثنيا ، مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذمتى بالأندلس ذمة بهذا الرباط المبارك ، يرثها ذريتى ، وقد ساومتُ فى شىء من ذلك ، منتظرا ثمنه ، مما يباع بالأندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم فى مثل هذا ، أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء ، والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل ، وانتطاعى أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدكم إلا عمل ما يليق بكم فيه ، وهأنا أرتقب جوابكم ، بما لى عندكم من القبول ، ويسعنى مجدكم فى الطلب ، وخروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض ، والله يطلع من مولاي على ما يليق به . والسلام .

وكتبه فى الحادى عشر من رجب ، عام أحد وستين وسبع مئة .

وفى مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة :

فابذل من البر المقدر فيكا	مولاي هاتنا في جوار أبيكا
والله يسمعك الذي يرضيكا	أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى
تهدى إليك النصر أو تهديكا	واجعل رضاه إذا نهدت كتيبة
وتطالع الفتح المبين وشيكا	واجبر لجبري قلبه تنل المنى
وأبيه فاشرع شرعه لبنيكا	فهو الذي من البرور بأمه
وبما تؤمل نياله يأتিকা	وابعث رسولك منذرا ومحذرا
وأخاف مملوكا به ومليكا	قد هز غزيمك كل قطر نازح
ففضونه نمر المني تجنيكا	فاذا سموت إلى مرام شاسع
لما جعلتك في الثواب شريكا	ضمنت رجال الله منك مطالي

فلئن كَفَيْتَ وُجُوهَهَا فِي مَقْصِدِي وَرَعَيْتَهَا بِرَكَاتِهَا تَكْفِيكَ
وَإِذَا قَضَيْتَ حَوَائِجِي وَأَرَيْتَنِي أُمِّلِي فَرْبِكَ مَا أَرَدْتَ يَرِيكَ
وَاشْدُدْ عَلَى قَوْلِي يَدَا فُهِوِّ الَّذِي بَرَهَانَهُ لَا يَقْبَلُ التَّشْكِيكَ
مَوْلَايَ مَا اسْتَأْثَرْتَ عَنْكَ بِمُهْجَتِي أَنِّي وَمُهْجَتِي الَّتِي تَقْدِيكَ
لَكِنْ رَأَيْتَ جَنَابَ شَالَةِ مَغْنَمَا يُضْفِي عَلَى الْعَزِّ فِي نَادِيكَ
وَفَرُوضِ حَقِّكَ لَا تَقُوتُ فَوْقَهَا بَاقٍ إِذَا اسْتَجَزَيْتَهُ يَجْزِيكَ
وَوَعْدَتِي وَتَكَرَّرَ الْوَعْدَ الَّذِي أَبْتَ الْمَكَارِمَ أَنْ يَكُونَ أَفِيكَ
أَضْفِي عَلَيْكَ اللَّهُ سِتْرَ عَنَايَةِ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ الطَّرِيقُ يَفِيكَ
بِبِقَائِكَ الدُّنْيَا تُحَاطُ وَأَهْلُهَا فَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يُبْقِيكَ

رد السلطان
أبي سالم على
ابن الخطيب

ولما وصل هذا السلطان أبا سالم رحمه الله راجعه بما نصحه ، بعد البسملة [١٨٩] والصلاة :

من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ،
ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، [أبي الحسن ، ابن مولانا
أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين] ^(١) أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين
المجاهد في سبيل رب العالمين يرسف بن يعقوب بن عبد الحق ، أيد الله أمره ،
وأعز نصره ، إلى الشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأخطى ، الأوجه الأنوه ،
الصدر الأحفل ، المصنف البليغ ، الأعرف الأكمل ، أبي عبد الله ابن الشيخ
الأجل الأعز الأسنى ، الوزير الأرفع الأنجد ، الأصيل الأكمل ، المرحوم المبرور
أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله عزته ، ووالى نعمته ^(٢) .

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت وعن السلاوى .

(٢) في ت : « رفته » .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الكريم المصطفى ، والرضا عن آله وصحبه أعلام الإسلام ، وأئمة الرشد والهدى ، وصلة الدعاء لهذا الأمر العلى العزيز المنصور المستعنى ، بالنصر الأعز ، والفتح الأسنى .

فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم بلوغ الأمل ، ونُجَح القول والعمل ، من منزلنا الأسعد ، بصفة وادى ملويه ، يمنه الله ، وصنع الله جميل ، ومنه جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المُتَكَفِّلَة^(١) برعى الوسائل ، ذلك لما تميزتم به من التمسك بالجنب العلى المولوى العلوى ، جدد الله عليه ملابس غفرانه ، وسقاء غيوث رحمته وحنانه ، وبما أهديتم إلينا ، من التقرب لدينا ، بخدمة ثراه الطاهر ، والاشتغال بمطارف حُرْمته السامية المظاهر ، وإلى هذا وصل الله حظوتكم ، وإلى رفعتكم ، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل بالإسعاف المستعذب وردّه ، فوقفنا على ما نصّه ، واستوفينا ما شرحه وقصّه ، فأثرنا حسن تلطّفكم فى التوسل بأكبر الوسائل إلينا ، ورعينا أكل الرعاية حق ذلكم الجنب العزيز علينا ، وفى الحين^(٢) عَيَّنَّا لكمال مطلبكم ، ونعام مأربكم ، والتوجه بخطابنا فى حقكم ، والاعتمال بوفقكم ، خديمينا أبا البقاء بن تاشكورت ، وأبا زكرياء بن فراقجة ، أنجدهما الله وتولاها ، وأمسي تاريخه انفصلا مودعين إلى الغرض المعلوم ، بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذى يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسطوا له جملة آمالكم ، وإنا لندرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم ، وبره اعتلالكم ، والله سبحانه يصل

(١) فى ت : « المتكفلة » .

(٢) فى ت : « فى الحسن » ، وهو تحريف .

مبتركم ، ويتولى تكرمتم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب في الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبع مئة .

فراجعهم ابن الخطيب بما نصح :

رد ابن الخطيب
على السلطان أبي
سالم شاكرا

مولاي خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الأرض عن حجة ، ومعدن الشفقة والرحمة ، بيهان وحكمة ، أبقاكم الله على الدرجة في النعمين ، وافر الحظ عند جزاء المحسنين ، وأراكم ثمرة بر أبيكم في البنين ، وصنع لكم في عدوكم الصنع الذي لا يقف عند معتاد ، وأذاق العذاب الآليم من أراد في مثابكم بالحداد .

عبدكم الذي ملكتم رقه ، وآوئتم غربته ، وسترتم أهله وولده ، وأمنيتم رزقه ، وجبرتم قلبه ، يُقبل موطىء الأخص الكريم من رجلكم الطاهرة ، المستوجبة بفضل الله لموقف النصر ، الفارعة هضبة العز ، المعلة الخطو في مجال السعد^(١) ، ومسير^(٢) الحظ ، ابن الخطيب من شالة التي توكّد بملككم الرضى احترامها ،

وتجدد برعيكم عهدا ، واستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بحسناتكم نورها ، [١٩١]

وقد ورد على العبد الجواب المولوى ، البر الرحيم ، المنعم المحسن ، بما يليق بالملك الأصيل ، والقدرة الرفيع ، والهمة السامية ، والعزة القعساء ، من رعى الدخيل ، والنصرة^(٣) للذمام ، والاهتزاز^(٤) لبر الأب الكريم ، فثاب الرجاء ، وانبعث الأمل ، وقوى العُضد ، وزار اللطف ، فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة ، وأعانكم على رعى ذمام الصالحين ، المتوسّل إليكم أولا بقبورهم

(١) في ط : « السعة » .

(٢) كذا في السلاوى . ذا الأصلين : « وميسر » .

(٣) في ت : « والمرة » .

(٤) في ت : « والاعتزاز » .

ومتعبداتهم ، و تراب أجدانهم ، ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين ،
الذى تسبب فى وجودكم ، واختصكم بحبه ، وغمركم بلطفه وحنانه ، وعلمكم آداب
الشريعة ، وأورثكم ملك الدنيا ، وهياتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة ،
بعد طول المدى ، وانفساح البقاء ، وفى علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات
عن العرب ، من النصرة^(١) عن طائر داست أفرأخه ناقة فى جوار رئيس
منهم ، وما انتهى إليه الامتعاض لذلك ، مما أهنت فيه الأنفس ، وهلكت
الأموال ، وقُصارى من امتنع ذلك أن يكون كبعض خدامكم ، من
عرب تميمنا ، فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم [ابن الكريم]
فيمن لجأ أولاً إلى حاكم بالأهل والولد ، عن حسنة تبرعتم بها ، وصدقة حملتكم
الحرية على بذلها ، ثم فimen حطَّ رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم ،
دامع العين ، خافق القلب ، دامى القرحة^(٢) ، يتغطى بردائه ، ويستجير بعلبائه ،
كأننى تراميت عليه فى الحياة أمام الذعر الذى يُذهل العقل ، ويحجب عن
التمييز ، بقصر داره ، ومضجع رقاده ، ما من يوم إلا وأجهر بعد التلاوة :
يا ليعقوب ، يا لمَرن ، نسأل الله ألا يقطع عنى معروفكم ، ولا يسلبنى عنايتكم ،
ويستعملنى ما بقيت فى خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولحين وصول الجواب
الكريم ، نهضت إلى القبر المقدس ، ووضعته بإزائه ، وقلت : يا مولاي ، يا كبير
الملوك ، وخليفة الله ، وبركة بنى مَرن ، صاحب الشهرة والذكر فى المشرق
والغرب ، عبدك المنقطع إليك ، المترامى بين يدى قبرك ، المتوسل إلى الله ثم إلى
وليك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاة ولدك ما يليق بمقامه ، من رعى وجهك ،
[والتقرب إلى الله برَعيك] ، والاشتهار فى مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأنتم من

(١) كذا فى ط والسلاوى . وفى ت : « النمرة » .

(٢) فى السلاوى بدل هذه العبارة : « دامى القرعة » .

أتم ، من إذا صنع صنعة كملها ، وإذا بدأ مِنَّةَ تَمَّها ، وإذا أسدى يدا أبرزها
طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعدُ تحت ذيل حرمتك ،
وظل دخيلك ، حتى يتم أملى ، ويخلص قصدى ، وتحف نعمتك بى ، ويطمئن
إلى مأمك قلبى .

ثم قلت للطلبة : أيها السادة ، بينى وبينكم [تلاوة] كتاب الله منذ أيام ،
ومناسبة التَّحَلَّة ، وأخوة التألف بهذا الرِّبَاط المقدس ، والسكنى بين أظهركم ،
فأمَّنوا على دعائى بإخلاص من قلوبكم ، واندفعت فى الدعاء والتوسل ، الذى
نرجو أن يتقبله الله ولا يضيعه ، وخاطب العبد مولاه شاكرًا لنعمته ، مُشيدًا
بصنيعته ، مسرورًا بقبوله ، وشأنه من التعلق والتطarach شأنه ، حتى يكمل القصد ،
ويتم الغرض ، معصور الوقت بخدمة يرفعها ، ودعاء يردده ، والله المستعان .

وفى يوم الخميس سابع عشر من شعبان ، من العام المؤرخ ، ورد كتاب فتح
تَلِسان ، فأصدر ابن الخطيب إلى باب السلطان أبى سالم ما نصه :

تهنئته للسلطان
أبى سالم
بفتح تلسان

مولای فِتَاح الأقطار والأمصار ، فائدة الزمان والأعصار ، أثير هبات الله
الآمنة مِنَ الاعتصار ، قدوة أولى الأيدى والأبصار ، ناصر الحق عند قعود
الأنصار ، وهى طويِّلة ، انظرها فى الرياحنة ، وبعدها قصيدة بديعة مطلعها :

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى وقد لهجت نفسى بفتح تلسان

ومن مخاطباته للحاجب ابن مرزوق .

من مخاطباته
لابن مرزوق

سيدى ، بل مالكى ، بل شافى ، ومنشلى من الهفوة ، ورافى وعاصمى
عند نجويد حروف الصنائع ، ونافى الذى بجاهه أجزأت المنازل قرأى ، وفضلت
أولأى ، والمنة لله أخراى ، وأصبحتُ وقول الحسن هجَّيرأى :

عَلِقْتُ بِحَبْلِ مَنْ حَبَالُ مُحَمَّدٍ أَمَنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ
تَفَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعِنِّي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي مَا دَرْتُ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفُنْ مَكَانِي

وصلت مكناسة ، حرسها الله تعالى ، تحت غيثٍ حَدَنَانِي حَدُونَدَاكَ ، وسحائب
لولا الخصال المبرة قُلْتُ يَدَاكَ ، وكأن الوطن لا غتباطه بجواري ، وما رآه من
انتياب زُوَّارِي ، أو غر إلى بهت يقطع الطريق ، وأطلق يده على التفريق ،
وأشراق القوافل مع كثرة الماء بالريق ، فلم يسع إلا المُقَامُ أَيَّامًا ، قُعودًا في البر
وقياما ، واختيارا لضروب الأنس واعتياما ، ورأيت بلدةً معارفها أعلام ،
وهواؤها برد وسلام ، ومحاسنها تعمل فيها ألسنة وأقلام ، فحيا الله سيدي ، فلکم
من فضل أفاد ، وأنس أحياء وقد باد ، وحفظ منه على الأيام الذخر والعتاد ، كما
مَلَّكَه زِمَامُ الْكَمَالِ فَاقْتَادَ ، وأنا أنطرح عليه في صلة تفقده ، وموالاة يده ، بأن [١٩٤]
يسهمني في فرض مخاطباته مهما خاطب ، معتبرا في هذه الجهات ، ويصحبني من
مناصحته بكثوس مسرة ، يعمل فيها هاك وهات ، فالعز بعزه معقود ، والسعد بوجوده
موجود ، ومتهل السرور بسروره مورود ، والله عز وجل يبقيه ببقاء الدهر ،
[ويجمل حبه وظيفه السر ، وحده وظيفه الجهر ، ويحفظ على الأيام من زمنه
زين الدهر] ويصل لنا تحت إياته العام بالعام والشهر بالشهر ، آمين آمين . انتهى .
وقال رحمه الله :

حضرت يوما بين يدي السلطان أبي عنان في بعض وفاداتي عليه ، لغرض
الرسالة ، وجري ذكر بعض أعدائه ، فقلت ما اعتقدت في اطراء ذلك العدو ،
وما عرفته من فضله ، وأنكر على بعض الحاضرين ، ممن لا يحطِبُ إلا في حبل
السلطان ، فصرفت وجهي وقلت : أيديكم الله ! تحمير عدو السلطان بين يديه

شيء من صراحة
ابن الخطيب في
مجلس السلطان
أبي عنان

ليس من السيادة في شيء ، بل غير ذلك أحق وأولى ، فإن كان السلطان غالبا
عدوه كان قد غلب غير حقير ، وهو الأولى بفخره ، وجلالة قدره ، وإن غلبه
العدو لم يغلبه حقير ، فيكون أشد للحسرة ، وأؤكد للفضيحة . فوافق رحمه الله
على ذلك ، واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعارض . انتهى .

ومن نظمه رحمه الله :

شعر له في
مكناسة

مِكنَاسَةٌ جُمِعَتْ بِهَا زُمَرُ الْعِدَا فَدَى بَرِيدٍ فِيهِ أَلْفُ بَرِيدٍ
مَنْ وَاصِلٍ لِلصَّوْمِ لَا لِرِيَاضَةٍ أَوْ مَدْمَنٍ لِلْجُوعِ غَيْرِ مُرِيدٍ
فَإِذَا سَلَكَتْ طَرِيقَهَا مَتَّصِفَا فَابْنُ السُّلُوكِ بِهَا عَلَى التَّجْرِيدِ

ولما دخل رحمه الله مدينة آتني ، ومر منها على دار عظيمة ، تنسب إلى والي
جبايتها « عبو » من بني الترحمان ، قارون قومه ، وغنى صنفه ، قال :

شعر له في
مدينة آتني

قَدْ مَرَرْنَا بِدَارِ « عَبُو » الْوَالِي وَهِيَ تَكَلَّى تَشْكُو صُرُوفَ اللَّيَالِي
أَقْصَدْتُ رَبَّهَا الْحَوَادِثَ لَمَّا رَشَقَتْهُ بِصَائِبَاتِ نِبَالٍ
كَانَ بِالْأَمْسِ وَالْيَا مُسْتَطِيلَا وَهُوَ الْيَوْمَ مَا لَهُ مِنْ وَالٍ

ومن نظمه رحمه الله في الشيخ ابن بطان الصنهاجي :

شعر له في
ابن بطان

للهِ دَرْكٌ يَا ابْنَ بَطَانَ فَا لَشَهِيرٍ جُودُكَ فِي الْبَسِيطَةِ جَا حِدٍ
إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَاحِدٌ يَزِنُ الْجَمِيعَ فَأَنْتَ ذَاكَ الْوَاحِدُ
أَجْرَيْتَ فَضْلَكَ جَعْفَرًا يَحْيَا بِهِ مَا كَانَ مِنْ مَجْدٍ فَذَكَرَكَ خَالِدُ
فَالْقَوْمُ مِنْكَ تَجْمَعُوا فِي مُفْرَدٍ وَلَدَ كَمَا شَاءَ الْعِلَاءُ وَوَالِدُ
وَهِيَ اللَّيَالِي لَا تَزَالُ صُرُوفَهَا يَشْتَقِي بِمَوْقِعِهَا الْكَرِيمَ الْمَاجِدُ
وَبِمُسْتَعِينَ اللَّهِ يَصْلَحُ مِنْكَ مَا قَدْ كَانَ أَفْسَدَهُ الزَّمَانُ الْفَاسِدُ

وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

شعر له
في البرغوث

زَحَفْتُ إِلَى رَكَائِبِ الْبُرْغُوثِ نَمَّ الظَّلَامُ بِرَكْبِهَا الْخَثُوثِ
بِالْحَبَةِ السُّودَاءِ قَابِلٍ مَقْدَمِي اللَّهُ أَيُّ قِرْنِي أَعَدَّ خَبِيثِ
كَسَحَتْ بَيْنَ ذَابَابِ سِرْحٍ تَجَلْدِي ^(١) لَيْلًا فَحَبَلُ الصَّبْرِ جِدُّ رَثِيثِ
إِنْ صَابَرْتَ نَفْسِي أَذَاهُ تَعَبَدْتُ أَوْ صَحَّتْ مِنْهُ أُنْتُتْ مِنْ تَحْنِيثِ
جَيْشَانِ مِنْ لَيْلٍ وَبُرْغُوثِ فَهَلْ جَيْشُ الصَّبَاحِ لَصَرَخَتِي بِمُغِيثِ

[ومن نظمه رحمه الله في عثمان بن يحيى بن عمر بن روح :

شعر له
في ابن روح

أَسْمِي ذِي النُّورَيْنِ وَجْهُكَ فِي الْوَعْيِ شَمْسُ الضُّحَى حَلَّتْ بِلَيْثِ عَرِينِ
إِنْ تَفْتَخِرَ بِمَرِّينَ أَرْضُ الْمُدَوَّةِ الْقُصُوفِ فَإِنَّكَ أَنْتَ نَفْرَ مَرِّينَ ^(٢)

وقال يخاطب والي محمد بن حشون بن أبي العلاء ، وصدر بها رسالة :
لَمْ يَبْقَ لِي جُودُ الْوَلَايَةِ ^(٣) حَاجَةً فِي الْأَمْنِ أَوْ فِي الْجَاهِ أَوْ فِي الْمَالِ
بَعْدَ الْلِقَاءِ أُولُو الْفَضَائِلِ بَغِيثِي وَرَأَيْتُ هَذَا الْقَصْدَ شَرْطَ كَمَالِ
أَجَلْتَهُ وَتَشَوَّفْتُ لِبَيَانِهِ هِمَمٌ فَكُنْتُ مَفْسِرَ الْإِجْمَالِ
وَخَصَصْتُ بِالْإِنْعَاءِ غَيْرَكَ غَيْرَةً وَجَعَلْتُ ذِكْرَكَ شَاهِدَ الْأَعْمَالِ
أَلَيْسَتْ ^(٤) يَا بَنَ أَبِي الْعَلَاءِ قُشْبُ الْمَلَأِ وَتَرَكْتُ أَهْلَ الْأَرْضِ فِي أَهْمَالِ
إِنْ دَوَّنَ الْفُضْلَاءُ فَضْلًا مُنْعَمًا فَلَقَدْ أَتَيْتَ عَلَيْهِ بِالْإِكْمَالِ
تُنَنِّي عَلَيْكَ رَعِيَّةً آمَالَهَا فِي أَنْ تَقُوزَ يَدَاكَ بِالْأَمَالِ

شعر له صدر
به رسالته إلى
ابن حشون

(١) كذا في نفع الطيب والصلاح . وفي الأصلين : « به ديباج » . وهو محرف
مما أُمْتُتَ .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٣) في الأصلين : « الخلافة » . وقد أُمْتُتَنا رواية نفع الطيب للملاء منها السياق .

(٤) في نفع الطيب : « أليست » .

أَرْعَيْتَهَا هَمًّا فَلَمْ يَطْرُقْ لَهَا بِمَنْعِ سُورِكَ طَارِقُ الْإِهْمَالِ
 مِنْ كُنْتَ وَإِلَيْهِ تَوَلَّيْتَهُ الْعَمَلَا وَمِنْ اطَّرَحْتَ فَالَهُ مِنْ وَالِي
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ وَقُوفِهِ عَلَى مَرَاكَشٍ ، وَاعْتَبَارِهِ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا^(١) :

شعر له في نذب
 مراکش بعد
 الموحدين

[١٩٦]

بَلَدٌ قَدْ غَرَاهُ صَرْفُ اللَّيَالِي وَأَبَاحَ الْمُصُونِ مِنْهُ مُبِيحُ
 فَالَّذِي خَرَّ مِنْ بِنَاءِ قَتِيلٍ وَالَّذِي خَرَّ مِنْهُ بَعْضُ جَرِيحِ
 وَكَأَنَّ الَّذِي يَزُورُ طَبِيبُ قَدْ تَأَنَّى لَهُ بِهَا التَّشْرِيحِ
 أُعْجِمْتَ مِنْهُ أَرْبُعَ وَرُسُومٍ كَانَ قَدْ مَّا بِهَا اللِّسَانُ النَّصِيحِ
 كَمْ مَعَانٍ غَابَتْ بِتِلْكَ الْمَعَانِي وَجَمَالٍ أَخْفَاهُ ذَاكَ الضَّرِيحِ
 وَمُلُوكٍ تَعَبَّدُوا الدَّهْرَ لَمَّا أَصْبَحَ الدَّهْرُ وَهُوَ عَبْدٌ صَرِيحِ
 دَوَّخُوا نَازِحَ الْبَسِيطَةِ حَتَّى قَالَ مَا شَاءَ ذَا بِلِ وَصَفِيحِ
 حَيْثُ^(٢) شُبَّتْ لَهُمُ مِنَ الْبَاسِ نَارٍ ثَمَّ هَبَّتْ لَهُمُ مِنَ النَّصْرِ رِيحِ
 أَثَرُ يَنْدُبُ الْمُؤَثِّرَ لَمَّا طَالَ^(٣) بَعْدَ الدَّوْرِ مِنْهُ التُّزُوجِ
 سَاكِنُ الدَّارِ رُوحَهَا كَيْفَ يَبْقَى جَسَدٌ بَعْدَ مَا تَوَلَّى الرُّوحِ

وَقَالَ يَخَاطَبُ عَمِيدَ مَرَاكَشٍ^(٤) ، الْمُتَمَيِّزُ بِالرَّأْيِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْهَمَّةِ ، وَإِفَاضَةِ
 الْعَدْلِ ، وَكَفِّ الْيَدِ ، وَالتَّجَافِي عَنْ مَالِ الْجَبَايَةِ ، عَامِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْهَنْتَانِي :

شعر له يخاطبه
 عامر الهنتاني

تَقُولُ لِي الْأَطْعَانُ وَالشُّوقُ فِي الْحَشَى لَهُ الْحُكْمُ يَمْضِي بَيْنَ نَائِهِ وَأَمْرِ
 إِذَا جَبَلَ التَّوْحِيدَ أَصْبَحَتْ فَارَعَا نَفِيمٌ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي دَارِ عَامِرِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْدِينَ فِي نَفْحِ الطَّيْبِ . وَفِي السَّلَاوِي زِيَادَةٌ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ يَتَصَحَّحُ بِهَا
 الْمَقَامُ ، قَالَ : « وَلَا وَقَفَ عَلَى مَصَانِعِ مَرَاكَشٍ وَقُصُورِهَا وَقَصَبَتِهَا وَاعْتَبَرَ
 مَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا بَعْدَ الْمَوْحِدِينَ قَالَ » .

(٢) فِي ط : « حِينَ » .

(٣) فِي ط : « كَانَ » .

(٤) فِي السَّلَاوِي : « عَمِيدُ الْبِلَادِ الْمَرَاكِشِيَّةِ » .

وَزُرْ تربة المعلوم إن مزارها هو الحج يُفَضِّي نَحْوَهُ كُلُّ ضَامِرٍ
سَتَلْقَى بِمَثْوَى عامر بن محمد ثغور الأمانى من ثنايا البشائر
ولله ما تبلوه من سعد وجهه ولله ما تلقاه من يُمن طائر
وَتُسْتَعْمَلُ الأمثال في الدهر منكما بخير مَرُور أو بأعبط زائر

تسريف
بعامر المتتاني

أقول : عامر بن محمد هذا ، هو قَرِيع ^(١) هَنْتَاتَة ، وكانت له مع أبي الحسن
القريني في الوفاء أحاديث ، صحَّحت عند أبي عِنان وغيره مُتاتَه ، ولم يزل في رياسته
مدة أبي عِنان ومَن بعده من ملوك بني مَرين ، إلى زمن أبي فارس عبد العزيز
ابن أبي الحسن ، فنازله بجنوده ، وحاصره بمعتقله ، حتى استولى عليه وقتله .
وقد ساق أمره ابنُ خَلدون واستوفاه ، ومنعني من الإتيان به ما حصل
من التطويل في هذه الترجمة ، وقد أشار إليه ابن الأحرر في « تثير فرائد الجُنان »
عند ما ذكر الشريف الشبوكي ، ونصه :

شيء من الشريف
الشبوكي

« صاحبنا الفقيه ، محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف ، يُكْنَى أبا
عبد الله ، ويعرف بالشبوكي ، رأيتُه وصحبته ، ونسبته حسبا ثقلته من خطه على
متن كتاب ، وأخبرني هو به ، وسمعته أيضا بفاس ، من بعض الناس ، وهو محمد
ابن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمران بن عبد الرحيم بن نوح بن
شعيب بن علي بن أبي محمد بن حَيَّان بن فضل بن طاهر بن مطهر بن حود بن زياد
ابن محمد بن الحسن ^(٢) بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، ويعرف بالشبوكي .
وشبوكة : قرية بينها وبين مدينة فاس ثلاثة أميال ^(٣) ؛ وأخبرني أن جده عبد الرحيم

[١٩٧]

(١) القرية : السيد الرئيس .

(٢) في ط : « الحسين » .

(٣) في ت : « أيام » .

أتى من المشرق إلى المغرب ، واستوطن بشبوكة ، وهو شريف ؛ ويوسف أبوه كان رحمه الله جميل الوجه جدا ، شاعرا مجيدا فقيها ، وبرّز عدّلا في سِمَاط شهود فاس ، واستخدمه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عِنان المريني شاهدا في دار صناعته ؛ وأحمد والد يوسف كان فقيها صوفيا ؛ ومحمد والد أحمد كان فقيها صالحا ؛ ويوسف والد محمد كان فقيها عالما صالحا مكاشفا مجاب الدعوة ، من أهل الطبقة العليا في الصلاح ؛ وأبو عبد الله هذا كتب الوثيقة بشهود فاس .

شعر للشبوكي في مدح أبي فارس والتعريض على الهنتاني

هاله أكرم الله : هو فارس القريض ، وحامل لوانه الطويل العريض ، وله وجه وسيم ، وحياء جسيم ، وسموّ همته لم يبلغها إنسان ، ولم يُسمع بمثله في سالف الأزمان ، ويؤثر غمرة نفسه على هواه ، ويختار مَنيع السمو على ماسواه ، وأنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المريني ، بعد قتله لوزيره المتغلب على أمره ، عمر بن عبد الله بن علي الياباني ، ويحرضه على قتال الشيخ [١٩٨] أبي ثابت عامر بن محمد بن علي الهنتاني ، صاحب جبل هنتانة ، من حوز مراکش ، حين خرج عليه به ، بالسلطان المعتمد على الله أبي الفضل محمد بن أخى السلطان عبد العزيز هذا :

أَبَانٌ فِي حَبِّهِ مَا قَالَ عَاذِلُهُ	دَمْعٌ جَرَى فَوْقَ صَفْحِ الْخَدِّ هَامِلُهُ
فَبَاتَ مِنْ وَطْأَةِ التَّفْرِيقِ ذَا وَجَلٍ ^(١)	يَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ عَوْنًا وَهُوَ خَاذِلُهُ
صَبَّ إِذَا مَا بَدَأَ بِالرَّقَّتَيْنِ لَهُ	وَمِيزُ بَرْقِ الْجَمِيِّ هَاجَتَ بِلَابِلُهُ
يَبْكِي لِمَنْزِلِ أَنْسٍ بَانَ آهْلُهُ	وَضَاعَنَ عَنْهُ قَدْ شَطَّتْ مَنْزِلُهُ
يَا حَسَنَ عَصْرِ بِهِمْ قَضَيْتَهُ زَمَنًا	رَقَّتْ حَوَاشِيهِ إِذْ رَقَّتْ أَصَانِلُهُ

كأن صوبَ دموعي بعد بُعْدِهِمْ سببَ الملِكِ إذا واقاه سائلُهُ
 عبدَ العزيزِ الذي عززت بدولته مراتبَ الحقِّ والتأخت دلائله
 وأصبحَ الملكُ في أمنٍ وفي دَعَاةٍ منَ الذي كان غالتَه غوائله
 عادت بِعِيْدِ لَنَا منه نَصَارَتَه فعاد يافعه واشتد كاهله
 كالروضِ باكرَه طَلَّ على ظمأ وجادَه بمد ذاك الطلَّ وابله
 هو الإمامُ الذي من أمِّ ساحتَه جادت عليه بجذواها أنامله
 ومن تخلفَ جهلا عن إجابته سارت إليه على علم صواهله
 قُلْ للذي عنه أقصته جرائمه وعَقَلته عن العليا معاقله
 زُرْ حضرةَ الملكِ الميمون طالعُه تَخْط بما أنت في دنياك آمله
 فطَبَّعه الصفح والمعروف شيمته والحِلْم والصَّوْن والتقوى شمائله
 أبلغَ جميعَ العدا أن سوف يشملهم من الظُّبَى كلُّ ماضى الحد فاصله
 هذا الملكُ أتاها في كتابه لنَسْخِ آجالهم تُنْقِى رَواحله
 بكل خِرْقٍ طويلِ الباع مُتَّئِد مقصَّرَ عمرٍ من تلقى مناصله ^(١)
 وجحفلٍ فيه ثمر الخط مُشْرَعَةٌ قد حَجَّبت أنجمَ الشَّعْرِى قَساطله
 سيعلمُ الغمرُ عُقْبَى ما جنَّاه إذا كَلَّت مواضيه وانقضت كلاله
 وحاطَ بالجليلِ البحرَ المحيط ولا حت فوق أروُسهم منه جداوله
 فانهض إليهم أميرَ المسلمين فقد أُعْطيت كلُّ المُنى فيما تحاوله
 من ذا يُنْازلُ جيشًا أنت قائده يومَ الكريهة أو من ذا يُناضله

[١٩٩]

(١) المناصل : السيوف ؛ الواحد : متصل (بضم الميم وسكون النون مع ضم الصاد وفتحها) .

ألا ترى المارق الرّعديد حين عتا وأضمر المكر صادته حباله
ظنّ الضنين بأن يسمو ويعلو في دنيا سمّت وعلت فيها بواطله
فغادرته الصّعاد الزُّرق منجدلاً فوق الصّعيد تُناديه جنادله
دنياه تضحك من أحواله عجبا به وفي الحى تبكيه أرامله
فليهنّ دين الهدى من بعد مدته أن أنت يا ذا المُحيّا الطّلق كافله
لم ينتصب قطّ في الدنيا لواء علّا إلّا ومن آل عبد الحقّ حامله
مولاي مولاي دُم ماعشت مُسطحبا علّا ونفرا وعزّا لا تزايله
إن سار جيشك فالتأييد يقدّمه والنصر عاجله يقفوه آجله
اتمى كلام ابن الأحمر .

وأقارب هذا الشريف الشبوكي لم يزالوا إلى الآن ، ولم مصاهرة مع ولينا
الفيقه المحدث ، الحاج الرّحال البركة ، القدوة الصالح الناصح ، أبي عبد الله سيدي
محمد بن الولي الصالح سيدي أبي بكر بن محمد ، صاحب الدّلا^(١) ، أبقى الله علام ،
وأعانهم على ما أولام .

ولنرجع إلى ابن الخطيب فنقول :

وقال رحمه الله ، وقد شاهد بجبل هنتاته محل وفاة السلطان أبي الحسن
المريني ، حيث أصابه طارق الأجل ، الذي فصل الخطّة ، وأصمت الدّعوة ،
ورفع المنازعة ، وعايته مرّفها^(٢) عن الابتذال بالسكنى ، مفترّشا بالحصباء ،
مقصودا بالابتهال والدعاء ، فلم يبرح يوم زيارة محل وفاته أن قال :

شعرابن الخطيب
على قبر السلطان
أبي الحسن المريني

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصلين ، ولم تفهم المراد منها ، ولم نعتز على مرجع

آخر لهذا الكلام المنقول عن ابن الأحمر ، لتعارض به هذا النص .

(٢) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « مرّفا » .

يا حسنًا من أزيغ وديار أفتح لباعى الأمن دار قرار
وجبال غمر لا تذلل أنوفها إلا لعز الواحد القهار
ومقر^(١) توحيد وأس خلافة آثارها تنبئ عن الأخبار
ما كنت أحسب أن أنهار الندى تجرى بها فى جملة الأنهار
ما كنت أحسب أن أنوار الحجا تلتاح فى قنن وفى أحجار
مجت جوانبها البرود وإن تكن شبت بها الأعداء جذوة نار
هدت بناها فى سبيل وفائها فكانتها صرعى بغير عقار
لما توعدّها على المجد العدا رضيت ببيت النار لا بالعار
عمرت بحجة^(٢) عامر وأغزها عبد العزيز بمهف بتار
قرسار هان أحرزا قصب الندى والبأس فى طلق وفى مضمار
ورثا عن النذب الكبير أيهما محض الوفاء ورفعة المقدار^(٣)
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة بالأصل فى ورق وفى أثمار
أزرت وجوه الصيد من هنتاة فى جوّها بمطالع الأقمار
لله أى قبيلة تركت لها النظراء دغوى الفخر يوم نغار
نصرت أمير المسلمين^(٤) وملكه قد أسلمته عزائم الأنصار
وارت عليًا عندما ذهب الردى والروع بالأسماع والأبصار
وتخاذل الجيش اللهم وأصبح الأبطال بين تقاعد وفرار

[٢٠٠]

(١) فى ط : « محل » .
(٢) كذا فى فتح الطب . وفى الأصلين والسلاوى : « مجلة » . ويريد بياضه :
عامر بن محمد الهنتانى .
(٣) كذا فى ط وفتح الطب . وفى ت : « الأقدار » .
(٤) فى ط : « المؤمنين » .

كُفِرَتْ صَنَائِعُهُ فِيمَ دَارِهَا مُسْتَظْهِرًا مِنْهَا بِمِزْجِ جَوَارِ
وَأَقَامَ بَيْنَ ظَهْوَرِهَا لَا يَتَقَى وَقَعَ الرَّدَى وَقَدْ ارْتَمَى بِشَرَارِ
فَكَانَهَا الْأَنْصَارُ لَنَا آنَسَتْ فِيمَا تَقَادَمَ ^(١) غُرْبَةُ الْخِتَارِ
لِمَا غَدَا لِحَظًا وَهُمْ أَجْفَانُهُ نَابَتْ شِفَارُهُمْ عَنِ الْأَشْفَارِ
حَتَّى دَعَاهُ اللَّهُ بَيْنَ بَيوتِهِمْ فَأَجَابَ مُتَمَثِّلًا لِأَمْرِ الْبَارِ
لَوْ كَانَ يُمْنَعُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مَا خَلَصَتْ إِلَيْهِ نَوَافِذُ الْأَقْدَارِ
قَدْ كَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَكْفَى بَعْضُ مَا أَوْلَوْهُ لَوْلَا قَاطِعُ الْأَعْمَارِ
مَا كَانَ يَقْنَعُهُ لَوْ ائْتَدَى الْمَدَى إِلَّا الْقِيَامُ بِحَقِّهَا مِنْ دَارِ
فَيَعِيدُ ذَاكَ الْمَاءَ ذَائِبَ فِضَّةٍ وَيَعِيدُ ذَاكَ التُّرْبَ تَبَرُّ ^(٢) نَضَارِ
حَتَّى تَفُوزَ عَلَى النُّوَى أَوْطَانُهَا مِنْ مُلْكِهِ بِجَلَائِلِ الْأَوْطَارِ
حَتَّى يَلُوحَ عَلَى وُجُوهِ وَجُوهِهِمْ أَثَرُ الْعَنَاءِ سَاطِعِ الْأَنْوَارِ
وَيُسَوِّغُ الْأَمَلَ الْقَصَى كِرَامَتِهَا مِنْ غَيْرِ مَا تُثْنِي وَلَا اسْتِعْصَارِ ^(٣)
مَا كَانَ يَرْضَى الشَّمْسُ أَوْ بَدْرُ الدَّجَى عَنْ دِرْهِمٍ فِيهِمْ وَلَا دِينَارِ
أَوْ أَنْ يُتَوَجَّجَ أَوْ يَقْلُدَّ هَامَتِهَا وَنَحْوَرَهَا بِأَهْلَةٍ وَدَرَارِ
حَقٌّ عَلَى الْمَوْلَى ابْنِهِ ^(٤) إِشَارُ مَا بَذَلُوهُ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ إِشَارِ
فَلْتَلْهَا ذُخْرُ الْجَزَاءِ وَمِثْلُهُ مِنْ لَا يُضَيِّعُ صَنَائِعَ الْأَحْرَارِ
وَهُوَ الَّذِي يَقْضِي الدِّيُونَ وَبِرُّهُ يُرْضِيهِ فِي عِلَنٍ وَفِي إِسْرَارِ

(١) في ط وفتح الطيب : « تقدم » .

(٢) في نفع الطيب والسلاوى : « ذوب » .

(٣) الثنيا : الاستثناء . والاستعصار : استعمال من العسر بمعنى النع . ولم ترد صيغة

« استعمل » من العسر في المعاجم التي بأيدينا .

(٤) يريد بالمولى : ابنه السلطان أبا سالم بن أبي الحسن المريني .

حتى تُحَجَّجَ مَحَلَّةَ رَفَعُوا بِهَا عِلْمَ الْوَفَاءِ لِأَعْيُنِ النَّظَارِ
 فيصير منها البيتُ بيتاً ثانياً للطائفتين إليه أى يدار
 تغني قلوب القوم عن هدى به ودموعهم تكفى لرى جبار
 حَيْثُ من دار تكفل سعيها الم محمود بالزُّلْفَى وعُثْبَى الدار
 وَضَفَّتْ عَلَيْكَ مِنَ الْإِلَهِ عنايةً ما كَرَّ لَيْلُ فَيْكِ إثرَ نهار

شعر
 لابن الخطيب
 على قبر المعتمد

وقال رحمه الله ، حين زار بخارج أغمات قبر المعتمد بالله أبي القاسم
 ابن عَبَّاد ، أميرِ خَمَصٍ^(١) وقرطبة والجزيرة ، وما إلى ذلك الصُّقْعِ الغربى ،
 ونص كلامه الذى رتبته فى ذلك أنه قال :

وقفت على قبر المعتمد بالله بمدينة أغمات ، فى حركة راحة أعملتها إلى
 الجهات المراكشية ، باعثها لقاء الصالحين ، ومشاهدة الآثار عام واحد وستين
 وسبع مئة ، وهو بمقبرة أغمات ، فى نَشْرٍ من الأرض ، قد حَفَّتْ به سِدْرَةٌ ، وإلى
 جنبه قبر اعتماد حَفَّتِيته مولاة رَمِيكَ ، وعليهما هيئة^(٢) التَّغْرِبِ ، ومعاماة الحمول
 من بعد الملك ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما ، فأنشدت فى الحال :

قد زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعِ بَأْغَمَاتِ رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلَى الْمَهْمَاتِ
 لَمْ لَا أَزُورُكَ يَا أُنْدَى الْمُلُوكِ يَدَا وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالَى الْمَدْلَهْمَاتِ
 وَأَنْتَ مَنْ لَوْ تَخَطَّى الدَّهْرُ مَضْرَعَهُ إِلَى حَيَاتِي لَجَدْتُ فِيهِ أَيْيَاتِي
 أَنْافَ قَبْرُكَ فِي هَضْبٍ يَمِيزُهُ فَتَنْتَحِيهِ حَفِيَّاتُ التَّحِيَّاتِ
 كَرُمْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَاشْتَهَرْتَ عُلَا فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ

(١) يريد بحمص (هنا) : مدينة إشبيلية بالأندلس ، لأن العرب الذين نزلوها عند الفتح

أسموها باسم بلدكم فى الشرق .

(٢) فى نفع الطيب : « أثر » .

مارى^(١) مثلك في ماضٍ، ومُعتقدي أن لا يُرى الدهر في حالٍ ولا آتي

وقال رحمه الله مخاطباً أحمد بن يوسف حفيد الولي الصالح سيدي أبي محمد صالح النائم في ظل صيته ، رحمه الله :

شعر له
في مخاطبة
ابن يوسف

يا حفيد الولي يا وارث الفخر الذي نال في مقال^(٢) وحال

لك يا أحمد بن يوسف جُبنا كل قفر^(٣) يعي أكف الرحال

ولما خرج رحمه الله من آسنى^(٤) سار إلى منزل ينسب لأبي خدو^(٥) ؛ فيه [٢٠٢]

رجل من بني المنسوب إليه ، اسمه يعقوب ، قال في نقاضة الجراب ، فألطف وأجزل وآنس في الليل ، وطلبنى بتذكرة تثبت عندي معرفته ، فكتبت له :

نزلنا على يعقوب نجل أبي خدو فررنا الفضل الذي ماله حد

وقابلنا بالبشر واحتفل القرى فلم يبق لحم لم ننله ولا زبد

يحق علينا أن نقوم بحقه ويلقاه منا البر والشكر والحمد

وقال يخاطب السلطان :

وله في مخاطبة
السلطان

أنت للمسلمين خير عماد وملاذ وأنى حرز حرير

لو رأى ما شرعت للخلق فيه عمر الفاضل ابن عبد العزيز

لجزى ملكك المبارك خيرا وقضى بالشفوف^(٦) والتبريز

فاشكر الله ما استطعت بفعل وبقول مطول أو وجيز

(١) رى : أصله (رئ) بالبناء للمجهول ، قدمت اللام على العين .

(٢) في ت : « مقام » .

(٣) في نفع الطيب : « قطر » .

(٤) آسنى : من الثغور المراكشية .

(٥) في نفع الطيب : « خدو » .

(٦) يريد بالشفوف (هنا) : الزيادة .

كل ملك يرى بضخبة أهل العلم قد باء بالحل العزيز
فاذا ما ظفرت منهم باكسير ملأت البلاد من إبريز
والبرايا تبید والملك يفتى أين كسرى الملوك مع أبرويز

وله في مخاطبة
ابنه وقد وصل
لزيارته

وقال : أنشدت ابني عبد الله وقد وصل لزيارتي من الباب السلطاني ،
حيث [جرابته ووظيفته ، وانجر حديث] ^(١) ما فقد بفرناطة في شجون الكلام :

يا بني عـد الإله احتسابا عن أئاث ومنزل وعقار
كيف يأتى على خسارة جزء من يرى الكل في سبيل الخسار
هـدف لا تنى سهام الليالى عن سباق تجاهه ویدار
واحد طائش وثان مصيب ليس ينجي منها اشتال حذار
غير ذى الدار صرّف المم فيها ففناخ الرحيل لیس بدار
وقال : أنشدته وأمرته بحفظه ، والتأدب به ، واللّهج بحكمته :

إذا ذهبت يمينك لا تضيع زمانك في البكاء على المصيبة
ويسراك اغتتم فالقوس ترمى وما تدري أرشقتها قريبه
وما بغريبة نوب الليالى ولكن النجاة هي القريبه

[٢٠٣]

وقال رحمه الله :

يأهل هذا القطر ساعده القطر بليت فذلوني لمن يرفع الأمر
تشاغلتي بالدنيا ونمت مفرطا وفي شغلي أو نومتى سرق العمر

وقال رحمه الله :

مالى أهدب نفسى في مطالها والنفس تأنف تهذيب وتهذيبى

(١) ما بين القوسين تكملة عن ت .

إذا استعنت على دهرى بتجربة تأبى المقاديرُ تجربى وتجربى
وقال رحمه الله مَوْرِيَا حينَ أكل مُشْرِف الدار القابض^(١) ، أى أخذ ماله :
مُشْرِف دار الملك ما باله منتفخ الجوف شكا نافضا
قليل لى ليس به علة لكنه قد أكل القابضا
وقال رحمه الله :

وله فى مصرف
الدار حين أكل
القابض

يا نفس لا تصنى إلى سَلوة كم أخلف الموعدَ عُقوبُ
وأنت يا قلبى وَصَّاكَ إبراهيم بالحزن ويعقوب
قال : وقلت فى رأس القادر بالدولة حين عرض على :
فى غير حفظ الله مِنْ هامة هام بها الشيطان فى كل وادُ
ما تركتُ حمداً ولا رحمة فى فم إنسان ولا فى فؤادُ
وقال رحمه الله :

وله فى رأس
القادر بالدولة

يا كوكبَ الحسن يا معناه يا قرّة يا روضه المتناهى الزيّع يا ثمرّة
أمرتنى بِسُلُوْكِ عنك ممتنع مأمور حسنك لَمَّا يَقْضِ ما أمره
[وقال رحمه الله فى السعيد أبى بكر ابن السلطان أبى عنان :
أميراً كَأَن قُمَيْر الدجى أفاض الضياء على صفحتيه
تملاً قلبى من حبه غداة نظرت بعينى إليه
فلا بسط الدهر كَفَّ الردى لذلك الشَّخِصِ وذاك الوجْهِ]^(٢)

وله فى النزل

شعر له فى
السعيد أبى بكر

(١) القابض : من الألفاظ الأندلسية ، وهى هنا بمعنى المال المأخوذ .

(٢) ما بين القوسين ساقط فى ت .

وله في توديع
ابنه لما انصرف
عنه إلى قاس

وقال عند ما انصرف عنه ابنه إلى مدينة قاس ، لإقامة رسمه من الخلعة ،
قال : وأشجاني انصرافه لوقوع قرحه على قرح ، والمستعان الله :

بان^(١) يوم الخميس قرّة عيني حسبي الله أي موقف بين
لوجني موقف النوى حين حيّ حان يوم الوداع والله حين
ضايقني صروف هذى الليالي وأطالت همي وألوت بدني
وطن نازح وشمل شتيت كيف يبقى مُعذّب بين ذين ؟
يا إلهي أدرك بطفك ضعفي إن ما أشتكيه ليس بهين

[٢٠٤]

وله في السيادة
الخطيبية

قال : وخاطبت السيادة الخطيبية^(٢) مع طيفور طعام :

تعلّم طيفوري خلال سمّيه^(٣) وإن كان منسوباً إلى غير بسطام
وجاء فقير الوقت لابس خرقه فليس براض غير محبة صوام
فديتك لا تردده عنك مخيباً ودّرّسه يا مولاي قصة بلعام^(٤)

قال : وكتبت إلى السيادة الخطيبية ، ووصل ولدها إلى سلا ، ومنعني عن
لقائه عذر من مرض ، وكان نزوله بزاوية النساك :

صدّني عن لقاء نخلك عذر يمنع الجسم عن تمام العبادة
واختصرت القرى لأن حطّ رحلا في محل الغنى ودار الزّهاده

(١) في ت : « فات » .

(٢) يريد بالسيادة الخطيبية ، الخطيب ابن مرزوق حاجب الدولة الفرناطية .

(٣) طيفوري : يريد طبقاً عليه مأكول . وسميه : يريد به القطب طيفور بن عيسى
ابن سروشان ، المكنى بأبي يزيد البسطامي ، شيخ الصوفية ، وصاحب الأحوال
المفهورة . (انظر شرح القاموس) .

(٤) لعله يريد بلعام بن باعوراء من بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، وله قصة
مفهورة .

وَلَوْ أَنِّي احْتَفَلْتُ لَمْ يُعِنِ الدُّعَاءُ وَلَا نِلْتُ بَعْضَ بَعْضٍ أَرَادَهُ
وعلى كل حالة فقُصُورِي عادة إذ قُبُولُكَ العَذْرَ عَادَهُ
لا عَدَمَتِ الرِّضَا مِنْ اللَّهِ وَالْحُسْنَى كَمَا نَصَّ وَجْهِهِ وَالزِّيَادَةَ
وَقَالَ يَخَاطَبُهُ مِنْ ضَرِيحِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ بِشَالَةَ ، لَاسْتَهَاضَ غَرِيمَتَهُ
فِي قَضَاءِ غَرَضِهِ :

بَرِئْتُ اللَّهَ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ حَيْلِي
أَصْبَحْتُ مَالِي مِنْ عَطْفِ أَوَّلِهِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ أُزِمَّ بِقَاصِيَةِ
مِنْ بَعْدِ مَا خَلَصْتُ نَحْوَى الشَّفَاعَةِ مَا
إِنْ كُنْتُ لَسْتُ بِأَهْلٍ لِلَّذِي طَمَحْتُ
فَكَيْفَ يُلْغَى وَلَا تُرْعَى وَسِيلَتُهُ
مِنْ بَعْدِ مَا اشْتَهَرَتْ حَالِي بِهِ وَسَرَّتْ
وَالرَّسْلَ تَتَرَى وَلَا تَخْفَى نَتَائِجُهَا
وَلَا لِلْبَلَى مِنْ صُبْحِ أَطَالَعِهِ
لَوْ أَنَّنِي بَابِنِ مَرْزُوقٍ عَقَدْتُ يَدِي
لَكَانَ كَرْبِي قَدْ أَفْضَى إِلَى فَرْجٍ
أَلُمْتُ^(٢) بِالْعَتَبِ لَمْ أَحْذَرْ مَوَاقِعَهُ
وَلَسْتُ أَجْجِدُ مَا خُوِّلْتُ مِنْ نِعَمٍ
وَلَسْتُ أَيَّاسٌ مِنْ وَعْدٍ وَعِدْتُ بِهِ

إِنْ نَامَ عَنِّي وَرَيْتِي فَهُوَ خَيْرٌ وَلِي
مِنْ غَيْرِهِ فِي مُهْمَاتٍ وَلَا بَدَلٍ
لِلْمُهْجَرِ أَقْطَعُ فِيهَا جَانِبَ الْأَمَلِ
بَيْنَ الْفَلَاحِ^(١) وَالذَّجِي وَالْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
إِلَيْهِ نَفْسِي وَأَهْوَى نَحْوِهِ أُمْلِي
دَخِيلُ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ عَلِيٍّ
بِهَا الرِّكَائِبُ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ
عِنْدَ التَّأَمُّلِ مِنْ قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ
كَأَنَّ هَمِّي قَدْ مَدَّ الدُّجْنَ لِي
وَكَانَ مُحْتَكِمًا فِي خَيْرَةِ الدُّوَلِ
وَكَانَ حُرْفِي قَدْ أَوْفَى عَلَى جَذَلٍ
« أَنَا الْفَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ »
لَكِنَّمَا النَّفْسُ لَا تَنْفَكُ عَنْ أَمَلٍ
وَإِنَّمَا « خَلَقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ »

[٢٠٠]

(١) فِي تَفْهِيمِ الطَّبِيبِ : « الْفَلَاحُ » .

(٢) فِي تَفْهِيمِ الطَّبِيبِ : « أَلُمْتُ » .

وله في مخاطبة
السلطان
أبي الحجاج

وقال رحمه الله يخاطب السلطان أبا الحجاج :

أمولاي إن الشعر ديوان حكمة
وقد وجد المختار في الحفل منصتا
وفيا رواء الناقلون وأثبتوا
بأن أبا بكر خليفة الرضا
وأف عليا قدس الله جمعهم
لهم في ضروب القول إذ هم فحول
وفاض على أهل القريض نوالهم
وأنت أحق الناس أن تفعل التي
فما زلت تهدي في البرية هدية
وإن قيل قدر المرء ما هو محسن
وقال رحمه الله في فن التورية :

بنفسى حبيب في ثناياه « بارق »
إذا كان لي منه عن الوصل « حاجر »

وقال :

عذبت تلبى بالهوى قتيامه
ولقد عهدت القلب وهو موحد

قال في التجنيس :

وهو نك للود الذي جنباته
تداحت مياها وهمت بأن تهى

وله في التورية

وله في التجنيس

وقلتُ لهد الوصل والقرب بعد ما تنأى أأسلو عن حياتي^(١) وأنت هي
ومن شام من جو الشيببة بارقا ولم تنه عنه النهى كيف ينتهى ؟
وقال أيضاً :

ناديتُ دمعى إذ جذَّ الرحيلُ بهم والقلبُ من فَرَقِ التوديعِ قد وجبا
سَقَطَتْ يادمعُ من عيني غداة نأى عنى الحبيبُ ولم تقضِ الذى وجبا
وقال موزّياً :

كتبتُ بدمع عيني صفحَ خدّى وقد منَعَ الكرى هجرُ الخليل
ورابِ الحاضرين فقلت هذا كتاب « العين » ينسب لل خليل
وتذكرت بهذا قول الشيخ أبي حيان :

سبقَ الدمع بالمسير المطايا إذ نوى من أحب عني نُقله
وأجاد السطور في صفحة الخدِّ ولمْ لا يجيد وهو ابن مُقله
والبيتَ الثاني أردت ، ولكن ابن الخطيب قد قصد تورية أخرى لم يقصدها
أبو حيان ، وكلاهما قد أحسن في توريته .

وقال ابن الخطيب :

ولما رأت غزى حيثاً على الشرى وقد رابها صبرى على موقف البين
أنت بصحاح الجوهرى دموعها فعارضتُ من دمعى بمختصر العين
وقال أيضاً :

بحق ما بيننا يا ساكنى القصة رُدُّوا على حياتي ففى مفتصة
ماذا جنيتم على قلبى يبينكمُ وأتمُّ الأهلُ والأحباب والعصبة

(١) في فتح الطيب : « وهل أسلو حياتي » .

وله في التورية
أيضاً

من شعره

وقال عفا الله عنه :

مَضْجِي فِيكَ عَنْ قَتَادَةَ يَرَوِي وَرَوَى عَنْ أَبِي الزِّنَادِ فَوَادِي
وَكَذَا النُّومُ شَاعِرُ فِيكَ أَمْسَى مِنْ دُمُوعِي يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِي
وقال رحمه الله :

حِينَ سَارُوا عَنِّي وَقَدْ خَنَقْتَنِي عَبَّاتٌ قَدْ أَعْرَبَتْ عَنِّي وَلُوعِي
مَحَّتْ مِنْ يَنْصُرِ الْغَرِيبِ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ نَاصِرًا بَلَقَتْ دُمُوعِي
وقال عفا الله عنه :

قَالَ لِي وَالْدمُوعُ تَهَلَّلْتُ سُحْبًا فِي عِرَاضٍ^(١) مِنَ الْخُدُودِ مُحُولِ
بِكَ مَا بِي قُلْتَ مَوْلَايَ عَافَا لَكَ الْمَعَايَ مِنْ عَبْرَتِي وَنُحُولِ
أَنَا جَفَنِي الْقَرِيجُ يَرَوِي عَنِ الْأَعْمَشِ وَالْجَفْنُ مِنْكَ عَنْ مَكْحُولِ
وقال ، وقد جلس السلطان في يوم شديد البرد للسلام :

جَلَسَ الْمَوْلَى لِتَسْلِيمِ الْوَرَى وَلِفَصْلِ الْبَرْدِ فِي الْجَوِ احْتِكَامِ
فَإِذَا مَا سَأَلُوا عَنْ يَوْمِنَا قُلْتَ هَذَا الْيَوْمُ بَرْدٌ وَسَلَامٌ
وقال رحمه الله تعالى :

بِأَبِي بَدْرٍ^(٢) غَزَانِي مُسْتَبِيحًا سَرَحَ^(٣) صَدْرِي
فَأَنَا الْيَوْمَ شَهِيدُ الْحَبِّ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ

وقال :

أَشْكُو لِبَاسِهِ الْحَرِيقَ وَقَدْ حَمَى عَنِّي لَمَاءَ الشَّهْتَى وَرَحِيقَهُ
يَا رَيْقَهُ حَيَّرَنِي وَمَطَّلَتْنِي مَا أَنْتَ^(٤) إِلَّا بَارِدٌ يَا رَيْقَهُ

(١) كذا في الأصليين ونفع الطيب ، ونيل إلى أن هذه الكلمة محرفة عن «مراس»
بالصاد المهملة ، فهي أليق بهذا المقام .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصليين : «ظي» .

(٣) كذا في ت . والسرْح : فناء الدار . وفي ط : «صرح» . والصرح : القصر .

(٤) في ط : «ما كنت» .

أبيات له
في المحسنات
البدعية

وقال فيمن ركب البحر وماد :
ركب السفينة واستقلَّ بأفقها
فكأنما ركب الهلال الفرقدُ
لا غرو أن ماد القضيب الأملد
وشكوا إلى بئديهم فأجبتهم^(١)
وقال أيضاً :

يا مالكي بخللال تهدي إلى الفكر^(٢) خيرة
أضمرت قلبي نارا يا مالكُ بن نُؤيرة

وقال عند ما خرج السلطان ابن الأحمر من فاس متوجهاً إلى الأندلس
لطلب حقه :

ولما حثت السيرَ والله حاكم
حكى فيس الشطر نج طرْفك لا يرى
للكك في الدنيا بعزّ وفي الأخرى
يُنقل من بيضاء إلا إلى حمرا
وقال رحمه الله تعالى :

تمجلتُ وخط الشيب في زمن الصبا
فهما رأيتم شيبة في مفارق^(٣)
لخوضي غمارَ الهم في طلب المجد
فلا تنكروها إنها شيبة الحمد
وقال رضي الله عنه :

يا من تقلد للعلاء سلوكا
كاتبتي متفضلاً فلكتني
والفضلُ أضحي نهجُه مسلوكا
لا زلتُ منك مكاتباً مملوكا

(١) كذا ورد هذا الشطر في ط . وفي ت : « وشكا إلى بئديه فأجبتهم » ؛ وفي هج

الطيب : « وشكوا إليه بئديهم فأجبتهم » .

(٢) في نفح الطيب : « القلب » .

(٣) في نفح الطيب : « فوق مفارق » .

وقال عفا الله عنه :

أجاد براع الحسن خطَّ عِذارِهِ وأودَّعه السرَّ المصون الذي يَدْرِي
ولم يفتقر فيهِه نختم وطابع فبسمه أغناه عن طابع السر

وقال في رجل حلف وأقسم أنه ذو مال وأمانة ، وطلب من السلطان الخدمة :

[٢٠٨]

حلفتَ لهم بأنك ذو يسار وذو ثقة وبر في اليمين
ليستندوا إليك بحفظ مال فتأكل باليسار وباليمين

وقال في الفخر :

ما ضرني أن لم أكن ^(١) متقدما فالسبق يُعرف آخرَ المضمارِ
ولئن غدا رُبَّع البلاغة بلقعا فلربُّ كنزٍ في أساسِ جِدار

وقال في مديح السلطان أبي الحجاج :

في مصر قلبي من خزانِ يوسفٍ حَبَّ وعيرُ مدامحي تمتاره
حليت شعري باسمه فكأنه في كل قطر حَلَّه ديناره

وقال يخاطب ابنه السلطان أبا عبد الله :

قالوا لخدمته دعاك محمدٌ فكرهتها وزهدتُ في التنويه
فأجبتهم أنا والمهينِ كاره في خدمة المولى مُحِبَّ فيه

ومن قوله في غرناطة :

أحبُّك يامعنى ^(٢) الكمال بواجب ^(٣) وأقطع في أوصافك الفرَّ أوقاتي
تقسّم منك التربَّ قومي وجيرتي ففي الظَّهر أحيائي وفي البطن أمواتي

(١) كذا في الأصلين ؛ وفي نفع الطيب : « أن لم أحي » .

(٢) في نفع الطيب : « أحبك يامعنى » .

(٣) الواجب : القلب .

وقال في غرض ينحو به نحو المشاركة :

رَمَوْا بالسُّلُو حليف الغرامِ وأدمعه كالحيا الهاطلِ
أعوذُ بعزك يا سيدي لئلا من دعوة الباطلِ
وقال أيضاً :

يا ليل طُلْتَ ولم تجد بتبسمِ وأريتني خُلِقَ العَبوسُ النادمِ
هلاً رحمتَ تغرُّبِي وتفرِّقِي لله ما أقساك يا ابن الخادمِ

وقال في سكين الأضاحي للسلطان أبي الحجاج رحمه الله :

لى الفضلُ أن شاهدتني واختبرتني على كل مصقول الغرارين مُرْهَفِ
كفاني فخراً أن تراني قائماً بسنة إبراهيم في كف يوسف

وقال في مروحة سلطانية :

كأني قوس^(١) الشمس عند طلوعها وقد قَدِمْتُ من قبلها نَسْمَةُ الفجرِ
وإلا كما هبت بمُحْتَدِمِ الوغى بنصرٍ ولكن من بُنود بني نصر^(٢)

وقال مخاطب شيخه ابن الجياب :

بين السَّهام وبين كُتُبِكَ نسبة فيها يُصاب من العدو المَقْتُلُ
وإذا أردت لها زيادة نسبة هذي وهذي في الكِنانة تُجَعَلُ

وقال يتغزل ، وفيه معنى غريب :

إن اللَّحَاطِ هي السيوف حقيقة ومن استرابَ فحجتي تكفيه
لم يُدْعِ غمدُ السيف جَفَنًا باطلاً إلا لَشِبِهَ اللحظ يُعَمِّدُ فيه

قيل : وأحسن منه قول غيره :

إن العيون التُّنْجِلُ أمضى موقعا من كل هندى وكل يمانٍ

(١) في ت : « ظل » .

(٢) بنو نصر : هم بنو الأحمر ملوك غرناطة .

وله في سكين
الأضاحي

وله في مروحة
سلطانية

وله مخاطب
ابن الجياب

وله في الغزل

فضل العيون على السيوف بأنها^(١) قَتَلْتُ ولم تخرُج من الأجفان
وأصل ما قال ابن الخطيب قول الآخر :

بين السيوف وعينه مشاركة^(٢) من أجلها قيل للأعماد أجفانُ

وله في البراغيث
أيضا

وقال ابن الخطيب أيضا في البراغيث :

بِتْنَا نَكَابِدُ مَمَّ الْقَحْطُ لِيلَتْنَا وَأُنَجِدُ الشَّهْدَ وَالْكَرْبَ الْبِرَاغِيثَا^(٣)
وَكَاثُ يُحْمَلُ مَا كُنَّا نَكَابِدُهُ مِنْ الْمَشَقَّةِ لَوْ أَنَّ الْبِرَاغِيثَا^(٤)

وله في خالد البلوى

وقال في خالد البلوى صاحب الرحلة ، وقد استكثر من سرقة كتاب
« البرق الشامي » للعماد الأصهباني :

خَلِيلِي إِنْ يُلَفَّ اجْتِمَاعُ بِخَالِدٍ فَقُولَا لَهُ قُولَا وَلَنْ تَعْدُوا الْحَقَّا
سَرَقَتِ الْعِمَادُ الْأَصْهَبَانِيَّ بَرْقَهُ وَكَيْفَ تَرَى فِي شَاعِرِ سَرَقَ الْبِرْقَا؟
وقال في المنجاة :

وله في المنجاة

تَأْمَلِ الرَّمْلَ فِي الْمَنَاجِنِ مَنْقُطًا يَجْرِي وَقَدَّرَهُ عَمْرًا مِنْكَ مَنْتَهِيَا
وَاللَّهِ لَوْ كَانَ وَادِي الرَّمْلِ يُنْجِدُهُ مَا كَانَ^(٥) كَامِلُهُ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَا
وقال :

وله في النزل

أَقُولُ لِعَاذِلِي لِمَا نَهَاَنِي وَقَدْ وَجَدَ الْمَقَالَةَ إِذْ جَفَانِي
عَلِمْتُ بِأَنَّهُ مُرٌّ التَّجْنِي وَفَاتَكَ أَنَّهُ حُلُوُ اللِّسَانِ

(١) ق ت : « لأنها » .

(٢) في ط : « بين اللحاظ وعينه مناسبة » .

(٣) رواية هذا البيت في نفع الطيب :

بِتْنَا نَطَارِحُ مَمَّ الْقَحْطُ لِيلَتْنَا وَأَيَّدُ الْهَمَّ وَالسَّهْدَ الْبِرَاغِيثَا

(٤) البري : التراب . ورسمت (البري) بالألف ليم الجناس بين البيتين . وغيث : أصابه الغيث .

(٥) ق ت : « ما طال » .

وله في التصوف

وقال في غرض صوفي :

لا تنكروا أن كنتُ قد أُخْبِيتُكم أو أنتى استولى على هواكمُ
طوعاً وكرهاً ما تروُنْ فإنتى طُفْتُ الوجود فما وجدتُ سواكم

وله في المديح
موريا

وقال يمدح وفيه تورية :

وإن نظرتَ إلى لآلاءِ غُرَّتِه يوم الهياج رأيتَ الشمس في الأسدِ

شعر له بشك
أنه للمشارفة

ونسب إليه الحافظ أبو عبد الله التَّنَسِّي رحمه الله ، قصيدة يخرج منها أكثر
من ثلاث مئة بيت ، ونسبها غير التَّنَسِّي إلى بعض المشارفة ، فالله أعلم ، وهي :

دائم نوى بفؤادى شفه سَمِّ (١)
بأضلى لَهَبٍ تَذْكُو (٢) شرارته
يومَ النوى حل في قلبي له ألم (٣)
توجع من جوى شُبَّت حرارته
أصل الهوى مُلَبِّس وجدا به عَدَم
تَتَبَّعِي وَجْه (٤) من تزهو نضارته
مُهْدِي الجوى مُوَلِّعٌ بالهجر منتقم
لمصرعي معتد تحلو مزارته
قلبي كوى ملك في النفس محتكم
مُرَوِّعِي قمر تَسْبِيحِي إشارته
لِحَنَّتِي من دواعي الهم والكمد
من الضنى في محل الرُّوح من جسدِي (٥)
وَحُرَّقَتِي وبلائي فيه بالرصد
مع العنا قد رَنَى لى فيه ذو الحسد
لمهجتي من رشا بالحسن منفرد
إذا انثنى قاتلى عدداً بلا قود
ما حيلتي قد كوى قلبي مع الكبد
يا قومنا (٦) آخذ نحو الرَّدَى بيدي
لقصتي فهو سؤلى وهو معتمدى
إذا رنا ساطع الأنوار في البلد

(١) في ت هنا : « ألم » .

(٢) في ط : « تبدو » .

(٣) في ت هنا : « ... الروح والجسد » .

(٤) في ت : « يوم النوى ظل في قلبي به ألم » .

(٥) في ت : « وجد » .

(٦) في ط : « يا قومنا » .

هَذَا الْقَوَى حَسَنَ كَالْبَدْرِ مَبْتَسِمٍ لَفِتْنَتِي مُوهِنَ عِنْدَ النَّوَى جَلَدِي
مُودَّعِي النَّارِ قَدْ شَبَّتْ زِيَارَتُهُ لَمَّا جَنَى مُورَثِي وَجَدَا مَعَ الْأَبَدِ
قلت : وعندي أنها بعيدة من نفس ابن الخطيب ، مع أن الحافظ التَّنَسِيَّ
نسبها له ، وغيره نسبها لبعض المشاركة ، وذكر التَّنَسِيَّ أنه يخرج منها ثلاث مئة
بيت ونيف وستون بيتاً^(١) ، والله ولي التوفيق .

ثم وقفت بعد هذا على كراسة من بعض تآليف الصَّفْدِيِّ بخطه ، عبّر^(٢) فيها
أنها لبعض المشاركة ، وأورد القطعة مع تقديم وتأخير ، فأردت أن أذكره إتماماً
للفائدة ؛ ونصه :

صالح بن أحمد بن عثمان صلاح الدين القَوَّاس الشاعر الخِلاطِي ثم البعلبكي ،
توفي سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، كان رجلاً خيراً متواضعاً ، صحب
الفقراء ، وسافر الكثير ، وكان يعبرُ الرؤيا ؛ قال الصَّفْدِي : أنشدني من
لقبته الشيخ الحافظ الذهبي ، قال : أنشدني المذكور قصيدته السائرة ذات
الأوزان ، وهي :

دَالَ نَوَى بَفَوَادِي شَفَفَهُ سَقَمٌ لِحِثْنِي مِنْ دَوَاعِي الِهْمِ وَالْكَدِ
بِأَضْلَى لَهَبٍ تَذْكُو شَرَارَتَهُ مِنَ الضَّنَى فِي حِلِّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
يَوْمَ النَّوَى ظَلَّ فِي قَلْبِي بِهِ أَلَمٌ وَخُرْقَتِي وَبِلَائِي فِيهِ بِالرَّصَدِ
تَوَجَّعِي مِنْ جَوَى شَبَّتْ حَرَارَتُهُ مَعَ^(٣) الْعِنَا قَدْ رُئِيَ لِي فِيهِ ذَوُ الْحَسَدِ
أَصْلُ الْهَوَى مُلْبِسِي وَجَدَا بِهِ عَدَمٌ لِمَهْجَتِي مِنْ رَشَا بِالْحَسَنِ مَنفَرَدِ

(١) طريقة ذلك أن يؤخذ الشطر الأول من كل بيت كما هو أو مع تغيير في بعض كلماته ،
ثم يوضع مع ما يناسبه معنى من الشطور الثواني في القصيدة كلها ، فتخرج من ذلك
صور كثيرة للبيت الواحد .

(١) في ت : « عين » .

(٢) في ط : « من » .

تتبعى وَجْهَ^(١) من تزهو نضارته لما جنى مُورثى وجدا مع^(٢) الأبد
 هَدَّ القوى حَسَنَ كالبدر مبتسم لفِئنتى مُوهِن عند النوى جَلَدَى
 مُودَعِى قَمَر تَنْسِي إِشارته إذا رنا ساطع الأنوارِ فى البَلَدِ
 مُهْدِى الجوى مُولَع بالهجر مُنتَقِم ما حيلتى قد كوى قلبى مع الكَبِدِ
 لمصرعى مُعْتَدٍ تحلو مزارته يا قومنا آخذ نحو الردى ييدى
 قلبى كوى مَلَأْتُ فى النفس محتكم لقصى وهو سُؤلى وهو معتمدى
 مولعى النار قد شَطَّتْ^(٣) زيارته لما اثنتى قاتلى عمداً بلا قَوَدِ
 قال الصَّفْدَى : قلت : هذه القصيدة تقرأ على ثلاث مئة وستين وجهاً .

[وقال فى المشيب :

وله فى الشيب

إِنِّى لُمُبْلَى بالهوى من بعد ما للوخط بالفودين أى ديبِ
 لَبَسَ البياضَ وحلَّ ذِرْوَةَ مِنبر منى ووالى الوعظَ فَعَلَ خطيب
 وكتب ببعض الحيطان لما أجاز بِسَبْتَةِ :

وله وقد أجاز

بسبته

أَقْنَا بُرْهَةً ثُمَّ ارْتَحَلْنَا كذاك الدهرُ حالاً بعد حالِ
 وكل بِدايةٍ فإلى انتهاء وكل إقامةٍ فإلى ارتحالِ
 ومن سام الزمانَ دوامَ أمرٍ فقد وقف الرجاء على المُحالِ
 وقد قَدَّمْنَا بعض هذه المقطوعة على غير هذا الوجه [^(٤)] .

وقال مما يكتب فى طاق الماء بباب القبة :

وله فى طاق الماء

أنا طاق تزهو بى الأيام تَعَبْتُ فى بدائى الأنفامُ

(١) فى ت : « متبعى وجد » .

(٢) فى ت : « وجدى مدى » .

(٣) فى ت : « مروعى سار لا شطت » .

(٤) ما بين القوسين جاء متأخراً فى ط بعد قوله : « قلبى الثانى » .

وتبدّيت للنواظر محرا بآ كائن الإناء في إمام^(١)
واقف للصلاة حتى إذا ما جئت للشرب حان منى السلام
وقال في ذلك أيضاً :

يا صانعي الله ما أحكمته فلأنت بين العالمين رئيس
أحكمت تاجي يوم صُغت رُقوشه فصبت إليه مفارق ورءوس
وأقت في محرابه فكانه مجلى^(٢) إناء الماء فيه عروس

بين ابن الجباب
وابن الخطيب

وكتب إليه شيخه ابن الجباب بقوله :

أيا كتابي إذا ما جئت ما لقة دار المكارم من ثني ووحدان
فلا تسلم على ربيع بذى سلم بها وسلم على ربيع لسلمان
فأجابه ابن الخطيب بقوله :

[٢١٢]

يا ليت شعري هل يُقضى تألفنا وبثني الشوق عن غاياته الثاني
أو هل يحن على نفسي معذبها أو هل يرق قلبي قلبي الثاني
وقال رحمه الله :

عدّ عن كيت وكيت ما عليها غير ميت
كيف تُرجى حالة البقيّا لمصباح وزيت

وقال رحمه الله :

والله ما جانٍ على ماله أواجه من ذاد عن عرضه^(٣)

(١) في ط : « الإمام في قيام » .

(٢) في ط : « يحكى » .

(٣) في ط : « من حاط من عرضه » .

بعض أبيات له

والناس في خير وفي^(١) ضده هم شهداء الله في أرضه
وقال رحمه الله : ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون ،
وطمس الآن رسمها :

موشحة له في مدح
السلطان يوسف
أبي الحجاج

رُبَّ لَيْلِ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ وَنَجُومِ السَّمَاءِ لَمْ تَدْرِ
حَفِظَ اللَّهُ لَيْلَنَا وَرَعَى
أَيُّ شَمَلٍ مِنَ الْهَوَى جَمَعَا
غَفَلَ الدَّهْرُ وَالرَّقِيبُ مَعَا
لَيْتَ نَهْرَ النَّهَارِ لَمْ يَجْرِ حَكَمَ اللَّهُ لِي عَلَى الْفَجْرِ
عَلَّلَ النَّفْسَ يَا أَخَا الْعَرَبِ
بِمَدِثٍ أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ
فِي هَوَى مَنْ وَصَالُهُ أَرَبِي
كَلَّمَا مَرَّ ذَكَرَ مِنْ تَدْرِي قُلْتُ يَا بَرْدَ عَلَى صَدْرِي
صَاحِ لَا تَهْتَمِّمْ بِأَمْرِ غَدٍ
وَأَجِزْ صِرْفَهَا يَدَا بَيْدٍ
بَيْنَ نَهْرٍ وَبَلْبَلِ غَمَرِدٍ
وَعُصُونِ تَمِيدٍ مِنْ سُكْرِ أَعْلَنْتَ يَا غَمَامُ بِالشُّكْرِ
يَا مَرَادِي وَمُنْتَهَى أُمْلِي
هَاتَهَا عَسْجَدِيَةِ الْحُلَلِ
حَلَّتِ الشَّمْسُ مَنْزِلَ الْحَمَلِ
وَبُنُودِ الرَّبِيعِ فِي نَشْرِ وَالصَّبَا عَنْبَرِيَةِ النَّشْرِ

غُرَّةُ الصَّبِيحِ هَذِهِ وَضَحْتُ
 وَقِيَانُ الْغُصُونِ قَدْ صَدَحْتُ
 وَكَأَنَّ الصَّبَا إِذَا تَفَحَّتْ
 وَهَذَا طَيِّبُهَا عَنِ الْخَصْرِ مِدْحَةٌ فِي عُلَا بَنِي نَصْرِ
 هُمْ مَلُوكُ الْوَرَى بَلَا تُنْيَا
 مَهْدُوا الدِّينَ زَيْنُوا الدُّنْيَا
 وَحَمَى اللَّهُ مِنْهُمْ الْعَلِيَا
 بِالْإِمَامِ الْمَرْفَعِ الْخَطَرِ وَالْغَامِ الْمُبَارَكِ الْقَطْرِ
 إِنَّمَا يُوسِفُ إِمَامٌ هُدَى
 حَازِي الْمَعْلُومَاتِ كُلِّ مَدَى
 قَلْ لَدَهْرٍ بُمُلْكِهِ سَعْدًا
 افْتَخِرْ جَمَلَةً عَلَى الدَّهْرِ كَافْتَخِرِ الرَّبِيعِ بِالزَّهْرِ
 يَا عِمَادَ الْقَلَاءِ وَالْجَدِ
 أَطْلَعَ الْعَيْدُ طَالِعَ السَّعْدِ
 وَوَفَى الْفَتْحُ فِيهِ بِالْوَعْدِ
 وَتَجَلَّتْ فِيهِ عَلَى الْقَصْرِ غُرَّرٌ مِنْ طَلَائِحِ النَّصْرِ
 قَتَنًا مِنْ حُسْنِهِ الْبَهْجِ
 بِحَيَاةِ النُّفُوسِ وَالْمُهْجِ
 وَاسْتَمَعَهَا وَدَعَا مَقَالَ شَجِي
 قَسَمًا بِالْهَوَى لِنَدَى حَجَرٍ مَا لِلَّيْلِ الْمَشُوقِ مِنْ فَجْرِ
 وَمَنْ بِدِيْعِ مَوْشِحَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلُهُ :

كَمْ لِيَوْمِ الْفِرَاقِ مِنْ غُصَّةٍ فِي فُؤَادِ الْعَمِيْدِ
 تَرَفَعَ الْأَمْرُ فِيهِ وَالْقِصَّةُ لِلْوَلِيِّ الْحَمِيْدِ

رحل الركب يقطع البيدا بسفين النِّفاقِ
كل وَجْناهُ تُتْلَعُ الجيدا وَتُبْذُ الرِّفاقِ
حَسِبْتُ لَيْلَةَ اللقا عَيْداً فَهِيَ ذَاتِ اشْتِياقِ
صَامِتاتٌ لَا تَقْبَلُ الرخصةَ قَبْلَ فِطْرِ وَعَيْدِ
فَهِيَ مَذْ أَمَلْتَهُ مَخْتَصَهُ بِجِهَادِ جِهيدِ

ومنها وهو آخرها :

يا إِمَامَ السُّلا وَالْفَخْرِ ذَا السَّنا الأُبْهِجِ
ها كَها لَا عَدِمْتَ فِي الدَّهِرِ آمِلاً يَرْتَجِي
عَارِضَتْ قَوْلَ بَائِعِ التَّر بِمَقْـالِ شَجِ
عَرَبُوكِ الْجَمالُ يا حَفْصَةَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدِ
مِنْ سَجْلاسَةٍ وَمِنْ قَفْصَةٍ وَبِلادِ الجَرِيدِ

ومن بديع نظمه رحمه الله في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة

المشهورة وهي :

وله في مدح
النبي صلى الله
عليه وسلم

سَلْ ما لِسَلَمَى بِنارِ المَجرِ تَكْوَينِي وَحُبُّها فِي الحَشى مِنْ قَبْلِ تَكْوَينِي
وَفِي مُناها تَمَنَّيْتُ المَني فَقدَا قَلْبِي كَثِيباً بَبِلَواهُ يُناجِينِي
وَفِي قِبابِ قَبْبا قَامَتْ لَنَا بَقْبا طَرازُها مُذْهَبٌ فِي حُسنِ تَزْيينِ
لَمَّا انْتَشَتْ فِي الحَلِي تَزْهُو بِهَاجَتِها وَبالْـغِـزالَةِ تَزْرى والسَّراحِينِ
لَمَّا تَفَنَّنَتْ فِي أَفْنانِ قَامَتِها تَفَنَّنَتْ بِفُنُونِ الصَّدِّ تُفَنِّينِي
وَبِحَسْبِ الصَّبِّ يُسَلِّينِي مَحَبَّتِها هِياتِ لو أَنَّ جَمَّ النّارِ يُصَلِّينِي
النَّارُ فِي كَبْدى وَالشَّوقُ يُقَلِّقُنِي وَالقُرْبُ يَنْشُرُنِي وَالْبُعدُ يَطْوَينِي

وَرُكْنٌ صَبْرِي تَحَلَّى فِي الْغَرَامِ وَقَدْ
 وَقَدْ رَأَيْتُ مَسِيرِي عَنْهُ مُطْلَبُهُ
 نَصَبْتُ حَالِي لِرَفْعِ الضَّمِّ مِنْجَزَمِ
 يَأْصَحُ عَجْجٌ بِالْحِمَى وَانْزِلَ بِهِمْ سَحْرًا
 وَفَوْقَ سَفْحِ عَقِيقِ الدَّمْعِ عَجْجٌ لِيَتَرَى
 وَمِلْ عَلَى أَثْلَاتِ الْبَانِ مُنْعَطِفًا
 نَمُّ أُنْتِ جَزَعًا وَجُزْءٌ عَنْ حَيٍّ كَاطِمَةٍ
 مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْخِتَارِ مَنْ ظَهَرَ
 مَنْ خَصَّه اللَّهُ بِالْقُرْآنِ مُعْجَزَةٍ
 وَمِنْ شَهَابٍ بَدَأَ مِنْ نُورِهِ رُجِمَتْ
 وَفَوْقَ رَاحَتِهِ صُمٌّ الْحَصَى نَطَقَتْ
 وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْبَارِي وَأَرْسَلَهُ
 إِنْ سَارَ فِي الرَّمْلِ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرٌ
 كَأَنَّ بِالرَّمْلِ مَا بِالصَّخْرِ مِنْ جَلْدٍ
 وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ الْجِدْعَ حَنَّ لَهُ
 وَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّ الطَّيْرَ خَاطَبَهُ
 وَالطَّبِيَّ وَالضَّبَّ جَاءَا يَشْهَدَانِ بَأَنِّ
 فَكَيْفَ أَحْسَنَ مَدْحًا فِي مُحَاسِنِهِ
 أَقْبَلَ الْأَرْضَ إِجْلَالًا لِهَيْبَتِهِ
 وَقَدْ أَقُولُ ابْنُ مُحَمَّدَانَ الْغَرِيبُ أَنِّي
 يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

[٢١٥]

تَمَكَّنَ الْحُبُّ فِي أَيْ تَمَكَّنِ
 وَالطَّرْفُ وَالطَّرْفُ يُكَيِّنِي وَيَكْوِينِي
 بِالْكَسْرِ عَلَّ بِرَشْفِ الضَّمِّ تُحْيِينِي
 وَانْظُرْ لِعُجْبِ أَثِلَاتِ الْبَسَاتِينِ
 جَاذِرَ الْحَيِّ بَيْنَ الْخُرْدِ الْعَيْنِ
 وَحَيٍّ سَلَمًا وَسَلًّا عَنْ حَالِ مَسْكِينِ
 وَاقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى خَيْرِ النَّبِيِّينِ
 آيَاتِهِ فَتَسْلَى كُلُّ مُحْزُونِ
 مَا نَالَهَا مُرْسَلٌ قَدْ جَاءَ بِالدينِ
 شُهْبُ الدِّيَاجِي رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ
 وَالْمَاءِ مِنْ كَفِّهِ يُزْرِى بِمُجْحُونِ
 بَرًّا رَوْفًا رَحِيمًا بِالْمَسَاكِينِ
 وَإِنْ عَلَا الصَّخْرَ عَادَ الصَّخْرُ كَالطَّيْنِ
 شَوْقًا وَبِالصَّخْرِ مَا بِالرَّمْلِ مِنْ لَيْنِ
 وَالْعِدْقُ أَنَّ إِلَيْهِ أَيْ تَأْنِينِ
 فِي مَنْطِقِ مُفْصِحٍ مِنْ غَيْرِ تَلَكُّينِ
 لَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْ طِهِ وَيَسِينِ
 لَكِنَّ لِي قَبُولًا مِنْهُ يَكْفِينِي
 وَالْيَمُّ التُّرْبَ عَلَّ الْوَصْلَ يَحْيِينِي
 مُنَادِيًا بِفَوَادٍ مِنْهُ مُحْزُونِ
 وَأَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ حُسْنٍ وَتَزِينِ

إِنِّي أَتَيْتُكَ فَاقْبَلْنِي وَخُذْ يَمْدِي
 وَقَدْ مَدَحْتُكَ فَارْحَمْنِي وَجُدْ فَعَسَى
 وَكُنْ شَفِيعِي مِنَ النَّيِّرَانِ يَا أُمِّي
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا صَدَحَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا غَرَدَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا وَفَدَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا هَطَلَتْ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا ضَحَكَتْ
 وَأَلْفُ أَلْفِ صَلَاةٍ لَا نَقَادَ لَهَا
 عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ قَاطِبَةً
 وَآلِكَ الْفَرُّ وَالْأَصْحَابُ كُلُّهُمْ
 مَا عَطَّرَ الرَّوْضَ فِي الْأَسْحَارِ عُرْفَ صَبَا
 وَمَا شَدَّ مُنْشِدٌ صَبَّةً لَفَرْطِ جَوَى
 [وقال رحمه الله :

وله في الرجوع
إلى الله

لَبِسْنَا فَلَمْ تُبْذَلِ الزَّمَانُ وَأَبْلَانَا
 وَنَغْشَرُ بِالْأَمَالِ وَالْعُمُرُ يَنْقُضِي
 وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَنْظُرَ الدَّهْرُ مَا عَسَى
 جَزَيْنَا صَنِيعَ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ
 فَيَارَبِّ عَامِلُنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 أَنْتَهَى .

وَمِنْ لَهَيْبِ لَظَى جِرْنِي ^(١) وَسَجِّينِ
 مِنْ هَوْلِ يَوْمِ اللَّقَا وَالْحَشْرِ تَنْجِينِي
 لَعَلَّ أَحْطَى بِأَجْرِ غَيْرِ كَمْتُونِ
 قُمْرِيَّةٌ فَوْقَ أَفْئَانِ الرِّيَاحِينَ
 حَمَامٌ فَوْقَ أَغْصَانِ الْبَسَاتِينِ
 نُؤْيَقَةُ لِحْمَى الْأَطْلَالِ تَبْرِينِي
 مَدَامِ السَّحْبِ أَوْ عَيْنِ الْحَبِّينِ
 مَبَاسِمِ الزَّهْرِ فِي ثَغْرِ الْأَفَانِينَ
 مَضْرُوبَةٌ فِي ثَمَانِ أَلْفِ تَسْعِينَ
 وَأَلْفِ أَلْفِ سَلَامٍ فِي ثَمَانِينَ
 وَتَابِعِيهِمْ لِيَوْمِ الْحَشْرِ وَالذِّينِ
 وَفَاحِ نَشْرِ خُرَاحِي مِنْهُ نَشْرِينَ
 سَلِّ مَا لِسَلَمَى بِنَارِ الْهَجْرِ تَكُونِي

يُتَابِعُ أَخْرَانَا عَلَى الْغَى أَوْلَانَا
 فَمَا كَانَ بِالرُّجْعَى إِلَى اللَّهِ أَوْلَانَا
 فَمَا انْقَادَ لِلزَّجْرِ الْحَثِيثِ وَلَا لَانَا
 فَلَمْ تَزَعْ مَا مِنْ سَابِقِ الْفَضْلِ أَوْلَانَا
 مِنْ الْعَفْوِ وَاجْبُرْ صَدْعَنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ^(٢)

(١) يريد : « أجرتني » .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن نث .

ولنقتصر من نظمه على هذا القدر ، فإنه طويل عريض ، وإنما أطلت
النفس في ترجمة ابن الخطيب ، رحمه الله ، علماً مني بأن الذين رغبوا في تأليف
هذا الموضوع ، لهم تشوف إلى أنباء ابن الخطيب ، وكلامه وجلية أحواله ليست
عندهم ، وإنما يحفظون بعض نظمه ونثره ، ولا يدرون ابتداء أمره وانتهاءه ،
وقد حكى غير واحد أنه رى رحمه الله بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟
فقال : غفر لي بسبب بيتين ، وهما :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعد ما أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد رأيت على هذين البيتين تحميساً لا بأس به ، لأبي عبد الله بن جابر
الغسانى المكناسى ، رحمه الله ، وهو :

يا سائراً لضريح خير العالم يُنهى إليه مقال صبّ هائم
بالله نادٍ وقلّ مقالة عالم يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له أغلاق

بئناك قد شهدت ملائكة السما والله قد صلى عليك وسلمنا
يا مجتنبى ومعظماً ومكرماً أيروم مخلوق ثناءك بعد ما
أثنى على أخلاقك الخلاق

اتمى .

أولاد
ابن الخطيب

وأولاد ابن الخطيب رحمه الله ثلاثة : عبد الله ، ومحمد ، وعلي . وكلهم
حدّث عن أبيه وعن ابن الجيّاب ، وعليّ منهم هو صاحب السلطان أحمد المريني

وحُكي أنه حضر معه في بستان ، سحّ فيه ماء المذاكرة الهَتَّان ؛ وقد أبدى الأصيل شواهد الاصفرار ، وأزعم النهار لما قدِم الليلُ على الفرار ؛ فقال المستنصر ^(١) لما لان جانبه ، وسالت بين سَرَحات البستان جداوله ومَذانيبه :

على بن الخطيب
والستنصر
في بستان

يا فاسُ إِنِّي وَأَيْمُ اللَّهِ ذُو شَغَفٍ في كلِّ رِبع له معناه يَسْبِيئِي
وقد أَنَسْتُ بِقُرْبِ مَنْكَ يا أُمْلَى ونظرة فيكم بالأنس تحييني
فأجابه على بن الخطيب بقوله [العذب المصيب] ^(٢) :

لا أوحش الله رَبِّعاً أَنْتَ زائرُهُ يا بهجة المُلْكِ والدنيامع الدِّينِ
يا أَحْمَدَ الحمد أَبَقاك الإله لنا نخر الملوك وسُلطانَ السلاطين

وأما عبد الله فقد كتب بالعدوتين ، عن ملوك الحضرتين . وأما محمد فقد نال حظاً من التصوف ، ولم يكن له إلى خدمة الملوك تشوف .

شيء عن
عبد الله ومحمد
أبني الخطيب

ولا بد أن نُلَمَّ بوصية ابن الخطيب ، رحمه الله ، لأولاده المذكورين ، لما فيها من الحِكم والوصايا النافعة لمن عمل بها ، وهي :

وصية
ابن الخطيب
لأولاده

الحمد لله الذي لا يروعه الحِمَامُ المرقوب ، إذا شِمَّ نجمة الثقبوب ، ولا يَبْغَتْه الأجل المكتوب ، ولا يَفْجُوهُ الفراق المعتوب ، مُلْهِمُ الهُدَى الذي تطمئن به القلوب ، وموضح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة في قِسمِ الوجوب ، لاسيما للولئ المحبوب ، والولد للنسوب ، القائل في كتابه المعجز الأسلوب ، « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبُ » ، « وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بُنْيَهُ وَيَعْقُوبُ » ؛ والصلاة

(١) في ط : « السلطان » .

(٢) زيادة عن ت .

والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زُرْتُ على نوره جُيوب الغيوب ،
 وأشرف من خُلعت عليه حُلَلِ المهابة والعصمة ، فلا تقطعهم العيون ولا تَصِمُهُ ^(١) [٢١٨]
 العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المشابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب ،
 والأمل المسلوب ، والافتداء الموصول للمرغوب ، والعز والأمن من اللغوب .

وبعد ، فإني لما علاني المشيب بُمُتته ، وقادني الكبر في رُمته ، وادّكرتُ
 الشباب بعد أُمته ؛ أسِفْتُ لِمَا أَصَفْتُ ، وَنَدِمْتُ بعد الفِطام على ما رَضَعْتُ ؛
 وتأكَّد وجوب نُصْحِي لمن لزمَنِي رَعِيَّه ، وتعلَّق بسعي سَعِيه ، وأملت أن تَتَعَدَّى
 إلى ثمرات استقامته ، وأنا رهين قَوات ، وفي برزخ أموات ؛ ويأمن ^(٢) العُشور
 في الطريق التي اقتضت عِثاري ، إن سلك — وعسى ألا يكون ذلك — على
 آثارى ؛ فقلت أخطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد ؛ بعد الضراعة إلى الله
 في توفيقهم ^(٣) ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ؛ وأن يَمُنَّ على فيهم بحسن
 الخلف ، والتلافي من قبل التلّف ، وأن يرزق خَلَقهم التمسك بهدى السلف ؛
 فهو وليّ ذلك ، والهادى إلى خير المسالك .

اعلموا هداكم مَنْ بَأَنواره يَهْتَدَى الضَّلال ، وبرضاه تُرفع الأغلال ، وبالتماس
 قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ، وتبرأت من يمينها
 الشَّمال ؛ أنى مودعكم وإن سالمتي الردى ، ومُفارقكم وإن طال المدى ، وما عدا

(١) كذا في نفع الطيب ؛ وفي ط : « ولا تصفه » ، وهو تحريف .

(٢) في ط : « الهرم » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وليأمن » .

(٤) في ط : « تفضيلهم » .

(٥) في نفع الطيب : « هداكم الله تعالى الذي بَأَنواره ... الخ » .

مما بدا^(١) ؛ فكيف وأدوات السفر تُجمع ، ومنادى الرحيل يُسمع ؛ ولا أقل
للحبيب المودّع من وصية محتضّر ، وعُجالة مقتصر ؛ ورّيمة تُعقد في خنصر ،
ونصيحة تكون نشيدة واعٍ ومُبصر ؛ تتكفل لكم بحُسن العواقب من بعدى ،
وتوضّح لكم في الشفقة والحنو قُصدي ، حسبما تضمن وعدُ الله من قبل وعدى ؛
فهى أربكم الذى لا يتغيّر وقفه ، ولا ينالكم المكروه ما رَفَّ عليكم سَقفه ؛ وكأني [٢١٩]
بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ؛ وبشباطكم قد كسل ، واستبدل الصابَ
من العسل ، ونُصول الشيب ترُوع بأسل ، لا بل [السام]^(٢) من كل حَدَب
قد نسل ، والمعاد اللحد ولا تسَل ؛ فبالأمس كنتم فِراخ حَجَر ، واليوم آباء^(٣)
عَشكر حَجَر ، وغدا شيوخ مَضِيعَة وهَجَر ؛ والقبور فاغره ، [والنفوس عن المألوفات
صاغره]^(٤) ؛ والدنيا بأهلها ساخره ، والأولى تعقبها آخره ؛ والحازم من لم يُتَعظ
به في أمر ، وقال : بيدي لا بيد عمرو ؛ فاقتنوها من وصيته ، ومرام في النصيح قَسيه ؛
وخصّوها بأولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا ؛ وحسبي وحسبكم الله
الذى لم يخلق الخلق هَمَلا ، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا ؛ ولا رضى الدنيا
منزلا ، ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منزلا ؛ ولتلقنوا تلقينا ، وتعلموا
علما يقينا ؛ أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي ، ويفترش التراب جنبي ؛ ويسُح
انسكابي ، وتهرول عن المصلّى ركابي ؛ أحرص منى على سعادة إليكم تُجلب ،
أو غاية كمال بسبيكم تُرتاد وتطلب ؛ حتى لا يكون في الدين والدنيا أوَرَف

(١) ماعدا مما بدا : أى ما التى يصرف الإنسان عن إتمام ما بدا منه . يريد أنه لا يمنعه
من الرحيل عن هذه الدنيا مانع .

(٢) زيادة عن نفع الطيب . والسام (بشخيف الميم) : الموت .

(٣) في نفع الطيب : « أبناء » .

(٤) زيادة من نفع الطيب .

منكم ظلاً ، ولا أشرف محلاً ، ولا أغبط نهلاً وعلاً ؛ وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولي الآذان ، وتتلحوا صُبْح نصحي فقد بان ، وسأعيد عليكم وصية لقمان :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » . [٢٢٠]

وأعيد وصية خليل الله وإسرائيل ، حسبما تضمنه محكم تنزيله : « يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » . والدين الذي ارتضاه واصطفاه ، وأكله ووفاه ، وقرره مصطفاه ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أُعمل فيه افتقاد ، فهو عمل واعتقاد ؛ وكلاهما مقرر ، ومستمد من عقل أو نقل محرر ؛ والعقل متقدم ، وبناءؤه مع رفض أخيه متهدم ؛ فالله واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ؛ تنزهه عن المكان والزمان ، وسبق وجوده وجود الأكواف ؛ خالق الخلق وما يعملون ، والذي لا يُسأل عن شيء وهم يُسألون ؛ الحى العليم المدبر القدير ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؛ أرسل الرسل رحمة لتدعو العباد^(١) إلى النجاة من الشقاء ، وتوجه^(٢) الحجة في مصيرهم

(١) في ط : « توجب » .

(٢) في نفع الطيب : « الناس » .

إلى دار البقاء ، مؤيَّدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ؛ ثم ختم ديوانهم بنبيِّ مِلَّتِنَا المُرْعِيَةِ للهَمَل ، الشهادة على المِلَل ، فتلخَّصت الطاعة ، وتبينت ^(١) له الإمرة المطاعة ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعه ؛ ثم إن الله قبضه إذ كان بشرا ، وترك دينه يضم من الأمة نَشْرًا ؛ فمن اتبعه لحق به ، ومن حاد عنه تورَّط في مُنْتَسَبِهِ ^(٢) ، وكانت نجاته على قدر سببه .

روى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم ^(٣) تضلوا بعدى : كتاب الله وسننى ، فعضوا عليهما بالنواجذ » .

[٢٢١]

فاعملوا يا بَنِيَّ بوصيةً من ناصح جاهد ، ومُشفِق شفقة والد ؛ واستشعروا حبه الذى توفرت دواعيه ، وعُوا مرآشد هديه فيافوز واعيه ؛ وصلُّوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به مجلًا [أو مفصلاً] ^(٤) على حَسَبه ، وأوجبوا التجلَّة لصحبه ؛ الذين اختارهم الله لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ؛ واشملوهم بالتوقير ، وفضلوا منهم أولى الفضل الشهير ؛ وتبرءوا من العصبية التي لم يدعكم إليها داع ، ولا تع التشاجر بينهم أذنُ واع ؛ فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ؛ ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الله ، وأتمتها الحِلَّة ؛ فهم صَقَلَة نصولهم ، وفروع ناشئة عن أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم ؛ واعلموا أنى قطعت في البحث زمانى ، وجعلت النظر شانى ، منذ برانى الله وأنشأنى ، مع نبيل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى ؛ فلم أجد خابط ورق ، ولا مصيب عرق ؛ ولا

(١) كذا فى ط . وفى ت : « تبينت » . وفى نفح الطيب : « تبينت » .

(٢) كذا فى الأصليين . وفى نفح الطيب : « ومن تركه نوط عنه فى منسبه » .

(٣) كذا فى ط ونفح الطيب . وفى ت : « لن تضلوا » .

(٤) زيادة عن نفح الطيب .

نازع خطام ، ولا متكلف فطام ، ولا مقتحم بحر طام ؛ إلا وغايته التي يقصدها
 قد فضلتها الشريعة وسبقتها ، وفرعت ثنيتها وارتقتها ؛ فعليكم بالتزام جادتها
 السابله ، ومصاحبة رفقتها الكافله ^(١) ، والاهتداء بأقمارها غير الآفله ؛ والله يقول وهو
 أصدق القائلين : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ » ؛ وقد علت ^(٢) شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ؛ فلا تستنزلكم
 الدنيا عن الدين ، وابدلوا دونه النفوس فعل المهتدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود
 في النار أبد الآبدن ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ،
 [٢٢٢] ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغت ، فأنت
 خير الشاهدين ؛ فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعى شوه
 الوجوه ونضج الجلود ؛ واستعيذوا ^(٣) برضا الله من سُخطه ، وارثوا بنفوسكم عن
 غمطه ؛ وارفعوا آمالكم عن القنوع بفرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على
 جيفة العرّض الزائل انتلافكم ؛ واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا على ما فات
 وتعدّر ؛ فإنما هي دُجّة ^(٤) ينسخها الصباح ، وصفقة يتعقبها الخسار والرباح ؛
 ودونكم عقيدة الإيمان ، فشدّوا بالنواجذ عليها ، وكفّفوا الشبه أن تدنو إليها ؛
 واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل ، وكل ما سوى الراعى
 همل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل ؛ وتمسكوا بكتاب الله حفظاً وتلاوه ،
 واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوه ؛ وتمكروا في آياته ومعانيه ، وامتنلوا
 أوامره وانتهوا عن مناهيه ، ولا تتأولوه ولا تغلّوا فيه ؛ وأشربوا قلوبكم حب

(١) في نفع الطيب : « الكاملة » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « علمت » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « واستعربوا » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « دجّة » .

من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواث حبه ؛ وصونوا شمائر الله صون المحترم ، واحفظوا القواعد التي يبنى عليها الإسلام حتى لا ينخرم .

الله الله في الصلاة ذريعة التجلّه ، وخاصة الله ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجر المستخدم ؛ وأم العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ؛ والناحية عن الفحشاء والمنكر هما ^(١) عرض الشيطان عرضهما ، ووطأ للنفس الأمانة مماء وأرضهما ؛ والوسيلة إلى بلّ الجوانح ببرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ؛ وضابطة ^(٢) حسن العشرة من الجار ، وداعية المسالمة

من الفجار ؛ والواسمة بسمّة السلامه ، والشاهدة للعقد برفع الملامه ؛ وغاسول الطبع [٢٢٣] إذا شانه طبع ، والخير الذي كل خير له تبع ؛ فاصبروا النفس على وظائفها بين إبداء وإعاده ، [فالخير عاده] ^(٣) ؛ ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنيه ، [وتؤثروا على التلية الدتية] ^(٤) ؛ فإن أوقات المعينة بالانفلات تنبّس ^(٥) ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ؛ وإذا قرنت ^(٦) بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل ؛ والوظائف بعد أدائها لا تقوت ، وأين حق من يموت ، من حق الحى الذى لا يموت ؟ وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها ، وأتبعوها النوافل ما أطقتموها ؛ فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استحق ^(٧) الكمال ،

(١) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « وإن » .

(٢) في نفع الطيب : « ضامنة » .

(٣) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

(٥) تنبّس : تسرع .

(٦) في ط : « قورنت » .

(٧) في نفع الطيب : « استحققت » .

ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال ؛ وثابروا^(١) عليها في الجماعات ، وبيوت الطاعات ؛ فهو أرفع للام ، وأظهر لشرائع الإسلام ؛ وأبرّ بإقامة الفرض ، وأدعى إلى مساعدة البعض البعض .

والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطها محصل ؛ فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ؛ والحُجُول والغُرُ فاطيلوها ، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها ؛ فالبناء بأساسه ، والسيف برئاسه^(٢) . واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطُهور ، وذكر مجبور وغير مجبور ؛ تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ؛ فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقل ، وكان في درجة الرجولة ذا انتقال^(٣) ، واستعاض صدأه بصقال ؛ وإن تراخى تقهقر الباع ، وسرقته الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمَل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، ولدتها القربة ؛ مفتاح الساحة بالعرض الزائل ، وشُكران المستول على الضد من درجة السائل ؛ وحق الله في مال من أغناه ، لمن أجهده في المعاش وعَنَاه ؛ من غير استحقاق مَلء يده وإخلاء يد أخيه ، [٢٢٤] ولا عِلَّة القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله فلا خير فيه ؛ فاسمحوا بفرقتها للحاضر لإخراجها ، واختيار عرضها ونتاجها ؛ واستحيوا من الله أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عدل ؛ واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تمليكون ، ولا تدرّون أين تسلكون ؛ فوهب وأقدر ، وأورد

(١) العبارة عن قوله : « وثابروا » إلى قوله : « وأبر » ساقطة في نفع الطيب .

(٢) في نفع الطيب : « برئاسه » .

(٣) هذه الجملة ساقطة في نفع الطيب .

بفضله وأصدر ؛ ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ؛ فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زُلْفَى ، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى ؛ مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ؛ والاجتهاد ، وإيثار السهاد على الهاد ؛ وإن وَسِعَ الاعتكافُ فهو من سننه [المرعيه ، ولواحقه] ^(١) الشرعيه ؛ فبذلك تَحْسُنُ الوجوه ، وتحصل النفوس من الرقة على ما ترجوه ؛ وتهذب الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل إلى الله الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ؛ وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسننه ، وقال : ليس له جزاء عند الله إلا الجنة .

ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ؛ فكونوا ممن يسمع نفيده ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

هذه عمدة الإسلام وفروضة ، ونقود مهره وغروضة ؛ حافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يُناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيعوا حقوق الله قهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تُستكمل وظائف هذه الألقاب ، وتُجلى محاسنها من

بعد الانتقاب ؛ فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدي الشافع ؛ فالعلم مفتاح هذا [٢٢٥] الباب ، والموصل إلى الباب ؛ والله عز وجل يقول : « هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » . والعلم وسيلة النفوس

الشريفه ، إلى المطالب المُنيفه ، وشرطه الخشية لله والخيفه ؛ وخاصة الملاء
الأعلى ، وصفه الله في كتبه التي تُتلى ؛ والسبيل في الآخرة إلى السعاده ،
وفي الدنيا إلى التَّجَلَّة عاده ؛ والذُّخر الذي قليله يشفع وينفع ، وكثيره يُغلي
ويرفع ؛ لا يغصبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ؛ ولا يبتزه الدهر إذا مال ،
ولا يستأثر به البحر إذا هال ؛ من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل
وإن جَمَّ ماله ؛ وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ؛ فالتسوه
لبنيكم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ؛ وأحلوهم على جمعه ودرسه ،
واجعلوا طباعهم تُرعى لغرسه ؛ واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جرَّاء ، وسهر يهجر
له الجنن كراه ؛ تَعَقِّدوا لهم ولاية عِزٍّ لا تُعزل ، وتُحَلِّوهم مثابة رفعة لا يُحط فارعا
ولا يستنزل ؛ واختاروا من العلوم التي يُنْفِقها الوقت ، ما لا يناله في غيره المقت ؛
وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابها التريعه ؛ من علوم لسان لا تستغرق
الأعمار فصولها^(١) ، ولا يضايق ثمرات المعاد محصولها ؛ فإنما هي آلات لغير ،
وأسباب إلى خير منها وخير ؛ فمن كان قابلا منها لازدياد ، وأثنى فهمه ذا انقياد ؛
فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيميه ؛
ثم الشروع في أصول الفقه ، فهو العلم العظيم المنه ، المُهْدِي كنوز الكتاب
والسُّنَّة ؛ ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجله ، والتدرب في طرق النظر وتصحيح [٢٢٦]
الأدله ، وهذه هي الغاية القصوى في الله ؛ ومن قصّر إدراكه عن هذا المرعى ،
وتقاعد عن التي هي أسمى ؛ فليزو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ،
وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ؛ وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون
المهجورة النميمه ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ، ورأيا ركيكا ؛ ولا يشرف في

العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ؛ وتطويق الاحتقار ، وسممة الصغار ،
وخول الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ؛ وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال ،
وأوفق^(١) من قطع العمر في الجدال ؛ هذا ابن رشد قاضى المصر^(٢) ومفتيه ، وملتمس
الرشد ومؤتية ؛ عادت عليه بالسخطة الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ؛ فلا سبيل
إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخلطوا سامكم بحامها ؛ إلا ما كان من
حساب ومساحه ، وما يعود بجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم
براحه ؛ وما سوى ذلك فمحجور ، وضرم مسجور ، وممقوت مهجور .

وأسروا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانتهوا عن المنكر نهياً حرياً بالاعتدال حقيقاً ،
واغبطوا من كان من سنة الغفلات مُفِيَقاً ، واجتنبوا ما تُهِنون عنه حتى لا تسلكوا
منه طريقاً ؛ وأطيعوا أمر من ولّاه الله من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنة
جبراً ، ولا تداخلوا في الخلاف زياداً ولا عمراً .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء السنة البنين ؛
وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عرف به . وإياكم والكذب
فهو العورة التي لا توارى ، والسوءة التي لا يُرتاب في عارها ولا يُتبارى ؛ وأقل
عقوبات الكذاب ، بين يدي ما أعد الله له من العذاب ، ألا يُقبل صدقه إذا
صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق قد نطق .

وعليكم بالأمانة فالخيانة لؤم ، وفي وجه الديانة كلُّوم ؛ ومن الشريعة التي

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وأشفق » .

(٢) كان ابن رشد قاضى الجماعة بقرطبة .

(٣) يقال : أضراه بالشيء إذا أضراه به وعوده إياه ، وكأنه ضمن الفعل معنى : صرته
على الشيء .

لا يُعَذَّرُ بِجَهْلِهَا ، أداء الأمانات إلى أهلها ؛ وحافظوا على الحِشْمَةِ والصِيَانَةِ ، ولا تَجْزُوا من أقرضكم دِينَ الْخِيَانَةِ ؛ ولا توجدوا للغدر قَبُولًا ، ولا تقروا عليه طبعاً مجبولاً ؛ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ؛ ولا تستأثروا بكنز ولا خَزَنَ ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سَهْلٍ ولا حَزَنٍ ، ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءهم في كيل أو وزن ؛ واللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَعِينُوا فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ وَلَوْ بِالْإِشَارَةِ أَوْ بِالْكَلَامِ ، أَوْ مَا يَرْجِعُ إِلَى وَظِيفَةِ الْأَقْلَامِ ؛ واعلموا أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي فُسْحَةٍ مُمْتَدَّةٍ ، وسبيل الله غير منسَدَةٍ ؛ مَا لَمْ يَنْبِذْ إِلَى اللَّهِ بِأَمَانَةٍ ، وَيَنْمَسَّ فِي الدَّمِ الْحَرَامِ بِيَدِهِ أَوْ لِسَانِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الَّذِي هَدَى بِهِ سَنَنًا قَوِيماً ، وَجَلَى مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ لَيْلَا بِهِمَا : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً » .

واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرم طباعه ، وامتد في سبيل السعادة بآءه ، ولو لم تتلق^(١) نور الله الذي لم يهد^(٢) شعاعه ، فالللال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ؛ ومن غلبت عليه غرائز جهله ، فليُنظر هل يجب أن يُزَنَى بأهله ؟ واللَّهُ قَدْ أَعَدَّ لِلزَّانِي عَذَاباً وَبِيلاً ، وَقَالَ : « وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلًا » .

والخُرَامُ الْكِبَارُ ، ومفتاح الجرائم والجرائر ؛ واللَّهُ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ فِي الْحَيَاةِ شَرْطًا ، وَالْحَرَمَ قَدْ أَغْنَى عَنْهُ بِالْحَلَالِ الَّذِي سَوَّغَ وَأَعْطَى ؛ وَقَدْ تَرَكَهَا [٢٢٨] فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَقْوَامٌ لَمْ يَرْضَوْا لِعُقُوبِهِمْ بِالْفُسَادِ ، وَلَا لِنَفْسِهِمْ بِالْمُضَرَّةِ فِي مَرَضَةٍ

(١) فِي ط : « تَلُو » .

(٢) فِي ت : « يَهْدِ » .

الأجساد ، والله قد جعلها رجساً محرماً على العباد ، وقَرَنَهَا بِالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ فِي مَبَايِنَةِ السَّدَادِ .

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » في الكتاب المبين . ولا تأكلوا مال أحد [بغير حق يبيحه] ^(١) ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ؛ واتمسوا الحلال يسمى فيه أحدكم على قدمه ، ولا يَكُلْ اختياره إلا للثقة من خدمه ، ولا تَلَجُّوا إلى التشابه إلا عند عدمه ؛ فهو في السلوك إلى الله أصل مشروط ، والمحافظ عليه مغبوط .

وإياكم والظلم ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مجاهر لله بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصَّحاح الحِسان ؛ والنِّمِية فساد وشتات ، لا يبقى عليه مُتَات ، وفي الحديث : « لا يدخلُ الجنة قَتَات » . واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغِيبَةُ فباب الخير عنها مسدود ، والبخل فما رَفَى البخل وهو مودود ^(٢) ؛ وإياكم وما يُعْتَذَرُ منه ، فواقف الخزي لا تستقال عثراتها ، وَمَظِنَّاتُ الْفَضَاحِ لَا تُؤْمِنُ غَمَرَاتُهَا ؛ وَتَفْقَدُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ السَّاعَاتِ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ فِي الطَّرِيقِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَرِقُّوا عَلَى ذَوَى الزَّمَانَاتِ وَالْعَاهَاتِ ، وَتَاجَرُوا مَعَ اللَّهِ بِالصَّدَقَةِ يُرَبِّحْكُمْ فِي الْبُضَاعَاتِ ؛ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَاذْكُرُوا الْمَسَاكِينَ إِذَا نَصَبْتُمُ الْمَوَائِدَ ؛ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْمُحْتَاطُ لِعِيَالِهِ ؛ وَارْزَعُوا حَقَقِ الْجَارِ ، [٢٢٩]

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) كذا في نفع الطيب وفي الأصلين : « إلا وهو مردود » .

واذكروا ماورد في ذلك من الآثار ؛ وتعاهدوا أولى الأرحام ، والشائج البادية
 الالتحام ؛ واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر ، وتفسد السر والجهر ؛
 والرشا فإنها تحط الأقدار ، وتستدعى المذلة والصغار ؛ ولا تسامحوا في لُعبة
 قَمَر ، ولا تشاركوا أولى البطالة في أمر ؛ وصونوا المواعد من الإخلاف ،
 والأيمان من حنث الأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله من الازدراء والاستخفاف ،
 ولا تلهجوا بالأمال العجاف ، ولا تكلّفوا بالكهانة والإرجاف ؛ واجعلوا العمر
 بين معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله بمرصاد ، وأن الخلق
 بين زرع وحصاد^(١) ؛ وأقلّوا بغير الحالة الباقية المموم ، واحذروا القواطع عن
 السعادة كما تحذر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم ؛
 وقابلوا بالصبر أذية المؤذنين ، ولا تقارضوا^(٢) مقالات الظالمين ، فالله لمن بُني
 عليه خير الناصرين ؛ ولا تستعظموا حوادث الأيام كما نزلت ، ولا تضجوا^(٣)
 للأمراض إذا أغصلت ؛ فكل منقرض حقير ، وكل منقضي وإن طال
 فقصير ؛ وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله الأرج ؛ وأوسعوا بالرجاء
 الجوانح ، [واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبد إليه جانح]^(٤) ،
 وتضرعوا إلى الله بالدعاء ، والجتوا إليه في البأساء والضراء ؛ وقابلوا نعم الله
 بالشكر الذي يقيّد منها الشارد ، ويُعذب الموارد ؛ وأسهموا منها للمساكين ،
 وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ؛ فمن الآثار : « يا عائشة أحسنى جوار

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وأن الخلق زرع حصاد » .

(٢) في نفع الطيب : « ولا تعارضوا » .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « تضجروا » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

نِعَمَ اللهُ ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم . « ولا تُطْفِكُم النِّم فتقصروا في^(١) » [٢٣٠]
شكرها ، وتلفكم الجهالة بسكرها ؛ وتتوهموا أن سعيكم جلبها ، وجدكم حلبها ؛
فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فعل إلا الله إذا نظر بعين اليقين .
والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تذهبوا بذهابه زينكم ؛ واملتزم كل منكم
لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ؛ بما أمكنه من إخلاص وبر ، ومراعاة في علانية
وسر ؛ وللإنسان مزية لا تُجْهَل ، وحق لا يُهْمَل ؛ وأظهروا التعاضد والتناصر ،
وصلُّوا التعاهد والتزاور ؛ ترغَّبوا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء ؛ ولا تنافسوا
في الحظوظ السخيفة ، ولا تَهَارَبُوا تَهَارُشَ السباع على الجيفة ؛ واعلموا أن
المعروف يُكَدَّر بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ؛ فإذا
أسديتم معروفا فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء أمرا
فاحتقروه ؛ والله الله لا تنسوا مقارضة سَجَلِي ، وبرُّوا أهل مودتي من أجلى ؛
ومن رَزَقَ منكم مالا بهذا الوطن القَلِق المهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ؛ فلا
يستهلكه أجمع في العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعيا لنفسه إن
تَغَلَّبَ العدو على بلده في الافتضاح والافتقار ؛ ومُعَوِّقا عن الانتقال ، أمام التَّوْبِ
الثقال ؛ وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال في الطلب أولى ؛ وازهدوا
جُهدكم في مصاحبة أهل الدنيا ، نخيرها لا يقوم بشرها ، ونفعها لا يفي بضرها ؛
وأعقاب من تقدم شاهده ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضده ؛ ومن بُلِي منكم بها
فليستظهر بسعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، ويحذر مُعاداة الرجال ، ومنزلات
الإذلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ؛ وإفشاء الأسرار ، وسكر الاغترار^(٢) ؛ [٢٣١]

(١) في نفع الطيب : « ولا تطفؤا في النِّم فتقصروا عن شكرها . »

(٢) في نفع الطيب : « وإفشاء السر ، وسكر الاغترار ، فإنه دأب الفر . »

وليصن الديانة ، ويؤثر الصمت ويلزم الأمانة ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق ؛ وليقف في التماس أصحاب الجلال ، وسمو القدر ورفعة الحال دون الكمال ، فابعد الكمال غير النقصان ، والزلعزع تسالم اللذن اللطيف من الأغصان . وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الحظوظ ^(١) ؛ وغلاباً ؛ فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ، داع إلى الفضح ^(٢) والعار ؛ ومن امتحن منكم بها اختياراً ، أو جبر عليها إكراهاً وإيثاراً ؛ فليتلق وظائفها بسعة صدره ، وليبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ؛ فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ؛ وهى بين إخطاء سعادته ، وإخلال بعاده ؛ وتوقع غزل ، وإدالة رخاء بأزل ، وبيع جد من الدنيا بهزل ؛ ومزلة قدم ، واستنباع ندم ؛ ومآل العمر كله فوت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ؛ جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، وممن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتى التى أصدرتها ، وتجارى التى لربحكم أدرتها ؛ فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ؛ وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغشيت من دروعها ؛ اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ؛ وبقدر ما أضعتم من لآليها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم ؛ ومهما سئتم إطالتها ، واستغزتم مقالاتها ؛ فاعلموا أن تقوى الله فذلكه الحساب ، وضابط هذا الباب ؛ كان الله خليفة علىكم فى كل حال ، فالدنيا منأخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ؛ فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ؛

[٢٣٢]

(١) فى فتح الطيب : « الخطوب »

(٢) فى فتح الطيب : « الفضيحة » .

جعلها^(١) الله من وراء خُطّة^(٢) النجاء ، ونَفَقَ بضائعها المَرْجَاه ، بلطائفه المرتجاء ؛
والسلام عليكم من حبيبكم المودّع ، والله يَلْأُمُّهُ^(٣) حيث شاء من شمل متصدّع ؛
والدِّكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته .

اتتهت الوصية ، وهي غريبة في معناها .

قلت : ولأجل ذلك كان شيخ شيخنا الفقيه الإمام القاضي العلامة سيدي
عبد الواحد الوائشريشي رحمه الله ، كثيراً ما يُدْخِلُ منها في خطبه ، على مالا
يُغْنِي على من طالها ، وإلى الله ترجع الأمور .

وإذ بلغنا في ترجمة ابن الخطيب إلى هذا الحد الذي يستطيله الناظر فيه ،
وهو والله لا يتم التعريف بابن الخطيب ولا يوفيه ، فلنذكر القاضي النبأه
والسكاتب ابن زَمْرَك ، اللذين كان لهما مع ابن الخطيب أول الأمر مصافاة
بومُتات ، ثم استحالَت إلى ما علمت من العداوة ذات البتات .

انتهى الجزء الأول من أزهار الرياض في أخبار عياض
ويليه الجزء الثاني ، وأوله : أخبار القاضي النباهي

(١) في ط : « جعله » ، وفي نفح الطيب : « جعل » .

(٢) في نفح الطيب : « خطته » .

(٣) كذا في نفح الطيب . ولأم الصدع من باب منع : أصلحه . وفي الأصلين : « يله » .

فهارس الكتاب

٣٤٨ — ٣٣٩	١ — فهرس الأعموم
٣٥٠ — ٣٤٩	٢ — فهرس الشعراء
٣٥٢ — ٣٥١	٣ — فهرس القبائل
٣٥٧ — ٣٥٣	٤ — فهرس الأماكن
٣٦١ — ٣٥٨	٥ — فهرس الكتب
٣٦٦ — ٣٦٢	٦ — فهرس القوافي
٣٦٧	٧ — فهرس أنصاف الأبيات
٣٧١ — ٣٦٨	٨ — فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

(١)

ابن الحسن النباهي : ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٢٣ ،
٢٢٤ ، ٣٦٦

ابن حيان : ٣٤

ابن خاتمة أبو جعفر : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦٥

ابن الخطيب : ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢

٣٣ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩

٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٧٩

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠١

٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧

٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣١٩

٣٢٠ ، ٣٦٦

ابن خلدون الحضرمي : ٢٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٢

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٤

٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٩

٢٩١

ابن خلكان : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧

ابن داود (الإمام) : ١٠٣

ابن الدراج = أبو علي الصديق

ابن دراج القسطلي : ١٢٠

ابن دنون = ابن ذنون

ابن دنون : ١٢٢

ابن ذي يزن : ٤٧

ابن الريب : ٢٧٥

ابن رشيد : ٣٥

ابن رضوان عبدة الله : ١٢٤

آدم (عليه السلام) : ٢ ، ٨٨

إبراهيم بن أحمد بن فتوح الثقلي : ١٧١

إبراهيم الموصلي : ٩

أبروز : ٢٩٩

ابن الأبار : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

ابن أبي الأحوس : ١٨٨

ابن أبي دينار : ٣٧

ابن أبي عامر = المنصور محمد بن أبي عامر

ابن أبي العيش : ٢١٧

ابن أبي يفلوسن = عبدالرحمن بن أبي يفلوسن

ابن الأحرر : ٢٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩١

١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣

٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

٢٩١ ، ٣٠٦

ابن أخطي : ١٢٤

ابن بشكوال : ٢٧

ابن بطلان الصنهاجي : ١٢٣ ، ٢٨٨

ابن ثروان : ٨٥

ابن جابر : ٢٧

ابن جماعة = أبو الفضل بن جماعة

ابن الجباب = أبو الحسن بن الجباب

ابن الحاج السلي = أبو البركات بن الحاج

البلقي السلي

ابن حبر السقلاني : ٢٥

ابن حبة : ٢٦٢ ، ٢٦٤

ابن الحسن = أبو الحسن بن الحسن (القاضي)

ابن الحسن المستنقى : ٦٣

أبو بكر بن أبي عنان : ٣٠٠
 أبو بكر دلف بن جعفر الصوفي = الشبلي
 أبو بكر بن أبي عبد الله بن الحكيم : ١٨٨
 أبو بكر بن شيرين : ١٨٨
 أبو بكر الصديق : ٣٠٣
 أبو بكر بن عاصم : ١٧٣
 أبو بكر بن غازي : ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
 أبو بكر بن قرمان = ابن قرمان
 أبو بكر بن منظور : ١٨٨
 أبو تاشفين : ٢٤٢ ، ٢٤٩
 أبو ثابت عاصر بن محمد الهنتاني = عاصر بن
 محمد الهنتاني أبو ثابت
 أبو ثور : ٢١٩
 أبو جعفر = ابن خاتمة أبو جعفر
 أبو جعفر بن جابر : ١٨٨
 أبو جعفر بن الزبير : ١٩٠
 أبو جعفر الطنجالي : ١٨٨
 أبو الحجاج النشافري : ١٨٨
 أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن نصر
 الحزرجي : ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٣
 أبو الحسن التلمساني : ١٨٨
 أبو الحسن بن الجباب : ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٣١٩ ، ٣٠٨
 أبو الحسن بن الحسن (الفاضي) : ٢١١ ، ٢١٢
 أبو الحسن بن سمعة : ١٤٥
 أبو الحسن الشافري : ٣٦
 أبو الحسن علي (الفاضي) : ٤٢
 أبو الحسن علي بن أحمد الحزرجي : ١٩
 أبو الحسن علي بن الحسن = ابن الحسن
 النباهي

ابن الزبير : ٢١٧
 ابن زرزار : ٦٢
 ابن زمرك = أبو عبد الله بن زمرك
 ابن سبعين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم : ١٢٤
 ابن سعيد : ٣٠
 ابن سكرة = أبو علي الصديقي
 ابن سيدة : ٢٧
 ابن شجاع : ١٢٣
 ابن الصباغ العقيلي : ١٩٢ ، ١٩٣
 ابن صفوان : ١٩٠
 ابن عاصم = أبو يحيى بن عاصم
 ابن عمر : ٣٦
 ابن غازي : ٢٢٥
 ابن الفرديس التغلبي : ٢٤
 ابن فتوح = إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي
 ابن قرمان : ١٢٣
 ابن قنفذ : ٢٤
 ابن ماساي = مسعود بن ماساي
 ابن مامة كعب : ٩٥ ، ٢٥٤
 ابن ماهان علي بن عيسى : ١٢٠
 ابن مراثة : ٣٧
 ابن مرزوق = أبو عبد الله بن مرزوق
 ابن الملجوم أبو القاسم : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧
 ابن نصر الحزرجي = أبو الحجاج يوسف
 ابن إسماعيل بن نصر الحزرجي
 ابن هذيل : ٢١٩
 أبو إسحاق = إبراهيم بن أحمد بن فتوح
 العقيلي
 أبو إسحاق إبراهيم بن هلال = الصابي
 أبو إسحاق إبراهيم بن هلال
 أبو الأصبح بن سهل : ٢٢٢
 أبو البركات بن الحاج البليقي : ٤١ ، ١٨٨

أبو العباس أحمد بن محمد السبقى العريف :

٣٢ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،

٤٤ ، ٤٥ ، ٧٣

أبو العباس البقى : ٧٢

أبو العباس بن العريف : ٢١

أبو العباس المزق : ٣٩ ، ٤٣

أبو العباس بن يربوع السبقى : ١٨٨

أبو عبد الله = ابن الخطيب

أبو عبد الله = الشوكى محمد بن يوسف

أبو عبد الله بن أبي الحجاج = أبو عبد الله

ابن الأحمر

أبو عبد الله بن أبي الحسن : ٦٨

أبو عبد الله بن أبي عبد الله بن عبد الملك :

١٨٨

أبو عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين :

٢٧٦

أبو عبد الله بن أبي الوليد بن أبي عبد الله :

١٩٤

أبو عبد الله بن الأحمر : ٣٧ ، ٥٨ ، ٧٢ ،

١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ،

٢٧٢ ، ٣٠٧

أبو عبد الله بن الأزرق : ٧١

أبو عبد الله بن بكر : ١٨٨

أبو عبد الله البياى : ١٤٥

أبو عبد الله بن بيش : ١٨٨

أبو عبد الله التلسانى : ٢٤٤

أبو عبد الله التنسى : ١٣٤ ، ٢٤٣ ،

٢٥٧ ، ٣١٠ ، ٣١١

أبو عبد الله بن حزب الله : ١٨٨

أبو عبد الله بن زمرى : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ،

٢٠١ ، ٢٣٠ ، ٣٦٦

أبو عبد الله السرقسطى : ١٤٥

أبو عبد الله المران : ١١٦ ، ١٣٣ ،

١٣٤

أبو الحسن على بن محمد = أبو حسن

أبو الحسن على النصرى : ٦٨

أبو الحسن على بن يوسف بن كاشة الحضرمى :

٢٠١

أبو الحسن الفيحاطى : ١٨٧

أبو الحسن الرينى : ٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢٩١ ،

٢٩٤ ، ٣٠٢

أبو حسن : ٧٨

أبو حم موسى بن يوسف : ٢٣٨ ، ٢٤١ ،

٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،

٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١

أبو حنيفة : ٢١

أبو حيان : ٣٠٤

أبو خدو : ٢٩٨

أبو الخير : ١١٨

أبو دواد : ٩٥

أبو زكريا يحيى بن هذيل : ١٨٩ ، ٢٠٤ ،

٢٠٩

أبو زيد : ٢٢١

أبو سالم بن أبي الحسن المرىنى : ٦٥ ، ٦٦ ،

١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،

٢٢٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،

٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦

أبو سميد : ٢٠٧ ، ٢٨٢

أبو العرف رفيع : ٤٢

أبو الطاهر : ٤٢

أبو الطيب أحمد بن الحسين = النخى

أبو الطيب

أبو العباس أحمد بن أبي سالم : ٢٢٦ ،

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،

أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسى

(القاضى) : ٥٩

أبو العباس أحمد بن جعفر السبقى الحضرمى :

٢٧٣

أبو عبد الله بن عبد الولي القواد : ١٨٧
 أبو عبد الله بن عسكر : ٢٢٢
 أبو عبد الله بن الفخار : ١٨٨
 أبو عبد الله محمد بن يوسف = المواق أبو
 عبد الله محمد بن يوسف
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : ٢٩٤
 أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي النصرى :
 ٦٧
 أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكبيلي :
 ٣٥
 أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل البسطي :
 ١٠٣
 أبو عبد الله محمد أبي محمد العقيلي : ١٠٣
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الوادي
 آشي : ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ،
 ١٨٦ ، ١٧١
 أبو عبد الله محمد التيمي : ٢١٦
 أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي :
 ٢٣
 أبو عبد الله محمد بن حمادة البرنسي : ٣٦
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاي =
 ابن الأبار
 أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن فرج :
 ١٤٦
 أبو عبد الله محمد بن عياض : ٢٤ ، ٢٧
 أبو عبد الله محمد المقرئ : ٥ ، ١٨٨
 أبو عبد الله محمد بن يوسف بن إسماعيل
 الخزرجي = أبو عبد الله بن الآخر
 أبو عبد الله بن مرزوق : ١٩٣ ، ٢٠٧ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ،
 ٣٠٢
 أبو عبد الله المنتوري : ١٤٥
 أبو عبد الله بن نصر = أبو عبد الله بن الآخر
 أبو عبيد : ٢٢١

أبو عبيد البكري : ٦٠
 أبو عثمان بن ليون : ١٨٨
 أبو علي : ٢٢٤
 أبو علي حسن بن يوسف : ١٨٨
 أبو علي حسين بن محمد الصدقي : ٢١
 أبو عمرو بن أبي جعفر : ١٨٨
 أبو عنان فارس المريني : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٥ ،
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٢
 أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني :
 ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
 ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥
 أبو الفضل بن جماعة : ١٣٤
 أبو الفضل الشيرازي = الشيرازي أبو الفضل
 أبو الفضل محمد : ٢٩٢
 أبو القاسم التلساني الصريف : ٢٠٣ ، ٢٠٧
 أبو القاسم بن جزي : ١٨٧
 أبو القاسم الجنيد : ٢١
 أبو القاسم الحسن بن الحسين = الواساني
 أبو القاسم الحسن بن الحسين
 أبو القاسم بن سراج : ١٤٥
 أبو القاسم بن سلمون : ١٨٨
 أبو القاسم بن محمد الفسافي : ٤٥
 أبو القاسم الملاحي : ٢٣
 أبو القاسم بن الملبوم = ابن الملبوم
 أبو القاسم
 أبو مالك = عبد الواحد بن زكريا أبو مالك
 أبو محمد بن أيوب المالني : ١٨٨
 أبو محمد بن الخطيب : ٢٨٢
 أبو محمد بن سلمون : ١٨٨
 أبو محمد صالح : ٢٩٨
 أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم = ابن سبعين
 أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم

أشج بن مروان = ممر بن عبد العزيز
أليان : ١٢٠
أصرو القيس : ٧٤ ، ٩٠ ، ١٧٤
الأمين : ١٢٠ ، ٢٦٠
أندلس بن يافت : ٢٩ ، ٣٠
أنو مروان : ٢٦٧
الوطاسي : ٧٢
أويس بن حامر القرنى : ٨٩
إياس بن معاوية : ٨٩

(ب)

بايزيد = أبو يزيد خان الثماني
بجير بن الحارث : ٩٥
برصيص : ١١٧
برقان : ١٢١
بر بن قيس : ٩٧
بسطام (بن قيس) : ١١٩
البسطى = أبو عبادة محمد بن أبي الفضل
البسطى
بلعام بن باعوراء : ٣٠١
بلقيس : ٢٥٦
بوران بنت الحسن بن سهل : ١٢٢
البوصيرى : ٨٣
بنت جزى : ٢٢١

(ت)

التنسى = أبو عبادة التنسى

(ج)

جابر بن حيان الصوفي : ١٧١ ، ٢٥٥
الجاحظ : ٣٧
جارية بن الحجاج = أبو دواد

أبو محمد بن عبد الله بن ١٨٨
أبو سلم الحراساني : ١١٩
أبو الوليد إسماعيل بن يوسف = ابن الأحمر
أبو يحيى بن أبي بكر بن حاتم : ٥٥ ، ٥٠
١٦٣ ، ١٤٥ ، ١١٦ ، ٦٠ ، ٥٨
١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩

١٨٦

أبو يحيى بن أبي مدين : ٢١٠ ، ٢١١
أبو يزيد البسطامي = طيفور بن عيسى
أبو يزيد خان الثماني : ١٠٨ ، ١٠٩
أبو يوسف : ١٢٠
أبو يوسف = يعقوب عليه السلام
أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المربني : ٦١
أحمد بن أبي سالم = أبو العباس أحمد بن
أبي سالم
أحمد بن جعفر السبكي = أبو العباس السبكي
أحمد بن حرشون : ١٣٣
أحمد بن الحسين = التتني
أحمد (بن حنبل) : ٢١٩
أحمد بن علي الأنصاري = ابن خاتمة
أحمد بن محمد أبو سعيد الماليني = طاووس
أحمد بن محمد الأندلسي = أبو العباس أحمد
الدقون

أحمد المربني : ٣١٩ ، ٣٢٠
أحمد النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي
صلى الله عليه وسلم
أحمد بن يوسف : ٢٩٨
إدريس (عليه السلام) : ٢٥٣
أرسطوطاليس : ٢٥٤
إسحاق (عليه السلام) : ١٤٢
إسحاق الموصلي : ٩
إسماعيل (عليه السلام) : ١٤٢
إسماعيل بن أبي الحجاج = ابن الأحمر
الأسود بن قنان : ٩٥

داود (عليه السلام) : ٣٠

دن بطرة : ٦٢

دن جانحة : ٦١

(ذ)

القمي : ٣١١

ذوالدولتين = أبو العباس أحمد بن أبي سالم

ذو الودعات = ابن ثروان

(ر)

رسول الله صلى الله عليه وسلم = محمد

التي صلى الله عليه وسلم

الرشيد : ١٢٧ ، ٢٦٠

رضوان (الحاجب) : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨

الرضى (الفريق) : ٤٩

رفاش : ٥

الرهبي : ٢٢١

(ز)

زهير بن أبي سلمى : ٨٢

زياد = النابغة الذبياني

(س)

ساسان : ٤٧ ، ١١٩

سبت بن سام بن نوح : ٢٩ ، ٣٦

سبت بن يافت : ٢٩

سراقة بن مالك الكناني : ١٤١

سعادة : ١٢٠

سمد بن عبادة : ١٦٧

جالوت : ٣٠

جالينوس : ٢٥٥

جبريل (عليه السلام) : ١٤٢ ، ٢١٨

جذعة : ٥

جعفر بن عثمان الحاجب المصحف : ١٩٣

جليان = أليان

(ح)

حاتم : ١٧١ ، ٢٥٤

الحاجب (ملك سبتة) : ٣٧

الحارث الأكبر الفاسي : ٥٣

الحارث بن عباد : ٩٥

حبيب بن أوس الطائي : ١٧٥

الحجاج : ٨٦ ، ٨٧

الحجاري : ٢٩

الحريري : ١٢٥

الحسن بن سهل : ١٢٢

حسين الزروقي : ٢٤

حنظلة بن العرق الإيادي = أبو دواد

(خ)

خالد البلوي : ٣٠٩

خالد بن يزيد بن معاوية : ١٧١

الخطيب بن مرزوق = أبو عبد الله بن

مرزوق

خليل (بن إسحاق المالكي) : ١٣٠

خيران الصقلي : ١٢٠

(د)

دارا : ٤٧

(ض)

الضليل = امرؤ القيس

(ط)

طارق بن زياد : ٦١
 طاهر بن الحسين : ١٢٠
 طاووس : ٢٥٦
 طيفور بن عيسى : ٣٠١

(ع)

عاد : ٤٧
 عامر بن محمد بن علي الهنتاق أبو ثابت :
 ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٠
 عائشة : ٣٣٣
 العباس (عم النبي) : ١١٣
 العباس بن مرداس : ٤١
 عبد الحميد الكاتب : ١١٩
 عبد الرحمن بن أبي يفلوسن : ٢٢٤ ، ٢١٠
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٢٩
 عبد الرحيم بن نوح : ٢٩٣ ، ٢٩٢
 عبد العزيز بن أبي الحسن = أبو فارس
 عبد العزيز بن أبي الحسن الرضي
 عبدالله (أبو لسان الدين بن الخطيب) : ٢٠٤
 عبدالله بن لسان الدين بن الخطيب : ٢٩٩ ،
 ٣٢٠ ، ٣١٩
 عبد الواحد بن زكرياء أبو مالك : ٢٦١ ،
 ٢٦٢
 عبد الواحد الوانقريسى : ٢٢٤ ، ٣٣٦
 عبو : ٢٨٨
 عتية بن الحارث : ١١٩
 عثمان بن عفان : ١٢١ ، ٣٠٣

السعيد بن أبي فارس : ٢٢٦

السفاح : ١١٩ ، ٢٦٠

سفيان (بن سعيد بن مسروق الثوري) :

٩٦

سليان (عليه السلام) : ٤٨ ، ٢٥٦

سليان بن داود بن أمراء : ٢٢٩ ، ٢٣٠

سليان بن عبد الملك : ٨٦ ، ٨٧

السموئل : ٧٤

سوسان : ١٢٣

سيف بن ذي يزن = ابن ذي يزن

(ش)

الشافعي (الإمام) : ٢١٩
 الشبلي : ٢٥٦
 الشبوكي محمد بن يوسف : ٢٩١ ، ٢٩٤
 شداد : ٤٧
 شرف الدين بن المقرئ : ١٥٨
 الشريف = أبو العباس أحمد بن محمد
 السبق العريف
 شمس الدين = أبو عبدالله محمد بن جابر
 الوادي آق
 شمس الدين البغدادي : ٢٦
 شمس الدين بن جابر : ١٨٨
 شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي =
 ابن حجر الصقلاني
 شية : ١١٤
 الشيرازي (أبو الفضل) : ٩٤

(ص)

الصابي أبو إسحاق إبراهيم بن هلال : ١١٩
 الصفدي : ٣١١ ، ٣١٢

(ق)

- القادر (الخليفة) : ٩٣
قارون : ٤٧
القاسم (بن موسى بن عياض) : ٢٨
قحطان : ٤٧
القنقاع بن شور : ٩٦
القلصادى : ١٣٣

(ك)

- كثير : ٥
كعب = ابن مامة كعب
كليب : ٩٥
الكندى = التنفى

(ل)

- لبنى (بنت الحباب الكمية) : ٢١٤
لذريق : ١٢٠
لسان الدين = ابن الخطيب
لحيان : ٣٢٣

(م)

- المأمون = ابن ذنون
المأمون بن الرشيد : ٢١ ، ١٢٠ ، ٢٢
مارية بنت ظالم : ٥٣
مالك (الإمام) : ٣٦ ، ٢١٩
مالك بن المرحل : ٣٢
الماوردى : ٢١
التنفي : ٧٤ ، ١٢٠ ، ١٧٥
محمد الخلوع = أبو عبد الله بن الأحمر
محمد بن إبراهيم = أبو عبد الله الصران
محمد (بن أبي الحجاج) = أبو عبد الله بن الأحمر

عثمان بن يحيى بن عمر : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٨٩

العربي = أبو عبد الله محمد أبي محمد المقيلى
الغزفى = أبو العباس الغزفى
هزة : ٥

عضد الدولة بن بويه : ١١٩ ، ١٢٠
على بن أبي طالب : ٣٠٣
على بن بدر الدين : ٢١٠
على بن عيسى بن ماهان = ابن ماهان على
ابن عيسى

على بن لسان الدين : ٣١٩ ، ٣٢٠
العماد الأصفهانى : ٣٠٩
عمر (بن الخطاب) : ١٤١ ، ٣٠٣
عمر (الفقيه) : ١٣٢
عمر بن عبد العزيز : ٨٥ ، ٨٩
عمر بن عبد الله بن على : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٠ ، ٢١٠

عمر بن عبد الله اليبانى : ٢٩٢
عمر المالى : ١١٦
عمرو بن العاص : ١٢٩
عمرو بن عدى : ٥
عمرو بن موسى : ٢٣
عترة : ١٢٣

عياض بن موسى : ١٢ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٤٤
هيسى (بن موسى بن عياض) : ٢٨

(ف)

الفاروق = عمر بن الخطاب
الفتح بن خاقان : ١١٩
الفرزدق : ٥
فرعون موسى : ٢٥٣
الفنش : ٦٢

صلى الله عليه وسلم
 المعلى : ٧٤
 الملك الضليل = امرؤ القيس بن حجر
 المنتورى (أحمد) : ٢١
 المنذر بن ماء السماء : ٧٤
 المنصور (أبو جعفر) : ٢٦٠
 المنصور محمد بن أبي عامر : ١٢٠ ، ٢٨ ، ١٩٣
 المهدي : ٢٦٠
 مهمل : ٩٥
 ميار (الديلمي) : ٤١
 المواق أبو عبد الله محمد بن يوسف : ٢١
 موسى (عليه السلام) : ٨٨ ، ٢٥٢
 موسى بن يوسف = أبو هو موسى بن يوسف
 موسى بن نصير : ٦١
 ميمون : ١٢١

(ن)

الناقة الديباني : ٧٨
 نافع : ٣٦
 النباهي = ابن الحسن النباهي
 النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
 النوار : ٥
 نوح (عليه السلام) : ٢٩ ، ١٤٢

(هـ)

هامان : ١١٩
 هبنقة القيسي يزيد بن ثروان = ابن ثروان
 هراندة أبو شانجة = دن جانجة
 هرم بن سنان : ٨٢
 هشام بن الحكم : ٢٨

محمد بن أبي عبد الرحمن : ٦٢
 محمد بن أبي عبد الله : ٦٨
 محمد بن الأحمر = أبو عبد الله بن الأحمر
 محمد بن إسماعيل : ٢٠٢
 محمد بن حسون بن أبي العلاء : ٢٨٩
 محمد بن الحكيم : ٢٠٥
 محمد بن الخطيب : ٢٢٤
 محمد بن عبد الله = ابن الخطيب
 محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض : ٢٤
 محمد بن عثمان : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
 محمد بن الفرديس = ابن الفرديس التظلي
 محمد بن فرج : ١٤٦
 محمد بن لسان الدين : ٣١٩
 محمد بن محمد بن عاصم القيسي = أبو يحيى
 ابن أبي بكر بن عاصم
 محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) : ٢ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢١
 محمد بن يوسف = الشبوكي محمد بن يوسف
 محمد بن يوسف بن إسماعيل = أبو عبد الله ابن الأحمر
 مدغليس : ١٢٣
 مروان بن محمد : ١١٩
 المستنصر = أحمد المربني
 مسعود بن ماساي : ٢١٠ ، ٢٢٥
 المصعفي = جعفر بن عثمان الحاجب
 المصطفى صلى الله عليه وسلم = محمد النبي

الھنتائی = عامر بن محمد الھنتائی أبو ثابت

(و)

الوادی آشی = أبو عبد الله محمد بن أحمد بن

الحداد الوادی آشی

الوادی آشی = أبو عبد الله محمد بن جابر

الوادی آشی

الواسانی أبو القاسم الحسین بن الحسین : ١٢٣

الوافریقی (عبد الواحد) : ٦٦

ولی الدین بن خلدون = ابن خلدون الحضرمی

وتزمار بن مریف : ٢٢٨

(ی)

یافث بن نوح : ٢٩

یحصب بن مدرك : ٢٧

الیحصبی : ٢٧

یحیی بن هذیل = أبوزکریا یحیی بن هذیل

یزدجرد : ١٢٠

یزید بن أبی مسلم : ٨٦

یسار : ٩١

یعقوب : ٢٩٨

یعقوب : (علیه السلام) : ٨٤ ، ٩٠

یلیان = ألیان

یوسف (علیه السلام) : ٩

یوسف بن أبی عبد الله : ٦٨

یوسف بن إسماعیل = أبو الحجاج یوسف

ابن إسماعیل

یوسف بن یعقوب بن عبد الحق المرینی :

١٢٠

فهرس الشعراء

(١)

ابن الجياب = أبو الحسن بن الجياب
ابن الحاج السلي = أبو البركات البليقي
ابن حجاج : ٩٤

ابن الخطيب : ٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ١٨٧ ،
١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،
٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٤ ،
٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٣

ابن دراج القفصلي : ١٢٠
ابن عاصم = أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم
أبو البركات البليقي : ٤١ ، ٢٧٢
أبو تمام : ٢٥٧

أبو الحجاج النصف : ٣٥ ، ٣٦
أبو الحسن بن الجياب : ١١٥ ، ١٩٢ ، ٣١٣
أبو الحسن التهامي : ١٣٧
أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي : ١٩
أبو الحكم مالك بن المرحل : ٢٩
أبو حيان : ٣٠٤

أبو زكريا يحيى بن خلدون : ٢٣٨ ، ٢٤٦
أبو سعيد الخزومي : ٩٩
أبو الطيب = المتنبي

أبو الطيب صالح بن شريف الرندي : ٤٧
أبو العباس أحمد الدقون : ١٠٤
أبو العباس الفريفي : ٣٨ ، ٤١
أبو عبد الله = الشوكي محمد بن يوسف

أبو عبد الله بن جابر : ٣١٩
أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حجاج = ابن حجاج
أبو عبد الله بن الخطيب البغدادي = ابن الخطيب

أبو عبد الله الفران : ١٣٣ ، ١٣٤
أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة : ٢٤٧
أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكميلي
٣٥

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي : ٧٢ ،
١٠٣

أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي =
أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي

أبو الفناهي : ٢١ ، ٨٧

أبو نواس : ٢٦

أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم : ١٤٦ ،
١٧٩

أحمد المربني : ٣٢٠

(ت)

التلايلسي = أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة

(ج)

جرول = الخطيئة

(ح)

الحاجري = عيسى بن سنجر

الحارث بن عباد : ٩٥

حسان بن ثابت : ٩٧

الخطيئة : ٩٧

(د)

الدقون = أبو العباس أحمد الدقون

(ر)

الرندي = أبو الطيب صالح بن شريف الرندي

(ش)

الصبوكي محمد بن يوسف : ٢٩٢
الفران = أبو عبد الله الفران
الفريرف الرضي : ٩٣

(ص)

صالح بن أحمد بن عثمان : ٣١١
صالح بن شريف الرندي = أبو الطيب صالح
ابن شريف الرندي
الصمة القشيري : ٣

(ع)

العربي = أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي
عمر المالك : ١١٦ ، ١٢٥
عباس : ٣٤
عيسى بن سنجر : ٢٧٥

(ف)

الفرزدق : ٥

(ق)

قيس بن ذريح : ٢١٤
قيس بن عاصم : ٩٨

(م)

مالك بن المرحل = أبو الحكم مالك بن المرحل
المتني : ١٢٠ ، ١٢٦ ، ٢٣٧
المستنصر = أحمد المربني
المنصفي = أبو الحجاج المنصفي

(ن)

الناطقة الذبياني : ٧٨ ، ٩٨

(و)

الواساني : ١٢٣

(ي)

يحيى بن خلدون = أبو زكريا يحيى بن خلدون
يزيد بن عبد المدان : ٩٩

فهرس القبائل

(١)

آل شيان : ١١٩
 آل عامر : ١٩٣
 آل عبد الحق : ٢٣٠ ، ٢٩٤
 آل محمد صلى الله عليه وسلم : ١١٣
 آل يعقوب : ١٩٧
 لدم : ٨٠
 الأسبان : ٢٨
 أشيب : ٩٦
 الأنصار : ٢٩٦
 أهل الأندلس : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٤
 أهل الجزيرة = أهل الأندلس
 أهل حمص : ٤٨
 أهل رندة : ١٨٨
 أهل سبتة : ٢٩
 أهل الصفة : ١١٧
 أهل غرناطة : ٦٩
 أهل المشرق : ٢٥ ، ١٢٢
 أهل المغرب : ٢٥
 أهل المرية : ١٨٨
 أولاد حسين : ٢٢٨
 أولاد عبد الله المهدي = الفاطميون

(ب)

البربر : ٣٠ ، ٣٦ ، ٧٧
 البرجلونيين : ١٩٦
 برنس : ٣٦

بكر : ٩٥

بنو الأحمر = بنو نصر

بنو إسرائيل : ١١٧ ، ١٢٩ ، ٣٠١

بنو بويه : ١١٩

بنو الترجان : ٢٨٨

بنو تميم : ٧٤ ، ٩٨ ، ١١٩

بنو جريد : ١٢

بنو الحارث بن ثعلبة : ١٢

بنو داود : ٧١

بنو ذى النون : ١٢٢

بنو زيان : ٢٥٢

بنو الصباغ : ٢٣١

بنو العافية : ٢٢٦

بنو عبد الحق = آل عبد الحق

بنو عبيد : ٢٨

بنو العزقي : ٤٥

بنو عسكر : ٢٢٩

بنو القاسم : ٢٤٢

بنو مرين : ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩١ ، ٢٨٩

بنو نصر : ٥٠ ، ٥٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٧٢ ، ٣٠٨

بنو والبة : ١٢

(ت)

التار : ٨٩

الترك : ١٠٩

تغلب : ٩٥

تميم = بنو تميم

(ط)	(ث)
الطوائف : ١٢٢	ثور : ٩٦
(ع)	ثمود : ١٠٠
عاد : ١٠٠ ، ٨٠	(ح)
عامر : ٢٩٥	حبر : ٢٧
عبس : ١١٨	(خ)
المجم = الفرس	الخزرج : ١٦٧
العرب : ١ ، ١٢ ، ٥٣ ، ٧٧ ، ٨٧	(د)
١٠٩ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٣١٧	الدليم : ١٠٩
عوف : ٩٦	(ذ)
(غ)	ذيان : ١١٨
الغسانة : ٧٨ ، ٩٧	(ر)
(ف)	الرباب : ٩٦
الفاطميون : ٢٨	الروم : ١١٠
الفرس : ٤٧ ، ٧٢ ، ١٠٩ ، ١٢٠	(ز)
٣١٧ ، ٢٤٠	زناقة : ٢٢٨ ، ٢٣٠
فزارة : ١٢	(س)
(ق)	سمد : ٩٨
قريش : ١٤١ ، ٢٤٠	(ش)
القوط : ١٢٠	شيبان : ١١٩
(م)	(ض)
مربن = بنو مربن	ضبة : ٩٦
المشارقة = أهل المعرة	
المثنون : ٧٧	
منقر : ٩٨	
(ي)	
اليمن : ٤٧	

فهرس الأماكن

(ب)

باب الصريعة : ٦٨
باديس : ٢٣٤
بارق : ٢٣٧
بحر الروم : ٢٢٨
بحر الزقاق : ٦٧ ، ٢٩
برقه : ٣٠
بزلياة : ٤١
بسطة : ٢٨
البصرة : ٦٦ ، ٦٧ ، ١١٤
البصرة : ٧٠ ، ٨٩ ، ١٢١
بطوية : ٢٢٥ ، ٢٢٦
بلاد العرب : ٤٧
بلاق : ١٩٨ ، ١٩٥ ، ١٩٣ ، ١٨٨
٢٤٩ ، ٢٢٤ ، ٢٠٢
البلد الجديد : ٢٢٩
بلفيق : ٤١ ، ١١٤
بلنسية : ٣٥ ، ٤٦ ، ٤٨
بليونش : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥
٣٧ ، ٣٦
البيازين : ٧٠
ألبيرة : ١١٤
البيضاء : ١٩٧ ، ٢٢٨

(ت)

تامزا : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
تامسنا : ٢٦٥

(١)

آسقى : ٢٩٨
آنقى : ٢٨٨
أبان : ١٢
الأبلة : ٧
أحد : ٢٤٨
أرغون : ٧٠
أزمور : ٣٥
إشيلية : ٤٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٢٩٧
أحمات : ٢٩٧
إفريقية : ١٨٩ ، ٢٦١
ألبيرة : ١٨٦
أندرش : ٦٧ ، ١١٤ ، ١٩٥
الأندلس : ٢١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٥ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٣ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ١٩٣ ، ٢١٤
طوبان كسرى : ٤٧

حزوى : ١٠
الحراء : ٦٧ ، ١٠٤ ، ١٣٠ ، ٢٠٢ ،
٢٠٧
حمص = إشبيلية
الحمة : ٦٦

(خ)

خراسان : ١١٩

(د)

دار ابن الفريديس التقي : ٢٤
الدار البيضاء : ٥٩
دار السلام : ١٢٧
دار الكتب المصرية : ٢١ ، ٩٧ ، ٩٩ ،
١٩٥ ، ٢١٤ ، ٢١٥
دار همدان : ١٢١
دانية : ٢٤
دجلة : ٧
الدهناء : ١٠ ، ١٢١
الديار المصرية = مصر

(ر)

رابطة الفصال : ٤٢
ربض اليازين : ٦٨
رضوى : ١٢
رندة : ٦١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤
رومة : ١١٣

(ز)

زاوية المحروق : ١٢١

تلسان : ٧ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧١ ،
١٢٠ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ،
٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٠
تهامة : ٩٢
الغوة : ٣٦

(ث)

تهلان : ٤٨

(ج)

جبل الفتح : ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
٢٣٠
جبل موسى : ٣٥
الجريد : ٢٦٢
الجزائر : ٦ ، ٢٤
الجزيرة = الأندلس
جمع : ٢٧١
جان العريف : ١٢٨ ، ١٩٥
جنة الحافة : ٣٣
جنة العريف = جان العريف
جنة القصار : ٢٠١
جيان : ٢٨ ، ٤٨
جيرون : ١٢٣

(ح)

حاجر : ٢٣٥
حبيبة أم يحيى : ٢
الحجون : ٩

(ط)

طليطلة : ٤٦ ، ٢٢٢
طنجة : ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧

(ع)

عاج : ١٢١
العدوة : ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٧ ، ٢٠٩
العذيب : ٢٣٧
العراق : ٥٥
العقاب : ١٢٢

(غ)

القيبط : ١١٩
غمرناطة : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧
غمدان : ٤٧

(ف)

فارس : ٧ ، ١٢٠
فاس : ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠١

زرهون : ٢٢٨

زقة حمامة : ٢٤

الزيتون : ٢٢٨

(س)

سبقة : ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٦ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٣١٢
سجلماسة : ٢٢٨ ، ٢٢٩
سفاس : ٢٢٥
سلا : ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧
سلج : ٣١٧
السوس : ٢٣٧

(ش)

شاطبة : ٤٨
شالة : ٢٠٨ ، ٣٠٢
شالة سلا : ٢٧٦
الشام : ٤٨ ، ٥٥
شبوكة : ٢٩١ ، ٢٩٢
شعب بوان : ٧ ، ١٢٠
شنيل = شنيل
شنجل = شنيل
شنيل : ٢٠٤

(ص)

الصفا : ٩
الصفارين : ٤٣
سقلية : ٤٢

١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٧ ،
 ٢٩٢ ، ٢٩٠
 مربلة : ١٩٦
 المرج : ٢٠٤
 مرسية : ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٦
 المرية : ٢٣ ، ٤١ ، ١٢٠
 مسجد النبي صلى الله عليه وسلم : ١١٧
 المشارف : ٤٧
 مصر : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
 ٣٠٧ ، ٨٢ ، ٦١
 المطبعة الأزهرية : ٧٥
 مطبعة الفتوح : ٨٧
 المرة : ١٧٥
 المغرب : ٢٨ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٩ ،
 ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١١٦ ، ١٢٠ ،
 ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ،
 ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٢
 مقبرة أغمات : ٢٩٧
 مقبرة باب المحروق : ٢٣٠
 مكناسة : ٢٨٧ ، ٢٨٨
 مكة : ٩ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٢٦٧
 ملوية : ٢٢٨
 مليانة : ٦٦
 مليلة : ٦٧
 المنارة : ٢٨
 منصف : ٣٥
 منى : ٢٣٩
 منيافة : ١١٤
 المية : ٣٧
 منية الميا : ٣٣

فج خير : ٦٣
 فلسطين : ٣٠
 فيد : ١١٩

(ق)

قبر السلطان أبي الحسن : ٢٠٨
 قبر المتمد بالله أبي القاسم بن عباد : ٢٩٧
 قبة المرض : ٢٠١
 قرطبة : ٢٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ١٨٦ ، ٢٩٧
 قسطنطينية : ١٠٩
 قشتالة : ٦٢ ، ٧٠ ، ٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠١
 القيروان : ٢٨

(ك)

كدية العرائس : ٢٢٨
 كندة : ١٢٠ ، ١٧٥
 الكوفة : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٥ ، ٢٣٧

(ل)

لطة : ٥٤
 لوشة : ١٨٦ ، ٢٠٤

(م)

مالقة : ٤١ ، ٦٦ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،
 ١٣٠ ، ١٣٢ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ ،
 ٣١٣
 المحصب : ٢٣٩
 المدرسة اليوسفية : ٥٥
 المدينة : ١٢ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٦٧
 مراکش : ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ١١٩

وادی النجا : ٢٢٨	(ن)	نجد : ٩٢ ، ٣
الواسطه : ٧٠		
وانقريش : ٦٦	(هـ)	
وحرا : ١١٤		
(ى)		منتاة : ٢٩٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩١
		الهند : ٤٩
يثرب = المدينة	(و)	
الجماعة : ١٢١		وادی آش : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧
اليمين : ٩٥ ، ٤٧		

فهرس الكتب

(أ)

آداب الدين والدنيا = أدب الدنيا والدين
أبيات الأبيات لابن الخطيب : ١٩٠
الإحاطة لابن الخطيب : ٢٧، ٢٣، ٥٠، ٢٠٤، ١٨٩، ١٤٥، ٥٦، ٥٥
٢٧٠، ٢٣٠
أخبار الحق والمنفلين لابن الجوزي : ٨٥
أخبار سحر بن يقظان = أسرار الحكمة
المصرية

أدب الدنيا والدين : ٢١

الأربعين النووية : ٨٨

الاستبصار في عجائب الأمصار : ٣٤، ٣١

أسرار الحكمة المصرية : ١٢٤

الاستقصا للسلاوى : ٧٨، ٦٢، ٦١

استنزال القطف الموجود في سر الوجود

لابن الخطيب : ١٩٠

أعمال الأعلام في من بوع من ملوك الإسلام

لابن الخطيب : ١٩٠

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ٢١٤

الإكليل الزاهر لابن الخطيب : ١٩٠

الإكمال لكتاب المعلم للقاضي عياض : ٢

الأمالي للقالى : ٩٧، ٩٩

أنباء الغمر : ٢٥، ٢٦

(ب)

بدء ابن سبعين = بدء العارف

بدء العارف لابن سبعين : ١٢٤

بديعة المبيان : ٢٣

البرق الشامى للحماد الأصفهاني : ٣٠٩

بستان الدول لابن الخطيب : ١٩٠

البستان لابن مريم : ٢٤، ٣٣

بضية الرائد لما تضمنه حديث أبي زرع من

الفوائد للقاضي عياض : ٢

بضية المتمس للفضي : ٢١

البيان والتبيين لأجاحت : ٨٧

اليزرة لابن الخطيب : ١٨٩

البيطرة لابن الخطيب : ١٨٩

(ت)

تاج العروس : ٢٠، ٤١، ٩٦، ٩٧

٣٠١، ١١٩

التاج المحلى في مساجلة القدر المحلى لابن

الخطيب : ١٨٩

تاريخ ابن خلدون = المعبر وديوان المبتدأ

والخبر

تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب

لابن الخطيب : ١٩٠

تقديم أبي بكر لابن حجة : ٢٦٢، ٢٦٣

٢٦٤

تقرير الشبه وتحرير الشبه لابن الخطيب :

١٩٠

تقويم البلدان : ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٤

٣٥، ٦٧، ٢٢٨، ٢٣٤

تكملة كتاب الصلاة : ٦٦

تكملة المعجمات لدوزى : ٣٦، ٥٤، ٦١

(ج)

جامع البيان والتحصيل : ١٢٩

رجز السياسة لابن الخطيب : ١٨٩
 رجز الطب لابن الخطيب : ١٨٩
 رجز في أصول الفقه لابن الخطيب : ١٩٠
 الرجز في عمل الترياق لابن الخطيب : ١٨٩
 الرد على أهل الإباحة لابن الخطيب : ١٩٠
 رسالة تكون الجنين لابن الخطيب : ١٨٩
 رسالة الطاعون : ١٨٩
 رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب : ١٩٠
 الروض الأريض : ١٤٥ ، ٦٠ ، ٥٨ ، ١٧١
 الروض المطار في أخبار الأفكار لأبي عبادة
 الحميري : ٢
 ربحانة الكتاب ونجمة المتاب لابن الخطيب :
 ٢٨٦ ، ١٨٩

(ز)

الزبدة المخوضة لابن الخطيب : ١٩٠
 زهر الرياض : ١٢٤

(س)

السحر والشعر لابن الخطيب : ١٨٩
 سد القريضة في تفصيل القريضة لابن الخطيب :
 ١٩٠
 سراج المريدين لابن العربي : ٢
 سلوان المطامع لابن ظفر : ٢٤٩
 سند المهتدين : ٢٢ ، ٢١

(ش)

شرح بدعية ابن حجة = تقديم أبي بكر
 شرح الشاطبية : ٢٧
 شرح الشفاء للعصاف : ٢٧
 شرح القاموس = تاج العروس
 شرح المواهب اللدنية للزرقاني : ١٤١

الجامع الصغير للسيوطي : ٢١٣
 جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى
 لابن عامر : ١٤٥ ، ٥٠ ، ١٥٨ ،
 ١٧١
 جيش التوشيح لابن الخطيب : ١٩٠
 الجواهر اللعانة : ١٢١

(ح)

الحلل المرقومة لابن الخطيب : ١٨٩
 حل الجمهور على السنن المشهور لابن الخطيب :
 ١٩٠

(خ)

خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف
 لابن الخطيب : ١٩٠
 خلع الرسن في أمر القاضي ابن الحسن لابن
 الخطيب : ١٩٠

(د)

الدرر الفاخرة والبعج الزاخرة لابن الخطيب :
 ١٩٠
 دوزي = تكملة المعجبات
 ديوان الصباية : ١٢٤

(ذ)

الذخائر والأعلاق لأبي عبادة الأشبيلي : ٢

(ر)

راح الأرواح لابن الخطيب : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٥
 رجز الأغذية لابن الخطيب : ١٨٩

الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٩٥
شمس المعارف لبونى : ١٢٣

(ص)

صحيح الأعمى للقلعشندى : ٥٤ ، ٤٦
صحيح البخارى : ٨٨ ، ٣٧
صحيح مسلم : ٢١٦ ، ١٢٩
الصلة لابن بشكوال : ٢٧ ، ٢١
الصيب والجهام والماسى والكهام لابن الخطيب : ١٨٩

(ط)

طرفة النصر في دولة بنى نصر لابن الخطيب : ١٩٠

(ع)

عائد الصلة لابن الخطيب : ١٩٠
العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٢٠٢ ، ٢٦ ، ٢٠٣
العقد الفريد : ١١٩
عمل من طب لمن حب لابن الخطيب : ١٩٠
عنوان الصرف الواقع : ١٥٨

(غ)

غمر أخبار ملوك الفرس : ١٢٠
الفنية للقاضى عياض : ٣٦ ، ٢
الغيرة على أهل الحيرة لابن الخطيب : ١٩٠

(ف)

فئات الحوان ولقط الصوان لابن الخطيب : ١٩٠
فهرسة ابن غازى : ٧١

(ق)

القاموس : ١٢٥ ، ٣٥ ، ٤٥
القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : ٢١٥
قلائد القيان : ١١٩

(ك)

كتاب حباب : ١٢٤
كتاب السياسة لابن الخطيب : ٧١
كتاب الوزارة لابن الخطيب : ١٩٠
الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة : ١٨٩
كشف البك وإيضاح اللثك : ١٢٣
كشف الظنون لحامى خليفة : ١١٧ ، ٢٦ ، ١٥٨
كناسة الدكان لابن الخطيب : ١٩٠
كثر المرفين : ٢
الكواكب الوقادة : ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٣

(ل)

لسان العرب : ٣٥ ، ٩٩ ، ٩٢
اللغة البصرية لابن الخطيب : ١٨٩
٢٠٤ ، ٢٠١ ، ١٩٤

(م)

المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبية لابن الخطيب : ١٩٠
مثل الطريقة في ذم الوثيقة لابن الخطيب : ١٨٩
مجلة الجميع الملوكى لفنة العربية : ٤٦
مجم الأمثال للبيداني : ٥
الحكم لابن سيده : ٢٧
مختارات ابن الشجرى : ٩٨

مختصر خليل : ٧١

المختصر في فقه المالكية : ١٣٠

مزية المزة على غيرها من البلاد الأندلسية :

٢٥ ، ٢٣

مسالك الأبعاد للعمري : ٣٠

المسائل الطبية لابن الخطيب : ١٨٩

المسبب : ٢٩

المصباح : ١٢٣

المعروف والمنسوب للثعالبي : ٩٢ ، ٨٥

٩٦ ، ٩٥

مطبخ الأنس : ١١٩

معجم أصحاب الصدوق : ٢٣

معجم البلدان : ٢٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤١٨٦

٢٣٩

معجم دوزي = تكملة المعجمات لدوزي

معجم ما استعجم : ١٢

المعلم لفوائد مسلم : ٢١٦

معيان الاختيار لابن الخطيب : ١٨٩

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب : ٣١

٦٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨

مفاتيح العلوم للخوارزمي : ٢٥٥

مفاضلة مألوفة وسلا لابن الخطيب : ١٨٩

مقامة السياسة لابن الخطيب : ١٩٠

المقتبس في أخبار المغرب والأندلس : ٣٦

مقدمة تاريخ ابن خلدون : ٧١

المنتقى : ٢

منية الطالب لأمر الطالب : ٢

الموطأ للإمام مالك : ٢

المونس في أخبار إفريقية وتونس : ٣٧

(ن)

نثر فرائد الجمان : ١٨٦ ، ٢٩١

نزهة المشتاق للادريسي : ٣٠

نظم الدرر والقيان : ٢٤٤ ، ٢٤٥

نظم السلوك في سياسة الملوك : ٢٤٩

نفاضة الجراب لابن الخطيب : ١٨٩ ، ٢٩٨

نفع الطيب : ٥ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٠ ... الخ

النهاية لابن الأثير : ٩٢

نيل الابتهاج بتطريز الديباج : ١٠٤ ،

١٣٣ ، ١٣٥

(و)

الوصول لحفظ الصحة في الفصول لابن

الخطيب : ١٨٩

وفيات الأعيان : ٢٥ ، ٩٤ ، ١١٩

(ي)

يقيمة الدهر للثعالبي : ٩٤

اليوسني في الطب لابن الخطيب : ١٨٩

فهرس القوافى

طويل	سلام — خليفة : ١٠٩
»	أجلك — أوقات : ٣٠٧
بسيط	قد — المهمات : ٢٩٧
مجزوء الرمل	عد — ميت : ٣١٣
متقارب	بعدنا — صموت : ٢٣١
»	آيا — الثبوت : ٢٣١

(ث)

بسيط	بتنا — البراغيتا : ٣٠٩
كامل	زحفت — المحثوث : ٢٨٩

(ج)

بسيط	ماذا — حرج : ٢٦٥
وافر	يا سماعيل — بانبلاج : ٢٧٤
خفيف	قلت — احتجاجا : ١٤٤

(ح)

كامل	عن — ويمرح : ٢٧٦
سريع	حيث — يروح : ٢٩
خفيف	بلد — مبيع : ٢٩٠
»	ما — جناح : ٢٣٧
»	ما — واقفضاح : ٢٣٩

(د)

طويل	أولئك — شدوا : ٩٧
»	أما — وده : ١٤٦
»	نزلنا — حد : ٢٩٨

(ب)

طويل	بنفسى — عذاب : ٣٠٣
»	ومن — ممايه : ١٠٤
»	سلام — صحابي : ٦
»	بشت — مرقوب : ١٤٤
»	حلنا — المعائب : ١٣
»	أمولاي — الرنب : ٢٤٦
بسيط	مالى — بي : ٢٩٩
»	قوم — السكرابا : ٩٨
»	سبحان — وجبا : ١٧٩
»	ناديت — وجبا : ٣٠٤
»	بحق — مفتصبه : ٣٠٤
مخلع البسيط	بليونش — عقاب : ٣٥
»	الطب — النجابه : ١٨٧
وافر	بى — للخراب : ٢٧١
»	إذا — للتصبيكه : ٢٩٩
كامل	يا — ويطيب : ٥
»	إلى — ديب : ٣١٢
مجزوء الكامل	فيقول — انتسب : ٣
سريع	يا — مرقوب : ٣٠٠
»	انظر — كاعب : ٣٦
»	فالة — بالشارب : ٣٧
مجت	وقت — حسي : ٣٨
متقارب	سلام — يترب : ٢٩

(ت)

طويل	ألا — سبت : ٩
------	---------------

(غ)

هذا — وبني : ١٩٢ مجزوء الرجز
وأظهر — في ارتقا : ١٩٢ » »

(ف)

فينا — ننتصف : ٩١ طويل
لى — مرهف : ٣٠٨ »
والزهر — صافي : ٨ كامل
سبحان — لا تخفى : ١٧١ رجز
فكل — يسرف : ٢٦ سريع
أصبح — أنوفر : ٢٧٦ خفيف
ربما — عفوا : ١٢٦ »
تعود — انحراف : ٢٧٦ متقارب

(ق)

كان — زرق : ٨ طويل
عقيدة — مخلوق : ١٣٢ »
تذكرت — السوابق : ٢٣٧ »
خليلى — الحق : ٣٠٩ »
خرناطة — العراق : ٥٥ مخلع البسيط
عظفا — لا تتفرق : ٩٣ كامل
ولذا — يفرق : ٢٦٩ »
يا — أغلاق : ٣١٩ »
وترنمت — أشواق : ٩ »
ينضى — الباقي : ٢٦٠ »
أشكو — ورحيقه : ٣٠٥ »

(ك)

مولاي — فيكا : ٢٨١ كامل
يا — مسلوكا : ٣٠٦ »

(س)

عسى — ياديس : ٢٣٤ طويل
أهلا — أليه : ١٢٣ كامل
يا — رئيس : ٣١٣ »
أطلعن — عبوسا : ٢٥٠ »
أعقيب — ورسيا : ٢٥٧ »

(ض)

سلام — الرياض : ١٨ وافر
أمنى — الرياض : ١٩ »
واقة — مرضه : ٣١٣ كامل
سرح — الرياض : ١٨ مجزوء الكامل
مهرف — نافضا : ٣٠٠ سريع

(ط)

رائنى — يحاط : ١٤٤ طويل
يأمل — الفلط : ٤٦ بسيط
بليوتش — النباطا : ٣٤ مخلع البسيط

(ع)

جرى — متوزع : ١١ طويل
أنبكي — طائع : ٢١٤ »
لهى — جما : ٢٧١ »
لا — سريع : ٢٦٩ كامل
يا — دعا : ١٤٥ »
انظر — اللامع : ٣٧ سريع
لم — أسماعى : ٢٦٧ »
يا — المنيع : ٢٧٣ خفيف
حين — ولوى : ٣٠٥ »
يا — المنسج : ٢٧٤ متقارب

»	إلى — المزال : ٢٧٤
»	قد — القبال : ٢٨٨
»	يا — وخال : ٢٩٨
»	قال — محول : ٣٠٥
»	سبق — نقله : ٣٠٤
مجت	تناثر — الوصل : ١٥٥
متقارب	أبا — النزال : ٢٦١
»	رموا — الهاطل : ٣٠٧

(م)

طويل	وليس — وأسهم : ٩٩
»	ألا — الرسم : ٢٧٢
»	تعلم — بظام : ٣٠١
مديد	ندد — أحكمها : ١٠٣
بسيط	مولى — القمير : ٧٢
»	م — والنم : ٧٨
مجزوء البسيط	ما — الأليم : ١٥٦
كامل	لا — هواكم : ٣١٠
»	يا — النادر : ٣٠٨
»	يا — هائم : ٣١٩
مجزوء الكامل	لى — حيله : ١٤
رمل	جلس — أحكام : ٣٠٥
سريع	لى — التمام : ١٤٤
خفيف	أنا — الأفهام : ٣١٢
»	يا — رسمه : ٢٦١
مجزوء الخفيف	قسما — عاتمه : ٢٦٨

(ن)

طويل	وما — الحيوان : ١٥
»	وكانت برهان : ٢٨
»	تمال — الجديان : ١١٧
»	أطاع — تلمسان : ٢٨٦

(ل)

طويل	بلاد — شمول : ٤
»	إلى — صالى : ١٢٥
»	فلا — مهمل : ١٣٣
بسيط	أبان — حامله : ٢٩٢
»	لا — حال : ٢١
»	قاضى — الدول : ٢٦
»	كذا — آمال : ٤١
»	ماذا — وترحال : ٤١
»	لا — وجل : ٩٩
»	أمنت — وأحوال : ١٠٤
»	يا — مقتبل : ٢٤٧
»	برئت — ولى : ٣٠٢
»	مال — حال : ٢٧٠
»	لكن — حملا : ١٥
مخلع البسيط	بليوتس — الجمال : ٣٥
»	وإذا — لا يتبدل : ٢٦٢
»	الحق — لا يسأل : ٢٦٢
»	كم — منزل : ٦
»	وما — بالرجال : ٩٢
»	لك — مؤجل : ١٤٣
»	فكان — الليل : ٢٦٨
»	أفادت — حالى : ٢٧١
»	لم — المال : ٢٨٩
»	أقنا — حال : ٣١٢
»	كتبت — الخليل : ٣٠٤
»	أعيا — التفصيلا : ٢٧٥
كامل	بين — المقتل : ٣٠٨
مجزوء الكامل	والناس مثاله : ١٤
سريع	دوام — حال : ١٣٤
»	ما — النكال : ١٥٥
منسرح	يأهل — الحمل : ١٢٣
خفيف	فربا — حيارى : ٩٥

كامل	مولاي — القصصان : ٢٧٢	طويل	علقت — الحدثنان : ٢٨٧
»	حيا — المكنون : ٧	»	ولما — البين : ٣٠٤
»	أسمى — عرين : ٢٨٩	»	أمولاي — كانا : ٣٠٣
»	إن — المكنون : ٣٠٨	»	لسنا — أولانا : ٣١٨
»	بليونش — شاننا : ٣٤	مديد	رب — فن : ٨
سريع	أخطر — حسنه : ٢٩	بسيط	لكل — إنسان : ٤٧
خفيف	حاب — وشين : ١٤٤	»	بين — أجفان : ٣٠٩
»	بان — بين : ٣٠١	»	روعت — وجيرانى : ١١
	(هـ)	»	أيا — ووحدان : ٣١٣
		»	يا — الثانى : ٣١٣
		»	سل — تكوفى : ٣١٦
طويل	قدم — شكواه : ١٤	»	لا — الدين : ٣٢٠
»	إلمى — إلمى : ١٤٤	»	يا — يسينى : ٣٢٠
»	دعوتك — تعالى : ٣٠٣	»	تثائر — الثمين : ١٥٣
كامل	قالوا — فى التنويه : ٣٠٧	مخلع البسيط	مضت — يدان : ١٤
»	إن — تكفيه : ٣٠٨	وافر	وألقي — البنان : ١٢٠
منسرح	خبر — وأجلاه : ١٠٣	»	ولو — الزمان : ٢٦٩
	(ى)	»	حلفت — فى البين : ٣٠٧
		»	أقول — جفانى : ٣٠٩
		»	نسائل — ما عنيكنا : ١٠
طويل	أوى — ثنيا : ١١٥	»	لا — فطن : ٩٨
بسيط	بأمل — منتهيا : ٣٠٩	كامل	إنى — أفن : ٩٨
متقارب	أميرا — صفحتيه : ٣٠٠	»	

فهرس أنصاف الأيات

(ل)	(ا)
لك الحير قد أوفى لهدك خيران : ١٢٠ طويل	إذا عبروا قالوا مقادير قدرت : ٨٧ طويل إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر : ٨٧ رجز
(هـ)	(س)
هي المقادير فلمنى أوفدر : ٨٧ رجز	سم العداة وآفة الجزر : ٩٧ رجز
(و)	(ش)
وطود موسى لها تاج على الراس : ٣٥ بسيط ولو ترك القطا ليلا لنا ما : ٢٦٨ وافر	عم الأنوف من الطراز الأول : ٩٧ كامل

فهرس الموضوعات

صفحة	صفحة
دواة أبي عنان وشعر مكتوب عليها ... ٤٠	روضة الورد في أولية هذا الإمام الفرد
رجع إلى ذكر الشريف	نسب عياض ... ٢٣
شيء من كرم الشريف وشعره ... ٤١	عند الوادي آشي ... ٢٣
أشراف سبقة ... ٤٢	عند ابن الأبار ... ٢٣
دخل الشريف من مضرب الميناء وما كان ... ٤٢	عند ابن خاتمة ... ٢٣
ينفقه فيه ... ٤٢	عند ابن اللجوم ... ٢٣
حفاوة ملوك بني مرين ... ٤٤	تزوله بدار ابن الفرديس ... ٢٤
سبب تعريف المؤلف بهذا الشريف ... ٤٤	عند ولده محمد ... ٢٤
استيلاء العدو على سبقة ... ٤٥	عند ابن خلكان ... ٢٥
رثاء طليطلة ... ٤٦	عند ابن خاتمة أيضا ... ٢٥
قصيدة الرندي في رثاء الأندلس ... ٤٧	شيء عن ابن خلكان وابن خلدون ... ٢٥
ابن عاصم وبعض ما جاء في كتابه عن ... ٥٠	الكلام في ضبط اليحصي ... ٢٧
انحلال أمر الأندلس ... ٥٠	محمد بن عياض يخبر عن موطن أجداده ... ٢٧
ذكر غرناطة ... ٥٥	شيء عن سبقة ... ٢٩
تحرير لابن عاصم على كتاب الإحاطة ... ٥٦	وصف ابن الخطيب لسبقة ... ٣٠
نبذة من كتاب الروض لابن عاصم عن ... ٥٨	الشريف أبو العباس وحفاوته بابن الخطيب ... ٣٢
ابن يوسف ... ٥٨	شعر لابن الخطيب في بليونش ... ٣٤
مثال من حرم ابن الخطيب على الموائد ... ٥٩	شعر لعياض فيها أيضا ... ٣٤
اضطراب أمر الأندلس بالخروج على ... ٦٠	وصف ابن حيان لها ... ٣٤
القواعد ... ٦٠	شعر للمنصفي فيها أيضا ... ٣٥
وصف البكري للأندلس ... ٦٠	شعر الكميلي فيها ... ٣٥
وصف ابن الخطيب للأندلس ... ٦١	شعر للمنصفي فيها ... ٣٦
أبو يوسف المريني ودن جائحه ومثل من ... ٦١	مثل من كرم الشريف أبي العباس ... ٣٧
عن الإسلام ... ٦١	ثناء أبي الحسن النباهي على الشريف ... ٣٨
تعقيب لابن الخطيب على قصة أبي يوسف ... ٦٢	وشيء عنه ... ٣٨
بعض ما كتب في استنهاض المهمل ضد ... ٦٣	شعر للشريف ... ٣٨
النصارى ... ٦٣	حفاوة أبي عنان بالشريف أبي العباس ... ٣٩
لابن زمرك ... ٦٣	ومثله في سبقة ... ٣٩
لابن الخطيب ... ٦٤	وصف أحد كتاب الشريف له ... ٤٠

- موازنة بين ابن عاصم وصاحب عنوان { ١٥٨
الشرف الشامي
مختار من كتابه جنة الرضى ... ١٥٨
شئ من كلام ابن عاصم عن ابن فتوح ١٧١
منثور سلطاني بتولى ابن عاصم القضاء ١٧٢
تخميس لابن عاصم ١٧٩
تعريف بابن الخطيب ١٨٦
أوليته ونسبه ١٨٦
نشأته وشيوخه ١٨٧
مؤلفاته ١٨٩
رأى ابن الأحمر فيه ١٩١
توليه الكتابة ١٩٦
كلام لابن الصباغ عنه وعن قوة { ١٩٢
بديته
أيام ابن الخطيب مع السلطان أبي عبدالله ١٩٣
تفصيل لنكبة السلطان أبي عبدالله { ١٩٤
وذهابه إلى فاس
قصيدة ابن الخطيب بين مدى السلطان { ١٩٦
أبي سالم يستصرخه لمولاه
انصراف السلطان أبي عبدالله إلى { ٢٠١
الأندلس
خبر هذه القصة كما رواها ابن خلدون ٢٠٢
شئ عن أحوال ابن الخطيب كما { ٢٠٤
رواها ابن خلدون
كتاب القاضي أبي الحسن إلى ابن الخطيب ٢١٢
نكته ووفاته ٢٢٩
شعر له في محبة بيكي نفسه ... ٢٣١
تخميس لبعض بني الصباغ ... ٢٣١
شعر ابن الخطيب ٢٣٤
قصيدة لابن الخطيب في مولد النبوت ٢٣٧
قصيدة لأبي زكريا بن خلدون يحاكي { ٢٣٨
بها قصيدة ابن الخطيب
وصف ليالى مولد النبي أيام السلطان { ٢٤٣
أبي حمود
شعر لأبي زكريا بن خلدون في المنجاة ٢٤٦

- سقوط غرناطة في يد العدو والخلاف { ٦٥
في تاريخ ذلك
خروج أمير الحمراء ابن أبي الحسن إلى { ٦٧
فاس
وفاته وشئ عنه وعن عقبه ... ٦٨
حال المسلمين بعده بالأندلس ... ٦٨
رسالة في ذكر ما جرى للمسلمين في { ٦٩
الأندلس
تنكيل طاغية قشتالة وأرغون بالمسلمين ٧٠
بعض من خرج من علماء الأندلس ٧١
كتاب ابن الأحمر لصاحب فاس ... ٧٢
أبو عبدالله العربي وشئ من نظمه ١٠٣
قصيدة الدقون في نذب الجزيرة ... ١٠٣
مما كتبه بعض أهل الجزيرة إلى بايزيد ١٠٨
بلاغة أهل الأندلس ١١٥
مقامة الفقيه عمر : تسريح النصال إلى { ١١٦
مقاتل الفصال
شئ من نظمه ١٢٥
مقامة في أسر الوباء ١٢٥
بعض مقطوعاته ١٣٢
تعريف بالقران ١٣٣
شئ من نظمه ١٣٣
طريقة لابن جماعة وقد تولى القران { ١٣٤
مكانه
شعر للقران يعاتب ابن جماعة على { ١٣٤
إهمال دعوته إلى إعدار
قصيدة اللامية ١٣٤
بعض شعر له ١٤٣
تعريف بالرميس ابن عاصم ... ١٤٥
قصيدة له تلد بنتين فوشحتين في مدح { ١٤٦
السلطان أبي الحجاج
البيت الأولى ١٥٣
الموشحة الأولى ١٥٤
البيت الثانية ١٥٥
الموشحة الثانية ١٥٦

- ٢٨٦ ... من مخاطباته لابن مرزوق ...
- ٢٨٧ { ... شيء من صراحة ابن الخطيب ...
... في مجلس السلطان أبي عنان ...
- ٢٨٨ ... شعر له في مكناسة ...
- ٢٨٨ ... شعر له في مدينة آتني ...
- ٢٨٨ ... شعر له في ابن بطان ...
- ٢٨٩ ... شعر له في البرغوث ...
- ٢٨٩ ... شعر له في ابن روح ...
- ٢٨٩ ... شعر له صدر به رسالته إلى ابن حسون ...
- ٢٩٠ ... شعر له في نذب مراکش بعد الموحدين ...
- ٢٩٠ ... شعر له يخاطب به عامر الهنتاني ...
- ٢٩١ ... تعريف بعامر الهنتاني ...
- ٢٩١ ... شيء عن العريف الشبوكي ...
- ٢٩٢ { شعر للشبوكي في مدح أبي فارس ...
... والتعريض على الهنتاني ...
- ٢٩٤ { شعر لابن الخطيب على قبر السلطان ...
... أبي الحسن المريني ...
- ٢٩٧ ... شعر لابن الخطيب على قبر المعتمد ...
- ٢٩٨ ... شعر له في مخاطبة ابن يوسف ...
- ٢٩٨ ... وله في مخاطبة السلطان ...
- ٢٩٩ ... وله في مخاطبة ابنه وقد وصل لزيارته ...
- ٢٩٩ ... بعض مقطوعات له ...
- ٣٠٠ ... وله في مشرف الدار حين أكل القابض ...
- ٣٠٠ ... وله في رأس الغادر بالدولة ...
- ٣٠٠ ... وله في الغزل ...
- ٣٠٠ ... شعر له في السعيد أبي بكر ...
- ٣٠١ { وله في توديع ابنه لما انصرف عنه إلى ...
... فاس ...
- ٣٠١ ... وله في السيادة الخطيبة ...
- ٣٠٣ ... وله في مخاطبة السلطان أبي الحجاج ...
- ٣٠٣ ... وله في التورية ...
- ٣٠٣ ... وله في التجنيس ...
- ٣٠٤ ... وله في التورية أيضا ...
- ٣٠٤ ... بعض شعر له ...
- ٢٤٧ ... موشحة للتلايسى يخاطب بها أبو حو ...
- ٢٤٩ ... شيء عن السلطان أبي حو ...
- ٢٤٩ { قصيدة ابن الخطيب للسلطان أبو حو ...
... يستعذ به ...
- ٢٥٧ ... نثر له أيضا وصل به القصيدة ...
- ٢٦٠ { بعض مقطوعات لابن الخطيب في السلطان ...
... أبي حو ...
- ٢٦١ { شعر له يودع به عبد الواحد بن ...
... سلطان إفريقية ...
- ٢٦٢ ... من قصيدة النح الغريب له ...
- ٢٦٥ { من مقطوعات له لما أشرف على ...
... مراکش ...
- ٢٦٥ ... كتاب ابن خاتمة إلى ابن الخطيب ...
- ٢٦٧ ... رد ابن الخطيب على كتاب ابن خاتمة ...
- ٢٧٠ ... من رثاء السلطان أبي سالم ...
- ٢٧١ ... شعر له في الرغبة ، الله ...
- ٢٧١ ... شعر له بعد عودته من رحلة المراكشية ...
- ٢٧٢ ... وله في مدرسة ...
- ٢٧٢ ... وله في غرناطة ...
- ٢٧٢ ... وله يخاطب قبر الولي السبي ...
- ٢٧٤ ... وله يوري بدم الأخوين ...
- ٢٧٤ ... وله في اقتباس ...
- ٢٧٤ ... شعر له في التورية بالطب ...
- ٢٧٤ ... وقال يخاطب ابن مرزوق ...
- ٢٧٥ ... شعر له في مخاطبة أحد الصرفاء ...
- ٢٧٥ { وقال يشكر السلطان أبا سالم على ...
... تخليصه إياه ...
- ٢٧٥ ... وله في الغزل ...
- ٢٧٦ { من رسالة في تهنئة ابن أبي مدين ...
... بتقلد الحطة ...
- ٢٧٦ ... رسالته إلى السلطان أبي سالم مستعينا به ...
- ٢٨٢ ... رد السلطان أبي سالم على ابن الخطيب ...
- ٢٨٤ { رد ابن الخطيب على السلطان أبي سالم ...
... شاكرًا ...
- ٢٨٦ ... تهنئة للسلطان أبي سالم بفتح تلسان ...

وله في المشيب ٣١٢	وله في جلوس السلطان في يوم برد للسلام ٣٠٥
وله وقد أجاز بسبقة ٣١٢	وله في الفزل ٣٠٥
وله في طاق الماء ٣١٢	أبيات له في المحسنات البديعية ... ٣٠٦
بين ابن الجياب وابن الخطيب ... ٣١٣	وله في سكن الأضاحي ٣٠٨
بعض أبيات له ٣١٣	وله في مروحة سلطانية ٣٠٨
موشحة له في مدح السلطان ... { ٣١٤	وله يخاطب ابن الجياب ٣٠٨
يوسف أبي الجياح } ٣١٤	وله في الفزل ٣٠٨
وله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ٣١٦	وله في البراغيت أيضا ٣٠٩
وله في الرجوع إلى الله ٣١٨	وله في خالد البلوى ٣٠٩
نخميس للفناني على بيتين لابن الخطيب ٣١٩	وله في المنجاة ٣٠٩
أولاد ابن الخطيب ٣١٩	وله في الفزل ٣٠٩
على بن الخطيب والمستنصر في بستان ٣٢٠	وله في التصوف ٣١٠
شئ عن عبد الله ومحمد ابني الخطيب ٣٢٠	وله في المديح موريا ٣١٠
وصية ابن الخطيب لأولاده ٣٢٠	شعر له يشك أنه للمشاركة ٣١٠

تصويب أخطاء مطبعية

خطأ	صواب	ص	س
محمد بن الخلفاء	محمد ابن الخلفاء	٥٨	٤
لسان العربى	لسان العرب	٩٢	١٧
الأسود ابن قنان	الأسود بن قنان	٩٥	١٠
نظم بن صفوان	نظم ابن صفوان	١٩٠	١٣
ابن يفلوسن	ابن أبى يفلوسن	٢١٠	١٧
آسَفَى	آسَفَى	٢٩٨	٦

